رفعت سيّد أحمد

النبي المسلّح (١)

الرافضون

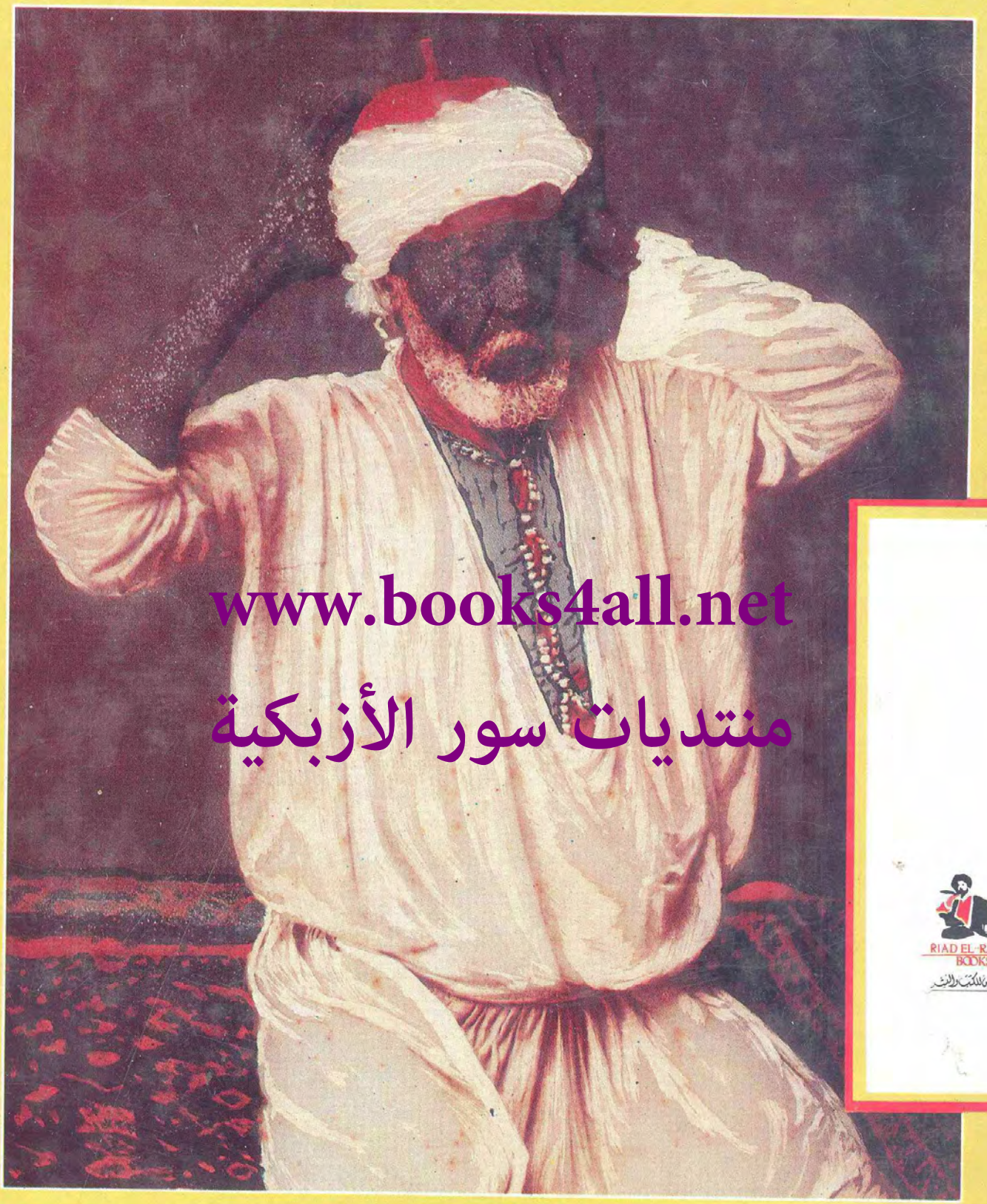

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

RIAD EL-RAYYES BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

النبي المسلح (١)

الرافضون

النبي المسلّح (١)

الرافضون

رفعت سيّد أحمد

RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

56 Knightsbridge, London SW1X 7NJ

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

THE MILITANT PROPHET - 1
The Rejectioonists

by

DR. RIFAAT SAYED AHMED

First Published in the United Kingdom in 1991
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
56 Knightsbridge, London SW1X 7NJ

British Library Cataloguing in Publication Data

Ahmed, Sayed Rifaat
The rejectionists
I. Islamic revolutionary movements
I. Title
322.420882971

ISBN 1-85513-022-X

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise,
without prior permission in writing of the publishers

الطبعة الأولى: كانون الثاني/ يناير ١٩٩١

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الإهداء

إلى
«شباب الحركة الإسلامية في مصر»
ان نبل الهدف لا يضمد وحده جراح
الوسائل... ولعل قليلاً من العقل
ورحابة الأفق يقي من عثرات الطريق
رفعت سيد أحمد

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب ١١
مدخل تحليلي: دوافع الرفض في مصر السبعينات ١٥
العوامل التاريخية والسياسية ١٧
الوثائق ٢٩
الوثيقة الأولى ٣١
الوثيقة الثانية ٥٣
الوثيقة الثالثة ١١٠
الوثيقة الرابعة ١٢٧
الوثيقة الخامسة ١٥٠
الوثيقة السادسة ١٦٥
الوثيقة السابعة ١٧٩
الوثيقة الثامنة ١٩٣
الوثيقة التاسعة ١٩٩
ملحق صور ضوئية لأصول الوثائق ٢٠٥
ملحق رقم (١) ٢٠٧
ملحق رقم (٢) ٢١٠
فهرس عام ٢٥٦

www.books4all.net منتديات سور الأزبكية

مقدمة الكتاب

ربما تكون هذه هي المرة الأولى عربياً وإسلامياً، يُقرأ فيها مثل هذا «الجمع» من الوثائق المجهولة، والمفروض من حولها إطارٌ من السرية والحظر الرسمي، فها هو د. صالح سرية، الفلسطيني الأصل، الحاصل على دكتوراه في علم النفس التربوي، والقائد العام لجماعة الفنية العسكرية التي حاولت قلب نظام الحكم في مصر عام ١٩٧٤، ها هو ومعه قادة التنظيمات الإسلامية في مصر السبعينات (شكري أحمد مصطفى ـ عمر التلمساني ـ محمد عبد السلام فرج ـ عبود الزمر ـ سالم الرحال ـ عبد الله السماوي ـ وغيرهم) يقدمون، ولأول مرة وثائقهم السرية، التي لا زالت ممنوعة من التداول، وتعد من المحرمات بل والطريف أن مجرد وجودها في منزل أحد الأشخاص ـ خاصة من كان له اهتمام أو نشاط ديني ـ ظل يعني طيلة فترة حكم الرئيس المصري السابق أنور السادات (١٩٧٠ ـ ١٩٨١) وحتى يومنا هذا جريمة تمسُّ أمن الدولة، ومجرد العثور عليها بالمنزل، يعني أن ثمة تنظيماً سرياً إسلامي الاتجاه في طور التكوين، وأن من وجدت لديه هذه الوثيقة أو تلك، يُعدُّ أحد قادة «أمراء» الدعوة داخل ذلك التنظيم..!!

هكذا كان يتم التعامل، ولا يزال، مع الوثائق التي بين أيدينا، والتي من جانبنا حاولنا أن نخرجها عن جميع تنظيمات الحركة الإسلامية في مصر خلال حقبتي السبعينات والثمانينات(*)، وذلك من منطلق قناعة مفادها أن الحقيقة ملك للقارىء الواعي. وأنه ـ أي القارىء ـ قد نضج بالدرجة الكافية التي لم تعد بحاجة إلى «أبوية» الحاكم ونصائحه التي تحول ـ تحت سطوة تلك الأبوية ـ دون إلمامه أو معرفته الكاملة بكافة قضايا وهموم أمته...

من منطلق تلك القناعة، كان هذا العمل الذي بين أيدينا وكانت الرغبة في تقديمه كاملاً غير منقوص إلى القارىء العربي، والإسلامي حيثما كان، ليعرف كيف يفكر قادة (تنظيمات) لا زال البعض منا يحكم عليها وعلى فكرها أحكاماً مسبقة، مجحفة أحياناً، وظالمة في أغلب الأحيان، وهي أحكام تأتي دائماً من خارج الإطار الايديولوجي والفكري لتلك التنظيمات، ولم تحاول أن تتغلغل إلى داخله لتبحث فيه وتفتش عن المكوّنات الحقيقية له.

لذا... آثرنا أن نخوض نحن هذه التجربة، أن نقدم تنظيمات الحركة الإسلامية في مصر من داخلها، ومن جذورها الأصلية: الوثائق والأوراق السرية لقادتها.

(*) قمنا بعدة دراسات وأبحاث حول وثائق الحركة الإسلامية في مصر خلال حقبتي السبعينات والثمانينات ومن أهمها: **الجهاد ملفات تنظيم سري** (تحت الطبع)؛ وكتابنا: **تنظيمات الغضب الإسلامي** (القاهرة ـ مكتبة مدبولي)، ورسالتنا للدكتوراه حول **ظاهرة الأحياء الإسلامي في السبعينات: دراسة حالة مقارنة لمصر وايران**، إلا أن كتابنا هذا بجزأيه يعد أول توثيق متكامل نقوم به للوثائق الأصلية لتنظيمات الحركة الإسلامية السرية في مصر خلال السبعينات، (معد الكتاب).

ولكن وقبل أن نلج أبواب تلك الوثائق، فإن ثمة قضية هامة اخرى ينبغي إثارتها في هذه المقدمة، وبشيء من التفصيل، خاصة وأنها ترتبط بدرجة أو بأخرى بما تحت أيدينا من وثائق هامة لتنظيمات السبعينات الإسلامية، تلك هي قضية العنف الديني المعاصر في مصر الثمانينات، والمخرج المتصور من تلك القضية التي تؤرق بال الجميع في مصر، داخل وخارج الحكم، معاً، فماذا عنها؟

مما لاشك فيه، بداية، أن مصر تعيش حالة من تصاعد حدة القلق والتوتر الاجتماعي منذ ثلاثة عقود على الأقل، وهي حالة رفعت فيها راية الإسلام كراية للاحتجاج والرفض العنيف.. وأتت تلك الرايات من المحيط الفقير بالقاهرة والمدن الرئيسية وهو ما نسميه «بحزام الفقر». ولنفصل قليلا «الظاهرة»، ولنحاول جاهدين البحث عن حل حقيقي لها يجمع أشلاء الوطن ولا يمزقه، فمصر اليوم في أمس ما تكون إلى تكتيل الجسد وتوحيد أعضائه درءاً لأخطار أهم وأعمق تأتيه من الخارج.

وفي نطاق تفصيلنا لظاهرة العنف الديني والخروج بحل لها نضع هذه النقاط علها تفيد:

أولاً: قضية العنف الديني في مصر تعود إلى بداية الأربعينات من هذا القرن عندما انشق تنظيم «شباب محمد» عن جماعة الإخوان المسلمين، محبذين العنف الديني ومنتقدين الخط الإصلاحي للإمام «حسن البنا»، ثم تدريجيا يتكون داخل جماعة الاخوان ذاتها «الجهاز الخاص» والذي مارس العنف في النصف الثاني للأربعينات والذي قام باغتيال النقراشي باشا، واستتبع ذلك اغتيال مضاد للشيخ حسن البنا، ثم دخل العنف الديني مرحلة جديدة مع ثورة يوليو [تموز]، ١٩٥٢ وكان حادثا المنشية ١٩٥٤ و١٩٦٥ هما قمة العنف الديني في مصر خلال الحقبة الناصرية.

بيد أن فلسفة التكفير والتنظير للعنف الديني، بدأت تحديداً عام ١٩٥٨ على يد شاب إسلامي الاتجاه كان مسجوناً مع قيادة الاخوان المسلمين آنذاك اسمه نبيل البرعي، الذي انشق عن الإخوان المسلمين مكوّناً بدايات تنظيم سُمي وقتها «تنظيم الجهاد» اتخذ من أفكار ابن تيمية منهاجاً للحركة، وفيما بعد انضم إليه عن اقتناع كل من (اسماعيل الطنطاوي ومحمد عبد العزيز الشرقاوي وأيمن الظواهري وحسن الهلاوي وعلوي مصطفى)، وأصبح إسماعيل الطنطاوي قائداً لهذه المجموعة نظراً لإمكاناته الفكرية الفذة...

ثانياً: استمرت ظاهرة العنف الديني في التطور في مصر وساهمت كتابات أبي الأعلى المودودي وسيد قطب وشكري مصطفى وصالح سرية ومن بعد عبد السلام فرج في إثراء الإطار الفكري والتنظيمي لهذه الظاهرة.

وخرج من تحت عباءة الإسلام السياسي العديد من التنظيمات العنيفة، وظلت التفسيرات بشأن نشأتها وتطورها وأسباب انتشارها تتعدد وتختلف فتارة يُرجعها البعض إلى قسوة التعذيب الجسدي والمعنوي الذي مورس على قيادات هذه التنظيمات في السجون خلال الفترة الممتدة منذ الخمسينات وحتى السبعينات من هذا القرن، وتارة أخرى يراها آخرون أنها نتيجة لأسباب اقتصادية واجتماعية ظالمة، وتارة ثالثة يُرجعها البعض إلى نقص الوعي الديني لدى الشباب المتحمس.

إلا أن الظاهرة أعمق وأخطر من كل هذا خاصة ونحن اليوم نعيشها ونمر بها ونتفاعل معها سلبا أو ايجابا، لذا وجب حسن التشخيص لكي يكون العلاج ناجعا...

ثالثاً: نحن نرى أن ظاهرة العنف السياسي التي ترفع راية الدين ظاهرة قديمة وليست بالجديدة كما سبق التفصيل، ولأنها كذلك فما يحدث اليوم عام «١٩٨٩» في مصر وتحديدا منذ بدايات أحداث العنف مع تنظيم «الناجون من النار» عام ١٩٨٦ ليس إلاّ فصولاً جديدة في قصة مريرة وغير معروفة النهاية، وهي قصة لن يفيد التصدي الأمني لها بل لعله يأتي بنتائج عكسية،

لذلك ومن ضمير يعشق هذا الوطن نطرح هذا التصور لمحاولة الخروج من المأزق...

١ ـ يوجد حول العاصمة «القاهرة» وحول المدن الرئيسية في مصر «٢٠ مدينة» هي أحزمة من الفقر ومن انعدام الحد الأدنى للمعيشة، ومن الغياب الحقيقي للمرافق والخدمات التي يختص بها وسط العاصمة وكذا المدن الرئيسية العشرون... لنتأمل فقط نموذج القاهرة والتي يحيطها حزام من الأحياء السكنية العشوائية الفقيرة للغاية، نذكر منها: بولاق الدكرور ـ امبابه ـ أطراف شبرا ـ عين شمس ـ البساتين ـ المنيب وغيرها... وهي المناطق التي أتت دائماً منها الجماعات الإسلامية، فهل هي مصادفة أن تكون نقطة تحرك وانطلاق وازدهار التيارات والحركات الإسلامية، تلك المناطق الفقيرة عديمة الخدمات؟ أم أن بالأمر الكثير مما يستحق التأمل والاهتمام من صنّاع القرار السياسي بأن يلتفتوا قليلا إلى تلك المناطق بطريقة إيجابية وفعّالة...؟

٢ ـ هذا عن حزام الفقر، والذي يمثل في تصورنا أحد أضلاع المثلث المسبب للعنف الديني في مصر... أما الضلع الثاني فهو حالة الاغتراب والاستغراق شبه الكامل في تقليد كل ما هو غربي، مما يصطدم وجوهر المشاعر الإسلامية لدى القطاعات العريضة من شعبنا الذي يحتل الدين مكاناً غالياً في سلم قيمه وبنائه التاريخي. فلماذا نستمر فيما نعلم أنه نقطة الانفجار؟ ولماذا لا نقلل من هذا الاستغراق في كل ما هو غربي ولو في أجهزة الإعلام، لتكون نقطة بداية، لماذا...؟

٣ ـ ويأتي غياب القدوة على صعيد الأحزاب والقوى السياسية المؤثرة، وعلى صعيد الإدارات والمؤسسات المختلفة، ليمثل الضلع الثالث من أضلاع مثلث العنف الديني. فعندما تغيب القدوة (لا تسأل عن مصير الأجيال الجديدة) فإن الأجيال الجديدة ستذهب تحت وطأة الأزمة الاقتصادية والنفسية والاجتماعية الطاحنة، إما إلى إدمان المخدرات في أندر أنواعها، وإما إلى العنف الديني أو ما يُسمّى «التطرف»، فكلاهما محتمل وكلاهما أكيد الوقوع ولو وجدت القدوة لاستحال ذلك...

إذن....

لتكن نقطة البداية لمصرنا العزيزة هي محاولة حصار أضلع هذا المثلث (الفقر ـ الاغتراب ـ فقدان القدوة...)، وليكن الحوار هو مدخلنا لذلك وعندها سوف يمكننا أن نخرج ولو قليلاً من أزمة العنف الديني الطاحنة التي نعيشها وذلك ما حذرنا منه منذ فترة طويلة، ولا زلنا نحذر منه (انظر دراستنا المنشورة بصحيفة الأخبار يوم ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٩ ص٧). وإلى أن نعي أبعاد ودلالات ظاهرة الرفض والعنف الديني الإسلامي في مصر الثمانينات والتسعينات لنفتح معاً وثائق القادة التاريخيين للظاهرة، أولئك الذين لا يزالون يعيشون بأفكارهم ووثائقهم في عقول شباب التنظيمات الإسلامية الحديثة في مصر، ونقصد بهم تحديداً، د. صالح سرّية قائد تنظيم الفنية العسكرية، والمهندس شكري أحمد مصطفى أمير جماعة المسلمين (المعروفة إعلامياً وأمنياً في مصر باسم جماعة التكفير والهجرة)، والمهندس محمد عبد السلام فرج الأمير العام لتنظيم الجهاد الإسلامي خلال الفترة ١٩٧٩/١٩٨١، والمقدم عبود الزمر ضابط المخابرات الحربية (أحد أمراء تنظيم الجهاد عام ١٩٨١ والأمير الحالي للتنظيم لعام ١٩٨٩)، ثم وثائق وأوراق جماعة الجهاد الإسلامي فرع الوجه القبلي بمصر، ثم بعض أفكار سالم الرحّال (أحد قادة تنظيم الجهاد عام ١٩٨٠ وهو أردني الجنسية وقامت سلطات الأمن في مصر بترحيله عام ١٩٨٠)، وتولى قيادة فرع التنظيم (فرع الهرم) من بعده، كمال السعيد حبيب خرّيج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية دورة عام ١٩٧٩. ثم نختم بأوراق ووثائق عبد الله السماوي والشيخ عمر التلمساني المرشد العام السابق للاخوان المسلمين(*).

(*) بشأن هؤلاء القادة وبشأن نشأة وتطور تنظيماتهم الإسلامية يمكن مراجعة الجزء الثاني لهذا الكتاب: **النبي المسلح، الثائرون** (لندن: شركة رياض الريس للكتب والنشر).

فماذا عن فكر هؤلاء جميعاً؟ وماذا لديهم ليقولوه لنا؟

فلنفتح الوثائق... ولنقرأ، ولكن قبل القراءة، فإننا سوف نحاول أن ندرس الأسباب والدوافع التي كمنت خلف ظاهرة الرفض الإسلامي في مصر وذلك في مدخل تحليلي نستتبعه بالوثائق.

رفعت سيد أحمد

مدخل تحليلي

دوافع الرفض في مصر السبعينات

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

العوامل التاريخية والسياسية

إن الحديث عن الحركة الإسلامية في مصر السبعينات حديث ذو شجون، ولعل في متابعتنا لأبرز قوى تلك الحركة، ما قد يؤكد تلك الشجون، بل ويزيدها اشتعالاً.

إن الوثائق المرفقة سوف تظهر لنا وإلى حد بعيد كيف كان يفكر صالح سرية وشكري أحمد مصطفى، وعبود الزمر ومحمد عبد السلام فرج، وسالم الرحّال وغيرهم.

ولكن...

وقبل أن نلج الوثائق، لابد لنا من معرفة الأسباب والدوافع التاريخية والسياسية والاجتماعية التي وقفت خلف ظاهرة الرفض والإحياء الإسلامي (حيث تلازم الرفض مع الإحياء خلال تلك الفترة) في السبعينات في مصر... وبداية نلاحظ أن الرؤية بالنسبة للعوامل المؤدية لظهور حركات الرفض الإسلامي في مصر خلال حقبة السبعينات قد تنوعت تماماً، مثلما تنوعت بالنسبة إلى باقي أجزاء العالم الإسلامي. فمن كتابات ترجع ظاهرة الإحياء والرفض الإسلامي في السبعينات إلى إخفاق قوى المعارضة غير الإسلامية في اكتساب قاعدة جماهيرية، إلى جانب فشل الأيديولوجيات العلمانية في التوفيق بين القيم الإسلامية وعمليات التحديث، ومن كتابات ترجعها إلى عنف وبشاعة التعذيب الجسدي الذي تعرّض له الشباب المسلم بعد عام ١٩٦٥ ـ عام الصدام الثاني بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ـ وعندما خرجوا في السبعينات كانت آثار التعذيب واضحة على تعبيراتهم الفكرية وعلى مجمل مقولاتهم، وظهرت لأول مرة مقولات تكفير الحاكم والنظام السياسي القائم وأحياناً المجتمع كله.

ومن دراسات أخرى ترجع القضية إلى الانفتاح الاقتصادي، وما ترتب عليه من آثار سياسية واجتماعية ونفسية أدت إلى حالة من الاغتراب الفكري والاجتماعي لدى شرائح عديدة من الشباب، هي نفسها التي قامت بالإحياء والرفض الإسلامي وتحركت صوب الإسلام وصوب قيم الإيمان، بنفس القوة والعنف التي كان يتحرك بها النظام السياسي والمجتمع صوب الانفتاح على الغرب.

ومن دراسات ثالثة ترى في التعذيب والعنف الذي مورس على بعض قوى الإحياء الإسلامي، وتغرّب القيادات السياسية وفقدان القدوة أسباباً لصعود حركة الإحياء الإسلامي(*)، وغيرها من الدراسات التي أرجعت القضية إلى أسباب عديدة إقليمية ودولية. وفي ضوء هذه التفسيرات المختلفة للقضية فإن الباحث سوف يوجز الحديث عن العوامل المؤدية إليها في المحاور التالية: أولاً: العوامل

(*) بشأن هذه التفسيرات ونقدها انظر: رفعت سيد أحمد: **الإسلامبولي رؤية جديدة لتنظيم الجهاد** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٨)، ص ١٦ ـ ١٨. كذلك انظر رسالتنا للدكتوراه والتي حملت عنوان: **ظاهرة الاحياء الإسلامي في السبعينات: دراسة حالة مقارنة لمصر وإيران**، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٨، ص ١٢٧ ـ ١٤٥، وكذلك انظر قائمة المراجع بنهاية هذا المدخل من الكتاب.

التاريخية: جذور الإحياء والرفض الإسلامي. وثانياً: العوامل الاقتصادية والسياسية المؤدية لظاهرة الرفض الإسلامي.

أولا: العوامل التاريخية: جذور الرفض الاسلامي في مصر

إن ظاهرة الرفض الإسلامي في السبعينات، لا يمكن، باعتبارها ظاهرة إحياء ديني، النظر إليها بالتحليل المجزأ دون الإلمام بجميع جوانبها، ويزداد الأمر صعوبة إذا ما انسحب الحديث على مجتمع كالمجتمع المصري ذي طبيعة خاصة ومعقدة في عناصرها، ويلعب الدين فيها دوراً أساسياً في تشكيل الحياة والقيم والمفاهيم منذ عهد الفراعنة وحتى اليوم، ويمكن تحديد تلك العوامل في ثلاثة رئيسية هي: (١) خاصية التدين تاريخياً؛ (٢) التواصل بين تنظيمات العنف داخل الحركة الإسلامية؛ (٣) كتابات سيد قطب وأبي الأعلى المودودي كعامل فكري/ تاريخي للإحياء. وبتفصيل هذه العوامل يستبين ما يلي:

١ ـ خاصية التدين عند الشعب المصري: على الرغم من أن الديانة الرسمية للدولة أيام الفراعنة كانت ترتبط بالملك إلى حد بعيد، فالملك هو الذي يستطيع أن يرى الإله، والملك هو وحده الذي يستطيع أن يتحدث إلى الإله ويقوم على خدمته وعبادته ويستشيره. ولما كان الملك يعتبر من صلب الإله فهو ابنه ونائبه وهو الذي يعبّر عن مشيئته، وهو الذي يتمتع بالامتيازات والنعم الإلهية. أي ان المشيئة الإلهية صارت هي المشيئة الملكية، بالتالي صار الملك/ الإله معصوماً لا يجرؤ أحد على عصيانه خشية الحرمان من الحياة، ليس فقط في عالمنا في الدنيا بل في العالم الآخر. وعن طريق الملك انتقلت بعض هذه النعم والامتيازات إلى الأمراء ونواب الملك والكهنة الذين يقومون على خدمة الملك وتنفيذ أوامره وتعليماته، على الرغم من كل ذلك فإنه يجب أن نوضح أيضاً أن الشعوب القديمة كانت تعتقد اعتقاداً جازماً في الآلهة وتحترم رغباتها وتعمل على إرضائها خشية أذاها، وأن هذه الآلهة هي التي وضعت القوانين الأخلاقية التي يجب أن تطاع حتى لا يهلك الإنسان بل كان كل إنسان يدّعي أنه لم يرتكب إثماً حتى ينجو من العقاب أو الفناء التام.

وفي العصر المسيحي اتجه الشعب المصري إلى الديانة المسيحية كديانة توحيد تفرض نوعاً من القيم والأخلاقيات في نطاق تعامل الفرد مع المجتمع ومع الحاكم.

ولقد بدأت المسيحية في الإسكندرية، ثم انتشرت منها إلى مختلف أنحاء مصر رغم الاضطهاد الذي مورس على معتنقيها من قبل الحكام البيزنطيين. ومع عام ٣١٣م تغيّر الوضع باعتناق الامبراطور الروماني قسطنطين للمسيحية مما أدى إلى تحول الكثيرين من سكان مصر إليها وتركوا ديانتهم القديمة. وفي عام ٣٨٠م اعتبرت المسيحية ديناً رسمياً لمصر، ولقد ساعد على انتشار المسيحية في مصر كره المصريين للحكم الروماني، عدو المسيحية في بداية انتشارها، فضلاً عن أن المسيحية كان لها شبه كبير بعبادة إيزيس التي كانت منتشرة في مصر في ذلك الحين، حيث أقانيم التثليث المسيحية تشبه الثالوث المصري إيزيس واوزوريس وحورس.

ولقد حملت المسيحية معها مجموعة من القيم والمعتقدات وطرقاً للحياة وظل المصريون يتوارثونها إلى أن جاء الإسلام فأعطاها أبعاداً ودلالات أخرى تتفق وطبيعة هذا الدين، إلا أن الإسلام على عظمته ودقة تعاليمه لم يشفع لدى الحكام لكي لا يستخدموه في أغراضهم السياسية، وذلك لأنهم يعلمون مقدار التدين التاريخي للشعب المصري. وعليه، فقد كان استخدام الحكومات المصرية المتعاقبة، دائماً للعلماء وللجمعيات الدينية ذات الصفة الرسمية في تعبئة الجماهير وتوظيفهم باتجاه تحقيق أهداف (دنيوية) عديدة من سياسية وثقافية واجتماعية. مثّل هذا منهجاً ثابتاً لحكومات ما قبل الثورة ١٩٥٢ وما بعدها، وحاولت حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة في المقابل أن ترفض هذا التوظيف للدين الإسلامي واستخدمت في سبيلها لذلك، العديد من الأساليب كالدعوة والصحافة والخطابة والتظاهرات وأساليب العنف السياسي، وفي تتبع نماذج من أحداث العنف بالنسبة للتيار الإسلامي ما قد يفيد في تفسير حاضر

قضية الإحياء الإسلامي في السبعينات، ويمكن تلمسه في قراءة أسباب حل جماعة الإخوان المسلمين من قبل محمود فهمي النقراشي عام ١٩٤٨ وما أعقب ذلك من اغتيال الشيخ حسن البنا.

وبعد هذه الأحداث تطورت العلاقة بين الإخوان والثورة في صدام المنشية عام ١٩٥٤، إلا أن حركة الاحياء الإسلامي بدأت تأخذ أنماطاً جديدة مع التنظيمات التي تقول بالجهاد كوسيلة وحيدة للاحياء الإسلامي وهو التحول النوعي الذي لم يواكب سيد قطب ـ كما هو رائج ـ بل يسبقه بعدة سنوات ويتتبع خريطة تلك التنظيمات تتكشف الحقيقة السابقة.

٢ ـ **التواصل التاريخي بين تنظيمات العنف داخل الحركة الإسلامية**: بوجه عام يمكن رصد عدد من الحقائق بشأن التنظيمات القائلة بالعنف المسلح في مواجهة النظام السياسي كوسيلة للإحياء الإسلامي منذ الخمسينات.

(أ) باستثناء انشقاق «شباب محمد» عن جماعة الإخوان المسلمين في الأربعينات وانتهاجهم أسلوب العنف، وحادث المنشية الخاص بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر، لم يرد استخدام العنف المقصود مع السلطات لدى الجهاز الخاص لتنظيم الإخوان المسلمين حتى عام ١٩٥٨ تقريباً.

(ب) في عام ١٩٥٨ ظهر الشاب المسلم «نبيل البرعي» الذي خرج من جماعة الإخوان من داخل السجون وطالب بالعنف المسلح واتخذ من أفكار ابن تيمية منهاجاً للحركة، وفيما بعد انضم إليه كل من: اسماعيل الطنطاوي، محمد عبد العزيز الشرقاوي، أيمن الظواهري، حسن الهلاوي، علوي مصطفى، وأصبح اسماعيل الطنطاوي قائداً لهذه المجموعة نظراً لإمكاناته الفكرية.

(ج) في عام ١٩٧٣ انشق علوي مصطفى ومعه بعض أعضاء التنظيم وأقاموا تنظيماً جديداً سُمِّي (تنظيم الجهاد) وقرر الدخول في حرب مع اليهود على حدود القناة، وانضم إليه الملازم عصام القمري (الذي أصبح فيما بعد من أبرز وأخطر عناصر جماعة الجهاد الإسلامي الذي قاد عملية اغتيال السادات عام ١٩٨١، والذي قتل أثناء محاولته الهروب من السجن عام ١٩٨٨ مع اثنين من زملائه أعضاء الجهاد).

(د) في العام نفسه تقريباً أنشأ الدكتور صالح سرية تنظيمه الذي عرف فيما بعد بتنظيم الفنية العسكرية، وانضم إليه من العناصر القديمة (حسن الهلاوي) الذي كان يقود مجموعة الجيزة في التنظيم القديم وقد أعدم الدكتور سرية عام ١٩٧٥ بعد اتهامه بمحاولة قلب نظام الحكم.

(هـ) في عام ١٩٧٥ أنشأ وكيل نيابة ذو اتجاهات إسلامية يُدعى (يحيى هاشم) تنظيماً ضم حوالى ٣٠٠ عضو من الاسكندرية، حاول بهم اقتحام السجن الموجود فيه الدكتور صالح سرية وزملاؤه، إلا أنه فشل وقتل في الاشتباك يحيى هاشم نفسه الذي كان يعتنق أفكار الدكتور صالح سرية نفسها، الداعية إلى الجهاد المسلح ضد الحاكم.

(و) وفي عام ١٩٧٧ ظهر إلى الوجود تنظيم التكفير والهجرة لشكري أحمد مصطفى الذي أعدم عام ١٩٧٨. وبين عامي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩ أنشأ شاب مسلم يُدعى مصطفى يسري تنظيماً مسلحاً في القاهرة وقد تم اعتقاله وتصفية التنظيم عام ١٩٧٩.

(ز) في عام ١٩٧٩ تكونت (جماعة الجهاد الإسلامي) من ثلاث مجموعات: الأولى بقيادة محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر؛ والثانية بالوجه القبلي بقيادة ناجح إبراهيم وكرم زهدي وفؤاد الدواليبي؛ والمجموعة الثالثة بقيادة سالم الرحّال الأردني الجنسية وتولّى كمال السعيد حبيب القيادة خلفاً له بعد ترحيله إلى الأردن، وكان من نصيب جماعة الجهاد اغتيال السادات عام ١٩٨١.

٣ ـ **كتابات أبي الأعلى المودودي وسيد قطب كعامل فكري تاريخي للرفض الإسلامي**: كان لرؤية المفكر الإسلامي أبي الأعلى المودودي، الباكستاني الأصل تأثيرها الفعّال في بلورة فكرة الجهاد، و«التمايز» الفلسفي والسياسي الذي ميّز الحركة الإسلامية في أغلب بلدان العالم الإسلامي، وتعلم على كتبه العديد من المفكرين الإسلاميين في مصر، وفي مقدمتهم سيد قطب. وقد أتى تأثير المودودي في طرحه

رؤية ذات أربعة مستويات مثلت النموذج الذي احتذاه الكثيرون وقالت به تنظيمات الإحياء الإسلامي في السبعينات.

إن مستويات الرؤية للمودودي تنحصر في الآتي: إن حاكمية الله ضد حاكمية البشر، وإن ألوهية الله في مواجهة ألوهية البشر، ثم ربانية الله في مقابل العبودية لغيره من البشر، وأخيراً وحدانية الله في مقابل الاعتماد على أي مصدر آخر في تيسير أمور الحياة.

ولقد مثلت فكرة «الحاكمية لله» ببساطتها وحدتها، أداة فاعلة في ضرب «ما دون الله» خلال حقبة السبعينات، ومثلت ما يشبه المسلَّمة الفكرية والحركية بالنسبة لهذه التنظيمات حيث كانت الحاكمية تعني تكفير الحاكم والمؤسسات المحيطة به وشرعية الانقلاب عليه، لأنه يستند إلى حاكمية أخرى غير حاكمية الله وهي «حاكمية البشر» التي تسمح أحياناً بالديمقراطية وأحياناً أخرى بالاشتراكية أو بالعلمانية. أما «**قطب**» فتتبلور أهم أفكاره في كتابه: **معالم في الطريق**(*) وهو يرى في هذا الكتاب أنه حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية، وحيث إن المجتمع الذي يجتمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتي هو «المجتمع المتحضر» أما المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية فهو المجتمع المتخلف أو بالمصطلح الإسلامي هو «المجتمع الجاهلي»، وحيث المعركة وفقاً لهذا المنهج بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية أو اقتصادية أو عنصرية، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها وسهل حل إشكالها ولكنها في صميمها معركة عقيدة، إما كفر أو إيمان، وإما جاهلية أو إسلام، ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن في يوم من الأيام تحقيق القومية العربية ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله في طرفة عين. ولكن الأمر هو إقامة مجتمع الإسلام الذي تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله وليس لأي بشر أو جماعة من البشر، وإن أي حاكم إنسان، بل أي مسؤول إنسان ينازع الله سلطته، بل إن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه لأن الله هو الذي خلق الشعوب وهو الذي يحكمها بنفسها.

ويرى سيد قطب: «أن الجهاد عن طريق طليعة مؤمنة وجيل قرآني هو الحل لتخليص المجتمع من حكم الطاغوت». ويلاحظ أن هذه العبارة ذاتها هي التي كان يصف بها خالد الإسلامبولي وزملاؤه أنور السادات، مستخدمين الألفاظ ذاتها تقريباً التي قال بها سيد قطب، بما يعني أن تأثير ما قبل عام ١٩٦٤ ترك صداه عام ١٩٨١ مروراً بحقبة السبعينات، وهو تأثير يفسر إلى حد بعيد بعضاً من أسباب حركة الإحياء الإسلامي في أكثر من دولة داخل العالم الإسلامي.

وبوجه عام دعا «سيد قطب» إلى إعلاء قاعدة الألوهية الواحدة، أو ما سميت في موضع آخر بالحاكمية الإلهية، بمعنى أن سلطة البشر في الأرض محدودة وليست مطلقة وأن تحكيم شرع الله في الأرض وفرضه، يمثل فريضة دينية على المسلم، ودعا إلى رفض الجاهلية المعاصرة وتكوين طليعة قرآنية تعيد للإسلام مجده. وبشأن كتاب **معالم في الطريق** يرى بعض الباحثين الغربيين أن كتابه الثاني هذا، يُعتبر الأساس لفهم الحركة الإسلامية المعاصرة ويعود ذلك في تقديرهم إلى أن وفاة «حسن البنا» في ١٢ شباط/ فبراير ١٩٤٩ قد تركت فراغاً كبيراً في جماعة الإخوان المسلمين إلى أن جاء «سيد قطب» فكان هو الرجل الذي ملأ هذا الفراغ، ففي كتابه **معالم في الطريق** تمكن قطب من وضع الوثيقة الأساسية لايديولوجية جماعة الإخوان المسلمين بل ايديولوجية الحركة الإسلامية خلال فترة السبعينات.

ومفهوم «الجاهلية» عند سيد قطب وفقاً «لجيل كيبل» في كتابه **النبي وفرعون**(**) يعد حجر الزاوية لكل البناء النظري لكتاب **معالم في الطريق**، ويميز الكاتب من خلال تحليله لفكر سيد قطب بين مرحلتين:

(*) سيد قطب، **معالم في الطريق** (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢).

(**) جيل كيبل، **النبي وفرعون: الحركات الإسلامية في مصر المعاصرة** (لندن، دار الساقي، ١٩٨٥).

(أ) مرحلة التعمق الروحي للطليعة التي ستتحمل عبء بناء الأمة الإسلامية؛ (ب) المعركة ضد المجتمع الجاهلي، وهاتان المرحلتان هما ما يقصده «قطب» بالجهاد الإسلامي.

إن العالم المعاصر وفقاً لكتابات سيد قطب يعيش «جاهلية جديدة» والمسلم مجبر بحكم دينه أن يقوِّم ما اعوجَّ في هذا العالم، ولكي يبدأ المسلم في رسالته نحو العالم لابد من طليعة قرآنية تمتاز برسوخ العقيدة يكون هدفها إعادة التجربة المحمدية بمراحلها المختلفة: المرحلة المكية وتكون بثورة ثقافية تعبِّد الطريق، والمرحلة المدنية وتكون بإقامة الدولة الإسلامية أي الحاكمية وذلك بتطبيق شرع الله.

وفي تفصيل الجوانب السابقة وتحديد مسألة الجاهلية في المجتمع الإسلامي المعاصر، يرى سيد قطب أن اعتبار البشر مصدراً للسلطة، تشريعاً وتنفيذاً، يعد في عرفه «جاهلية» لأنه خرج على عقيدة «لاستخلاف» بجعل الإنسان مالكاً وحاكماً حقيقياً. أما بمقتضى «الاستخلاف» فإن الإنسان مجرد وكيل لله على الأرض، عليه أن يعمرها ويدبر مجتمعه فيها طبقاً لشرعه فلا هو المالك الأصلي لخيراتها ولا الحاكم الحقيقي بها، بل هو مجرد وكيل مستخلف وكل نظام يقوم على غير هذا فهو «جاهلية».

إن هذه العوامل التاريخية مجتمعة شكلت ـ في رأي الباحث ـ الخلفية التاريخية العامة لانبعاث حركة الاحياء الإسلامي في السبعينات، فهي حركة ذات امتداد لأفكار وممارسات تنظيمات سابقة، وهي لم تكن مجرد رد فعل لأوضاع سياسية أو اقتصادية مع التسليم بأهمية تلك الأوضاع في تفسير مستوى صعود حركة الإحياء في السبعينات، وإنما هي محصلة طبيعية للمتغيرات الاحيائية داخل الإسلام ذاته كعقيدة وشريعة، وهي محصلة أيضاً للمتغيرات البنائية بشقيها التاريخي والاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي (مصر كنموذج)، إضافة إلى المتغيرات الإقليمية والدولية، كما أشرنا من قبل.

ثانيا: العوامل السياسية والاقتصادية

ساهمت عدة عوامل اقتصادية وسياسية في دفع حركة الاحياء الاسلامي بخطوات إلى الأمام، وتمثلت تلك العوامل في نتائج حرب ١٩٦٧، يليها الانفتاح الاقتصادي ثم الصلح مع اسرائيل عام ١٩٧٧. وفيما يلي كلمة موجزة عن كل من هذه العوامل:

١ ـ **نتائج حرب ١٩٦٧**: كانت محصلة حرب ١٩٦٧ احتلال أراضي ثلاث دول عربية (مصر ـ الأردن ـ سوريا) في وقت واحد، واحتلال القدس، وقدِّرت المساحة التي احتلتها اسرائيل من مصر (٦١,٠٠٠ كيلومتر مربع وهي مساحة سيناء) وقتل فيها ١١,٥٠٠ قتيل، وخسر الطيران المصري ٩٥ بالمائة من قوته، وتم تدمير ٨٥ بالمائة من معدات القوات البرية، ووفقاً لرواية محمود رياض فإنه في يوم ١١ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ لم يكن في القاهرة سوى ٧ دبابات.

ويرى بعض الباحثين أنه قبيل رحيل عبد الناصر وتولي السادات لمقاليد السلطة، امتزجت عدة عوامل في وقت قياسي جداً لتعجل بعملية التحوّل نحو تكوين مركب/ سياسي/ اقتصادي/ اجتماعي جديد ساهم في صعود التيار الإسلامي الأصولي، الذي قاد من بعد، حركة الاحياء الإسلامي في السبعينات. ومن تلك العوامل: انفصال سوريا عام ١٩٦١ وفشل الوحدة مع العراق وسوريا عام ١٩٦٣ وانحسار مد القومية العربية والتحول عن الاشتراكية بعد هزيمة ١٩٦٧، وهي الهزيمة التي كانت سبباً من أسباب تآكل الولاء للدولة، وانتشار التنظيمات السرية وزعزعة مفهوم الاستقرار السياسي، ثم وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ وإقرار صيغة الانفراج الدولي عام ١٩٧٢ وتأثيرات المال النفطي، وهي العوامل التي دفعت بالسادات إلى محاولة خلق بدائل اقتصادية وسياسية أخرى، مثل محاولة تصفية القوى الناصرية الشيوعية داخل الجامعات والنقابات المهنية من خلال تقوية الاتجاه الإسلامي، أو محاولة إيجاد بدائل للحرب بالسلام.

ومن النتائج الهامة لحرب ١٩٦٧، الانتعاش الملحوظ في الاتجاه الإسلامي والمسيحي بما تضمنه هذا من تآكل حجم الولاء للدولة وبدء تكوّن تنظيمات سرية عديدة، وبروز عوامل عدم الاستقرار السياسي التي ارتبطت في أغلبها بانتعاش التوجه الإسلامي، ومن المظاهر التي تؤكد هذا الانتعاش العام لدى

الشعب المصري عقب ١٩٦٧، أنه عند وضع دستور ١٩٧١ وصل إلى مجلس الشعب ومشيخة الأزهر العديد من البرقيات تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد، فأصدر وقتها شيخ الأزهر بياناً بهذا الشأن (تموز/ يوليو ١٩٧١)، وأصدر مجلس الشعب ثم المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي قراراً بأن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي، ولكن لجنة صياغة الدستور جعلتها «مصدراً رئيسياً» مفترضة وجود مصادر أخرى للتشريع.

وفضلاً عما سبق، يلاحظ أيضاً أن السادات تعمد في بدايات حكمه محاولة كسب تعاطف الاتجاهات الإسلامية، وتقوية بعضها خاصة داخل الجامعة، ويعود ذلك ـ إضافة إلى الأسباب السابقة ـ إلى أزمة الشرعية السياسية الخاصة بنظام حكمه مما دفعه للبحث عن ركيزة جديدة يستند إليها، خاصة أنه لم يكن يمتلك مقومات للشرعية مناظرة لتلك التي عرفها النظام الناصري من قبيل الشخصية الكاريزمية لعبد الناصر، وإنجازاته الاقتصادية والاجتماعية التي وسعت من قاعدة شرعيته جماهيرياً.

٢ ـ **سياسة الانفتاح الاقتصادي**: ارتبطت سياسة الانفتاح الاقتصادي «بورقة تشرين الأول/ أكتوبر» التي قدمها السادات في أيار/ مايو ١٩٧٤ من الناحية الرسمية والتي لم تقدم في واقع الأمر تحليلاً تفصيلياً أو محدوداً لمفهوم الانفتاح وأبعاده... بل تضمنت فقط الإشارة إلى الإمكانات المتاحة للاستعانة بالاستثمارات العربية والأجنبية في عملية التنمية، كما أنها لم تطرحها باعتبارها سياسة بديلة للسياسة الاقتصادية التي تتبناها مصر منذ الستينات بمكوّناتها المختلفة، بل حرصت الورقة في مجموعها على التأكيد على الاستمرار في تبني منطلقات وأسس تلك السياسة.

وفي الأشهر التي تلت حرب تشرين الأول/أكتوبر، حرص السادات في خطبه وأحاديثه عند تعرضه لمفهوم الانفتاح الاقتصادي، أن يؤكد على تلك المنطلقات العامة التي طرحتها الورقة، أي التأكيد على أن الانفتاح لا يتناقض مع الاشتراكية، وعلى ضرورة أن تأتي الاستثمارات العربية والأجنبية في إطار خطة واضحة ذات أولويات محدودة، وعلى أن الانفتاح هو انفتاح على «الغرب والشرق على حد سواء».

وباستثناء هذه المبادىء العامة لم تقدم ورقة تشرين الأول/ أكتوبر ولا الرئيس السادات في تصريحاته، تحديداً واضحاً لمفهوم الانفتاح وما يثيره من قضايا، والحقيقة أن كل التعريفات التي قدمها الرئيس السادات لسياسة الانفتاح الاقتصادي في عامي ١٩٧٤، ١٩٧٥ كانت تعريفات عامة وغامضة.

ومن وجهة نظرنا، فإن سياسة الانفتاح الاقتصادي كما طبقها السادات تعتبر بمثابة انقلاب على المقومات الأساسية للمجتمع وأنها جزء لا يتجزأ من مفهوم السلام الأمريكي ـ الاسرائيلي، حيث إنها كسياسة أتت مواكبة لعمليات فض الاشتباك الأول والثاني بين القوات المصرية والاسرائيلية على يد هنري كيسنجر وما سُمّي «مفاوضات الكيلو ١٠١»، وهي السياسات التي أدت فيما بعد إلى مبادرة القدس عام ١٩٧٧.

وبالنسبة إلى كونها انقلاباً على المقومات الأساسية للمجتمع، فإن ذلك يتضح من الكثرة الملحوظة للتشريعات والقرارات المتعلقة بتلك السياسة، بعد أن أعلنت الحكومة لأول مرة في بيانها أمام مجلس الشعب (٢١ نيسان/أبريل ١٩٧٣) عن الانفتاح الاقتصادي، انبرت لجنة مشتركة من مجلس الشعب يترأسها محمود أبو وافية ومصطفى كامل مراد، ووضعت برنامجاً شاملاً تحول إلى قانون وافق عليه مجلس الشعب وأعطاه رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ بعنوان «قانون نظام استثمار رأس المال العربي والأجنبي والمناطق الحرة» وحاول مقاومته عدد من أعضاء المجلس دون فائدة.

إن القانون السابق، يعد بمثابة البداية الحقيقية لسياسة الانفتاح الاقتصادي التي ساهمت بدورها في صعود حركة الاحياء الإسلامي، ويتطلب فهم سياسة الانفتاح استعراض مواد القانون المتعلقة بالمقومات الأساسية للاقتصاد المصري. وبداية، يرى الباحث أن القانون قد أدى إلى عودة قطاع كبير من الطبقة الرأسمالية، إلى مجالات اقتصادية عديدة مثلت في مجملها انقلاباً حقيقياً على الركائز الأساسية للمجتمع، مثل مجالات التصنيع والتعدين والطاقة والسياحة والنقل (مادة ١ فقرة ١) واستصلاح الأراضي البور والصحراوية واستزراعها بدون حد، وذلك عن طريق تأجيرها لمدة خمسين عاماً يجوز مدها

إلى خمسين أخرى، ومشروعات الانتاج الحيواني والثروة المائية (مادة ٣ فقرة ٢١) والإسكان والامتداد العمراني (مادة ٣ فقرة ٣) وشركات الاستثمار (مادة ٣ فقرة ٥) والبنوك التجارية (مادة ٣ فقرة ٦).

ثم حرم القانون تأميم المشروعات التي تقع في نطاقه أو مصادرتها (المادة ٧ فقرة ب) وحرم الحجز على أموالها أو تجميدها أو مصادرتها أو فرض الحراسة عليها عن غير الطريق القضائي (المادة ٧ فقرة ٢). واعتبرها شركات قطاع خاص أياً كانت الطبيعة القانونية للأموال الوطنية المساهمة فيها، فلا تسري عليها التشريعات واللوائح والتنظيمات الخاصة بالقطاع العام أو العاملين فيه (المادة ٩)، فلا يشترك العمال في مجالس إدارتها (المادة ١٠) ولا يشتركون بنسبة محدودة قانوناً في أرباحها (المادة ١٢) ولا يشترط نسبة خاصة من المصريين في مساهمتها (المادة ١٢ فقرة ٣) ولا تخضع لرقابة التنفيذ (المادة ١٣) ولا لتراخيص الاستيراد (المادة ١٥) ولا للضرائب عن الأرباح التجارية والصناعية وملحقاتها (ضريبة الدفاع) لمدة خمس سنوات اعتباراً من أول ضريبة مالية لبداية الإنتاج (المادة ١٦). ولا تخضع أرباحها الموزعة لضريبة الإيراد العام بحد أقصى ٥ بالمائة من رأس المال (المادة ١٧) وتُعفى الفوائد المستحقة على قروضها من الضرائب والرسوم (المادة ١٨) ولا تخضع مباني الإسكان الإداري وفوق المتوسط لأي حد في القيمة التجارية (المادة ١٩).

وتحول أجور ومكافآت الأجانب إلى الخارج في حدود النصف (المادة ٢٠) ويحول رأس المال نفسه بعد خمس سنوات على أقساط (المادة ٢١).

بعد صدور هذا القانون، توالت التشريعات والقرارات لتحقيق أهداف سياسة الانفتاح، واشتركت فيها المؤسسات حتى رئاسة الجمهورية. فقد أصدر مجلس الشعب يوم ٢٥ تموز/يوليو ١٩٧٤ القانون رقم ٩٤ لعام ١٩٧٤ بتفويض رئيس الجمهورية في إصدار قرارات لها قوة القانون في شؤون الاستيراد والتصدير استثناءً من القانون رقم ٦٣ لعام ١٩٦٣، الذي كان ينص في مادته الأولى على أن «يكون استيراد السلع من خارج الجمهورية بقصد الاتجار أو التصنيع مقصوراً على شركات وهيئات القطاع العام أو تلك التي يساهم فيها القطاع العام»، وكان بذلك أحد أركان التحول الاشتراكي.

أما بالنسبة للآثار الاجتماعية الضارة التي نتجت عن سياسة الانفتاح الاقتصادي فيجملها بعض الاقتصاديين في خمس نتائج هي: (أ) اتساع الفوارق الطبقية، (ب) ظهور الحلول الفردية ومحنة الانتماء، وانهيار هيبة السلطة، (ج) شيوع عبادة المستورد وأزمة الثقة في النفس، (د) السلوك الطفيلي، (هـ) الانحطاط الثقافي.

وفي رأي فريق من الباحثين أنه إذا أخذنا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصري خلال الفترة الناصرية كأساس، نجد أنه مقابل تقليص وتصفية نفوذ كبار الملاك للأراضي (مائة فدان فأكثر)، تحسنت أوضاع الملاك والحائزين المتوسطين فزاد نصيبهم من الدخل الزراعي من ٢٥ بالمائة عام ١٩٥٠ إلى ٣٣,٢ بالمائة عام ١٩٦٦، وانخفضت عدد الأسر الريفية التي تعيش تحت خط الفقر من ٣٥ بالمائة عام ١٩٥٨ إلى ٢٦,٨ بالمائة من إجمالي الأسر في الريف المصري عام ١٩٦٥، إلا أن الدورة قد عادت في الاتجاه العكسي بعد عام ١٩٧٤ فارتفعت أعداد الأسر التي تعاني من الفقر تحت المستوى المحدد دولياً ٤٣,٣ بالمائة.

وهناك جانب آخر من جوانب الآثار السيئة لسياسة الانفتاح الاقتصادي، تَمَثَّل في استشراء الفساد الأسري لعائلة السادات، وبخاصة إخوته وزوجته، أدت هذه السياسة إلى تهيئة المناخ السياسي والاجتماعي لأحداث العنف الجماهيري، والتي بدأت مع حادث الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ وأعقبها أحداث ١٨ و١٩ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٧.

تخلص الدراسة مما سبق إلى القول بأن سياسة الانفتاح الاقتصادي بالطريقة التي طبقت بها، قد أثرت سلباً على أنساق القيم السائدة في المجتمع المصري خلال الفترة التالية لعام ١٩٧٤، وأفرزت بالمقابل أنماطاً من السلوك الاجتماعي السلبي، ونظراً لكون الحركة الاجتماعية الثورية ـ وفقاً لما استقر عليه القول في الفصل الأول ـ تنشيط مراحل نموها حين يتوافر المناخ الاقتصادي الملائم، فإن حركة الإحياء

الإسلامي في مصر ـ باعتبارها حركة اجتماعية ثورية ـ قد نشطت وازدادت فاعليتها خلال الفترة التالية لصدور القانون رقم ٤٣ لعام ١٩٧٤ الذي قنّن سياسة الانفتاح الاقتصادي.

٣ ـ سياسة الصلح مع اسرائيل: لعبت سياسة الصلح مع اسرائيل دوراً رئيسياً في إعطاء حركة الإحياء الإسلامي في السبعينات مبرراً دينياً قوياً لمعارضة النظام ولمحاولة ضربه، لأنه فرّط في واجب ديني وهو واجب تحرير القدس، هذا من وجهة نظرهم، وأدت سياسة الصلح مع اسرائيل التي قننتها إتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ إلى تدهور العلاقة بين النظام السياسي وبين حركة الإحياء الاسلامي على اختلاف تنظيماتها وتحديداً الجماعات الإسلامية بالجامعة، التي شرعت فور زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ ثم توقيعه لاتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ في إحداث اضطرابات ومظاهرات في عدد من الجامعات الرئيسية مثل (القاهرة ـ عين شمس ـ أسيوط) نتج عنها سوء العلاقات مع النظام السياسي. ويساعد في تصعيدها الموقف المعادي للسادات من الثورة الإيرانية، فضلاً عن محاولات توظيفه لقضية تطبيق الشريعة الإسلامية لأهدافه السياسية.

ولعل أهم الجوانب التي أثر فيها منهج السادات في الصلح مع اسرائيل هو قضية الهوية والانتماء لدى أجيال متتابعة من الشباب المصري، أحدثت لديهم سياسة الصلح مع اسرائيل هزة عنيفة فيما يؤمنون به من قيم إسلامية، ولما تمثله تلك السياسة من انهيار لبعض ركائز الهوية العربية التي كانت سائدة من قبل. وحدث ما يمكن أن نسميه «أزمة الهوية» لدى هذا الجيل، وإن جاء الرد على تلك الأزمة بطريقة عنيفة مضادة ومتزامناً مع دعوة عدد من الكتّاب إلى حياد مصر.

وبداية، فإن مفهوم الهوية يعد من أكثر المفاهيم استخداماً في علم الاجتماع وهو يعني بالأساس *«الوعي بالانتماء»، وبالتالي، فتحديد نطاق وحدود وأولويات الانتماء للمواطن داخل وطنه*، يُرادف مباشرة مفهوم «الهوية القومية». إن الهوية القومية بهذا المعنى تتكوّن من لغة واحدة ووطن واحد ومنظومة من التجارب والخبرات التاريخية للجماعة.

وفضلاً عما سبق، يُلاحظ أيضاً نمو الشعور لدى الفئات الشعبية بالاغتراب عن النظام السياسي، نتيجة انهيار التضامن التقليدي تحت ضغط التحضر والتحديث المشوّه، وارتباط ذلك بأزمة الهوية كأحد أنواع الأزمات السياسية والاجتماعية في بلد لم تكوّن بعد روح المجتمع الواحد. وقد تحدث أزمة الهوية في المجتمعات القديمة أيضاً (مصر كنموذج لها)، ويتمثل ذلك في حدوث صراع سياسي واجتماعي بين «الهوية القومية» التي استقرت وتأصلت في نسق القيم السائدة للأمة، وبين «الهوية الوطنية» المرتبطة بإحدى الجماعات أو أحد الأقاليم، وذلك إذا ما تمت تقوية الأخيرة بدرجة تجعلها تقف الند من الأولى أو تتفوق عليها.

هذا ويلاحظ أن الفترة التالية لعام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٠ في مصر، قد شهدت بعض الخلل في المكوّنات الأساسية للهوية العربية ـ الإسلامية، وكانت القطاعات الشعبية على اختلافها (فلاحين وعمال وموظفين صغار) أكثر القطاعات عرضة لما روّجت له أجهزة الإعلام الرسمية، بفشل البديل العربي في حل معضلات الواقع المصري سياسياً واقتصادياً، وبأهمية البديلين الأمريكي والاسرائيلي داخل النسيج الاجتماعي المصري، الأمر الذي يعني ضرب أحد المكوّنات والركائز الأساسية للهوية العربية الإسلامية في مصر، ركيزة التمايز والصدام مع الوجود الصهيوني، وتم هذا جميعه خلال عمليات الغزو السياحي والثقافي المنظم، فتم العديد من اللقاءات والمؤتمرات السياسية والثقافية.

وفي أيار/ مايو ١٩٨٠ تم توقيع الاتفاقية الثقافية، وأنشىء المركز الأكاديمي الاسرائيلي عام ١٩٨٢ الذي اتجه إلى محاولة زعزعة الهوية القومية في مصر من أساسها، من خلال شبكة علاقاته واتصالاته بالمؤسسات والهيئات العلمية والإعلامية والشعبية المصرية، ومن خلال أبحاثه الهامة في الأصول العرقية للمجتمع المصري، وفي كيفية تفتيت مصر طائفياً، وفي الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام، وفي الشعر العربي الحديث وقضايا التعليم الزراعي والمكننة الزراعية واستصلاح الأراضي وفي توزيع الدخل وحياة البدو والبربر وكيفية السيطرة عليها، وفي تأثير السلام على العقل العربي، وغيرها من

الأبحاث المهمة المتصلة بشكل مباشر بضرب أصول الهوية العربية في مصر بعد تحليلها ورصدها تاريخياً.

وعلى الرغم مما حدث من محاولات لضرب الهوية العربية لمصر، نتيجة لسياسة الصلح مع اسرائيل، فإن بعض الدراسات الميدانية أثبتت، أن تلك المحاولات لم تنل من التوجهات الأساسية لدى المثقفين المصريين في نطاق عدائهم لاسرائيل. ففي إحدى الدراسات الميدانية بعد التطبيع عندما سئل المبحوثون (عددهم ٢٠٠ مبحوث) عما إذا كانوا يعتقدون أن المصريين والاسرائيليين سيستطيعون التعايش بشكل عادي في المستقبل القريب أو في المستقبل البعيد، أو لن يستطيعوا ذلك، جاءت الإجابات كما يلي: ٧٠ بالمائة أجابوا بأنه لن يحدث تعايش في المستقبل القريب، و٦٠ بالمائة رأوا أنه لن يحدث تقارب في المستقبل البعيد، و٧٥,٥ بالمائة من المبحوثين رأوا أن اسرائيل غير قادرة على بناء علاقات طبيعية تقبل في إطارها التعايش مع الشعوب العربية بما فيها الفلسطينيون، و٧٨,٥ بالمائة من عينة المبحوثين رأت أن أسرائيل وأمريكا شيء واحد في مجال عدائهم للعرب (انظر دراسة د. سلوى العامري في المراجع المرفقة).

ومن الواضح بشأن الصلح مع اسرائيل، ان الاتفاقية فشلت رغم الفوائد العديدة التي عادت على اسرائيل إثر توقيعها، والتي تضمنتها نصوص اتفاقات كامب ديفيد وذكرها العديد ممن شارك في تلك الاتفاقات أو راقبها ثم قام بتحليلها. رغم ذلك، فإن هذه السياسة قد فشلت في أن تحول القطاعات الرئيسية من المجتمع المصري عن المفاهيم الثابتة المعادية لاسرائيل، والتي تمثل مكوّناً أساسياً من مكوّنات الهوية للمجتمع، وكانت حركة الاحياء الإسلامي هي أكثر تلك القطاعات ثباتاً في العداء لسياسة الصلح مع اسرائيل.

إن ما يود الباحث التركيز عليه هنا هو أن هذه السياسات بشأن قضية فلسطين وما تبعها من أزمة أصابت الهوية العربية ـ الإسلامية لدى الشعب المصري، قد ساهمت في دفع حركة الاحتجاج الإسلامي خطوات إلى الأمام من منطلق أن القضية الفلسطينية هي محور تفاعلات الحركة الإسلامية المعاصرة، وأنها تمثل بالنسبة للاحتجاج الإسلامي الجوهر السياسي والفكري الذي تلتف حوله تنظيمات حركة الاحتجاج الإسلامي على اختلافها. من هنا، كان من الطبيعي أن يكون من بين مبررات خالد الإسلامبولي في قتل السادات أنه: «تصالح مع اليهود»، وأن تعلق لافتات كُتبت بالدم على الأقفاص الحديدية المودع بداخلها المتهمون، وعلى جدران المحكمة أثناء محاكمتهم عام ١٩٨٢. وأن تكون أبرز ما احتوته هذه اللافتات هو المطالبة بعودة القدس، فضلاً عن الشعارات السياسية المؤيدة لمطالبهم ومن هذه اللافتات: (واقدساه)؛ (إن الأقصى قد نادانا من سيعيد القدس سوانا)، (خيبر... خيبر يا يهود جند محمد سوف يعود).

والآن...

وقد اتضحت خريطة الدوافع التي ساهمت في بروز ظاهرة الرفض والاحياء الإسلامي في السبعينات، بقي أن نفتح الوثائق ونقرأ ماذا كتب صالح سرية، عبود الزمر، محمد عبد السلام فرج، سالم الرحال، شكري أحمد مصطفى، عبد الله السماوي وعمر التلمساني وغيرهم عن المجتمع الاسلامي القائم، والمنشود، ورؤيتهم للحاكم وفلسفة الحكم، وحدود الكفر ونطاقه، والموقف من القضايا الاجتماعية والسياسية المتجددة، فماذا يقولون وإلى أين تتجه أفكارهم، تلك الأفكار التي استندنا في الوصول إليها إلى وثائقهم المجهولة والسرية المحظور تداولها؟

لنفتح إذن وثائق «الرافضون» في مصر!!

مراجع المدخل التحليلي

لمزيد من التفصيل للقضايا التي تعرض لها هذا المدخل يمكن مراجعة ما يلي:

(١) رفعت سيد أحمد، **النبي المسلح ـ ٢** ـ (لندن: شركة رياض الريس للكتب والنشر).

(٢) ايناان هابر وآخرون، **حدث في كامب ديفيد: المفاوضة على الطريقة الساداتية**، ترجمة وتوثيق إبراهيم منصور (كتاب الأهالي رقم ١٠ ـ تموز/ يوليو ١٩٨٦)، يصدر عن جريدة **الأهالي** ـ القاهرة).

(٣) محمد إبراهيم كامل، **السلام الضائع في كامب ديفيد**، طبعة ٢، كتاب الأهالي رقم ١٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٧ ـ القاهرة.

(٤) إسماعيل فهمي، **التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٥)، ط ١.

(٥) راجع النشرة الإنجليزية للمركز الأكاديمي الاسرائيلي وعنوانها «Bulletin» وهي تحتوي على ملخصات وافية لهذه الأبحاث ابتداءً من ١٩٨٢ ـ ١٩٨٩.

(٦) د. سلوى العامري: «**تصورات المثقفين المصريين لخصائص بعض الجماعات القومية واتجاهاتهم نحو هذه الجماعات**»، «رسالة دكتوراه» غير منشورة (كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥). وتلك النتيجة وردت في الجزء الميداني الخاص بتصورات المثقفين المصريين تجاه اسرائيل في زمن التطبيع، ص ص ٢٤١ ـ ٢٧٦.

(٧) د. إبراهيم العيسوي، **في إصلاح ما أفسده الانفتاح**، سلسلة كتاب الأهالي؛ العدد ٣، ١٩٨٤ (القاهرة): ص ص ٣٢ ـ ٤٨.

(٨) عبد الخالق فاروق، **الحراك الاجتماعي ومستقبل الخريطة السياسية في مصر** (الحساب) العدد ٢، (كتاب غير دوري يصدره عدد من اليساريين المصريين) (القاهرة، ١٩٨٤)، ص ٦.

(٩) د. جلال معوّض، «الفساد السياسي في الدول النامية»، **مجلة دراسات عربية**، العدد ٤ (شباط/فبراير ١٩٨٧)، ص ٦. (مجلة شهرية تصدر عن دار الطليعة).

(١٠) د. سمير نعيم، «**أثر التغيرات البنائية في المجتمع المصري خلال حقبة السبعينات**،» مجلة **العلوم الاجتماعية**، السنة ١١، العدد ١ (آذار/ مارس ١٩٨٣)، ص ١٢٩.

(١١) حسين عبد الرازق، **مصر في ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧: دراسة وثائقية** (القاهرة: دار شهدى، ١٩٨٥).

(١٢) أماني قنديل، «**صنع السياسات العامة في مصر (١٩٧٤/١٩٨٥)**»، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٥)، ص ص ٤٩٤ ـ ٤٩٩. وترى الباحثة هنا أن أخذ الحكومة بشروط البنك الدولي الخاصة بدعم السلع ورفع الأسعار كانت السبب الرئيسي لأحداث كانون الثاني/ يناير ١٩٧٧.

(١٣) د. عصمت سيف الدولة، **دفاع عن الشعب** (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٠)، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(١٤) عادل حسين، **الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩**، ج ٢ (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٢)، ص ٦٤٣.

(١٥) السيد زهرة، **أحزاب المعارضة وسياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر** (القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٦)، ص ١٣.

(١٦) **ورقة اكتوبر، مقدمة من الرئيس محمد انور السادات** (القاهرة: الاتحاد الاشتراكي العربي، اللجنة المركزية، ١٩٧٤)، ص ص ٤٠ ـ ٤١.

(١٧) أماني عبد الرحمن صالح، «التطور الديمقراطي في مصر ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ دراسة تحليلية لمتغير القيادة في تجربة مصر الديمقراطية في السبعينات»، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٧)، ص ٤٨٧ ـ ٥١٢.

(١٨) محمود رياض، **مذكرات محمود رياض، ١٩٤٨، ١٩٧٨**، ٢ مج (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨١ ـ ١٩٨٦)، انظر مج١: **البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١)، ص ٨١.

(١٩) أسامة حميد، «موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية ١٨٠٩ ـ ١٩٨٦»، (بحث غير منشور، القاهرة)، ص ١١٤. جدير بالذكر أن أسامة حميد أحد القيادات الفكرية لجماعة الجهاد وسبق للباحث أن أجرى معه مقابلة حول قضايا الحركة الإسلامية ورؤية الجهاد لها.

(٢٠) سيد قطب، **معالم في الطريق** (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢)، ص ص ١١٠ ـ ١٢٠.

(٢١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٧ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥)، تفسير سورة الأنعام، ص ١٠٠٩.

(٢٢) جيل كيبل، **النبي وفرعون: الحركات الإسلامية في مصر المعاصرة**، مترجم عن الفرنسية (لندن: دار الساقي، ١٩٨٥). (ثم قامت مكتبة مدبولي أخيراً بترجمته عام ١٩٨٩).

(٢٣) انظر في تفصيل ذلك: أبو الأعلى المودودي: **منهج الانقلاب الإسلامي** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)، **ونظرية الإسلام السياسية**، ص ص ٢٧ ـ ٣٥.

(٢٤) محمد حسنين هيكل، **خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر انور السادات** (بيروت، ١٩٨٤)، ص ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩.

(٢٥) أبو الأعلى المودودي، حوار مع مجلة **الاعتصام**، السنة ٣٩، العدد ٢ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٦) ص ص ١٩ ـ ٢٦.

(٢٦) Maurice Barger, **Islam in Egypt today** (London: cambridge University Press, 1970, pp.1-9.

(٢٧) جريدة **الوقائع المصرية** (جريدة رسمية للحكومة المصرية) السنة ١٢٠، العدد ١٨٦، ١٩٤٨/١٢/١٨. (مذكرة مرفوعة إلى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بشأن جماعة الاخوان المسلمين).

الوثائق

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الوثيقة الأولى

وثيقة رسالة الايمان ١٩٧٣ م

للدكتور صالح سرية
قائد تنظيم الفنية العسكرية

مقدمة تاريخية

في بداية الإسلام وخلال العهد المكي كان الناس في نظر الإسلام ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما، إما مسلمون وإما كافرون وقد يكون الكافر ملحداً أو مشركاً أو من أهل الكتاب. ويبدو أن الملحدين في ذلك الوقت كانوا من القلة بحيث لم يعرهم الإسلام اهتماماً. ومع بداية العهد المدني[1] أضيف قسم ثالث وهم المنافقون. وعلى هذا كان الناس في حياة الرسول ﷺ ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المسلمون وهم الذين يؤمنون بالشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ظاهراً وباطناً، ويطبقون أوامر الله ورسول الله ﷺ وينتهون عن نواهيه. ولم يكن في ذلك العهد مسلم لا يطبق الأوامر ولا ينتهي عن النواهي.

٢ ـ كافرون لا يؤمنون بالشهادتين في آن معاً ظاهراً وباطناً.

٣ ـ منافقون وهم مسلمون ظاهراً وكافرون باطناً.

وبعد وفاة الرسول ﷺ قلّ اهتمام المسلم أو انعدم بدراسة أحكام المنافقين في الإسلام. ذلك أن الأحكام إنما تدور على ظاهر الإنسان ولا تفتش عن باطنه، ولذلك أجروا على المنافقين حكم الإسلام لأننا لا نعرف الباطن. وكانت العقيدة الإسلامية (بصفة عامة بسيطة جداً) في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وفي الدولة الإسلامية بصفة عامة بسيطة جداً لا تتعدى الإيمان بالشهادتين، وينبثق عنها الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله دون تعقيد ولا فلسفة ولا تعمق ولا تقطع. وقد بدأت بعض القضايا الجديدة منذ وفاة الرسول ﷺ (تحتاج إلى تحديد موقف العقيدة منها) بدأت أول ما بدأت بحكم من ترك ركن الزكاة مع اعتقاده بكل أمور الإسلام، فأجمع الصحابة بعد تردد على أنه كافر مرتد حلال الدم يجب قتاله.

ثم نشأت مع قضية قبول الإمام علي للتحكيم ظهور الخوارج الذين بدأوا يكفّرون الصحابة بالجملة ويناقشون في مسائل العقيدة ولا يسلمون ببساطة بقول الصحابة. كما بدأت بدايات الشيعة وعقائدهم.

ملاحظة: جميع هذه الوثائق تُنشر كما وردت في الكراسات الاسلامية. بغض النظر عن الأخطاء الواردة فيها وذلك حفاظاً على أمانة النص.

لكن كل هذه الأمور لم تتبلور إلا في الدولة العباسية حيث أدت العوامل الثلاثة الآتية إلى التعمق في مسائل العقيدة وهذه العوامل هي:

١ ـ **الترف العقلي**: الذي بدأ يتوسع ويتعمق في فهم الكتاب والسنة مع دخول الفلسفات المختلفة من يونانية وهندية وفارسية إلى اللغة العربية، والتوسع في دراسة الأديان المقارنة، مما فتح كثيراً من القضايا التي كان يمر عليها الصحابة مرور الإيمان والتسليم دون تعمق ولا تقطع.

٢ ـ **دخول الزنادقة في المعركة**: وهم من المجوس وغيرهم لم يستطيعوا محاربة الإسلام علناً، فأظهروا الإسلام وأرادوا هدمه من الداخل عن طريق تشكيك المسلمين بدينهم بإثارة الشبهات حول العقيدة الإسلامية.

٣ ـ **تبلور المذاهب السياسية**: التي نشأت في نهاية الخلافة الراشدة وتمت أثناء الدولة الأموية وهي مذاهب: (السنّة ـ الشيعة ـ الخوارج)، بحيث تميزت هذه المذاهب وأصبح لكل منها قواعده الخاصة ورجاله وطرق نقله... إلخ، مما أوجد بالضرورة خلافات في مسألة العقيدة، على أن هذه الخلافات كانت خلافات نظرية لا ينبني عليها عمل، إذ كانت تتركز على صفات الله وتأويلها أو عدم تأويلها وعلى عقيدة القضاء والقدر وعلى مرتكب الكبيرة وهل هو كافر أم لا؟ وقضايا مثل قضية خلق القرآن. ونشأت في هذه الفترة أنواع كثيرة من الفرق وبادت كلها تقريباً ولم يبق منها إلا ما نقرأه في الكتب. ولقد كان الخلاف على أشده في العصور العباسية الأولى بسبب انتشار الثقافة يومذاك. فلما سادت عصور الجهل تقلصت الخلافات، لكن نشأت قضايا جديدة في العقيدة تتناسب مع هذه الفترة. إذ عمت الطرق الصوفية العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وانتشرت بسببها قضايا جديدة لم تكن موجودة فيما مضى مثل الاهتمام بالقبور وبناء المساجد عليها وانتشار التوسل بالأولياء والصالحين وما شابه ذلك، فنشأت طائفة من العلماء والسلفيين تصف هذه الأعمال بالشرك، وزادت الأبحاث في هذه الموضوعات بين مَنْ يُدافع ومَنْ يهاجم، وكان من أبرز المهاجمين «ابن تيمية» وتلميذه ابن قيم الجوزية من السابقين ومحمد بن عبد الوهاب من المتأخرين وبقيت كل كتب العقيدة إذاً محصورة إما بما استقر عليه الأمر من محاولات في زمن الدولة العباسية أو ما استقر عليه الأمر من كتب ابن تيمية وأتباعه إلى نهاية الدولة العثمانية. وبزوال الدولة العثمانية نشأت حالة جديدة لم يسبق أن تعرض لها تاريخ الإسلام، ونشأت قضايا جديدة ثبتت على هذه الحالة لم يتطرق إليها أحد فيما مضى لأنها لم تكن موجودة، وعلماء اليوم لم يتحدثون عنها إما لأنهم جمدوا على التقليد فليست عندهم القدرة على مواجهة ما استجد من أمور الحياة، وإما لأنهم من وعاظ السلاطين ممن يجرأون على قول الحق مخافة قطع أرزاقهم ومرتباتهم، وإما لأسباب أخرى لم يقصد إلى استقصائها.

وهذه الرسالة ـ حسب علمي ـ هي أول رسالة من نوعها في تشخيص الكفر الذي وقع فيه المسلمون عن علم أو عن جهل بسبب الظروف الجديدة التي وقعوا فيها، ودراستها في نظري أهم ألف مرة من دراسة قضايا العقيدة التي كتبت في الماضي، لأن تلك القضايا لا وجود لها اليوم ولا تشكل خطراً كبيراً على المسلمين فإنما الخطر ينبع من هذه الردة الجماعية التي لا عاصم منها إلا الله.

ووقوف المؤمنين لصد تياراتها بكل الأساليب الشرعية، وقبل أن أبدأ بسرد المقومات الأساسية لهذه الردة أود أن أبين الأسس الرئيسية للعقيدة الإسلامية وأبادر إلى القول بأنني لا أميل إلى استخدام مصطلح «العقيدة» وأفضل عليه مصطلح «الإيمان»، ذلك لأن المصطلحات التي استُجدت في الإسلام كانت لها مساوىء أكثر من الحسنات إذ إن آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ قد فسرت فيما بعد وفق هذه المصطلحات، وليس العكس، مما أدى إلى الضلال والعياذ بالله. وعلى سبيل المثال فإن كلمات الشرك والكفر والظلم والفسق والضلال والنفاق وغيرها كانت في كثير من الأحيان تأتي مترادفة كقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[٢]، أو قوله: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾[٣]، وقوله: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾[٤]. ثم جاءت كتب العقيدة لتضع لكل من هذه الكلمات معنى محدوداً ثم بدأت تفسير ما ورد في القرآن الكريم أو السنة فيها وفق هذه المعاني مما أدى إلى الضلال. وذلك مثلاً حينما فسروا قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ الظالمون ـ الفاسقون﴾[٥].

وإذا كنت استخدم هذه المصطلحات فليس إيماناً بها وإنما لأنها استقرت في الأذهان، مع طلبي التقليل منها تمهيداً لإلغائها نهائياً، وعلى كل ان الايمان كما صوره رسول الله ﷺ هو:

الايمان بالله

ليس المقصود به الإيمان بوجوده فقط فذلك من البديهيات التي لا تحتاج إلى نقاش في نظر الإسلام ونحن نؤمن بوجود الحجر والشمس والقمر، كما نؤمن بوجود أعدائنا إيماناً لاشك فيه ومن المقطوع به أنه ليس المقصود بالإيمان بالله هو هذا الايمان، إنما المقصود بالإيمان بالله تعالى ما يلي:

١ ـ إنه وحده الذي خلق الكون وهو وحده المتصرف بشؤونه، ولا أناقش هذه النقطة كثيراً لأن أكثر المؤمنين بوجود الله في منطقتنا يؤمن بذلك، أما المشركون به آلهة أخرى في الخلق والتدبير فغير موجودين بمنطقتنا وقد اقتصر أمرهم في بقية العالم على الفئات غير المتعلمة فلا داعي للإطالة إذن.

٢ ـ انه وحده صاحب التشريع في هذا الكون وليس لأحد حق التشريع إلا فيما لا نصّ فيه، فمن أعطى لنفسه الحق في إيجاد منهج للحياة أو التشريع فقد أشرك بالله وكفر بالله أساساً واتخذ له رباً سواه حتى ولو كان مؤمناً بالله ورسوله ﷺ وفي ذلك أدلة كثيرة نقتصر منها على ما يلي:

(أ) ذكر الله عن مشركي قريش أنهم آمنوا بصدق رسوله ﷺ لقوله: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[٦].

ولذلك فإنهم كفار لأنهم لم ينقادوا عملياً وفق هذا التصديق، ومن قرأ السيرة وجد أن عدداً كبيراً من اليهود كانوا مقتنعين أن محمداً رسول الله ﷺ وهو الذي بشرت به التوراة لكنهم لم ينقادوا له فاعتبروا كافرين. وثبت في البخاري أن هرقل ملك الروم آمن برسول الله ﷺ ولكن حين وجد قومه سينقضون عليه بقي على الكفر. والاعتقاد يعني الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، إذن لا يدخل الإنسان في زمرة المسلمين إلا إذا انقاد للمنهج والتشريع المنبثقين عن هذه الشهادة ومن لم ينقد لها فهو كافر.

(ب) إن فرعون حين قال لقومه: «ما علمتُ لكم من إله غيري» لم يقصد أنه هو الذي خلق الكون أو أنه المتصرف بشئونه، ولم يقل بذلك أحد لأن الكل يعلم أنه وُلد كبقية الناس وكبر مثلهم وأنه لا يستطيع أن يتصرف بالشمس أو القمر أو الريح أو فيضان النيل... الخ.

ولم تكن عبادة الناس بهذا المعنى وإنما كان يقصد أنه صاحب الأمر المُطاع الوحيد فيهم بما له عليهم من سلطان، فمن وضع نفسه من الأمة هذا الموقع فقد نصّب نفسه إلهاً عليهم ومن أطاعه عن اقتناع فقد عبده من دون الله.

إن حديث عدي بن حاتم الطائي حينما سمع رسول الله ﷺ يتلو الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم﴾[٧] واضح تمام الوضوح فيما رمى إليه، فقد عزا رسول الله ﷺ عبادة النصارى للأحبار والرهبان بأن هؤلاء أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فتلك عبادتهم. وليس ذلك مقصوراً على الأحبار والرهبان فكل من فعل ذلك فقد نصب نفسه رباً وكل من أطاعه على ذلك فقد اتخذ له رباً غير الله.

وعليه فإن كل الأنظمة وكذلك كل البلاد الإسلامية[٨] اتخذت لها مناهج ونظماً وتشريعات غير الكتاب والسنة فقد كفرت بالله واتخذت من نفسها آلهة وأرباباً. فكل من أطاعها مقتنعاً بها فهو كافر لأنه اتخذ له رباً سوى الله، وهذا الكفر الجديد أشد كفراً من مشركي الجاهلية إذ إن أولئك قد اتخذوا الأصنام كما قالوا: ﴿ليقربونا إلى الله زلفى﴾[٩]، في حين أن هؤلاء قد كفروا بالله أساساً واتخذوا لهم آلهة أخرى بدلاً عنه.

وهذه القضية الخطيرة لم يتطرق إليها علماء المسلمين في الماضي لأنها لم تكن موجودة في أزمانهم، وأصبح جلاؤها في هذا العصر فرضاً على كل العاملين في الحقل الإسلامي. بل هو الفرض الأول لأنها أساس التوحيد والشرك في هذا العصر[١٠].

٣ ـ والنقطة الأخيرة من الإيمان بالله هي أن نقدر الله حق قدره وأن نتصرف وفق ذلك. والمسلمون اليوم غير منتبهين إلى هذه النقطة فلا يدركون معنى كلمة (الله أكبر) التي يقولونها يومياً عشرات المرات بل يضعون الله في مقام أقل من رئيس الدولة أو الوزير أو العامل أو الضابط أو أقل من الشرطي ومن المباحث ولو عرض عليه أمر الله مع أي واحد من هؤلاء فكثيراً ما ينفذ أمر هؤلاء تاركاً أمر الله. ولتوضيح هذه النقطة كنت أضرب لإخواني هذا المثل: (ولو أن رجلاً ضخماً يمسك مسدساً همّ عليك ليقتلك وفي نفس الوقت رأيت طفلاً صغيراً يحمل قشة فهل تحسب في هذه الحالة حساباً للطفل... الجواب قطعاً لا، إنما الحساب كله يكون للرجل صاحب المسدس فإذا حسبت حساباً للطفل وأنا عاقل فمعنى ذلك أنني غير مؤمن بأن هذا الرجل بيده مسدس)، فلو طبقنا، هذا المثل على الله وعلى البشر (والمقارنة هنا إنما لضرب المثل فقط ولله المثل الأعلى) فإن الإيمان بالله يقصد حتماً ألا تحسب حساباً للبشر بجانب الله سبحانه وتعالى، فإن حسبنا حساباً لبشر كائناً مَنْ كان هذا البشر إذا تعارض مع أمر الله فهذا دليل عدم الإيمان. فإذا امتنعت عن العمل لاستئناف الحياة الإسلامية وإزالة الكفر الموجود في الأفراد والمجتمع والدولة خوفاً من السلطة وسجونها وأحكامها ولم أحسب حساباً لعذاب الله على تقصيري فهذا يعني إنني حسبت حساباً للقشة في يد الطفل، ولم أحسب حساباً للمسدس في يد الرجل، ولله المثل الأعلى، ومعنى ذلك بداهة أنني في هذه الحالة لا أؤمن بأن (الله أكبر)، هذه إذن هي القضايا التي نريد توجيه الناس إليها بالنسبة للإيمان بالله. أما قضايا الصفات مثل يد الله، عين الله أو الاستواء على العرش أو تبسم الله أو ضحكه أو محبته أو كراهته... إلخ، ذلك مما ورد في الكتاب والسنة فإننا نقرأها كما وردت ونعتبرها من الآيات المتشابهة التي لا يعلمها إلا الله. ولم يكن الصحابة يثيرونها أو حتى يفكرون فيها وما بدأ الكلام عليها إلا في عصر الترف الفكري. والخوض فيها لا يؤدي إلى نتيجة عملية ونحن لا يهمنا إلا ما ينبني عليه عمل لأن كل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهانا الله عنه شرعاً وكل المسلمين مقتنعين على أنه «تعالى وليس كمثله شيء»، وان هذه الآيات ليست على ظاهرها وكذلك كل ما يتعلق بأمور الغيب كالجنة والنار وما في الجنة من لبن وعسل ونخل ورمان... إلخ، وما في النار من أفاعٍ وكلاليب وعقارب... إلخ، لأن هذه حياة غير هذه الحياة، والله سبحانه وتعالى يقرب لنا الأمور للترغيب والترهيب لأنه لا يخاطبنا إلا على قدر ما نفهم. ونرفض الخوض في هذه القضايا ونعتبر ذلك من المحن التي مرت في تاريخ الإسلام فلا يفيد ذلك.

الايمان بالملائكة

والملائكة خلق من خلق الله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[١١]، ولكل واحد من الملائكة وظيفة محددة يؤديها، منهم رسل الله إلى الأنبياء ومنهم خزنة فهم، ومنهم من يقبض الأرواح ومنهم الموكلون بكتابة الحسنات والسيئات ومنهم الذين يسألون الناس في القبر... إلخ. والملائكة من عالم الغيب لا نعرف عنهم إلا ما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعدى ذلك والبحث خارج نطاق الكتاب والسنة عبث لا طائل تحته وبدعة نحاربها، ومن عالم الغيب أيضاً الشياطين (إبليس وذرته) ولا نعلم عنهم إلا ما ورد في الكتاب والسنة لا نزيد على ذلك، من عالم الغيب أيضاً الجن وهؤلاء منهم المؤمنون ومنهم دون ذلك ولا نعلم عنهم إلا ما ورد عنهم في الكتاب والسنة.

وما نسميه من بحوث الجن أو تقص خارج نطاق الكتاب والسنة لا علاقة له بالدين وإنما نطاقه أمور الدنيا مثله في ذلك مثل بحوث علم النفس وتدخل في نطاق الخزعبلات ولا يسأل الدين في هذا المجال إلا عما ورد في الكتاب والسنة فقط وقد ورد في القرآن الكريم إشارات إلى وجود مخلوقات في السماء لا نعلم عنها شيئاً مثل قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماء والأرض من دابة والملائكة﴾[١٢]، وقوله تعالى: ﴿وما بث فيها من دابة﴾[١٣].

الايمان بكتب الله

أنزل الله عدداً من الكتب على أنبيائه منها: **التوراة والإنجيل والزبور**، وعدد من الصحف وقد حرفت هذه الكتب فلا نعلم اليوم ما بين أيدينا منها ما هو الصحيح ولا ما هو المحرف، وقد أنزل الله **القرآن** على محمد ﷺ فنسخ كل الكتب السابقة وأصبح بذلك الكتاب الواجب الاتباع. ولقد أنزل ذلك الكتاب أساساً ليكون المنهاج الذي تسير عليه البشرية في حياتها. فهو إذن للتطبيق والتنفيذ، ولقد كان الصحابة يخشون حفظه حتى لا يكون حجة عليهم لأنهم كانوا لا يحفظون آية إلا إذا طبقوها ولهذا حفظوا العلم والعمل معاً في آن واحد، وكان حافظ القرآن في زمن الصحابة المقدم منهم لأنه أعلم وأكثرهم تطبيقاً، ولم يكن بين المسلمين والقرآن حاجز وإنما يستمدون منه التعليمات مباشرة، فلما شاع الترف الفكري بين المسلمين وانقسموا شيعاً وأحزاباً ومذاهب فترك المسلمين الأخذ من كتاب الله مباشرة وأصبح الأخذ كله من المذهب، وفقد القرآن قيمته عند المسلمين ككتاب هداية وتوحيد واقتصر المسلمون على تلاوته للبركة أو الطرب على صوت قارئه، أو تقديسه بأن يُكتب على أفخر الورق وبماء الذهب ويُحفظ في أحسن الأماكن ويقبّل ويوضع على الرأس... إلخ.

ومُنع المسلمون من الأخذ من الكتاب مباشرة لأن من يسمونهم (رجال الدين) قد اقتدوا بالنصارى الذين حصروا الكتاب المقدس على طبقة رجال الدين ومنعت أياً كان من فهمه وتفسيره، وعادة التقديس لم تكن موجودة عند الصدر الأول للإسلام لا لرسول الله ﷺ ولا للقرآن، فلم يكن أحد يقوم للرسول ﷺ ولا كانت عادة تقبيل يديه معروفة ولا كان ليقبل أن يقف أحد وهو جالس أو أن يسير خلفه أحد، ولا كان ينحني له أحد، كان الناس يعاملونه كأي رجل منهم لكن أوامره وتعليماته كانت تنفذ فوراً عن طواعية وحب دون أدنى تردد أو جدل أو شك، والأمر نفسه كان للقرآن فقد كان يُكتب على العظم والحجارة أو سعف النخيل وكانت هذه الكتابات توضع على الأرض وتحت السرير الذي ينام عليه الصحابي. وحين طبعت الآيات القرآنية على النقود كان المسلمون يدخلون بها المراحيض ولم يكونوا يعرفون هذا التقديس الشكلي، لكن إذا قرأ أحدهم قول الله تعالى تغيّر لونه وبادر إلى تنفيذه ولا يجرؤ أحد أن يخالف أمر الله حيث كانت الكفة لصالح التنفيذ العملي، ولم تكن هناك شكليات التقديس النظري، فلما أهمل المسلمون التنفيذ عوضوا عنه بهذه الشكليات من التقديس وهذا هزو وسخرية بكتاب الله ورسوله ﷺ . ومن أحسن ما قيل في هذا التشبيه الذي ذكره أحد العلماء لهذه الظاهرة فقال: (مثل المسلمين مع القرآن كقائد جيش وضع خطة للجيش لمواجهة العدو فبدل أن يقوم هذا الجيش بتنفيذ الخطة كان في كل يوم يقرأها ويقبلها ثم يقبلها ثم يعلقها على الحائط، إننا لا نتصور إطلاقاً أن يقوم جيش بمثل ذلك لأن هذا لا يفعله عاقل لكن هذا يفعله المسلمون مع القرآن)،

إن القرآن هو المنهاج الذي وضعه الله للبشر، فترى المسلمين رفضوا هذا المنهاج كخطة عمل لكنهم قدسوه ككتاب للتلاوة، وهل هناك سخرية بالقرآن أكثر من هذا؟ وهل هناك كفر بالقرآن أصرح من هذا؟ إن مَنْ يرفض اتخاذ القرآن منهجاً للحياة كافر لاشك في ذلك مهما أظهر من التقديس حتى لو كان هذا التقديس باطناً وظاهراً، ولا يحدث هذا التناقض إطلاقاً من رجل عاقل يحترم نفسه. ولهذا السبب ترى أن إذاعات الإسلام[١٤] تذيع القرآن الكريم لتأكدها أنه لا أحد يأخذ القرآن كأوامر الله للتنفيذ.

ونحن نريد للفئة المؤمنة:

أولاً: أن تقرأ القرآن للتنفيذ لا للتقديس ولا للطرب.

ثانياً: ألا يكون بينها وبين القرآن أي حاجز. يكفينا من القرآن هذه البساطة الرائعة التي يبعده عنها وجمالها أي تفسير.

إن آية: ﴿الحمد لله﴾ لا تحتاج إلى تفسير وأن أي تفسير يفقدها تأثيرها في نفس المؤمن. وآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾[١٥]. وآية: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾[١٦].

وأمثال هذه الآيات لا تحتاج إلى واسطة حتى يفهمها المؤمن، ويتأثر بها ثم يقوم بتنفيذها. وأنا لا أقصد بهذا إلغاء كل التراث الإسلامي في التفسير وعلوم القرآن وأن يقوم كل جاهل بتفسير القرآن على هواه، أبداً كل الذي أريده ألا توضع الحواجز بيننا وبين القرآن وما أمكن فهمه والتأثر به وبتنفيذه فلنفعل ذلك مباشرة وما لم نستطع رجعنا إلى كتب التفسير مجتنبين في ذلك ما يلي:

١ ـ تفسير أهل الأهواء بالنسبة لآيات العقائد مثل كتَاب **الكشاف** للزمخشري.
٢ ـ تفسيرات الفقهاء لآيات الأحكام لأن كل فقيه يطوع الآية لمذهبه.
٣ ـ تفسيرات الصوفية الذين يحولون الآيات إلى رموز يجعلونها للقرآن بواطناً خلاف الظاهر.
٤ ـ تفسيرات الآيات التي تتعرض للسنن الكونية من قبل علم الله.
٥ ـ الإسرائيليات التي ما خلا منها كتاب من كتب التفسير تقريباً مع الأسف الشديد.
٦ ـ الأحاديث الموضوعة التي دست على كثير من كتب التفسير.

والتفسير الحق للقرآن الذي يعتمد على ما يلي:

١ ـ اللغة العربية دون تعقيد أو تحريف وحسب بساطة اللغة العربية.
٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن بأن تجمع الآيات ذات الموضوع الواحد أو الكلمات المتشابهة.
٣ ـ الحديث النبوي الشريف وهو المبين للسنة.
٤ ـ تطبيقات العهد الأول وفهمهم على أن يكون ذلك بالنقل الصحيح ولعل خير التفاسير التي يمكن الرجوع إليها كتاب **ابن كثير**[١٧] أو كتاب **الظلال** في طبعاته الأخيرة على أن يكون واضحاً أن الله أبى العصمة لكتاب غير كتابه.

الايمان بالرسل والأنبياء

لقد بعث الله سبحانه في كل أمةٍ نبياً أو رسولاً: ﴿وان من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[١٨]، ولم يقص علينا القرآن إلا عدداً قليلاً منهم: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾[١٩]، ومحمد بن عبد الله ﷺ هو خاتم الأنبياء فرض عليه وعلى أمته الاقتداء بهديهم وجاء تشريعه فنسخت شرائعهم، وهؤلاء الأنبياء وأتباعهم قبل بعثة محمد ﷺ مسلمون، والنبي ﷺ والمسلمون أولى بهم من أقوامهم الذين لم يتبعوهم. وقد وقع كثير من المسلمين في هذا القرن في الكفر بسبب عقيدتهم بأنبياء بني اسرائيل أو أتباعهم في أزمانهم، ومن هؤلاء المسلمين قوم متدينين والسبب في ذلك أنهم نظروا إلى التاريخ نظرة وطنية أو نظرة قومية، وليست نظرة إسلامية فضلوا أو أضلوا، ومن ذلك مَنْ يفخرون بفرعون لأنه طرد اليهود من مصر وهذا كفر صريح فهؤلاء اليهود المؤمنون بموسى مسلمون وفرعون كافر، ومنهم من يعتز بالكنعانيين باعتبارهم عرباً ويقف موقف العداء من داوود وسليمان لأنهما حاربا الكنعانيين وأقاما دولة لليهود بفلسطين وهذا كفر أيضاً لأن داوود وسليمان أنبياء، ولأن أتباعهم من اليهود مسلمون والكنعانيون كفار ونحن أولى بموسى وأتباعه من يهود اليوم لأن أولئك كانوا مسلمون ومثلنا في ذلك المسلمون الحقيقيون الباكستانيون والهنود فهم أولى بمحمد ﷺ وأتباعه العرب المسلمين من ميشيل عفلق[٢٠] وجورج حبش[٢١] وغيرهم من العرب غير المسلمين سواء كانوا نصارى أو شيوعيين أو ملحدين.

الإيمان بمحمد ﷺ خاتم النبيين ليس المقصود به تقديسه أو التغزل بجماله أو الاعتقاد بعبقريته أو الاعتزاز به كبطل من أبطال التاريخ، وإنما المقصود أتباعه: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[٢٢].

والتأسي: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[٢٣]، لا إيمان بغير هاتين النقطتين مهما كان إقباله والاعتزاز به والتقديس له. ولا تتم هاتين النقطتين إلا بمعرفة الحديث النبوي الشريف، ومن أكبر المصائب التي وقع فيها المسلمون منذ القرن الثالث حتى الآن هو جهل الغالبية العظمى من علماء المسلمين بحديث رسول الله ﷺ ، ونحن لا نعتبر الرجل عالماً بالإسلام إلا إذا كان عالماً بالحديث. إن كبار

فقهاء المسلمين ملئت كتبهم بالأحاديث الموضوعة والساقطة، وكبار علماء الأصول وكبار علماء التفسير وكبار علماء الصوفية قد ملئوا كتبهم بأمثال هذه الأحاديث.

ولا يستغرب هؤلاء العلماء من قول أحد كبارهم وهو أبو حامد الغزالي: (بضاعتي في الحديث مزجاة) ولذلك ملىء كتابه **إحياء علوم الدين** بأمثال هذه الأحاديث ـ ورحم الله الشيخ العراقي الذي أخرجها وبين صحيحها من زيفها ـ ولهذا، وصلت علوم الإسلام إلى هذه الدرجة من الانحطاط لأنها اعتمدت بالدرجة الأولى على رأي رجال الدين الذين تأثروا ولا شك بعصور الانحطاط التي عاشوا فيها، ولا عودة للإسلام الحق إلّا بالعودة إلى الحديث النبوي الشريف بعد القرآن. ولقد أصبح (الكتاب والسنة) شعاراً فارغاً من مضمونه لأن كثيراً من الذين يعرفون هذا الشعار يجهلون السنة جهلاً مطلقاً.

والعلم وحده لا يكفي فالمستشرقون علماء بالإسلام، وإنما لا بد أن ندرس السنة مع الكتاب من أجل التطبيق وأن ندرس السيرة من أجل الأسوة وبغير ذلك تصبح السنة حجة على صاحبها.

الايمان باليوم الاخر

ولا يقصد بالإيمان هنا الاقتناع المنطقي كما هو الحال بالنسبة للإيمان بالشهادتين كما شرحنا سابقاً. فالاقتناع المنطقي لا يسمى إيماناً ولا يخرج صاحبه من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، وإنما نقصد بالإيمان أن نقدر الجنة والنار حق قدرها كما هو الأمر بالنسبة للإيمان بالله.

وبعدم وضوح هذه النقطة عند المسلمين المتأخرين لم يكن للإيمان باليوم الآخر بصورته الموجودة أي أثر على سلوك الناس، لأن الموجود ليس إيماناً وإنما هو اقتناع، ولو استشعرت حقيقة إننا مبعوثون بعد الموت وهو حق لا يشك فيه إنسان فيكون المصير إما إلى جنة أبداً وإما إلى نار أبداً، وأيقنا بحقيقة النار وحقيقة الجنة فإن من المستحيل أن نسلك الطريق الذي يؤدي إلى النار ولقد كنت أضرب لإخواني مثلاً يُقرِّب الأمر إليهم: لو أن شخصاً حُكم عليه بالأشغال الشاقة وعلم أن السجن به أنواع من التعذيب الرهيب من الضرب المبرح وتشريح اللحم بأمشاط الحديد والكي بالنار في الأماكن الحساسة ويأكل السجين جزء من لحمه كما يضطر إلى شرب البول أو أكل الغائط وغير ذلك من وسائل التعذيب ثم عرض عليه أن يخرج من السجن أن يصبح ملكاً يتمتع بكل طيب في الدنيا مقابل شيء يؤديه فما موقف هذا الرجل؟ لا شك إنه مستعد أن يدفع ملك الدنيا كلها من أجل أن يصبح ملكاً وإنما من أجل أن يخلص نفسه من العذاب فقط فإذا وقف هذا الرجل موقف اللامبالاة تجاه تخليص نفسه فمعنى ذلك أنه غير مؤمن بحقيقة التعذيب في السجن أو غير مؤمن بحكم المحكمة أصلاً. وهذا هو واقع غالب المتدينين اليوم إذ إنهم في موقف اللامبالاة أنه لا يوجد في الحياة أي عمل يضمن به صاحبه الجنة والخلاص من النار إلا عمل واحد وهو الشهادة في سبيل الله، وهذا واضح من قول رسول الله ﷺ : (والله لا يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته).

أما الشهادة ففيها من الآيات والأحاديث ما لا يحصى. فإذا أيقن المسلم ذلك فإن من البديهات أن الشهادة تصبح أهم أمنية يسعى إليها بل هي الأمل الوحيد له في الحياة لأنها الوسيلة المضمونة الوحيدة التي تخلصه من النار وتدخله أعلى مراتب الجنة. والذي يهرب من الشهادة لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون مؤمناً بالمعنى الذي أشرت إليه حين ضربت المثل بالسجن والتعذيب فيه، والفرق بين جيل الصحابة والأجيال المتدينة الحالية يتبين واضحاً في هذه القضية ولا يحتاج لضرب الأمثلة من حرص الصحابة على الشهادة (ركضاً إلى الله بغير زاد)، وتوضيح هذه النقطة من الإيمان باليوم الآخر هي التي يجب أن تتركز عليها التربية الإسلامية، لأن مدار تعاليم الإسلام على الترهيب والترغيب و«خوفاً وطمعاً» وحين ننجح في غرس عقيدة الايمان باليوم الآخر يومها ننجح في حرص كل فرد على تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي دون حاجة إلى إرهاق أنفسنا في الحث على التفاصيل.

الايمان بالقدر

لقد كان الإيمان بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى سبباً في عز المسلمين في الصدر الأول ثم أصبحت هذه العقيدة سبباً في ذلهم وتأخرهم، وانحطاطهم في العصور المتأخرة. كان الصدر الأول من المسلمين يعتقدون أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وان اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. كانوا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾[٢٤]، كانوا يؤمنون بأن الإنسان يموت في لحظة معينة: ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٢٥]، وفقاً لهذه العقيدة كانوا يتصرفون بشجاعة نادرة لا تعرف الخوف، ومما يخاف ولا أحد يستطيع أن يضره ولماذا ولا أحد يستطيع أن ينفعه، ولماذا يرهب الموت وهو لن يموت إلا في ساعته؟

ولهذا كان الخوف من العمل لإعلاء كلمة الله دليل عدم الإيمان: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾[٢٦]، ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[٢٧]، ثم تحول هذا الفهم بعد العصور الثلاثة الأولى إلى جدل فلسفي حول الجبر والاختيار وهل الإنسان مخيّر أم مسيّر، ونحن نرفض هذا الجدل البيزنطي الذي قسم المسلمين إلى فرق وشيع، لأن هذا الكلام لا ينبني عليه عمل فنحن في كلتا الحالتين مأمورون بتنفيذ أوامر الله، (كل ميسر لما خلق له)[٢٨]، بعد أن انتهى الجدل في عصور الظلمات تحولت العقيدة إلى التواكل الذميم والانسحاب من الحياة وبدأ كل معقد يضع اللوم على الله: ﴿تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا﴾[٢٩] فإذا شَرِحْتَ للناس حالة الفساد قالوا هذه إرادة ربنا وإذا طَلَبْت منهم العمل للتغيير قالوا إذا أراد ربنا يغير الحال. وتحولت عزيمة العمل إلى أدعية لا أكثر وأن معظم المتدينين اليوم كافرون عملياً بالقدر، إذ لو كانوا يؤمنون به حقاً لشمّروا عن ساعد الجد لتغيير المنكر غير مبالين بالسجن وقطع الأرزاق لأنه لا أحد يستطيع أن يضرهم بما لم يُكتب عليهم بل ولم يبالوا بالإعدام لأنه: ﴿لن تموت نفس إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[٣٠]، والذي يتردد في ذلك كافر بالقدر مهما فلسف القضية، وحاول بالحجج المنطقية الفارغة، ولا دعوة للإسلام إلا بغرس هذه العقيدة في قلوب الفئة التي ستغيّر. هذه هي إذاً أصول العقيدة الإسلامية... إذاً فأصول الايمان هي:

١ ـ الإيمان بالله: خالق الكون ومدبره وواضع المنهاج الذي يجب أن تسير عليه البشرية.

٢ ـ الإيمان بالملائكة: وبواسطتهم أوحى الله إلى أنبيائه شرائعه وكتبه، وكان آخر هؤلاء الأنبياء محمد ﷺ فهو خاتم الأنبياء الذي نسخت شريعته جميع الشرائع، وفي الركن الثاني إذاً الإيمان بمحمد ﷺ وهاتان العقيدتان هما ما يعبر عنهما في الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ﷺ وإذا حولناهما إلى ترجمة عملية كانت تنفيذاً للكتاب وللسنة.

٣ ـ الإيمان بالقدر: هو الذي يعطينا الشحنة الدافقة التي تدفعنا إلى التنفيذ دون المبالاة بالمخاطر.

وهكذا، يظهر أن مدار العقيدة الاسلامية إذاً على الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ﷺ، وقد ضلّ كثير من المسلمين في مختلف العصور القديمة والحديثة معتمدين في ذلك على ظواهر بعض الأحاديث الصحيحة مثل: (مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وأمثالها، وبذلك أهملوا شأن العمل نهائياً ولم يُحكم بكفر كثير ممن شكّ بكفرهم، إذ ليس المقصود بمثل هذه الأحاديث مجرد القول، وهذه بديهية لا يختلف عليها اثنان، وإلا فلو أن ملحداً قرأ كتاباً فيه لفظ الشهادتين وقرأها لاعتبر مؤمناً، وهذا ما لا يقوله مسلم، إذ ليس المقصود مجرد القول، ولو كان المقصود مجرد القول لكان هذا الملحد مؤمناً لأنه قال هذه الكلمة، كما أنه ليس المقصود مجرد الاعتقاد، «هرقل» كما بيّنْتُ سابقاً كان معتقداً أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وكذلك يهود الحجاز في زمن الرسول ﷺ ، بل إن من أهل مكة منْ كان مؤمناً بأن محمداً ﷺ رسول الله: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[٣١].

وبأنني لا أستعرض أن منْ تكلموا في قضايا العقيدة غفلوا عن هذه الحقيقة على بساطتها ووضوحها. إذ المقصود بذلك هو الانقياد لها، من قال: لا إله إلا الله واعتقد بها ولم ينقد لها (أي لم ينقد للكتاب والسنة) فليس بمسلم ولا مؤمن فإنما هو كافر كفراً صريحاً وعلى هذا كان إجماع الصحابة، إذ

أن الذين امتنعوا عن أداء الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ اعتبروا مرتدين، وجرى على ذلك إجماع الصحابة، مع أن هؤلاء كانوا مؤمنين بالله ورسوله ﷺ وبقية أمور الدين. وهذه نقطة غامضة غموضاً يكاد يكون كلياً لدى المسلمين، ويجب أن تكون واضحة، لأنها جل العقيدة الاسلامية، وعلماء العقيدة يقولون كلاماً جميلاً صحيحاً لكنهم حين يأتون للتطبيق يتبرأون منه، وهذا الكلام هو (الإيمان إقرار بالجنان وتكلم باللسان وعمل بالأركان) وهذا هو قولنا كي يُعتبر الرجل مُسلماً لا بدّ أن يُقرّ بقلبه بالشهادتين وينطق بها وينقاد لأوامرها وأيُّ تركٍ لواحدةٍ من هذه الثلاث يخرجه من دائرة الإيمان والإسلام إلى دائرة الكفر. وإذا وضحت هذه القضية تمام الوضوح فإننا على ضوئها نحكم على مجتمعنا اليوم من منهم مسلم ومن منهم كافر.

ـ **الحكم**: إن الحكم القائم اليوم في جميع بلاد الإسلام هو حكم كافر فلا شك في ذلك، والمجتمعات في هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية. أما الحكم فأدلتنا على كفره لا حصر لها في الكتاب والسنة منها: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[٣٢]، ومنها: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا﴾[٣٣]، ومنها: ﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون. افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[٣٤] وغيرها الكثير من الآيات. والنص القاطع في ذلك قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكمْ بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٣٥]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[٣٦]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[٣٧]، وقد سبق أن الظلم والفسق في لغة القرآن تطلق على الكفر والشرك والنفاق، والغريب أن يُستدل على عدم الكفر بأن الآية الأولى نزلت في اليهود وهي بذلك لا تنطبق على المسلمين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، كأنهم يتهمون رسول الله ﷺ بأنه يقول ما لا يفعل فهو يقول لليهود إذا لم تحكموا بما أنزل الله فأنتم كافرون، أما أنا فلا أكون كافراً إذا لم أحكم بما أنزل الله، أليس معنى ذلك أنه ﷺ تنطبق في حقه الآية: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[٣٨].

اللهم أن يقال أيضاً إن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن يأمر بالبر وينسى نفسه أو يجعلون الرسول ﷺ أقل شأناً من شعيب حين يقول للقوم: «ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه». ويُقال أيضاً إن هذا غير ملزم لرسول الله ﷺ فهو يجوز أن يخالف لما ينهى عنه وحاشاه ﷺ ونسي هؤلاء أن قضايا العقيدة واحدة عند كل الأنبياء ولكن التشريع مختلف، يقول الله تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾[٣٩]. ويقول: ﴿لكل جعلنا شرعة ومنهاجاً﴾[٤٠]، وطاعة الله من العقيدة ولم يأمر بها اليهود وحدهم وإنما المسلمون مأمورون بذلك أيضاً. وإذا كان اليهود كافرين إذا لم يحكموا بما أنزل الله فإن المسلمين يكونوا أشد كفراً إذا ارتكبوا نفس المعصية، وذلك أنه من المعروف بداهة ومن أصول الفقه أن النهي عن شيء دليل على النهي عما هو أكبر منه، فإذا قال الله عن الوالدين: ﴿فلا تقل لهما أفٍ﴾[٤١] فهذا دليل قاطع على حرمة ضربهما أيضاً مع أنه لا يوجد نص في القرآن ولا السنة على حرمة ضربهما. ولو قلنا إنه لا يليق بطلاب المدارس الابتدائية أن يسيروا حفاة على الأقدام فبالأوْلى ألا يليق بطلاب الجامعة ذلك دون حاجة إلى النص عليه، وحين يقول الله تعالى عن اليهود: ﴿ومَنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٤٢] فبطريق أوْلى أن ينطبق ذلك على المسلمين لأنهم أرقى من اليهود، وأيضاً فإن النص عام يشمل كل البشر لأن كلمة (مَنْ) بعموم اللفظ، على أن القصد لا يحتاج لكل هذا الجهد في الإثبات لهذه البديهية، أن يكون إنساناً مؤمناً بالله ومقدراً لله حق قدره ثم يُعرض عليه منهاج الله فيفضل عليه منهاج غيره، كائناً من كان هذا الغير إلا إذا كان مفضلاً هذا الغير عن الله سبحانه وتعالى، وفي هذه الحالة واضح أنه كافر. فكما أنه لا يعقل أن يقوم إنسان بتطبيق الدين البوذي في كل تصرفاته ثم يقول إنه مسيحي، أو يقوم إنسان بتطبيق النظام الرأسمالي ويقول إنه شيوعي، أو يطبق إنسان النازية ثم يقول إنه صهيوني مما لا يخطر

على عقل عاقل. ومع هذا ما يحصل بالنسبة للمسلمين فالحكام يقولون نحن مسلمون لكنهم يطبقون مناهج الكفر فهل يعقل هذا؟

ومن البديهي لا يكون ولكنهم يسخرون من سذاجة المسلمين وتفاهة تفكيرهم إذ إنهم حولوا الإسلام خلال قرون إلى كلام دون عمل، وما من نكسة أو لوثة عقلية أصابت المسلمين أكثر من ذلك. فليس المهم مثلاً تحرير فلسطين إنما المهم أن تصرِّح وتقول، وليس المهم أن تصلح البلد المهم أن تصرح، وهكذا أصبح الفكر العربي المعاصر كله منصباً على الكلام ودون العمل. لذلك مَنْ قال (مجرد القول): إنه مسلم، فهو مسلم في نظرهم ولو عمل عمل اليهود والنصارى، وقد يُقال إن هذه الحكومات قضت في دساتيرها إنها دولة إسلامية وأن شريعة الإسلام مصدر من مصادر التشريع وأنها تبني المساجد وتدرِّس الدين في المدارس وتذيع القرآن والأحاديث الدينية... إلى آخره.

ألا يدل ذلك على إنها دولة إسلامية؟

الجواب قطعاً لا، والسبب في ذلك أنها في الوقت الذي تنص بعضها وليس كلها على أنها دولة اشتراكية أو ديمقراطية أو وطنية أو قومية... إلخ ـ وهذه الكلمات كفرٌ صريح عميت على المسلمين ـ إذاً أن الديمقراطية على سبيل المثال منهاج للحياة مخالف لمنهاج الإسلام، ففي الديمقراطية أن الشعب هو صاحب السلطة في التشريع، يحلِّل ويحرم ما يشاء وله الحق أن يحلل اللواط مثلاً كما حدث في إنجلترا أو الزواج الجماعي كما حدث في السويد، في حين أن الشعب في الإسلام لا صلاحية له على تحليل الحرام وتحريم الحلال ولو أجمع الشعب كله على ذلك، فالجمع بين الإسلام والديمقراطية إذن كالجمع بين الإسلام واليهود مثلاً، فكما أنه لا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً ويهودياً في الوقت نفسه لا يمكن أن يكون مسلماً وديمقراطياً. وقل مثل ذلك عن كل المناهج الأرضية الأخرى والحكومات ليست غافلة عن هذه النقطة ولذا لا تعني بالإسلام هذا المنهج الكامل للحياة كما ورد في الكتاب والسنة، وإنما تقتصر منه على ناحية الشعائر التعبدية فقط تقليداً لدول النصارى وليتها فعلت ذلك أيضاً، فالتزمت بالأمور التعبدية قادة ومحكومين لكن هذه أيضاً أهملتها، فالإنسان حر أن يعبد ربه أو لا يعبده، ولا يشترط في أي مسئول ذلك فاقتصر الأمر إذاً على العطلات الرسمية وحتى هذه لم تَسْلَمْ فاشركوا معها أعياد النصارى الوطنية والاشتراكية... فأصبحت هذه الكلمة في الدستور... إذاً كلمة لا معنى لها... وأصبحت هذه الكلمة مثل دولة تكتب في دستورها إنها دولة شيوعية كاثوليكية رأسمالية ولا تأخذ من الشيوعية إلا يوم ميلاد ماركس وذكرى قيام الثورة الشيوعية في روسيا وعيد العمال وترفض الأخذ بمبادىء الشيوعية. وإذا اعترض عليها شيوعي قالت لقد قلت في الدستور إني دولة شيوعية. إن هذا لا يمكن أن يحصل في نظر العقلاء ولكنه بعينه يحصل عند المسلمين وليس هناك أشد من ذلك، ولقد جاء ذلك إضافة إلى أن الإسلام تحول إلى الكلام فقط... من قياس الإسلام على النصرانية وأن الذين وضعوا الدساتير عندنا ترجموها عن الغرب النصراني، والنصرانية دين يقتصر على علاقة العبد بربه، فلما قامت الثورات في أوربا فصلت الدين عن الدولة وهذا هو الأمر الطبيعي عندهم لأن دينهم بالأصل كذلك. وكلمة: Religion هناك لا تعني كلمة الدين في الإسلام إذ إنها هناك تعني الشعائر التعبدية فقط، وبهذا المعنى الضيق وهو صلة العبد بربه عن طريق طقوس معينة، فلما ترجموا الدساتير استبدلوا النصرانية بالإسلام ومن هنا كان اللبس، والإسلام غير النصرانية لأن نصوص الكتاب والسنة (هما مصدر الإسلام الأصليون) لم يقتصروا على العبادة بهذا المعنى وإنما نجد إضافة إلى ذلك (التشريع والحكم) و(التصرفات والشعور والأخلاق) و(الاعتقاد)، والإسلام جسد واحد من كفر بآية واحدة كفر به كله: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾[٤٣]، فمن اكتفى بالعقيدة الإسلامية وحدها وكفر بالعبادة والأخلاق والتشريع فهو كافر لا خلاف في ذلك، ومن أخذ بالعبادة وكفر بالعقيدة فهو كافر، ومن قال الإسلام أخلاق وكفر بالعبادة والعقيدة والتشريع فهو كافر. ولقد غفل معظم المتدينين في هذا الزمان عن هذه البديهية فنجد الواحد منهم في غاية التدين يحرص على قراءة القرآن وقد يبكي في الصلاة خشوعاً ويقرأ من الأوردة ما لا

يحصى لكنه لا يؤمن بقضايا التشريع مثلاً، فهو كافر لا شك فيه وهو كمن قال فيهم رسول الله ﷺ: (يحقر أحدكم صلاته إلى جانب صلاتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية). وكثير من الحكام استغل هذه النقطة فنجدهم يحرصون على الصلاة وعلى بناء المساجد وعلى كثير من الشكليات الإسلامية، قاصدين من وراء ذلك كسب شعبية لأنهم يعرفون تدين الشعب، أو مؤمنون بذلك حقاً لكنهم في الوقت نفسه يبعدون الإسلام عن قضايا التشريع والحكم، بل ويحاربون مَنْ يدعو إلى استئناف الحكم الإسلامي ويسجنونهم ويضربونهم، فهؤلاء لا شك كفار ومن ساندهم فهو كافر لأنهم لم يكفروا بآية واحدة فقط وإنما كفروا بقطاع كامل من الإسلام. وأما النص على أن التشريع الإسلامي مصدر من مصادر التشريع فهو ذاته مجرد كفر صريح إذا جعلوا الإسلام متساوياً في ذلك مع التشريع الروماني، أو مع العادات والتقاليد أو مع تشريع حمورابي - ويا ليته كان كذلك - بل لا يكون هذا الإسلام مصدراً للتشريع إلا فيما نص فيه من القوانين الوضعية وليس في تحقير الإسلام بعد ذلك مطمع. إن غاية ما يصل إليه هؤلاء أنهم مشركون أشركوا الإسلام مع التشريعات الأخرى ويكفي ذلك أن تدفعهم بالكفر، أما ما يتفضلون به على الإسلام من بناء المساجد وإقامة الحفلات وإذاعة القرآن وغيرها فإنهم يعملون للكفر أضعاف ذلك، انهم مع بناء المساجد يبنون الملاهي وبيوت العشق والدعارة، أو مع إذاعة القرآن يذيعون كل أنواع الرذيلة ويشيعون الفاحشة في الذين آمنوا ولا يحسبون لذلك حساباً للإسلام في أي جانب من جوانب الحياة وفي جميع إدارات الدولة.

إن المجتمعات كلها مجتمعات جاهلية، والمظاهر العامة للنساء والرجال والرقص والبلاجات وسبّ الدين والله علناً، والمجاهرة بعدم أداء فرائض الإسلام ووجود الخمر والزنا والقمار علناً، ونشر الكذب والفسق والخداع والرذيلة كل ذلك وغيره يجعلنا نقول ونحن مطمئنين إلى أن هذه المجتمعات جاهلية، ولو أن المسلم أراد أن يغير هذه المنكرات فإن الحكومة تحميها وتحاربه، فهل تكون دولة إسلامية مَنْ تحارب المسلمين الذين يحاربون المنكر؟ وهل تكون دولة إسلامية من تحمي المنكر بل هي التي تقيم هذا المنكر؟ اللهم ألا قد يتصدر البعض أن الدولة الإسلامية تقيم الحدود فقط، وهذا وهمٌ فالحدود جزء من الإسلام وليست كل الإسلام ومن الممكن أن تقوم دولة كافرة بتطبيق هذه الحدود لاقتناعها بأنها تؤدي إلى القضاء على الجرائم ومع ذلك فلا تصبح دولة إسلامية بذلك. إن الدولة الإسلامية هي التي يكون هدفها حمل رسالة الإسلام ونشرها وتطبيقها كاملة داخلها وخارجها، والجهاد في سبيلها والتضحية من أجل ذلك بكل ما تملك، ويكون ذلك في جميع مرافق الدولة وفي جميع شئون الحياة فالإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية ولا يُذاع ولا ينشر شيء يخالف الإسلام، والتعليم هدفه تخريج أجيال مؤمنة بالإسلام عالمة به متحاكمة إليه مضحية في سبيله، ولذلك تكون كل المناهج موجهة هذا التوجيه حتى مناهج العلوم ولا يوكل في قضايا الإعلام والتعليم لأي رجل إلا إذا كان من دعاة الإسلام. في السياسة الداخلية أو الخارجية أو التشريعية أو الاقتصادية أو غيرها يكون الإسلام هو الأساس في الوظائف القيادية لا يمكن أن تكون لغير دعاة الاسلام، هذا هو شأن كل الدول العقائدية، وهذا لا يمنع في القضايا الفنية العرفية أن تستعين حتى بغير المسلمين، أما القضايا التوجيهية فلا يمكن ذلك وإذا ثبت أن هذه الحكومات كافرة وان هذه المجتمعات جاهلية فهل كل فرد فيها كافر؟ الإجابة قطعاً لا. إنما الكافر من هؤلاء هو مَنْ آمن بأن هذه الحكومات على حق وان الإسلام باطل، أو أن ينبغي أن يقتصر على قضايا العبادة أو كان لامبالياً سواء جاء الإسلام أم لم يأت، أو كام ناقماً على هذه الحكومات لكنه يرى الإصلاح بطريقة أخرى غير طريقة الإسلام، ويكون مؤمناً من هؤلاء مَنْ آمن بأن الإسلام هو الحق وان هذه الحكومات كافرة ويعمل على تغييرها لتكون إسلامية سراً أو علناً. مَنْ رضى وتابع فهو كافر ومن كره وعمل على التغيير فهو المؤمن، يستوي في ذلك أكبر رأس من أقل فرد وعلى هذا يجوز للمسلم أن يكون موظفاً أو ضابطاً أو وزيراً أو حتى رئيساً للدولة في هذه الدولة الكافرة، ومع ذلك يكون مؤمناً كامل الإيمان إذا كان واحداً من ثلاثة أشخاص:

١ - إذا كان واضحاً في عقيدته مصرحاً بأنه يعمل لإقامة الدولة الاسلامية. وفي الدولة التي تسير

على النظام الديمقراطي، إذا تكونت جماعة إسلامية أو حزب إسلامي، جاز له المساهمة صراحة بالانتخابات ودخول البرلمان والمشاركة في الوزارات إذا كان صريحاً بأنه يسعى عن هذا الطريق للوصول إلى السلطة وتحويل الدولة إلى دولة إسلامية.

٢ ـ إذا كان العلن غير ممكن يجوز للشخص أن يدخل في مختلف اختصاصات الدولة بأمر من الجماعة الإسلامية، ويستغل منصبه لمساعدة هذه الجماعة للحصول على السلطة أو للتخفيف عنها في حالة المحنة، أو لقيادتها بأي طريق. ولا مانع أن يصبح وزيراً حتى مع حكم طاغية إذا كان بهذه النية.

٣ ـ إذا لم يكن في جماعة إسلامية لعدم اقتناعه بأي جماعة من الجماعات التي اتصلت به لكنه مؤمن بكل المبادىء التي ذكرناها، وقد وطد العزم على أن ينضم إلى الجماعة الإسلامية الحقة حين يجدها ويستغل منصبه في إفادة الإسلام والمسلمين.

والجهاد لتغيير هذه الحكومات وإقامة الدولة الإسلامية فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وإذا كان الجهاد واجباً لتغيير الباطل حتى ولو لم يكن كافراً كما فعل الحسين رضي الله عنه، وكما قال رسول الله ﷺ: (خير الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله). فإن الجهاد ضد الكفر لا يختلف اثنان من المسلمين أنه أفرض الفرائض وذروة سنام الإسلام: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتةً جاهلية)، ومن ماتوا دفاعاً عن حكومات الكفر ضد من قاموا لإقامة الدولة الإسلامية فهم كفار إلّا إذا كانوا مُكرهين فإنهم يبعثون عن نياتهم. وهذه قضية خطيرة أغفلها المسلمون اليوم وتحتاج إلى أفرادها برسالة مستقلة، إذ إن الحركات الإسلامية كثيراً ما تتلكأ عن القيام ضد هذه الدولة خوفاً من إراقة الدماء لأنهم لم يتضح لهم هذه القضية الواضحة وضوح الشمس وهي كفر هذه الدولة.

ودارُ الإسلام عند الفقهاء هي الدار التي تكون فيها كلمة الله هي العليا، ويُحكم فيها بما أنزل الله حتى ولو كان كل سكانها من الكافرين، إذ حين فُتحت مصر مثلاً أصبحت «دار للإسلام» مع أن سكانها كانوا كافرين ودار الحرب هي الدار التي تكون فيها كلمة الكفر هي العليا ولا يحكم فيها بما أنزل الله ولو كان كل سكانها مسلمين. ولو احتل المستعمر بلداً إسلامياً تُصبح هذه البلد دار حرب يجب تحريرها وإرسال جيش لقتال حكامها ولو كان جند المسلمين في جيشها وجب قتل هؤلاء المسلمين. ولا خلاف في ذلك بين أحد من المسلمين، وكل من كان ولاؤه لدولة الكفر وليس لإقامة الدولة الإسلامية عومل معاملة الكفار: ﴿لا يتخذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾[٤٤]، ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[٤٥]. عشرات الآيات في القرآن تحدثت عن موضوع الولاء كلها تؤدي إلى كفر من تولى الكافرين، وهذه نقطة غائبة عن معظم المتدينين، فإذا ثبت أن الدولة كافرةٌ مثلاً، يجوز الولاء لها مهما اتخذت من المواقف الوطنية أو القومية أو الإصلاحات الداخلية، لأن مقياس المسلم هو الإسلام والدولة الإسلامية ستتخذ هذه المواقف وأحسن منها، ولا يجوز أن تتخذ هذه المواقف ذريعة لموالاة الكفر والتراجع عن العمل لإقامة الدولة الإسلامية، ومن فعل ذلك فهو كافر لا شك في ذلك عندنا.

(١) الأحزاب والجمعيات والمبادىء العقائدية: كل من اشترك في حزب عقائدي فهو كافر لاشك في كفره، وهذه الأحزاب مثل الأحزاب الشيوعية أو حزب البعث العربي الاشتراكي أو حركة القوميين العرب أو الحزب القومي السوري أو الاتحاد الاشتراكي العربي وأمثالها. ذلك أن هذه الأحزاب لها عقائد ومناهج مخالفة لعقائد ومناهج الإسلام، فمن آمن بها دلّ على أنه يفضلها على عقائد ومناهج الإسلام وهذا كفر، والجهل هنا لا يفيد صاحبه لأن الجهل بعد انتشار الإسلام ليس عذراً. ومثل الأحزاب، الجمعيات العقائدية، مثل الجمعيات الماسونية أو الليونز أو الروتاري أو غيرها من الجمعيات العالمية ذات الأهداف السرية، لأن هذه الجمعيات أيضاً لها مناهج وعقائد مخالفة للإسلام. حكمها في ذلك كحكم الأحزاب كما سبق. وينطبق هذا الحكم على مَنْ اعتقد فلسفة مخالفة للإسلام مثل الفلسفة المادية أو الوجودية أو البرجماتية وغيرها، وكذلك من اعتنق مبدأ سياسياً مخالفاً للإسلام كالديمقراطية أو الرأسمالية والاشتراكية والوطنية والقومية الأممية وغيرها. فكل من اعتنق هذه الفلسفات أو المبادىء

أو مثيلاً لها فهو كافر، ذلك أن الإسلام، كما أوضحنا، ليس (دين عبادة) بالمعنى المسيحي وهو صلة العبد بربه فقط، وإنما هو دين له منهجه وشرعه يشمل العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع أي أنه يشمل (الدين والدنيا معاً بالمعنى الغربي). وهذه المناهج والفلسفات والمبادىء أو العقائد التي ذكرناها سابقاً إما أن تكون مطابقة للإسلام أو مخالفة له، فإذا كانت مخالفة له ـ وكلها كذلك ـ فالكفر فيها واضح، أما إذا كانت مطابقة للإسلام وهي ليست كذلك ـ وان كان البعض يحاول أن يخدع المسلمين بذلك ـ فلماذا عدلنا عن اسم الاسلام إلى هذه الأسماء؟ اللهم إلا إذا كنا نخجل من ذكر اسم الإسلام ونفتخر بانتسابنا إلى مبادىء الكفر وكفى بذلك كفراً.

إن الإسلام قد أبدل أسماء وشعارات الجاهلية بأسماء وشعارات إسلامية، فأبدل تحية الكفار مع أن معانيها جيدة بتحية الإسلام. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾[٤٦]. على أن تبيان هذه المبادىء مخالفة للإسلام تحتاج إلى كتب مطوّلة، والتشابه الذي يحصل أحياناً بين بعض جوانبها وبين الإسلام لا يزيل عنها صبغة الكفر. فالمسيحية مثلاً تشبه الإسلام في جوانب كثيرة جداً فهي تؤمن بالله واليوم الآخر والأنبياء السابقين وتحرم الزنا، وتوافق الإسلام في الحث على الأخلاق الحسنة وتنفّر من الأخلاق الذميمة، ومع ذلك فالذي يعتنق المسيحية لا يكون مسلماً. كذلك إذا شابهت الديمقراطية الإسلام في بعض الجوانب لا يصبح الديمقراطي مسلماً، وكذلك إذا شابهت الاشتراكية الإسلام فلا يصبح الاشتراكي مسلماً، وهكذا لأن أصول هذه المبادىء تخالف أصول الإسلام. وأعود إلى القول إن المسلمين غفلوا عن هذه المسألة لأنهم اعتقدوا أن الإسلام دين عبادة أما بقية شئون الحياة فيستمدونها من الفلسفات الأخرى، ظناً منهم أن الإسلام قد خلا من هذه المناهج. وهذه العقيدة غير اسلامية نتجت من أن ثقافة المسلمين اليوم هي ثقافة غربية، وثقافة الغرب نبتت على أساس أن الدين المسيحي لا يتدخل في شئون الدنيا، ولذلك أوجدوا هذه المبادىء أو الفلسفات فنقلت هذه الثقافة كما هي إلى بلاد المسلمين، والفرق الجوهري بين الاسلام وبين كل ما عداه أن الإسلام مبني على أن الله سبحانه هو الوحيد صاحب السلطة والتصرف في هذا الكون، وعلى البشر أن يسيروا وفق المنهج الذي رسمه كما ورد في الكتاب والسنة. وكل المناهج الأخرى ترفض ذلك وكل منها لها رأيها في مَنْ هو صاحب السلطة في التشريع ورسم المنهج.

(٢) **موالاة الدولة والأحزاب الكافرة**: لقد أصبح واضحاً الآن أن هناك حكومات وأحزاب وجماعات كافرة مقابلها جماعات تعمل لإقامة الدولة الإسلامية، هناك إذاً حزب الشيطان وحزب الله، فكل مَنْ والى الحكومات الكافرة والأحزاب والجماعات الكافرة ضد الجماعات الإسلامية فهو كافر، لأنه ناصر الكفر على الإيمان. واننا نوضح هنا بقراءة جميع الآيات التي اشتملت على لفظ الموالاة ومشتقاتها في القرآن الكريم وسنجد الحكم هنا واضحاً أن الحكومة التي تحارب وتتعقب وتسجن وتعدم أعضاء الجماعات الإسلامية لاشك كافرة، لأنها تحارب الحكم بما أنزل الله، وكل منْ ينفذ أوامرها في ذلك عن طواعية ورضا دون إنكار فهو كافر، سواء كان مخبّراً أو شرطياً أو ضابطاً أو محققاً أو قاضياً أو صحفياً يؤيد إجراءات الحكومة ويشوه سمعة المسلمين، أو غير هؤلاء مما يؤيدها في إجراءاتها بأي نوع من أنواع التأييد. كذلك فإذا أجريت انتخابات كان فيها مرشح لجماعة إسلامية ومرشح آخر من أنصار الحكومة الكافرة أو من أعضاء أو مرشحي الأحزاب أو الجماعات الكافرة. ثم انتخب المرشح المناهض للمرشح للإسلام فهو كافر لأنه يحبذ المبادىء غير الإسلامية على مبادىء الإسلام، كذلك إذا انتخب مرشحاً كافراً ولو كان يحمل بطاقة إسلامية ضد مرشح إسلامي فهو كافر ومقياس المسلم يكون دائماً هو الإسلام وليس الوطنية أو الاصلاحات الداخلية أو محاربة الاستعمار أو غيرها فلا يؤيد شخصاً لأنه مع هذه الشعارات أو طبقها سواء كان مسلماً أو كافراً، لا، إنما يؤيد أو لا يؤيد وفقاً لحمل الشخص لدعوة الإسلام والمسلم يجب أن يكون محارباً للاستعمار وعاملاً للإصلاح، فقد يكون الوطني المخلص لوطنه من أشد أعداء الله، وقد يكون الذي يحارب الاستعمار أشد محاربة للإسلام من محاربة الاستعمار[٤٧]، وقد يكون الحاكم الذي يسعى إلى زيادة الإنتاج وتصنيع البلد في الدرك الأسفل من النار يوم القيامة، فالولاء

أولاً وأخيراً للإسلام وأهله: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن لـه الهدى ويتبـع غير سبيـل المؤمنين توله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[٤٨]. وأقول هنا إن هؤلاء الزعماء قد يكـونوا متـدينين بـالمعنى التقليدي يصلون ويصومون ويقرأون القرآن بخشوع لكنهم كفار لأنهم آمنـوا بجزء من الإسـلام وكفروا بباقي أجزاءه.

(٣) **القوانين**: كل القوانين المخالفة للإسلام في الدولة فهي قوانين كفر، وكل من أعدّها أو ساهم في إعدادها أو جعلها تشريعات ملزمة، وكل من طبقها دون اعتراض عليها أو إنكارها فهـو كافـر. وعلى هـذا فإن كل أعضاء اللجنة من المستشارين الذين وضعوا هذه التشريعات، وكل أعضاء البرلمان الذين صدقوا وكل مجلس الوزراء الذي قدمها والرئيس الذي وقّع عليها، والقضاة والنيابة ومحققـوا الشرطة والمبـاحث الذين حققوا بموجبها، إذا كانوا غير معترضين عليها وأخلصوا في عملهم بموجبها فهم كفار، وكل فرد من أفراد الشعب رضي بها أو لم ينكرها، أو وقف موقف اللامبالاة منها فهو كافـر، لأن كل هؤلاء قـد فضلوا شريعة البشر على شريعة الله وهذا كفر لأنهم اتخذوا آلهة غير الله وحكموا بغير ما أنزل الله.

(٤) **المعارضون لأحكـام الإسلام**: كـل من اعترض عـلى حكم من أحكام الله ولم يـرض عنه فهـو كافر، وعلى هذا فكل من كتب ضد الحدود الشرعية بأن وصف قطع يـد السارق أو رجم الـزاني بالتخلف والتحجر أو ما شابه ذلك من الأوصاف، أو طالب بإلغاء عقوبة الإعدام أو اعترض على تحـريم الخمر، أو غير ذلك مما يُعتبر اعتراض على الله سبحانه وتعالى فهو كـافر كفـر صريح، مبـاح دم صاحبـه وتطلق منه زوجته ولا يُصلى عليه ولا يُقبر في مقابر المسلمين ولا يرث ولا يورث.

ومن طبيعة الإسلام في بلاد المسلمين أن أمثال هؤلاء التفاهات الحاقدة وصلوا حد التطاول على الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، ووضعوا أنفسهم بمنزلة أرقى من الله سبحانه وتعالى ومـا حصلت هذه الجرأة إلا بسبب الميوعة التي حصلت للمسلمين نعوذ بالله من الخذلان.

وبتطبيق القول نفسه على مَنْ اتهم الدين بـالتخلف والرجعيـة، واتهم المتدينـين بالأوصـاف نفسها لأنهم متمسكون بالـدين، وأمثال هؤلاء كفـار ولا شك في ذلـك وهم أحفاد الـذين كانـوا يتهمون الأنبيـاء بالتهمة نفسها بقولهم: ﴿أساطير الأوّلين﴾[٤٩]، والقول نفسـه ينطبق أيضاً عـلى منْ يعترض عـلى المظاهـر الإسـلامية الثـابتة كـالكتاب والسنـة، والذين يعتـرضون عـلى مـلابس السيـدات المسلمـات المحتشمـة ويحاربونها ويحبذون الملابس غير المحتشمـة للنساء عـلى اعتبار أن الأولى دليـل التخلف والثانيـة دليل التحضر. وكذلك منْ يعتـرضون عـلى تربيـة اللحية وينـادون بحلقها عـلى اعتبار أن تـربيتها من التخلف وحلقها من التحضر. والفرق هنا بين منْ يرتكب إثم الحلق أو الملابس الثابتة لـلإسلام ويعتـرف بتقصيره أو يتأول ذلك ومن يعتبر ذلك علامة التخلف إذ إنه في الحالة الأولى ليس بكافر وفي الثانية كافر قطعاً لأنـه غير راض عن الإسلام أصلاً.

(٥) **الاعتزاز بتراث الكفر**: ولقد جاء الإسلام للقضاء على الكفر والجاهلية، فمن اعتز بـأي مظهر من مظاهر الجاهلية هذه والكفر هذا فهو كافر، وحين اعتنق الناس مبادىء الوطنية والقومية بدأوا يحيون هذا التراث الجاهلي الكافر ويعترفون به، فالوطنيون في مصر أحيوا تراث الفراعنة واعتزوا به ورفعـوه على الإسلام وهذا كفر، والقوميون أحيوا تراث الجاهليـة العربيـة، اعتزوا بـه، بل منهم من سمى ابنـه لهب حتى يناديه الناس أبو لهب لعنه الله. وأمثال هؤلاء قد يعتزون بالإسلام أيضـاً ولكن كتراث وليس كـدين ومنهج وشريعة، ولا يفرقون بين الاعتزاز بمحمد ﷺ مثلاً وبـين عنترة بن شـداد الكافـر باعتبـار أن كلاً منهم عربي. وقد أدى هذا كل شعب من الشعوب إلى الاعتزاز بتراثهم الكافر، ومن هذا التراث ما حـارب الإسلام فالكروية وإيران مثلاً وكل هذا كفر والعياذ بالله لأن الاعتزاز بـالكفر كفـر (دعوهـا فإنهـا منتنة) جزء من حديث صحيح.

(٦) **حصر الـدين بالعبـادة**: وكلمة العبـادة من المصطلحـات التي حـرِّفت عن معنـاهـا الأصـلي الإسلامي واستبدلت بمعناها النصراني في نظر الناس، وأصبحت مقصورة على صلة العبد بـربه وتشمـل الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر ولا تشمل التشريع، ولا صلة الإنسان بالإنسان، أو صلة الإنسان

بالدولة، أو صلة الدولة بالدولة الأخرى. وهذا المفهوم لكلمة العبادة خطأ من وجهة النظر الإسلامية، إذ إن معناها يشمل تنفيذ كل أوامر الله به في الكتاب والسنة. ولهذا فإن معنى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[٥٠]، يكون معناها وما خلقت الجن والأنس إلا ليطيعوا أوامري ويعيشوا وفقاً للمنهج والتشريع الذي وضعته، وإلا فلو كان معنى العبادة مقصوراً على المفهوم الأول يحرم على المسلمين عمل أي شيء خلاف العبادة، ويعتبر أي عمل خلاف العبادة من زراعة وصناعة وتجارة وسياسة بل ومن أكل ومشي مخالفاً لحكمة الله في خلق الإنسان. ولأصبح محرماً وهذا ما لا يقول به مسلم، فالإسلام إذن هو كل ما أمر الله به من الكتاب والسنة سواء كان عبادة (بالمعنى المتبادل) أو غير عبادة من تشريع وسلوك وسياسة واقتصاد... إلخ. ومن آمن بجانب من جوانب الإسلام فقط دون بقية الجوانب ولا فائدة في إيمانه لأن من كفر بآية واحدة من القرآن فهو كافر، فكيف بمن لا يعترف (بالمعنى المتداول) أو على صلة العبد بربه فقط، دون صلة الإنسان بالإنسان أو الإنسان بالدولة أو الدولة بالدول الأخرى، ودون تشريعات الإسلام المختلفة في شتى ميادين الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، فهو كافر لاشك في ذلك. وعلى هذا، فالذين يحاربون دعاة الإسلام بأنهم يمزجون بين الدين والسياسة كفار لأنهم قصروا الإسلام على جانب وكفروا ببقية الجوانب، والغريب كيف يسمحون للعامل والفلاح والموظف والرأسمالي... إلخ من قطاعات المجتمع بالتدخل بالسياسة ولا يسمحون للإسلام بذلك، لكنهم يعترفون أن هذه القطاعات ليست مسلمة وان المسلمين وحدهم هم ممنوع عليهم أن يعملوا بالسياسة. أليس معنى السياسة هو الاهتمام بأمور الناس (ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم). في الغرب الآن توجد دعوة لفصل الاقتصاد عن السياسة بعد معركة البترول، فالغرب عادة يريد فصل كل شيء يؤثر على السياسة، ولما كان الإسلام يؤثر طلبوا فصله ولما أصبح للاقتصاد تأثير طلبوا فصله حتى تبقى لهم الغلبة. وليس الموضوع موضوع السياسة فقط فهؤلاء يريدون عزل الإسلام عن كل أمور المجتمع ويحصرونه داخل المسجد فقط، كما فعلت الدول الغربية بالكنيسة، بذلك فهم يحجرون على الإسلام التدخل في شئون الاقتصاد أو الاجتماع وباقي أمور الحياة، ويتركون الميدان خالياً للشيوعية والاشتراكية والإعلان اليهودي في قضايا المجتمع الأخرى، مثل فرويد ودوركهايم وماركس وغيرهم. وغفل هؤلاء عن أن الإسلام لا يأخذ حجة من أوامر الدولة إنما هو دين الله رب الدولة والقائمين عليها، ولا أحد بتلك الكلمة أمام الله، وقد حددت مبادىء الإسلام بالكتاب والسنة فليس لأحد أن ينقص منها أو يزيد: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾[٥١]. وكل من نادى بهذه المبادىء كافر ويندرج تحت نفس الباب، الذين يرفعون شعار (الدين لله والوطن للجميع) وهذا الشعار من رفعه فهو كافر لأن الدين والوطن وما على الوطن لله رب العالمين: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾[٥٢] والذين ينادون بهذا الشعار يرفضون أن يكونوا تحت حكم الدين، إنما الدين هو الذي يجب أن يكون تحت حكمهم فيحجزوا الإسلام في المسجد كما حجزوا النصرانية في الكنيسة ويخلو لهم الجو في الحياة والإسلام يرفض ذلك.

(٧) **من سبَّ الله أو الدين أو النبي فهو كافر**: وقد فصل ذلك العلماء في الماضي فلا ينقض فيه ولكن يجب التنبيه على ذلك يغشوه في هذه الأيام وعدم انتباه الناس إلى كفر قائله.

(٨) **من ترك أركان الإسلام**: لقد قُتلت مسألة تارك الصلاة بحثاً بين الحنابلة من جهة، الذين يكفِّرون تارك الصلاة وبين بقية المذاهب التي لا تكفّره وإنما تحكم بقبله حداً لا كفراً، لكن الجميع يتفقون على أن إثم تارك الصلاة أشد من إثم من زنا بأمه. وهذه قضية لا ينتبه إليها الناس اليوم على أن هذا الخلاف كان على ترك الفرض الواحد للصلاة أما الترك الجماعي لها فلم يتطرقوا له ونحن نقول إن الترك الجماعي لأي ركن من أركان الإسلام كفر جماعي ورده.

ودليلنا على ذلك أن الصحابة أجمعوا على كفر مانعي الزكاة وردتهم مع أنهم لم يمتنعوا إلا عن الزكاة وحدها، ولو أن شخصاً واحداً امتنع عن الزكاة لما اعتبر كافراً إنما يجبر على أدائها من قبل الدولة ويؤخذ شطر ماله عقوبة له عن البعض، نفرق هنا إذاً بين الامتناع الجماعي والامتناع الفردي، وفي

الصلاة كان الرسول ﷺ إذا بعث سرية يأمر قائدها بأن ينتظر فإن سمع الآذان امتنع عن الإغارة وإلا أمره بالقتال. وترك الصلاة اليوم ترك جماعي لا فردي بل إن التاركين لها في المدن أكثر من المقيمين لها وعلى هذا فإني أجرؤ على القول إن هذه ردة جماعة والقول نفسه ينطبق على المجاهرين بالإفطار في رمضان بدون عذر.

(٩) من أنكر إحدى العقائد: فمن أنكر وجود الله أو نبوة محمد ﷺ أو أنكر اليوم الآخر أو القدر أو الملائكة أو أية قضية من قضايا العقيدة فهو كافر. وهذه مسألة أفاض فيها المتقدمون فلا أكرر ولكن أنبّه عليها لكثرتها في هذه الأيام، حتى وصل الأمر أن تنشر كتب ومقالات يُدافع فيها عن إبليس لأنه رفض السجود لآدم، أو تنكر فيها الجن أو تكتب ضد الأنبياء من أمثال داود وسليمان أو تصب جام غضبها على الإيمان بالغيب أو غير ذلك وكل هذا كفر صريح.

طقوس الشرك الجديدة

في كل الحكومات اليوم طقوس تعيد إلى الأذهان طقوس عبادة الأصنام، ومن هذه الطقوس:

(أ) تحية العَلَم: حيث يقوم أفراد الجيش أو الشرطة أو طلاب المدارس أو الفرق الرياضية بإداء التحية العسكرية لقطعة قماشٍ تسمّى عَلَم الدولة، ويصبح العَلَم في هذه الحالة كأنه صنم تجري له العبادة بهذه الكيفية.

(ب) السلام الجمهوري: أو الملكي أو الأميري حيث يكون لكل دولة فرقة موسيقية معيّنة، إذا عزفتْ كان على رئيس الدولة والمستمعين والضباط الحاضرين والجنود أن يؤدوا التحية كلٌ بأسلوب خاص، إذ لذلك طقوس معروفة فتحية السلاح غيرها بالنسبة لغير حامل السلاح، ومن كان لابساً على رأسه كانت له تحية مغايرة عمن كان حاسر الرأس وهكذا.

(ج) تحية قبر الجندي المجهول: ولذلك طقوس معلومة تؤدى في أوقات معلومة، ومن هذا القبيل حيث يزور رئيس دولة دولة أخرى، فإنه قد يزور قبر مؤسس هذه الدولة أو قبر أحد زعمائها، وقد يكون هذا من أعدى أعداء الإسلام فيؤدي أمام القبر أيضاً طقوساً معينة. وهنالك أنواع كثيرة من هذه الطقوس تُجرى في كل الدول وكلها أنواع مختلفة من الشرك.

قواعد التكفير

القواعد التي اعتمدنا عليها في هذه الرسالة لتكفير الناس ثلاث هي:

١ ـ القاعدة الأولى: إن الإيمان بالله يقتضي بأنه وحده الذي يرسم منهاج الناس وشرائعهم، وعلى البشر أن يسيروا وفق ما شرع الله، وإلا فهم كفار فمن رفض هذه القواعد فهو كافر، وكل من نصَّب نفسه للتشريع أو رسم منهاجاً للحياة فقد نصَّب نفسه إلهاً، ومن رضي بهذه التشريعات أو المناهج فقد عبد رباً غير الله فأصبح كافراً كذا قطعياً، إذ جعلها بديلاً لمنهج الله وشريعته، أو مشركاً إذاً بجزء من شريعة الله ومنهاجه وبجزء آخر من شريعة أو منهج غير منهج الله وشريعته. وعلى هذا كفَّرنا الحكومات لأنها اتخذت شرائع ومناهج بديلة لمنهج وشريعة الله ولنفس السبب كفَّرنا الأحزاب والجمعيات والمبادىء. ولعل من الناس أن ينصت قليلاً في هذا المقام القول عن بعض المبادىء لتتضح الصورة. ولقد فكرنا سابقاً أن الديمقراطية تتناقض من حيث الأصل مع الإسلام، فالإسلام يقصر التشريع على الله وفق ما جاء في الكتاب والسنة، أما الديمقراطية فتجعل التشريع من حق الشعب، فللشعب أن يحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء وفق ما تقرره الأغلبية سواء عن طريق البرلمان أو الاستفتاء أو عن أي طريق آخر وفق ما هو مرسوم في الدساتير، فإذا قررت الأكثرية أن الخمر حلال أصبح حلالاً وإذا قررت أن اللواط حلال أصبح حلالاً وإذا قررت أن الإرث يوزع بطرق معينة وزّع على تلك الطريقة ولو كانت مخالفة للإسلام. وباستطاعة هذه الأكثرية أن تلغي شريعة الله أو تستبقي منها ما تشاء، في حين أن أصل الإسلام قائم

على أن ما أحله الله فهو الحلال وما حرمه الله فهو الحرام وليس لأي سلطة في الأرض أن تخالف أمر الله فكيف تتفق الديمقراطية مع الإسلام؟

والاشتراكية مثل آخر، فالإسلام ينص على أن المال مال الله والناس مستخلفون فيه فليس لهم التصرف فيه إلا وفق ما أمر الله لأنه هو مال الله، بينما ترى الاشتراكية أن المال مال المجتمع والدولة (التي يسيرها الحزب، أو الديكتاتور الحاكم أو الحكومة... إلخ) هي صاحبة الحرية في التصرف في المال وليس الأفراد والأصل ألا يملك الأفراد في المستقبل البعيد. في حين ترى الرأسمالية أن المال ملك الأفراد يتصرفون فيه وفق ما يشاؤون ولا حق لأحد حتى الدولة أن تتدخل في هذه الحرية (أصل المبدأ هكذا)، فكل من الاشتراكية والرأسمالية إذا تناقض الإسلام في أصلها ولذلك ستختلف الفروع في ذلك حتما، وليست القضية متوقفة على إقتصاد، فالذين يتصورون أن الاشتراكية أو الرأسمالية هي الاقتصاد فقط فهم تافهو التفكير، إذاً إن لكل منهما مبدأ شاملاً بجميع أمور الحياة الاقتصادية وغيرها، لأن أمور الحياة متعلقة بعضها بالبعض الآخر فكل قضايا الحياة ناشئة من الأصل الذي ينبني عليه كل منهج، وكما بينا فإن الإسلام يجعل الأصل من الله وحده كما أنزل على رسوله (صلعم) أي (الكتاب والسنة)، في حين أن الرأسمالية تجعل الأصل هو الفرد ولذلك يصبح الأساس وفقاً للحرية الليبرالية التي تنبثق منها الديمقراطية الغربية، فرأي الأكثرية هو الذي يحلل ويحرم ويسرع على أن يبقى الأصل محفوظاً، والاشتراكية ترى أن الأصل هو المجتمع والفرد جزء من المجتمع كالمسمار في الآلة وهذا المجتمع يسير وفق نظرية وضعت من قبل واستخلصت أشياء لها قداسة الأديان بحجة أنها قوانين: وكلاهما ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾. والادعاء بأن الاشتراكية هي الاقتصاد غير صحيح بدليل أنهم حين يتحدثون عن التعليم يذكرون المبادىء الاشتراكية، وحين يتحدثون عن البيروقراطية يحاربونها باسم الاشتراكية، وحين يتكلمون في السياسة عن المعسكر الاشتراكي وهكذا. مثال آخر: فقد نشأت القومية في المشرق العربي معادية للإسلام، ففي النصف الثاني من القرن الماضي كانت الدولة العثمانية تمثل في نظر الناس والعالم (الدولة الإسلامية)، وقد تعاون الاستعمار الغربي مع التبشير الصليبي (الماسونية) على تحطيم الدولة العثمانية، فرأوا أن أحسن وسيلة هي تفتيت وحدة هذه الدولة وأوعزوا إلى الماسونية تبني الحركة الطورانية (القومية التركية) فقام بعض الضباط والشبان الأتراك الذين درسوا في الغرب وتشيعوا بالنفاق والثقافات الغربية وكانت نزعة التدين عندهم غير حقيقية بتشكيل حزب الاتحاد التركي الذي قام بانقلاب ضد السلطان عبد الحميد وبدأ يحكم الشعوب الإسلامية بطريقة جديدة غير الطريقة الإسلامية، تعتمد على استعمار الأتراك للشعوب الأخرى واتباع سياسة التتريك المشهورة. في الوقت نفسه، أوعزوا إلى النصارى في بلاد العرب تبني حركة القومية العربية، وانشئت الجامعة الأمريكية في بيروت التي طرحت زعماء المنطقة فيما بعد لغرض إحياء هذه النغمة الجاهلية. ولهذا لا نستغرب إن كان معظم زعماء القومية العربية في هذه المنطقة من النصارى من آل اليازجي والبستاني وزرين ثم كان كل رؤساء الأحزاب القومية من النصارى مثل ميشيل عفلق وجورج حبش وانطون سعادة من النصارى. وكذلك كان الصف الثاني من قيادات هذه الأحزاب. وقد عقد أول مؤتمر للأحزاب القومية سنة ١٩١٣م في باريس، وتبنى الاستعمار الانكليزي والفرنسي هذه الحركات وصرف عليها من الأموال مما أصبح معروفاً في كل كتب التاريخ، وحين قامت أول ثورة للقومية العربية للشريف حسين (جد الملك حسين ملك الأردن حالياً) كان القائد الحقيقي لها هو لورانس الإنجليزي[٥٣] المشهور في التاريخ، وكانت كل أسلحتها وأموالها من انجلترا وأصبح زعماء هذه الثورة هم زعماء العراق والأردن وسوريا فيما بعد. وقد كان خط هذه القومية علمانياً واضحاً لا لبس فيه حتى قال أحدهم في كتاب صدر في القاهرة في عهد عبد الناصر: (نحن لا نحارب اسرائيل لأنها قامت على أساس قومي، وإنما نحارب اسرائيل لأنها قامت على أساس ديني، وسنحارب كل دولة تقوم على أساس الدين حتى لو كان هذا الدين هو الإسلام نفسه). وحين ركب جمال موجة القومية العربية بتأثير القوميين في المشرق العربي بعد أن أشبعوا غروره بالزعامة سار على الخط العلماني نفسه، فحارب الحركة الإسلامية

حرباً لا هوادة فيها، وإن لم يكن هو في حد ذاته قد وصلت عنده القومية العربية إلى حد العقيدة كما عند القوميين المشارق، لأنه كان يتخذها مطية لأطماعه في حين أن أولئك يتخذونها عقيدة بديلة لعقيدة الإسلام. على أن القوميين غير الحزبيين (وهؤلاء لا قيمة لهم لقلة تأثيرهم) لم يصلوا كلهم إلى حد العلمانية، فقد رأى الكثيرون أن الدين هو أحد مقوّمات القومية وهذا في حد ذاته كفر لأن الدين يرفض أن يكون جزءاً من كل بل هو الكل وما عداه تافه، وهؤلاء قالوا ذلك لأنهم نصروا الدين على المعنى النصراني وهو العبادة بالمعنى التقليدي وهذا كفر كما بيَّنا. على أن العرب في المغرب العربي لا يفهمون القومية العربية بهذا المفهوم إذ أنها نشأت هناك للمحافظة على الكيان العربي ضد الحركة الفرنسية، ولذلك كانت مقرونة بكلمة الإسلام ولكن «أكفان التسمية»[٥٤] أوجد لبساً في أذهانهم لا أظنهم تبينوه حتى الآن. والقومية بمعنى الانتساب إلى قوم معيَّن أمر لا غبار عليه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾[٥٥]. فانتساب الإنسان إلى قبيلة أو شعب أو وطن أو قومية مسألة طبيعية، وليست هذه العقبة هي التي تنبثق عنها السياسات المختلفة، وبذلك تصبح عقيدة التركي منبثقة من الكردية وليس من الإسلام، وعقيدة العربي من القومية العربية وليس من الإسلام وهذا هو الكفر الصريح. وقل ذلك على كل المبادىء التي تحدثنا عنها فكلها في أصولها مخالفة للإسلام، ولكن هل يحرم التشريع في الدولة الإسلامية نهائياً؟ وماذا يعقل أمام القضايا المستجدة التي لم يتطرق إليها الكتاب ولا السنة؟ وهل يعقل أن توضع تشريعات ثابتة لكل زمان ومكان مع اختلاف هذه الأزمنة؟: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[٥٦]، فما جاء في كتاب أي إنسان كائن من كان أن يتدخل في هذا النظام. أما ما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل من مهمة ولي الأمر أن يشرع فيه وفقاً للأسس الإسلامية. وتشريعات ولي الأمر ليست ملزمة لمن بعده ـ ولا إلزام في الإسلام إلا للكتاب والسنة ـ فيجوز لولي الأمر أن يبدل تشريعات من سبقه نظراً لتغيير الظروف والأحوال، فليس في الإسلام كهنوت كما توهم كثير من الدعاة لنظم جامدة مفصلة لكل العصور، إنما هناك المبادىء التي وردت في الكتاب والسنة وهذه المبادىء هي الثابتة أما بقية هياكل النظم فمتغيرة بتغير الزمان والمكان والظروف، فلا يوجد هناك شيئاً اسمه النظام السياسي الإسلامي أو النظام الاقتصادي الإسلامي أو نظام التعليم الاسلامي لأنه لو وجد مثل هذا النظام لأصبح ملزماً لكل العصور ولا يجوز الخروج عليه وهذا ما لا يقول به مسلم، إنما هناك مبادىء السياسة ومبادىء الاقتصاد ومبادىء... إلخ، أي نظام يطبقها فهو نظام إسلامي. وحتى يكون الأمر واضحاً أضرب مثلين:

في السياسة مثلاً لم يضع الإسلام نظاماً محدداً لا يجوز الخروج عليه، حيث يحدد شكل الحكومة وسلطاتها وكيفيةالعلاقة بين هذه السلطات هل هي مركزية أو لا مركزية، بل إن رئيس الدولة نفسه لم ينص الإسلام على طريقة معينة لاختياره... فالرسول ﷺ ترك الأمر للمسلمين فانتخب أبو بكر بطريقة معينة واختير عمر بطريقة مختلفة وانتخب عثمان بطريقة ثالثة وأصبح علي خليفة بطريقة رابعة وهكذا...

وحينما كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك قيل له إنهم لا يقبلونها إلا إذا كانت مختومة فاتخذ الخاتم. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه استعار نظام الدواوين من الفرس وبقيت تُكتب باللغات الفارسية والرومية والقبطية إلى زمن عبد الملك بن مروان، وكذلك لم يكن للدولة الإسلامية عملة معينة إنما كانت تستخدم عملات دولة الكفر إلى زمن عبد الملك أيضاً. والاسلام قرر مبدأ الشورى ولكن لم يحدد إطلاقاً أسلوب الشورى، فأي نظام يحقق الشورى فهو نظام إسلامي ومن يدعي أن هناك مجلساً دائماً للشورى كان موجوداً في زمن الخلفاء فهو قليل العلم لا يؤيد به، نفس الكلام يقال عن النظام التعليمي فلا يوجد بالإسلام نظام خاص بالتعليم حددت فيه مراحل التعليم والمناهج لكل مرحلة والتخصصات الواجب توافرها وكيفية إعداد المدارس، وهل التعليم مجاناً أو بمصروفات؟ وهل توجد طريقة إسلامية خاصة لمحو الأمية؟... إلخ.

كل هذا لا يمكن أن يحدده الإسلام حتى يفسح المجال للتغيير وفقاً للزمان والظروف، فكل نظام

تعليمي يحقق مبادىء الإسلام فهو نظام إسلامي. وقل مثل ذلك عن النظام الاقتصادي وغيره من نظم الحياة.

المطلوب إذن هو تطبيق ما ورد في الكتاب والسنة فأي نظام حاكم يطبق ذلك فهو نظام إسلامي، وأي نظام لا يطبق ما ورد في الكتاب والسنة فهو نظام كفر ولو سُمي نظاماً إسلامياً، فليست العبرة بالتسمية وإنما بالتطبيق.

القاعدة الثانية

إن الإسلام كل متكامل منْ آمن ببعضه وترك البعض الآخر فهو كافر به، ولا خلاف أن من أنكر آية واحدة من القرآن فهو كافر، فكيف بمن ترك مبدأ كاملاً من الإسلام أو شطراً كبيراً منه فهو كافر لاشك فيه، وهذه قضية مع وضوحها وضوح الشمس وظهورها وعدم الاختلاف فيها، مدار نقاش لدى كبار العلماء المعاصرين. ولا خلاف في أن الإسلام هو ما ورد في الكتاب والسنة فالذي يقرأ القرآن لأول وهلة يرى أنه لم يقتصر على العقائد أو الشعائر فقط بمعناها المتداول، وإنما تدخل في شئون الحياة المختلفة التشريعية والقضائية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فالقرآن الذي قال: ﴿أقيموا الصلاة﴾[٥٧] هو نفسه قال: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾[٥٨] والذي قال: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[٥٩] أي المال هو نفسه قال: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[٦٠]، وهو الذي قال: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾[٦١]، وهو الذي قال: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾[٦٢]، وهو الذي قال: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[٦٣]، فمن ترك آية من هذه الآيات وأمثالها كمن ترك الأولى[٦٤]. والقرآن كله كلام الله وكله ملزم، فمن أراد برأيه أن يقتصر الإسلام على العقيدة أو الشعائر أو الأخلاق فقد كفر بالإسلام كله لأننا إذا قطعنا رأس إنسان لا نقول إن الباقي ـ إنسان، لا، وكذلك إذا قطعنا قلبه أو رئتيه أو أمعاءه، ونفس هذه الحالة موت له كله مع أننا لم نأخذ منه إلا جزءاً يسيراً. كذلك فالإسلام جسم واحد من كفر بجزء منه كفر به كله، ولا خلاف في ذلك ـ كما قلت ـ ولهذا كفرنا من قصر الإسلام على العبادة وأعطى الحرية لنفسه لأن يختار النظام الذي يريده للحياة أو حارب تدخل الإسلام في السياسة.

القاعدة الثالثة

إننا نحكم على الإيمان بثلاثة أركان كما يقول السلف: (الإقرار بالجنان والتكلم باللسان والعمل بالأركان)، فإن اختل ركن واحد من هذه الأركان حكمنا بالكفر. ومع أنه لم يكن هناك خلاف بين السلف في ذلك إلّا أننا نجد المتأخرين يغفلون عن هذه القاعدة ويقصرون التكفير على الاعتقاد فقط، أو الكلام معه أحياناً، ولكنهم يهملون جانب العمل إهمالاً كاملاً. في حين إننا نخالفهم في ذلك على طول الخط، فالعمل عندنا هو الأساس، في حين أننا نخالفهم بموجبه، أما الاعتقاد فلا نستطيع أن نعلمه، إنه بين الإنسان وربه والله يحاسبه يوم القيامة. نحن هنا كالحاكم يحكم بموجب الأدلة وليس على حقيقة الموافقة لأنه لا يعرفها، والقاضي في هذه الحالة غير آثم لكن الله تعالى يوم القيامة يقضي وفق الحقيقة.

لقد كان الإسلام في البداية دين عمل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٦٥]، ويندر أن تجد آية: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وارد فيها و: ﴿اعملوا الصالحات﴾، والآيات تستنكر القول دون العمل، ﴿لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[٦٦]، ثم تغيّرت الصورة تدريجياً واحب الحكام التحلل من العمل ووجدوا من العلماء من أظهر لهم الفتاوى بهذا، وبهذا قلت أهمية العمل وارتفعت قيمة القول حتى وصل الأمر إلى أن العلم الذي وضعه العلماء للعقيدة سُمِّي (علم الكلام)، وأصبح العلماء يقرأون كتب الفقه وهم يرونها غير مطبقة فلا يؤثر ذلك في نفوسهم. فما فائدة أن أقرأ المجلدات في قطع يد السارق وأقرأ الأدلة الشرعية وأقوال الفقهاء والمفسرين والمحدثين والأصوليين في

ذلك، وأخوض المناقشات الحامية وفي النهاية لا تُقطع يد السارق. إنها محنة استمرت مئات السنين حتى أصبحت إرثاً في الوقت الحاضر تشبعت بها الأجيال، فنجد الحاكم يصرح التصريحات الرنانة ويعمل ضدها فيسير الناس على قوله ويتركون عمله وهذه الجريمة تاريخية يجب أن تتوقف إن العمل عندها هو المقياس للإيمان والكفر في الدنيا، أما الاعتقاد الداخلي فلا تعلمه والله يتولاه يوم القيامة، فنحن نحكم على المنافق بالإيمان في الدنيا ونعامله معاملة المسلمين مادام يعمل عملهم وإن كان في حقيقته أشد كفراً من الكفار ومصيره جهنم. فالحكم في الدنيا غير الحكم في الآخرة، ونحن ما أُمرنا أن نشق على قلوب الناس، مثلنا في ذلك مثل القضاة فما دامت العقيدة القلبية خافية علينا فلا يبقى أمامنا إلا القول والعمل. اختار قوم القول واخترنا نحن العمل مع القول دليلاً على الإيمان في الدنيا، واعتبرنا أن القول إذا خالف العمل فذلك سخرية من عقولنا نرفضها رفضاً قاطعاً. وقد بيّنا سابقاً أن مجرد القول ينبني عليه ان منْ قرأ كتاباً فيه الشهادتان يصبح مسلماً بمجرد قراءتها، وهذا ما لم يقله أحد من المسلمين، مما يدل على أن القول وحده ليس دليلاً على الايمان بالاحتجاج بالأحاديث الصحيحة وخاصة حديث أسامة بن زيد الذي قتل رجلاً شهد الشهادتين فعاتبه النبي ﷺ بقوله: «ألا شققت عن قلبه» فهذا الحديث صحيح ولكن الذين استشهدوا به لم يفرقوا بين الحالتين:

الحالة الأولى: إن دخول الإنسان للإسلام لا يكون أساساً إلا بالقول ولكن...

الحالة الثانية: إن استمرار هذا الكلام لا يتم إلّا بالانقياد لحق الشهادتين وهو اتباع الكتاب والسنة، فإذا لم ينقد لم يفده القول الأول واعتبر رجلاً مستهزئاً بعقول المسلمين: إن هذه الميوعة في العقيدة قد ألغت الفروق بين المؤمنين والكافرين، في حين أنه يجب أن يتميز بوضوح أعضاء حزب الله عن أعضاء حزب الشيطان.. أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان.. عباد الله عن عباد الطاغوت.. إننا اليوم لا نجد فرقاً بين هؤلاء وهؤلاء مما يجعل المعركة بينهما مستحيلة مع أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، إننا نجد المتدينين إلى جانب الملحدين في حزب واحد، كلاهما يتفقان في جميع الأفكار والاتجاهات بل ويقفان صفاً واحداً ضد الحركة الإسلامية التي تطالب بالحكم بما أنزل الله، ويصفانها بأبشع النعوت. فما الفرق بين هذا المتدين وهذا الملحد؟ إننا نجد المتدين اليوم يتقبل ببساطة أن يكون الملحد أو المسيحي مثلاً وزيراً أو ضابطاً كبيراً في الجيش إذا كان مواطناً من مواطني الدولة، لكن يستنكر أن يكون مسلما من مواطني دولة أخرى مما يدل على أن الرابطة الوطنية عقيدة أقوى من الرابطة الإسلامية. إننا نجد المتدين القومي العربي اليوم يسير تحت راية حزب قائده مسيحي أو ملحد لأنه عربي، لكن يرفض أن يكون من صفوف حزبه عضو غير عربي حتى لو كان مسلماً فهو يفضل القومية على الدين. إننا نجد كبار العلماء لا يعترضون على زواج الملحد بالمتدينة أو المتدين بالملحدة، ويصلون على كليهما ويورثون أحدهما من الآخر، معتبرين الجميع مسلمين مع أنه لا خلاف أن الملحد كافر.

وهذه الميوعة هي سبب عدم نهضة الإسلام، إذ أن الحركة الإسلامية خافت حمل السلاح للجهاد في سبيل الله ظناً منها أن الناس مسلمون، ولا نجاح اطلاقاً بدون جهاد.

لقد ركز الإسلام في بداية الدعوة على الإيمان (العقيدة) في كل السور المكية، فلما تركز الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر لم يكن هناك حاجة للاقتناع بصلاحية هذه التشريعات، وعلينا إذا أردنا النجاح أن نركز معاني الإيمان قبل كل شيء، فإذا نجحنا في ذلك سهل كل شيء آخر أما السير بالعكس فلن يؤدي إلى نتيجة.

قد يوجد عندنا مفكرون مسلمون يصلحون للجدل والنقاش، وقد يكون لدينا رأي سلبي غير إيجابي ليست عنده روح الجهاد والاستشهاد والجنة، وإنما نحن نريد مؤمنين يقودهم علماء مؤمنون ولا نريد علماء ينقصهم الإيمان ويرتبطون بالدنيا ومغرياتها.

والحمد لله رب العالمين...

هوامش الوثيقة الأولى

(١) أي بعد قيام الدولة الإسلامية واستقرار الحكم والتشريع (وهذا القول لصالح سرية، هذا ويلاحظ أن الهوامش المرفقة جميعاً من وضع د. صالح سرية نفسه).
(٢) **القرآن الكريم**، «سورة لقمان»، الآية ١٣.
(٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٥٤.
(٤) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٦٧.
(٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآيات ٤٤، ٤٥، و٤٧.
(٦) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ٣٣.
(٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٣١.
(٨) سابقاً، فهي الآن بلاد جاهلية.
(٩) **القرآن الكريم**، «سورة الزمر»، الآية ٣.
(١٠) وعلى ذلك يفسر تركيز الشهيد سيد قطب على هذه النقطة تركيزاً شديداً في: **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥).
(١١) **القرآن الكريم**، «سورة التحريم»، الآية ٦.
(١٢) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٤٩.
(١٣) المصدر نفسه، «سورة الشورى»، الآية ٢٩.
(١٤) المقصود هو اذاعات الدول المسماة بالإسلامية والإسلام منها براء.
(١٥) **القرآن الكريم**، «سورة السجدة»، الآية ١٦.
(١٦) المصدر نفسه، «سورة الحديد»، الآية ١٦.
(١٧) على ان تكون أحاديث محققة ومخرجة وان ينقى مما فيه من الاسرائيليات.
(١٨) **القرآن الكريم**، «سورة فاطر»، الآية ٢٤.
(١٩) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١٦٤.
(٢٠) ميشيل عفلق هو نصراني ومؤسس حزب البعث العربي.
(٢١) جورج حبش نصراني الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهو ماركسي. (هذه التوصيفات من أقوال د. صالح سرية نفسه ـ معد الوثائق).
(٢٢) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران»، الآية ٣١.
(٢٣) المصدر نفسه، «سورة الاحزاب»، الآية ٢١.
(٢٤) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٥١.
(٢٥) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٦١.
(٢٦) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٤.
(٢٧) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٧٥.
(٢٨) (اعملوا فكل مُيسَّر لما خلق له) جزء من حديث صحيح.
(٢٩) **القرآن الكريم**، «سورة الإسراء»، الآية ٤٣.
(٣٠) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٤٥.
(٣١) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ٣٣.
(٣٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٦٥.
(٣٣) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب»، الآية ٣٦.
(٣٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٩ ـ ٥٠.
(٣٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٤.
(٣٦) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٥.
(٣٧) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٧.
(٣٨) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٤٤.
(٣٩) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ٩٠.
(٤٠) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٨.

www.booksMall.net

(٤١) المصدر نفسه، «سورة الإسراء»، الآية ٢٣.
(٤٢) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٤.
(٤٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٨٥.
(٤٤) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٢٨.
(٤٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٥١.
(٤٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٠٤.
(٤٧) مثال ذلك كمال أتاتورك الذي أسقط الخلافة الإسلامية في تركيا.
(٤٨) **القرآن الكريم**، «سورة النساء»، الآية ١١٥.
(٤٩) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٢٤.
(٥٠) المصدر نفسه، «سورة الذّاريات»، الآية ٥٦.
(٥١) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٨٥.
(٥٢) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٨٩.
(٥٣) المسمى لورانس العرب.
(٥٤) «اكفان التسمية» المقصود بها تلك الكثرة الكاثرة من الأسماء المخترعة التي تجعل الفرد في حيرة.
(٥٥) **القرآن الكريم**، «سورة الحجرات»، الآية ١٣.
(٥٦) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٥٩.
(٥٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٤٣.
(٥٨) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٩.
(٥٩) المصدر نفسه، «سورة الحشر»، الآية ٧.
(٦٠) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٣٨.
(٦١) المصدر نفسه، «سورة محمد»، الآية ٣٥.
(٦٢) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٥١.
(٦٣) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٥.
(٦٤) أي من ترك آية فكأنما ترك بقية الآيات.
(٦٥) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٠٥.
(٦٦) المصدر نفسه، «سورة الصف»، الآية ٢ ـ ٣.

الوثيقة الثانية

النص الكامل لأقوال واعترافات

شكري أحمد مصطفى «أمير جماعة المسلمين» (التكفير والهجرة)

أمام محكمة أمن الدولة العسكرية العليا (١٩٧٧ م)

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إدارة المحاكم العسكرية

«المحكمة العسكرية العليا»

أقوال شكري أحمد مصطفى المتهم الأول في القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م أمن دولة عسكرية عليا بمحضر جلسات بالمحاكم بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٧٧م.

وجهت المحكمة السؤال التالي:

س: وضّح فكرك وفكر جماعتك بشأن اعتزال المجتمع؟

ج: ردّ شكري: بأنه يعترض على وجوده في جلسة لا يشترك فيها سائر إخوانه في الجماعة.

ثم أضاف قائلاً: وان كنت قد قررت الكلام في فكر إسلامي حيث أعتقد أن ذلك فريضة عليّ، ولكن كان هذا القرار بالأمس[1] بتحفظ أريد أن أذكره هنا.. هو أن أتمكن من ناحية الوقت من عرض فكري عرضاً غير مخلّ، وأن يكون اختصاري في هذه الحدود أي عدم الإخلال. ثم قال: إنه سيبدأ بمقدمة لموضوعه، وأول هذه المقدمة:

إن فكر الجماعة قد سبق أن كتبته في حوالى أربعة آلاف صفحة وهي كلها الآن في حوزة مباحث أمن الدولة والنيابة العسكرية. وبالمناسبة، فإني أرى من حقي أن تعاد لي هذه المكتوبات، وهي مشتملة على الكتب التالية:

أولاً: كتاب كبير في موضوع الإصرار، وردٌّ تفصيلي على تأويلات المنتسبين لمذهب أهل السنة، وهذا الكتاب أخذ مني عام ١٩٧٣ في مباحث أمن الدولة، وهو عبارة عن إحدى عشرة كراسة حوالى سبعمائة صفحة.

ثانياً: كتاب يتكلم عن أسلوب الحكم على الأفراد والمجتمع وهو مشهور باسم **التبيّن**. وهذا أيضاً أخذ مني عام ١٩٧٣ ولعله أيضاً في مضبوطات عام ١٩٧٧ ويحتوي على حوالى مائتي صفحة.

ثالثاً: كتاب يصلح أن يكون مقدمة لأصول الفقه، كما أن فيه ردوداً على أصول الشبهات التي تعترض على فكرنا وهو حوالى خمسمائة أو ستمائة صفحة ولم يُستكمل بعد.

رابعاً: مقدمة صغيرة جميلة لإيجاب الاجتهاد وتحريم التقليد ولم يُستكمل.

خامساً: كتاب يتكلم عن الجانب الإيجابي في الإسلام وحده ونواقضه، ولعله أيضاً في حوزة النيابة العسكرية وهو حوالى مائة وخمسين صفحة، يُعتبر تلخيصاً موضوعياً لهذا الأمر.

ذلك عدا كتابات لغيري أهمها كتابات ماهر عبد العزيز السياسية، والتي تتناول الموقف السياسي الشرعي للجماعة وللأوضاع العالمية والمحلية. وكذا كتاب **الحكم** يتناول موضوع الحكم بما أنزل الله وإيجابه لعلاء الدين علي رضا وكتاب **الهجرة** له وأيضاً **كتيبات أخرى لنا وأهمها وآخرها كتاب الخلافة**[2] لي أنا وهو يتكلم عن الغاية من جهد الجماعة المسلمة من الناحية الشرعية التكليفية وأسلوب بلوغ هذه الغاية أيضاً من الناحية الشرعية... هذه أول نقطة في المقدمة.. والنقطة الثانية في المقدمة: إن حديثي هذا عن الإسلام وهو كما علمت قد يبلغ جهات للرد عليه.

فأريد أن أقر أنه: لن تستطيع هيئة ما أن ترد على فكرنا، ذلك أننا قد اشترطنا على أنفسنا أن تكون أدلتنا في موضوعنا كله أدلة قطعية الدلالة ليس فيها احتمال لترجيح مطلقاً. وقد سبق في الفطرة البشرية أن الدليل القطعي لا يمكن أن يبطل. وحيث إن اليقين لا يزول إلا بيقين، فإننا على سبيل الافتراض الجدلي نطلب منهم، مقابل عشرات الأدلة التي سنسوقها قطعية الدلالة، دليلاً واحداً متصل السند إلى الله سبحانه وتعالى قطعي الدلالة. وما هو بممكن.. وأقرر الآن أنه: ليس في طوقهم أن يأتوا بدليل واحد قطعي الدلالة متصل السند بالله سبحانه وتعالى يرد على ما نقول. وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة. أما بخصوص الاعتزال فأنا اعتبره ثمرة... مجرد ثمرة من نتاج الفكر الإسلامي كله والسنن الربانية الشرعية كلها. وعليه، فإنني أقرر أنني لن أستطيع البدء بالرد على موضوع الاعتزال ولا على نظائره من التطبيقات الأخرى إلا بعد استعراض فكري الإسلامي من أصله في حدود الاختصار الذي لا يخل بسوق الأدلة على النحو الصحيح.

قالت المحكمة: نعم... قل فأوجز... وتابع شكري إجابته فقال: أبدأ الآن بإعطاء فكرة عن هيكل الموضوعات التي سأتكلم فيها، وهي على سبيل التحديد ثلاثة موضوعات كبيرة...

أولها: ما يتصل بإيجاب التماس الهدى والعلم من الله وحده، وإبطال كل ما يُسمّى علماً وليس بعلم مما لا يتصل سنده بالرب تبارك وتعالى.

ثانيها: ما يتصل بحد الإسلام... يعني: تبيّن الهدى ذاته بعد أن بينا مصدره.

وثالثها: ما يتصل بتحديد الغاية الإسلامية وأسلوبَ السعي إليها بالطريقة الشرعية، هذا وقد يتعين علينا في عرض هذه الموضوعات الثلاثة الرد على بعض الشبهات. والآن نبدأ الموضوع الأول وعنوانه إيجاب التماس الهدى والعلم من الله وحده، وتحريم كل ما يسمى بعلم وليس بعلم إن لم يتصل سنده بالرب تبارك وتعالى.. فنقول: إن أول الأدلة على هذا الحق هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾[٣]. وأمرنا لنسلم لرب العالمين، وإضافة الألف واللام على كلمة «هدى» يدل في اللغة على الاستيعاب، وبالتالي فلا هدى إلاّ هدى الله، وقال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[٤]، فهو دليل قاطع على أنه لا علم إلا من عند الله. وقول الله سبحانه وتعالى على لسان الملائكة حين سألهم: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾[٥]، قالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[٦]، وثانيهما تنزيه الله عن خلاف ذلك بقولهم «سبحانك». ونقتصر على هذه الأدلة في هذا الوضع وينبني على ذلك دلالة قطعية في أن كل ما يسمى علم ثم لا يكون متصل السند بالله تعالى فلا يكون حينئذ إلا ظناً وهوى، ونقتصر على قوله تعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس. ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[٧]، وموضع الاستشهاد هو قوله «إن يتبعون»، وهذا يدل في اللغة على الحصر، ويدل على أن كل من لا يأخذ الهدى من ربه فلا يكون ما يقوله إلا ظناً وهوى... هذه أول قضية...

ثم قال: الآن أتكلم... فأسأل: كيف يتصل سند الهدى بالله تعالى...؟ يقول تبارك وتعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[٨] وهذا يدل على أن مواضع الهدى لم تعد الخلق والأمر. وكذا قوله سبحانه وتعالى على لسان موسى حين سأله فرعون ﴿فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[٩]، وهذا بيان شامل لمواضع الهدى وهذا الخلق، ثم ما يتبعه بالسير في طريق بعينه وهو الهدى الذي شمل الأشياء جميعها. فإذا أردنا أن نفصل الخلق والأمر ونوضحه فلا تعدو أن تكون أربعة أشياء:

أولاً: الفطرة التي فطر عليها الإنسان وهي من خلق الله، ولابد أن تكون قد خلقت بالحق ففيها الحق.

ثانياً: السموات والأرض وما فيهن، وهي أيضاً خلقت بالحق وسيّرت بالحق ليس فيها ذرة باطل.

ثالثاً: الرسل التي أرسلها الله (الوحي ـ السنة ـ الحكمة).

رابعاً: الكتب التي أنزلها الله (القرآن).

... ونجزم بأنه لا علم ولا حق إلا في هذه المواضع الأربعة... أما بخصوص الفطرة فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾[١٠].

وهذا إلهام الحق ويقول: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[١١] ونجتزىء بقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[١٢] ففيها دلالات قاطعات على أنه سمّى الفطرة ديناً، بل هي الدين بلفظ القرآن، وأنها غير قابلة للتبديل وأنها خلاف العلم بقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، فهذا إثبات أول جانب من جوانب إثبات أن الفطرة خلقت بالحق وأنها موضع احتجاج المحتجين. ونضرب أمثلة يسيرة على ما في الفطرة من حق: «فمثلاً» يجتمع الناس على أن السكّر حلو، فهذه قضية لا يختلف اثنان فيها حين المذاق لأنها تستند إلى الفطرة، وقضية أن قتل الإنسان بغير حق ظلم وشر لا يختلف عليها اثنان، وقضية التفرقة بين الجمال والقبح لا يختلف فيها اثنان من حيث استحسان الجمال وتقبيح القبيح، وقضية أن لكل مخلوق خالقاً قضية لا يختلف فيها اثنان.

وقضية أخرى أن فاقد الشيء لا يعطيه، بديهية. كذلك: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، بديهية، ولا يثبت بالقرآن والسنة بل والربوبية والألوهية إلا بمخاطبة الفطرة واستناداً إلى ما فيها من بديهيات. فيقال مثلاً في القرآن: ﴿أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[١٣] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[١٤] وهذه الفطرة متصلة السند بخلق الله تبارك وتعالى مباشرة، وبها نحتج...

ما يتصل بخلق السموات والأرض وما فيها من سنن الحق وأنها فيها الاحتجاج: ونجتزىء بقول الله تبارك وتعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[١٥] وموضع الاستدلال واضح وخلاصته أن ما خلقه الله وفصله فيه آيات ـ يعني براهين وأدلة ـ تصلح للعقلاء. ونضرب أمثلة يسيرة على ما في السموات والأرض من صور مثل حجة لنا وعلينا خلاصتها، السنن الثابتة التي نتعامل على أساسها: كخروج الشمس من المشرق وغروبها من المغرب، سنّة ثابتة نتعامل على أساسها، وما يسمونه بقانون الجاذبية وقانون الطفو والأفلاك الدائرة في مدارات بعينها والحساب المتصل بدوران هذه الأفلاك.

ما يتصل بالكتاب، فهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾[١٦] نجتزىء بذلك.

وفيما يتصل بالرسول قول الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علّمه شديد القوى﴾[١٧] وفي نفس الموضوع نناقش وجوب النظر والتفكير والاجتهاد وتحريم التقليد بغير معرفة دليل، قال تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا﴾[١٨]، فأوجب التفكير على كل واحد من خلقه. وقال: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾[١٩] ولفظة «بل» في اللغة تدل على مخالفة ما بعدها عما قبلها، وكذا قول الله تبارك وتعالى في مواضع كثيرة: ﴿أفلا تبصرون﴾، ﴿أفلا تعقلون﴾. وفي مجال تعطيل الحواس والفهم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس. لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون[٢٠].

وفي تحريم الاتباع بغير دليل نجتزىء بقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا. أوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[٢١]، ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء. صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[٢٢] وفي هاتين الآيتين يبدو الكافرون كمن يرد شيئاً لا يسمعه. وحجتهم ﴿إن نتبع إلا ما ألفينا عليه آباءنا﴾.

والعنوان الجديد في نفس الموضوع أن منهاج الإسلام يعتمد على المطالبة بالدليل والحجة، وليس على إغلاق باب النقاش باللغو والسخرية والادعاءات. فيقول تبارك وتعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[٢٣]، ويقول: ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾[٢٤]. هذا، وقد قرر الإسلام أن ليس للإنسان إلا ما سعى وقرر أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، وهي أدلة قاطعة على تحريم أخذ رأي بدون بذل مجهود.

ومما لاشك فيه أن المقلد بغير سؤال عن دليل لم يجتهد أي اجتهاد ولم يسمع. ثم قال: والآن نتكلم عن تعريف ما يسمونه بالتقليد، وخلاصته في كتبهم أنه اتباع للمقلد من غير سؤال عن دليل. وإلا فلو كان إنسان يتبع إنساناً بعد سؤاله عن دليله فهذا ليس هو التقليد المذموم، وبه نأخذ.

ونحب أن نلمح إلى نبذة تاريخية بسيطة عن التقليد، حيث قد أورد صاحب كتاب **الفقه على المذاهب الأربعة** كلاماً عن بعض المؤرخين كابن جرير الطبري وابن خلدون وغيرهما يثبتون إجازة التقليد، بل إيجابه في القرن الرابع الهجري. وخلاصته أن الدولة المسماة إسلامية في ذلك الوقت قد حرّمت على منْ لم يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة تولّي المناصب في الدولة كالقضاء وكالولايات، بل ورفضت شهادته وحرمت التمذهب بأي مذهب آخر، واعتبرت من ينوي الاجتهاد أنه خارج عن الشريعة الإسلامية. ونحب قبل أن نترك هذه النقطة أن نذكر الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ في البخاري ومسلم وغيره، الذي يؤرخ لتحول وفساد هذه الأمة بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يخلف من بعد ذلك خلوف يشهدون قبل أن يستشهدوا ويحلفون قبل أن يستحلفوا تظهر فيهم السمانة». ونحب أن ننبه أنه منذ أن تُرك التلقي من القرآن والسنة واقتصر على التقليد للرجال وآراء الرجال الذين يسمونهم الأئمة فإنه قد سقط الإسلام.

وأريد أن أقول أنه منذ أن وضع المصحف في متحف واتبع الرجال بغير دليل فقد تودع من الإسلام في الواقع. ونحن وبمنتهى الصراحة ندين ونسقط كل فقه لم يستمد من الأدلة الشرعية حسب ما ذكر ونحذف كل ما نسب إلى الإسلام وليس منه ونعتبر نسبته إلى الفقه الإسلامي تسمية غير صحيحة. ثم قال: والآن ننتقل إلى مناقشة المقلدين مناقشة منطقية، ووجه سؤالاً: هل هؤلاء الأئمة الذين قلدتموهم واتبعتموهم بغير دليل معصومون من الخطأ سواء في النية أو العلم؟ ونبادر بالإجابة بأنهم ليسوا معصومين[٢٥].

السؤال الثاني: هل أحاطوا بما كان وبما سيكون بحثاً وفقهاً بحيث لا يحتاج إلى مزيد؟

وثالثاً: نسألهم: هل الذي كتبه هؤلاء الأئمة يعتبر من الذكر المحفوظ الذي وعد الله بحفظه؟

ويكفي أن نذكرهم في هذه النقطة بأن المغول قد قلبوا ما كتبه هؤلاء الأئمة في نهر دجلة حتى اسود ماء النهر منه.

ورابعاً: نسألهم فنقول أخيراً: هل كلامهم يُتم شيئاً ناقصاً من كلام الله وسنة رسوله؟

وخامساً: نسألهم: هل كلامهم أوضح وأبين من كلام الله؟

ثم نسألهم أخيراً: فنقول هل كلام الأئمة هؤلاء باللغة العربية؟ إذن هل يحتاج إلى شارح لنا؟

أعني بذلك أنه إذا كان القرآن وهو باللغة العربية يحتاج إلى شارح، إلا أن كلامهم لا يحتاج إلى شارح. وهناك سؤال سأله رجل أظنه الزركشي فقال لهم: هل إجازة التقليد الذي تريدون أن تقنعونا به بدليل أم بغير دليل؟ فإن قلتم إجازته بغير دليل فقد كفيتمونا مؤونة الرد عليكم، وإن قلتم بدليل فقد قلتم إذاً بوجوب إيراد الأدلة وتحريم التقليد: ﴿إن عندكم من سلطان بهذا أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾[٢٦]. ثم قال: والآن نسوق بعض آيات مختصرة تدل على تحريم الأخذ من غير كتاب الله وسنة رسوله، قال سبحانه وتعالى: ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟ قل الله يهدي للحق. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدى إلا أن يهدى. فما لكم كيف تحكمون﴾[٢٧]. وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٢٨] وهذا دليل قاطع على أن الذي يزعم لا يستطيع أن يتدبر في القرآن فإن على قلبه قفلاً. ويقول تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾[٢٩] وقال تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين. اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء. قليلاً ما تذكرون﴾[٣٠]، وقال: ﴿وما اختلفتم في شيء فحكمه إلى الله﴾[٣١]، وقال: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٣٢].

شبهات حول الاجتهاد: ثم قال: والآن نتعرض لما أثاروه من شبهات، ولما اشترطوه من شروط زائدة في الاجتهاد، بقصد صرف الناس عما أنزل الله...

أعني أنهم أرادوا مصادر للهدى غير كتاب الله وسنة رسوله، سموها مرة بالإجماع ومرة بقول الجمهور ومرة بقول الصحابي ومرة بقول الفقيه ومرة بعمل أهل المدينة وهو مذهب مالك. ويقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح. واستشهدوا لنصر هذا الباطل ـ أعني إحلال هذه المصادر محل القرآن والسنة ـ بأحاديث موضوعة وضعيفة كحديث: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وكحديث رواه ابن ماجة وضعّفه (لا تجتمع أمتي على ضلالة. وعليكم بالسواد الأعظم)، وكذا حديث معاذ بن جبل وذكره الترمذي عن مجهول يروي عن مجاهيل من أهل الشام وهو مضعف عند علماء الحديث، ولكن نحن نثبت ضعفه من حيث المتن، ويقول الحديث: «إن النبي ﷺ حين وجه معاذاً إلى اليمن قال له: بم تحكم؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال أجتهد برأيي ولا آلو»، وهم بذلك يريدون أن يثبتوا حجية القياس كمصدر من مصادر التشريع عندهم بعد الإجماع، مع أنه لو صح فلا حجة فيه على القياس، ومن ناحية ضعف سنده فلا نعرف رجلاً من رجال الحديث صحح هذا الحديث أو أنكر في كتب الأحاديث المعتمدة إلاّ في كتاب الترمذي الذي ضعّفه، ولا نعرف أحداً من الفقهاء المعتبرين صحح هذا الحديث من حيث السند إلا ما ورد عن ابن القيم في أحد كتبه، قال ما معناه: (إن هذا قد اشتهر عند الفقهاء). ولا تجد هذا الحديث إلا في كتب الفقه لنصر موضوع القياس أو الاستشهاد لتقديم القرآن على السنة في الاحتجاج، وأنه سيرد على هذه النقطة بالذات وهي: «تقديم القرآن على السنة في الحجة». ونذكر أولاً دليله وخلاصته هو الفارق بين ثبوت القرآن على السنة في الحجة حيث قالوا: «إن القرآن ثابت بالتواتر، والسنة أكثرهابالآحاد، فيقوم ما هو أثبت على ما هو ثابت». ونرد على ذلك ونبطله من وجوه أولها: استحالة أن يحددوا لنا حداً للتواتر، وقد صرح بذلك كل الأصوليين في علم الحديث، نذكر منهم على سبيل المثال: ابن الأثير في مقدمة كتاب **جامع الأصول** وابن تيمية حيث صرح أنه لا حد للتواتر، وأيضاً فإن القرآن فيه آيات صرح فيها زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بأنها ليست متواترة على الحد الذي ذكروه، فحدد آية في سورة الأحزاب وآيتين في آخر سورة التوبة حيث قال: لم أجدهما إلا عند أبي خزيمة الإنصاري الذي جعل الرسول ﷺ شهادته شهادتين برجلين، وأيضاً فإنه يفرق تفريقاً قاطعاً بين الثبوت والدلالة في استنباط الأحكام حيث يجب الأخذ بكل ما هو ثابت قطعي الدلالة، ويجب الجمع بين ما هو ثابت وما هو أثبت منه ما دام كلاهما صحيحاً ولم يتعارضا تعارضاً يستحيل الجمع بينهما فيه، فإن تعارضا يستحيل الجمع بينهما فيه نظرنا إلى الناسخ والمنسوخ، يعني إلى التاريخ قدمنا الأخير مطلقاً بغض النظر عن درجة الثبوت.

(وسألته المحكمة في هذه الجزئية كالآتي:)

س: هل تقول إن السنة اللاحقة تنسخ النص القرآني السابق عليها والمتعارض معها تعارضاً تاماً؟

ج: أقول إنه إذا عرف التاريخ وعرف تأخر السنة من ناحية الزمن على النص القرآني، فقد وجب الجمع بين النصين وإمكانية الجمع موجودة عن طريق النسخ، ويحرم بداهة إسقاط خبر رسول الله ﷺ وقد ثبت صحته بدليل ترجيحي وهو مناط قبول الأخبار حيث لا يوجد نص يثبت صحة خبره بدليل قطعي الثبوت. والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بين القرآن والسنة من ناحية الاحتجاج مطلقاً حيث إن السنة ما هي إلا بيان وشرح وتفصيل للقرآن، وأكثرها وكما هو معلوم ثابت، بل كلها، بنصوص ترجيحية معظمها دون ثبوت القرآن. لو أخذنا بقاعدة أن السنة لا تنسخ القرآن لوجب علينا ومن نفس المنطلق، أن السنة لا تخصص عام القرآن، والتخصص نسخ جزئي، ونضرب مثلاً لذلك: بأن رسول الله ﷺ في حجة الوداع حيث قال: «إني أحرم ملة لا يقطع شجرها ولا شوكها ولا يلتقط ضالتها»، فقام العباس ـ عم رسول الله ـ وقال يا رسول الله: إلا الأذخر، فقال رسول الله ﷺ إلا الأذخر. فالذي حدث أن النبي أطلق عموم الحكم على كل ما في مكة ثم نسخ جزءاً منه أخرجه من الحكم الأول هو الأذخر، فالحقيقة أن التخصيص نسخ

جزئي للحكم. وأيضاً وبنفس الحجة لو لم يجز نسخ القرآن بالسنة فلا نجيز تغيير مطلق القرآن بالسنة، فلا يجوز مثلاً تقييد السرقة بما فيه الحرز أن تقييد الحد الأدنى لنصاب السرقة بربع دينار، وأيضاً ومن نفس المنطلق لا يجوز للنبي ﷺ أن يتبع مجمل القرآن بتفصيل، أعني أن نأخذ بتفصيل رسول الله ﷺ لمجمل القرآن، وأريد أن أضرب مثلاً واحداً وقع فيه أبو حنيفة نتيجة لهذا المذهب فعنده أن الحديث لا يخصص عموم القرآن، وبالتالي فقد أجاز الصلاة بغير الفاتحة، حيث إن عموم القرآن قوله: ﴿فأقرأ ما تيسر منه﴾. فأخذ به أبو حنيفة ولم يخصصه بقول النبي ﷺ بحديث صحيح الآحاد. «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب» أي الفاتحة، فهل يصلح دين بهذا؟

س: قلت لا يوجد نص يثبت صحة خبره بدليل قطعي الثبوت، أليس القرآن العظيم قطعي الثبوت؟

ج: نبادر فنقول: إن الأخبار لا تثبت بدليل قطعي الثبوت من الناحية النظرية المطلقة، إلا بتواتر الخبر عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب من الناحية النظرية المطلقة، وهذا ما نجزم باستحالة أن نجد له حداً، لا من الناحية العقلية ولا من الناحية النصية، وإلا فنطالب المخالف بأن يجد لنا حداً للعدد الذي يستحيل أن يتواطأوا على الكذب من الناحية النظرية المطلقة. هذا وان تعريف رجال الحديث للحديث المتواتر أنه كالآتي: هو ما رواه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب في العادة، وكلمة ـ في العادة ـ إنما وضعها رجال الحديث بياناً وتأكيداً أن هذه الاستحالة في التواطؤ على الكذب إنما هي مسألة تتعلق بالناحية العملية التي تصلح لاستمرار العبادة على النحو الذي أراده الله، بمعنى أن الخبر ـ أي خبر ـ الذي وصلنا بطريق الآحاد وصحّ عندنا ترجيحاً يجب العمل بمقتضاه، وأن النص الذي وصلنا عن طريق صحابيين يجب العمل بمقتضاه، فلا فرق بينه وبين سابقيه. فإذا ما وصلنا الخبر بطريق مائة صحابي أو مكتوباً من أيام النبي ﷺ مثل القرآن فهو لا يزيد من حيث إيجاب العمل بمقتضاه شيئاً عن وجوب العمل بالراجح، ذلك أن البديهية العقلية توجب العمل بأي درجة من درجات الترجيح وإلا لأخذت بالمرجوح ـ وهذا باطل ـ سواء كان هذا الترجيح واحداً في المائة أو أربعين في المائة، وقد نبّه الحاذقون في علم الحديث إلى هذه النقطة. وأرجعكم إلى كتاب **الروض الباسم في سنة أبي القاسم**[٣٣] فقد أشار إليه وقد سبق أن بينت أنه لا وجود لخبر يأتي بالقطع النظري، وبينت أن أئمة الحديث أثبتوا عدم وجود القطع النظري ووجود القطع العملي، وهذا بيّن في كتبهم ها أنذا أثبت بالنص الشرعي أن «لفظ اليقين» وما سواه في ألفاظ القرآن والسنة يقصد به اليقين العملي وليس كما قال مذهب أهل السنة أنه القطع النظري الذي لا يزيد ولا ينقص. قال تعالى عن المؤمنين: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾[٣٤] ثم قال في موضع آخر عنهم: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه يرجعون﴾[٣٥] فسماهم مرة الموقنين ومرة بلفظة (يظنون)، وكلاهما في سياق واحد. ويتكلم في كلتا الحالتين عن المؤمنين، فهي تُثبت على أقل تقدير أن المؤمنين يظنون أنهم ملاقو ربهم مجرد ظن، والظن في اللغة هو ما اختلط فيه الشك باليقين، على أن يكون في هذه الحالة اليقين أغلب من الشك فيكون العموم ترجيحاً بداهة. وقال الله تعالى عن الآخرة: ﴿أكاد أخفيها﴾ ولفظة (أكاد أخفيها) تجزم لنا أنها ليست مكشوفة كل الكشف للناس ولكن مكشوفة بعض الكشف بما يوجب العمل بها. وقال الله تبارك وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام حين سأله: ﴿قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[٣٦] ومعنى طلب إبراهيم (أنه يريد زيادة في التصديق)، فهل كان إبراهيم غير موقن ساعتها وغير مؤمن؟ بل مؤمناً بنص قوله: (بلى) فلو كان إيمان إبراهيم مائة في المائة من الناحية النظرية لما احتاج إلى زيادة فيه، لأن المائة في المائة لا تزيد، فطلبه زيادة الإيمان واستجابة الله له دل على أن إيمانه الأول من الناحية النظرية كان أقل من مائة في المائة. كذلك قول الله عن الحواريين عن المائدة التي طلبوها: ﴿نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا﴾[٣٧]، فهل كانوا غير مصدقين بعيسى ابن مريم، ساعة أن قالوها ونشهد أنهم كانوا مؤمنين بعيسى ابن مريم ساعة أن قالوها وإنما طلبوا زيادة الإيمان الذي بطبيعة الحال لم يكن كاملاً، وإلا لماذا زاد؟ وعقب رسول الله ﷺ على قول إبراهيم عليه السلام كما صح في الصحيح: «نحن أولى بالشك من إبراهيم» فأثبت رسول

الله ﷺ أنه أولى بالشك. وقال الله تبارك وتعالى عن المؤمنين ﴿وما زدناهم إلا إيماناً وتسليماً﴾[٣٨] ولو كان إيمانهم الأول قد بلغ الدرجة النهائية النظرية لما زيد عليه. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾[٣٩] وقال الله عن المؤمنين: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾[٤٠] فأثبت الله لأصحاب بدر وقد كانوا في هذه الواقعة. وناهيك بإثبات الظن بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾[٤١] فأثبت أنهم علماء ثم أثبت زيادة في العلم، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾[٤٢] وقال تبارك وتعالى: ﴿ألهكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين﴾[٤٣] «فأثبت بذلك أن العلم يزيد واليقين يزيد، وفرق بين العلم النظري وبين العلم الذي يضاف إليه العلم الحسّي وقال الله لرسوله ﷺ: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[٤٤] قالوا: اليقين هو الموت، خطأ، فقد أخطأوا... فهو اليقين الذي لا يتخلله شك. ودل بذلك دلالة قاطعة على أن اليقين الأخير هذا أبلغ من يقين رسول الله ﷺ الأول، لأنه كان موقناً ولا ريب. ألا فليعلم أن الإيمان درجات وأن اليقين درجات وأن ليس إيماني كإيمان جبريل، ولا إيمان من سمع كإيمان من رأى، ولا إيمان محمد بربه كإيمان الله بنفسه حيث يقول الله عن نفسه: ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾[٤٥]. وإذ قد أثبتنا الزيادة في الإيمان لفظاً ومعنى وبقطع، فقد أثبتنا انتقاصها عن الحد النهائي، إذ الحد النهائي لا يزاد عليه، ونخالف بذلك، بل ونضرب به عرض الحائط قول الذين قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو مذهب أهل السنة بزعمهم نقلاً عن فلاسفة اليونان والمتكلمين، وقد وصلوا إلى هذه النتيجة بأدلة باطلة خلاصتها هو.. ما ساقه ابن حزم في كتاب **الأحكام** وما أشار إليه النووي وعامر بن الصلاح في مقدمته على **صحيح مسلم** حيث قالوا: في هذه الحجة أن الإيمان هو التصديق لغة... وصدقت بالشيء يعني أيقنت به، فإذا زاد اليقين فلا يزيد عن كونه يقيناً وإذا نقص لصار شكاً. وهذا منتهى حجتنا.

س: ألا تؤمن بأن القرآن العظيم قطعي الثبوت؟

ج: أؤمن أن القرآن العظيم قطعي الثبوت من الناحية العملية الموجبة لتعظيمه ولعبادة الله بمقتضاه ولتحريم تبديل حرف فيه والحكم به وهوالمطلوب.

س: أوَتقصد أنه ليس قطعي الثبوت من الناحية النظرية.

ج: نعم وبلا مواربة، أريد أن أقول بأن المصحف لم ينزله الله بقصد أن يكون صنماً أو هيكلاً شكلياً، وإنما أنزل ليعمل به[٤٦]. وها أنذا قد أوجبت العمل به وتحريم مخالفته وقررت أنه في أعلى درجات الثبوت التي عرفتها البشرية من الناحية العملية، وبما يوجب عبادة الله بمقتضاه، وأنا به من المؤمنين، ولو شئنا لرددنا على ما قالوه وسفهناه. ولكن أحب أن أشير إلى ما بناه المنتسبون لمذهب أهل السنة على القاعدة التي قعدوها: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقالوا إذاً فلا قيمة للأعمال مطلقاً في زيادة الإيمان أو نقصه وأن الطاعات لا تزيد الإيمان شيئاً، وإن المعاصي لا تنقص الإيمان، لأن الإيمان كامل قبلها في الحالتين. وقد رأوا أن الإقرار القلبي بناءً على ذلك يكفي لدخول الفردوس الأعلى في الجنة. وهذا لفظهم، وان ضيع الأعمال كلها وأتى بالذنوب كلها ومات مصرّاً على ذلك. وأحيلكم إلى مقدمة **صحيح مسلم** من كلام النووي وغيره. وأختم قولي في هذه النقطة بإثبات أن اليقين النظري والعملي مسألة شكلية ولا قيمة لها في موضوع العبادة، وأن الله قد رضي منا من الإيمان بما يكفي لعبادته، لم يكلفنا إلا بها، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٤٧] وأعود فأقرر أن القرآن العظيم ثابت لدى أمة محمد ﷺ بأقطع دليل وأثبت خبر، لم تشهد البشرية خيراً منه، غير أني أقرر في ذات الوقت أن إيمان الله بكتابه أعظم من إيماننا بذات الكتاب، وإلا لما كنا عباداً، وكنا آلهة.

س: هل تقول بأن السنة تنسخ القرآن؟

ج: نعم، وكل من عند الله حيث إن ما جاء به[٤٨] رسول الله ﷺ هو من عند الله تبارك وتعالى. بقول الله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[٤٩]. وقال تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين﴾[٥٠]. والنصوص في ذلك فوق الحصر وكلها تثبت قطعاً أن رسول

الله ﷺ لا ينطق لسانه إلا بوحي من ربه. وكذا، فإنه لو أخطأ لوجب أن يواليه الوحي بالتصحيح وهذا ثابت بما لا يحتاج إلى أمثلة. وبالتالي، فأنا أقرر أن السنة تشرح القرآن وتبينه وتضيف إليه وتخصص عامه وتقيد مطلقه وتنسخ على لسان رسول الله ﷺ ما شاء الله أن ينسخه، وبعد هذه البديهة الثابتة المقررة لا أحتاج إلى ضرب أمثلة، فقد ثبتت القاعدة. ومن الأمثلة التي تحضرني قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلّ لغير الله به. فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾[٥١]. فقد نسخ رسول الله ﷺ الحصر في أربعة وأضاف إليها كما هوثابت في **الصحيح**: «تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير والحُمر الأهلية في خيبر»، أما الأمثلة على الإضافات والبيان والتخصيص والتقييد ففوق الحصر وكثير منها في علمكم.

س: هل تعلم حديثاً نبوياً شريفاً درجة ثبوته أكبر من القرآن؟

ج: لا أعلم باستثناء ما جاء وصح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه في **البخاري** وغيره من أن آية في سورة الأحزاب وآخر آيتين في سورة التوبة لم يجدها إلا عند صحابي. فأنا أعرف أحاديث رواها خمسون صحابياً كحديث «ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». هذا وأنا أستطيع أن أبرهن على أن أحداً من المخالفين يعلم درجة ثبوت آيات القرآن آية آية ولم يقارنها بدرجة ثبوت الأحاديث حديثاً حديثاً.

ـ وقالت المحكمة للمتهم: شكري أحمد مصطفى: أكمل ما بدأت:

فقال: والآن نعود إلى ما كنا قد تركناه، وهو حديث معاذ بن جبل حيث نقرر اختصاراً للأمر: إن تقديم القرآن على السنة في الاستنباط بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وإننا لا نقبل إلا الجمع بين السنة والقرآن في إصدار الحكم، ولا نقدم بين يدي الرسول في فهم القرآن، وإن الصواب الذي لا مرية فيه أن كلاً من عند الله، وبالتالي فقول معاذ بن جبل للنبي ﷺ: أحكم بالقرآن، فإن لم أجد أحكم بالسنة، كأنه قال لي لا أنظر إلى السنة ثم اجتهد برأيي في القرآن، فإن لم أجد حكماً في المسألة أرجع إلى السنة! فأي تقديم للرأي أعظم من ذلك على كلام النبي ﷺ ويثبت بذلك وضع هذاالحديث متناً بعد أن أثبت علماء الحديث بطلانه سنداً.. ـ وأضاف ـ كنا نتكلم عما أثاروه من شبهات في وجوب الاقتصار على القرآن والسنة وما أضافوه من حجيات كالإجماع وخلافه، وقلنا إنهم استشهدوا في ذلك بأحاديث ضعيفة وموضوعة، وكذلك استشهدوا بنصوص صحيحة على غير وجهها كقولهم في قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾[٥٢] فقالوا: هذا دليل على حجية الإجماع، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٥٣] على وجوب التقليد، واستشهدوا بقول النبي ﷺ الصحيح: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» فقالوا: «الواو تدل على المغايرة»، فهذه يجب اتباعها وهذه سنة يجب اتباعها، ونحن إن شئتم فصلنا الرد بما تسودّ به وجوه الكذابين على الله ورسوله، وإذا شئتم أن ترجئوا الرد حتى يأتينا المدافعون عن مثل هذه التأويلات فنرد عليهم، فنعم، بل ونقول: لو أمكن فموعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى... وأيضاً لإقصاء كتاب الله وسنة رسوله عن الاجتهاد والحكم والاستنباط، فقد اشترطوا على المجتهد شروطاً زائدة ليست في كتاب الله، وهي ليست مما يمكن توافره لأحد ولا حتى في صحابة رسول الله ﷺ، ولا يمكن استقراؤها في أحد من الناس مثل حفظ نصوص الرسول ﷺ بدرجة معينة وإجادة معينة في الفقه وفي اللغة وخلافه، وهذه الشروط لم يستطيعوا أن يحددوها تحديداً دقيقاً، ولكنها اشتراطات ضمنية يقطع بها السبيل على منْ أراد الاجتهاد فيقال له: هل تعرف مثل فلان في اللغة العربية، أو كم حديثاً حفظته، وما هي معلوماتك في أصول الفقه، وهكذا، مع أن كل شرط ليس في كتاب الله ليس بشرط ومع أن بذل المجهود فريضة على كل مسلم مرتهن بها دخول الجنة، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[٥٤] وان الاجتهاد ينبغي أن يكون خاصاً بكل مسألة بعينها، ونذكر إنْ صحت الحادثة أنه لما قام عمر بن الخطاب

يريد أن يحد حداً للمهر فقالت له امرأة «الله يعطينا بالقنطار وتعطينا بالدينار» وذكرت الآية، لم يوقفها (عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بحجة أنها أقل منه في العلم أو أقل صحبة لرسول الله وإنما رضي بالدليل في ذلك)، ونحن نقرر أن هذا السؤال عن الدليل اجتهاد ولا عبرة بما فهموه خطأ من قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[٥٥] ونحتفظ بالرد اختصاراً للوقت لمن شاء أن يناقشنا.

وأيضاً فتصعيباً للأخذ من كتاب الله وإغلاقاً لباب الاجتهاد اصطلحوا على أسماء غير شرعية ككلمة (فاسق) مثلاً، وملأوا بهذه المصطلحات كتبهم الفقهية حيث تحمل كلمة فاسق في هذه المصطلحات غير مدلولها الشرعي المتعارف عليه في كتاب الله. فكلمة (فاسق) في القرآن ونظائرها دلت على الكفر كقوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾[٥٦] وكقوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾[٥٧] ونظائرها عشرات في كتاب الله ونتحدى أن توجد آية واحدة قطعية الدلالة على إثبات أن الله قد سمى المسلم (فاسقاً) ولو مرة واحدة، والأمثلة كثيرة، وأقصد أنهم قد أطلقوا أسماء غير شرعية على كلماتٍ ومعانَ شرعية، وبذلك قد حالوا بين الناس وبين التعامل المباشر مع الأدلة الشرعية ثم شققوا مواد البحث وفرّعوا تفريعات وافترضوا الفروض حتى المستحيل منها، ليصرفوا الناس تماماً حتى عن مجرد نية الاجتهاد حيث قد صعب موضوع الفقه، مع أن رسول الله ﷺ «هو الذي قعّد قاعدة» (استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك) وقال ﷺ: «إن الله قد أحلّ أشياء فأحلوها وحرم أشياء فحرموها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان، فلا تسألوا عنها»، وحديث «ذروني ما تركتكم» وغيره كثير مما يثبت تحريم التفريعات إلا بقدر ما فرع رسول الله. ونشهد أن الفقهاء قد زادوا عن ذلك كثيراً وقد كان الرجل يأتي رسول الله ﷺ ويقول له: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عليه بعدك أحداً» فيقول الرسول ﷺ: (قل آمنت بالله ثم استقم). وأخيراً في هذه النقطة فقد وضعوا تيجان التقديس بل وهالات الربوبية على رؤوس الأئمة ليصبح مجرد تخطئتهم أو واحد منهم خروجاً على الشريعة واعتداء على الدين، وهكذا فقد استمرت هذه الأمة كما تقرر «جماعة المسلمين» ولعشرات الأجيال ـ منذ أن فرض التقليد بغير دليل ـ في نبذها لكتاب الله وسنة رسوله، حتى لا يظن أن الحكم بغير ما أنزل الله بدعة في القرن العشرين، وقُسِّم في هذه الأجيال الناس إلى عوام وخواص، وإلى مقلدين ومتبعين ومشرعين بدعوى أنه ليس بعد ذلك يطيق الاجتهاد كل الناس. والحقيقة أن السؤال عن الدليل يطيقه كل أحد من الناس مسلم، وهو يسير على من يسره الله عليه سواء بعد ذلك أصاب أو أخطأ. وانصرف عموم الناس إلى أعمال غير تعلم الإسلام، وهذا هو السبب في جهلهم بالدين، وأصبحت لهم أعمال من دون الإسلام هم لها عاملون، وتكررت في هذه الأمة سنة: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنون﴾[٥٨] وقضية: ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[٥٩]. ونقصّ قصة الحديث المتعلق بهذه الآية الشريفة وهو حديث بجميع طرقه، يرتقي إلى مستوى الاحتجاج، (فروي عن عدي بن حاتم الطائي أنه جاء رسول الله ﷺ ليسلم وقد علق صليباً من ذهب، فقال رسول الله ﷺ: نح عنك هذا الوثن، وتلا الآية ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ فقال: يا رسول الله «لم نكن نصلي لهم ولا نصوم لهم»، فقال الرسول: ألم يكونوا يحلّون لكم الحرام ويحرمون عليكم الحلال فاتبعتموهم فتلك عبادتكم إياهم)، وفي هذا الحديث وشرحه للآية كلام طويل نرجئه أيضاً لحينه لو تجرأ أحد على نقاشنا، والحقيقة أن رسول الله ﷺ قد أخبر مقدماً باتباع هذه الأمة لليهود والنصارى وسيرهم في الدرب نفسه سواء في قضية ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ أو قضية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، حتى لو دخل اليهود والنصارى جحر ضب لدخلته هذه الأمة، كما صح في **البخاري** وغيره عن رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

وقال: ونريد أن نعقب على ذلك كله: إن إمكانية التعلم والاجتهاد في الجماعة المسلمة في أي زمان قد كفلها لهم الذي فرض عليهم القرآن، حيث إن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها، فإن كان ثمة جهل

بتقصير المقصرين وليس بعسر القرآن وسنة الرسول ﷺ ـ حاشا لله ـ وقد قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾[٦٠] وقال تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾[٦١]، أي من يتقه يفرق له بين الحق والباطل وان كل مؤمن يهده الله، وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وان الله لمع المحسنين﴾[٦٢] فقال سبلنا ولم يقل سبيلنا (انه يهديه في الفرعيات). أما بالنسبة للجماعة المسلمة في آخر الزمان فقد كلفها الله ذات التكليف ولم ينقص عنها شيء مما افترضه على أول المسلمين، وهو يعلم سبحانه هذه القرون المتوالية أنها ستكون.

ونحن نبادر فنقرر إمكانية تعلم الجماعة المسلمة للإسلام في آخر الزمان على أحسن ما يكون، حيث جمع القرآن وجمعت السنة ومحص علم الحديث، وتشعبت كتب الفقه وجمعت اللغة العربية في معاجم اللغة العربية، وجمعت آداب الأولين وأقيمت مدارس ومعاهد بقدر الله، وإذاعات تُعلِّم اللغة العربية وتتكلم بها، وجمعت صنوف الشعر من العصر الجاهلي حتى الآن، فيها أرقى الأساليب البلاغية بعد القرآن والسنة. فكيف يمكن أن نقول الآن إن إمكانية التعلم في هذا الزمان للدين الإسلامي عسر بالنسبة لنا بالذات؟ فنحن نواجه التحدي في صنوف هذه العلوم والآداب لا فخراً بغير الحق، ولكن إقراراً بنعمة الله وإثباتاً لحقنا أن نتعلم من كتاب الله وسنة رسوله ونستنبط منهما، ونختم هذه النقطة بقول الله تبارك وتعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾[٦٣] فكل من آمن يهديه الله بأيمانه كما هو ثابت في كتاب الله. ولكن هل الذين أغلقوا باب الاجتهاد أرادوا اغلاقه حقاً؟ كلا... لقد أغلقوه على سائر أفراد الأمة وعلى الرعية، ولكن فتحوه على مصراعيه طوال هذه الأجيال **لعلماء السلطة الحاكمة** في أي زمان، ليفتوا بمذهب الحاكم أياً كان الحكم وأياً كان مذهبه ولتشاع الآثام ويحلل الحرام باسم الإسلام، ولو شئنا لضربنا أمثلة في الماضي والحاضر لا يستطيع أحد أن يخالفنا فيها، لأنها من ماديات واقعة من تحليل الربا والزنا وتحليل الحكم بغير شريعة الله والفاحشة بل والخمر باسم الإسلام.

س: كيف أحل الزنا والربا والخمر باسم الإسلام...؟

ج: الفائدة التي في البنوك: أفتى الشيخ شلتوت في كتابه **الفتاوى** بحلها، ولا شك أن **الشيخ شلتوت** وهو شيخ الأزهر وقتذاك يفتي فتوى يعلم الناس أنها إسلامية. أيضاً ما قاله **متولي الشعراوي** في جامع الأزهر في هذه النقطة بالذات وهي تحليل الربا باسم الإسلام قال: إن الفوائد التي تتعامل بها الدولة جائزة، أما ما يتصل بالخمر فقد طالعنا الشيخ **سعاد جلال** بإباحة البيرة، وقد سبق لرسول الله ﷺ أن قال: «إن اناساً من أمتي يستحلون الخمر باسم يسمونه إياه». أما عن الزنا فضلاً عن أن القانون الوضعي قد أحله، فقد انطلق كثير من المتكلمين ومن المنادين باسم الإسلام بالاختلاط، وأعتبرُ هذه مقدمة صحيحة وحتمية من مقدمات الزنا، حيث قال الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[٦٤]. وقد أثبت الرسول ﷺ أن العين تزني واليد تزني والأذن تزني، ولا زلنا نرى أئمة المساجد ينادون باسم الإسلام بما حرمه الإسلام، بمساواة المرأة بالرجل **والكتابي بالمسلم** وبتحديد النسل وبغيره مما هو ثابت بطلانه في الشريعة الإسلامية باسم الإسلام.

س: وهل علمت رأياً قيل في الإسلام يحل الربا مع الاعتراف بأنه ربا، والخمر من حيث هي خمر، أم اطلعت عليه من آراء كانت مبنية على التعلل وإخراج الأشياء التي يتحدثون عنها تحت الربا والخمر مع التسليم بتحريم الربا والخمر؟

ج: العبرة ليست بالإسم، إنما العبرة بالمعنى أولاً وبالفعل، وأنه إذا أحلت الشمبانيا ـ جدلاً ـ وسميت باسم غير اسم الخمر ثم أسكرت، فالنص العام يقول: (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) فالعبرة هنا بحقيقة المآل في هذا.

س: هل تعلم أحداً تجرأ على الأحكام الشرعية ذاتها فقال عن أمر حرمه الله تعالى أنه حلال؟

ج: أنا أعتقد أن التجرؤ إنما يكون على معنى الحكم الشرعي وعلى مجرد إباحة الفائدة وهي في حقيقتها ربا، فهذا في نظري عين التجرؤ على الحكم الشرعي نفسه، بغض النظر عن التسمية، أما بخصوص التجرؤ على الأحكام الشرعية لفظاً، فلا زال ناس يطالعونا، ترسلهم الدولة للمناقشات الفقهية،

للاستهانة بالشريعة الإسلامية (لفظاً)، **كما حدث مع سهير القلماوي** وقد أرسلتها الدولة في بعثة رسمية للكلام عن الإسلام مع القذافي ضمن رجال آخرين ـ **وأقصد أمينة السعيد وليست سهير القلماوي** ـ وقد حدث منها ومن غيرها اعتراض على حد السرقة وعلى الشريعة الإسلامية، بل إني قرأت لإحداهما تسمية لعهود الإسلام بعهود الظلام! وهذا كله يقال على ألسنة الناس، حيث لم يضبط ضابط للإسلام الصحيح، ولا قامت الدولة بتحديد مدلول للإسلام الشرعي حسب كتاب الله وسنة رسوله، وتركت المتكلمين في الإسلام يتكلمون كما يشاؤون، حتى وجدنا من بعض المسيحيين مثل «**رأفت بطرس**» **في سنة ١٩٥٧ في شهر تموز/ يوليو أنه اقترح** حلولاً إسلامية في معالجة الانحراف الذي ظهر في الشباب ومن جماعة التكفير والهجرة ـ كما يسمونها ـ!!

وأختم هذه النقطة بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها. قل إن الله لا يأمر بالفحشاء. أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾[٦٥]. ولكن بقي أن أقول إن هذه المؤامرة التي حيكت من قديم على الإسلام وعلى شرعة الإسلام قد آن الأوان الآن، لأن يظهر الله (جماعة المسلمين) التي تعلن أنه: لا دين عندها إلا دين الكتاب والسنة، وأن عليها أن تعيد الناس إلى ربهم، وأول ذلك هو إعادة الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتحطيم الأصنام المعبودة من دون الله وأولها بغير مواربة هو صنم الأئمة المتبعين بغير سلطان من الله. ولقد صح في **صحيح البخاري** وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من أهل الغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى ينزل عيسى بن مريم...»، وبعد... (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين).

أقرر أولاً: أنه لا اختلاف على كتاب الله وسنة رسوله مطلقاً إلا عند الكافرين. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾، وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾[٦٦]، وقال: ﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وأن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾[٦٧]. وفي موضوع الاختلاف لا يفوتنا أن ننبه إلى الحديث الشريف الذي ينهض بالاحتجاج بجميع طرقه الذي يقول: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتختلفون على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا الجماعة. ما أنا عليه وأصحابي «وفي رواية» إلا ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وأقرر ثانياً: إن كتاب الله قد نزل بلسان عربي مبين ميسّر لما خلق له. قال تعالى: ﴿آلر. تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾[٦٨] ليس علينا إلا أن نبحث في المعجم اللغوي لنفهم كتاب الله وسنة رسوله، وقال تعالى: ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين.. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[٦٩].

وأقرر ثالثاً: أنه محكم مفصل. قال تعالى: ﴿آلر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[٧٠] وقال تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾[٧١] وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[٧٢] وقال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾[٧٣]. وليس في هذا الكتاب ذرة باطل، قال الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[٧٤] وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾[٧٥] يعني لم يجعل فيه عوجاً ولم يجعل في الوصول إليه عوجاً.

ثم أقرر أخيراً: إن رسول الله ﷺ قد قام ببيانه وتأويله على خير وجه. قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[٧٦] وكلمة «تأويل» لغة وشرعاً غير ما أفهمنا إياه رجال الفقه، حيث أفهمونا أن لفظ «تأويل» صرف المعنى عن ظاهره، ولكن معنى التأويل لغةً وشرعاً هو ما يؤول إليه الأمر، في مثل قول يوسف عليه السلام: ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل. قد جعلها ربي حقاً﴾[٧٧] وكقوله تعالى: ﴿هل

ينظرون إلا تأويله﴾[٧٨] يعني هل ينظر الكافرون إلّا لما يؤول إليه كلام الله؟ ومتابعة لبيان رسول الله ﷺ نذكر قول الله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[٧٩]. ونختم قولنا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[٨٠] ونرجو أن تتأملوا هذا الكلام: ﴿يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[٨١]. **وقالت المحكمة: بعد هذه المقدمة ـ مطلوب منك الرد على السؤال الأول ـ بخصوص اعتزالك واعتزال جماعتك للمجتمع...؟**

فقال: إنه يريد أن يتكلم عن ثلاث مسائل أساسية تمثل فكرنا:

أولاها: وجوب الاحتجاج بما جاء من عند الله وإبطال ما عداه. وقد انتهينا من هذه النقطة والحمد لله.

والثانية: بيان حد الإسلام وضابطه الشرعي.

تابع أقوال شكري أحمد مصطفى في جلسة ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٧م.

قالت المحكمة للمتهم شكري أحمد مصطفى. أكمل ما بدأت بجلسة الأمس... فقال: إن الموضوع الذي سأتكلم فيه اليوم متصل بتحديد الإسلام وضبطه، ولكن أحتاج إلى أن أعرض لبعض الموضوعات في أصول الفقه، **أولها**: موضوع «الأسماء» حيث أعتقد أن التسمية للشيء، وهي الأساس الذي نتعامل عليه فنقول: جاء فلان، أو ركبنا العربة وهذا يعبر عن شيء موجود في الإنسان، ولو كانت كلمة العربة التي استخدمتها غير معبرة عن العربة المعروفة فتكون الكلمة حينئذ غير معبرة عن حقيقة قصدي ولا يمكن فهمها والتعامل معها، وعليه فإننا نبدأ فنقول: إن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يستخلف آدم وذريته في الأرض علمه الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾[٨٢] وكان هذا هو المؤهل الوحيد لأحقية آدم في خلافة الله في الأرض دون سائر المخلوقات بما فيها الملائكة، والأسماء التي تعلمها آدم بما لا شك فيه خاصة بموضوع التكليف الذي كلف به، وهو خلافة الله في الأرض: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[٨٣] يعني علمه العبادة والإسلام والطاعة والإيمان والكفر والظلم، وعلمه كل الأسماء المتصلة بخلافته في الأرض، وكانت هذه الأسماء لا ريب متفقة مع حقيقة المسمّى، يعني إذا قال (مسلم): هذا الإسم، فلا بد أن يعبر عن مسلم حقيقي فيه صفات المسلم الحقيقي التي علمها الله لآدم، وإذا قال: هذا خير وهذا شر أو هذا جميل وهذا قبيح، فتكون هذه الأسماء معبرة عن الخير والشر فعلاً والجمال والقبح، وبهذا يتضح جلياً أن تسمية الأشياء باسمها الشرعي هو مناط الهدى والتدين بالدين الإسلامي الصحيح، وأنه إذا فسدت هذه الأسماء ووضعت أسماء على غير مسمياتها الحقيقية اختل الميزان والمعيار تماماً وبالتالي، يمكن تسمية الشر باسم الخير والقبح باسم الجمال وهكذا، وقد علم الملائكة هذه الحكمة فقالوا حين سألهم الله عن أسماء هذه الأشياء: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم﴾[٨٤]. ولكي ندخل في الموضوع مباشرة نقول بعد هذه المقدمة الوجيزة، أنه قد طرأ على ما يسمى بالفقه الإسلامي مصطلحات غريبة ومصادمة للأسماء الشرعية سميت الأسماء بغير اسمها الشرعي، وقد ضربنا بالأمس مثلاً كلمة «فاسق» حيث قالوا في الفقه: «مسلم فاسق» بينما كلمة «فاسق» و«فسق» في الشريعة تدل على «كافر» و«كفر»، وكذلك كلمة «ظالم» قالوا: «مسلم ظالم» مع ثبوت خلاف ذلك في الشريعة، حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾[٨٥]، وقد أشرنا بالأمس إلى كلمة «تأويل» حيث استخدمت في الفقه على انها صرف لمعنى عن ظاهره إلى شيء خلاف الظاهر، بينما في الشريعة معناها: ما يؤول إليه الأمر من الناحية العملية، وهذا الموضوع ضخم لخطورته، والذي يهمني فيه الآن هو أن أقول: إن علينا أن نسمي الأشياء بأسمائها وأن ننضبط فيها بالضابط الشرعي، وأنه لو أتانا أحد باسم على غير مسمّى فليس أمامنا إلا أن نقول له: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾[٨٦]، هذا ما أطلبه أولاً: أنه لا حجة لي ولا عليّ إلا بالضابط الشرعي، أعني على سبيل المثال: نريد أن نضبط مدلولاً صحيحاً لكلمة «مساجد الله» هذا مما علمه آدم عليه السلام. فقد توضع

يافطة على مسجد لا تنطبق عليه الصفة الشرعية لمساجد الله، وسمي مسجد الله، ولكن لكي يحاجني أحد فيقول: لماذا لم تصل في مسجد الله هذا؟ عليه أن يثبت أن حقيقة هذا المسجد أنه مسجد لله بالصفة الشرعية التي بينها الله كالآتي، فيقول الله تبارك وتعالى عن مسجده: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[٨٧] من سورة الجن، وهذا يدل على **أن المسجد يجب أن يكون خالصاً لله يرفع فيه اسم الله وحده وليس اسمه واسم عدوه**[٨٨]، ويمجد فيه دينه وأديان أخرى، وقال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾[٨٩]، وهذا يدل على أن المسجد خاص بالله، أيضاً بقوله: ﴿يسبح له فيها﴾ فقدم على سبيل الاختصاص بالتسبيح سبحانه وتعالى، وقال: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾، فعلمنا بذلك أن المسجد الذي يتضح أنه أسس لغير تقوى الله، ليس هناك أحقية للقيام فيه، ويقول تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾[٩٠] ـ **مع أنها عظيمة في ذاتها وخير في ذاته** ـ ﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا يستوون عند الله، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٩١]، فدلت الآية على أنه إذا ضيع الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد لتكون كلمة الله العليا، فلا عبرة بتأسيس المساجد ولو كانت المسجد الحرام، ويقول تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[٩٢]، فهذه شروط عمارة مساجد الله، ويقول تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾[٩٣]، فدل هذا النص على أنه من قام بعمل يدل على الكفر ظاهره، فقد شهد على نفسه بالكفر شهادة عملية، وأنه لا يحل له أن يتصدى لحراسة وعمارة مساجد الله حتى وإن كان يعظمها، كما كان المشركون في عهد النبي ﷺ يعظمون البيت الحرام، كبقية من ملة إبراهيم عليه السلام. قال الله عنهم: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام. وما كانوا أولياءه إنْ أولياءه إلا المتقون﴾[٩٤] وأضاف... إنه اقتصار على هذا البيان في تعريف مسجد الله بالمعنى الشرعي، أنه إنْ لم تتوافر هذه المعاني في المساجد، فإنه لا يحل لأحد أن ينسبها إلى الله أو أن يسميها بيت الله، ولا حجة لأحد عليّ في ترك هذه المساجد، وحجتي عليه ظاهرة بيّنة أحاجه حينئذٍ يقول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ويقول الله تبارك وتعالى تعقيباً على موضوع المساجد في سورة البقرة: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله. إن الله واسع عليم﴾[٩٥] وأحاجه بقول الرسول ﷺ: «إذا رأيت هوى مطاعاً وشحاً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك وليسعك بيتك ولتبك على خطيئتك»، وهذا الحديث له روايات كثيرة تجعله في مستوى الصحيح من حيث الدلالة المعنوية في الاحتجاج، فأخرج أصله كثير من كتب الأحاديث.

وسألته المحكمة بشأن المساجد:

س: وهل ترى أن كل المساجد القائمة الآن أسماء على غير مسميات بحيث لا يحل للمسلم أن يصلي فيها؟

ج: لا... بل أعتقد بوجود مساجد أسست على التقوى من أول يوم، هي في نظري أربعة مساجد: بيت الله الحرام في مكة ـ والمسجد الأقصى ـ ومسجد رسول الله ﷺ: ومسجد قباء بالمدينة. وأيضاً هناك مساجد لا أستطيع أن أعرف على أي شيء أسست، هل على التقوى أم على غير ذلك من ظاهر الحال، وليس فيها صفات مساجد الضرار من الناحية الظاهرة ولا تتوافر فيها صفات مساجد الله بالمدلول الشرعي الذي بيّناه، بل تستخدم كوسيلة من وسائل الإعلام ومؤسسات الدولة لترويج ما يراه الحاكم ـ أي حاكم ـ وهي بالتالي تابعة ـ من الناحية السياسية والتوجيهية ـ إلى غير مراد الله، بل هي حرب عليه.

س: ما الذي تفهمه بكون المسجد أسس على التقوى من أول يوم؟ ما رأيك بشأن المساجد التي أسست على التقوى من أول يوم ثم طرأ على استخدامها طارىء قد لا يتفق مع التقوى؟

ج: جزمت الآية الكريمة بالرد على هذا السؤال، حيث قررت الأحقية المطلقة لهذه المساجد في أن يصلى فيها على أي مكان آخر، قال تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾[٩٦] ولم يقل أحق من ماذا، وبالتالي لم يحدد شيئاً بعينه، بل أطلق، وعليه فتظل هذه المساجد أحق بأن تقوم

فيها إلى أن تقوم الساعة، وقد رأينا رسول الله ﷺ يصلي في جوف الكعبة وفيها ثلاثمائة وستون صنماً لا يمنعه ذلك من الصلاة فيها، والمشكلة هي إثبات أن المسجد أسس على التقوى يقيناً، والمساجد الأربعة التي ذكرناها قد أسسها الأنبياء، وهي بالتالي أسست على التقوى من أول يوم، وبالتالي فلفظة «أحق» لم تفرض الصلاة في هذه المساجد، وإنما ندبت إليها وأبيحت لنا جميعاً لنصلي فيها، إلا ما ثبت أنه مسجد ضرار، قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾[٦٧] - أي يضر بالمسلمين - وكفراً - يعني النية - وتفريقاً بين المؤمنين وإرضاءً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا. إلا الحسنى، والله يشهد أنهم لكاذبون، لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه...

س: وما رأيك بشأن المساجد التي كانت كنائس قبل الفتح الإسلامي؟

ج: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» الحديث. ولا تحرم منها شيئاً إلا ما حرمه الله، وهي الحمام والقبر ومساجد الضرار.

س: سبق في حجتك أنك لا تقوم في مساجد، يدعى فيها للحاكم الغير مسلم فهل تعفى المساجد الأربعة التي ذكرتها من هذا الشرط؟

ج: نعم تعفى وتستمر أحقيتها في أن تصلي فيها لأن أساسها لم يتغير بالسلوك، والعلة في الأحقية في الآية مبنية على الأساس (لمسجد أسس على التقوى) وقد ذكرنا صلاة النبي في الكعبة وفيها أصنام.

س: أليس في مصر مسجد أسس على التقوى؟

ج: أنا قلت: إن مسألة التقوى لا تعرف إلا بدليل في الشرع لأن موضعها القلب، قال النبي ﷺ: «التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، وأشار إلى صدره»، وباقي المساجد لا تحاسبها إلا على أساس الظاهر فيها، فإذا ظهر منها اتباع لأمر الله وانطباق على الاسم الشرعي صلينا فيها ولم نسأل عن التأسيس، إلا أن يكون قد ثبت أنها لما أسست إنما أسست على غير التقوى بدليل ظاهر، فمسجد كمسجد عمرو بن العاص في مصر أسس أيام الخلافة الإسلامية، فهو في ظاهره مؤسس على التقوى، فنستمر في إجازة الصلاة فيه ما بقي ظاهره على ذلك، فإذا ما تغيّر ظاهره لم يكن له من الحرمة ما للمسجد الحرام حيث أن المسجد الحرام قد ثبت تأسيسه على التقوى بدليل يقيني لأن الذي أسسه نبي، فمهما حدث عليه بعد ذلك من تطورات لم يغير أساسه، أما مسجد عمرو بن العاص فنيّة عمرو بن العاص إلى الله، وظاهره عندنا التأسيس على التقوى لأنه أيام الخلافة الصحيحة التي على منهاج النبوة، ظاهره الاستقامة على المعنى الشرعي لمساجد الله، فإذا طرأ على هذا المسجد طارىء ظاهره مستيقن، كأن يُدعى فيه لدين ماركس الشيوعي باسم الشرع لتحليل الربا وغيره، فهذا دليل قاطع على أنه من الناحية الظاهرية ليس لله وحده، وان الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وابتغى به وجهه، وحينئذ يصبح هذا الواقع المستيقن قاضياً على التأسيس الظني الذي وكل أمره إلى الله من أول لحظة.

س: ألا تعرف في مصر مسجداً واحداً تصبح فيه الصلاة شرعاً؟

أقول: أن هناك مساجد أهلية خاضعة للتوجيهات السياسية ولا لمذهب من المذاهب الجاهلية، فهي ليست مما حرم الصلاة فيه ما بقيت على ذلك ولا أعتبرها مساجد ضرار، غير أنّي أرى بيتي وبيوت المسلمين أولى بالصلاة فيها.

س: ما رأيك بشأن أفضلية الصلاة في المساجد، هل هي أفضل من الصلاة في البيوت شرعاً؟

ج: من الناحية الشرعية، لا يشك مسلم في أفضلية الصلاة في المسجد، بل أكثر من ذلك حيث قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»، على أن يكون هذا المسجد بيت الله حقاً وأن يكون إمام المسجد الإمام المسلم من الناحية الظاهرية حقاً.

س: وإذا كانت المساجد أفضل من البيوت في الصلاة من الناحية الشرعية، فلماذا لم تتحرّ مسجداً لتصلي فيه لا يكون ضراراً ولا كفراً ولا تفريقاً بين المؤمنين ولا إرضاءً لمن حارب الله ورسوله؟

ج: إذا كان الأمر يدور في مسألة الجواز وليس الوجوب، فليس لأحد أن يسألني في أمر يجوز تركه، لم تركته؟

س: والأمر كذلك بالنسبة لصلاة الجمعة، نقصد الوجوب أو الجواز بأن تؤدى في المساجد...؟

ج: بالنسبة لصلاة الجمعة في المساجد، فأسألك: أي مسجد تقصد؟

ـ وقالت المحكمة: إنها تحيل على السؤال السابق بشأن التحري عن المساجد التي ليست ضراراً ولا كفراً ولا إرضاءً...

وأجاب: بأنه يجب أن نناقش شروط صلاة الجمعة حيث أن شروط صلاة الجمعة ليست كالصلوات الأخرى، مع الإشارة الآن إلى احتفاظي بحقي بتسلسل الحديث في ما يتصل بموضوع الإسلام، ونقول: بالنسبة لصلاة الجمعة وشروطها: إن صلاة الجمعة لا تجوز للجماعة المسلمة إلا أن تكون ممكنة ظاهرة. فهذا شرطها الأول.

س: وهذا معناه أن اخوانك (أعضاء جماعة المسلمين) لا يصلون الجمعة مع غيرهم حتى يمكّنوا؟

ج: نعم، هذا هو المعنى.

س: وهل تصلون الجمعة مع بعضكم البعض جماعة وتقيمون فرائضها الشرعية؟

ج: الصلاة مع غيرنا ليست واردة، إنما أقصد أن صلاة الجمعة فيما بيننا هي المشترطة بتمكين الجماعة المسلمة، لأننا نتكلم عن شروط صلاة الجمعة المطلقة، أي أنها لا تقام إلا بهذا الشرط، إن كان النبي هو بنفسه إمام الجماعة المسلمة.

س: قلت إن الصلاة مع غيرنا غير واردة، تقصد أنها حرام؟

ج: أقصد الآتي على التحديد: أننا نعتبر أنفسنا هيئة مستقلة لا صلة لها من الناحية الإسلامية بغيرها مطلقاً، وبالتالي فعبادتنا لله لا نأتم فيها بغيرنا، ولا ندعو غيرنا أن يشاركنا فيها، إنما ندعوه إلى الإسلام أولاً وإلى جماعة المسلمين، ولكن إذا صلى غيرنا بصلاتنا فلا نمنعه.

س: ألا تصلون مع سائر الناس في المسجد الحرام؟

ج: لا...

س: ولماذا؟

ج: نصلي في المسجد الحرام وإمامنا منا.

س: وضح حجتك الشرعية بشأن عدم إقامة صلاة الجمعة إلّا حال التمكين.

ج: جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في حديث له ثلاث طرائق أخرجه ابن سعد في **الطبقات**، وهي طرائق مختلفة وان كانت ضعيفة كل واحدةٍ منها على حدة، لا، إن الضعيف يقوي بعضه بعضاً عندي وعند جمهور علماء الحديث، وهذه الحالة هي عندي مما يحتج به ويجب العمل بمقتضاه، والحديث، قال ابن عباس: «لما فرضت صلاة الجمعة لم يستطع رسول الله ﷺ أن يصليها لمكانه من المشركين، فأرسل إلى مصعب بن عمير في المدينة يأمره: «إذا كان يوم يجمع اليهود لسبتهم فانتظروا حتى تزول الشمس، ثم تقربوا إلى الله بركعتين وقدموا بين يدي ذلك بخطبة». وفي الروايات الثلاث خلافات في الألفاظ، وهذا الحديث يدل دلالة بينة على أنها فرضت على النبي ﷺ وهو في مكة ففرضها رسول الله على غيره من الممكنين في المدينة، لم يفرضها على نفسه وأصحابه من المستضعفين، من المشركين في مكة، وهذه حجتنا.

س: وهل نزلت سورة الجمعة بمكة أم بالمدينة؟

ج: الذي أعلمه أنها نزلت بالمدينة.

س: وتقول إن رسول الله ﷺ فرض صلاتها من قبل أن تنزل هذه السورة؟

ج: نعم بذلك أقول.

س: وما حجتك ودليلك؟

ج: فهمت من سؤال المحكمة أنها تقصد أن هناك تعارضاً بين ذلك وبين نزول سورة الجمعة في المدينة، ظناً من المحكمة أن السورة تدل على فرضية الجمعة، وأنا أقول: إن السورة والنص الذي فيها

لا يدل على بداية الغرض وانشائه، وإنما يدل على وجوده فتقول: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾[٩٨]، وكون فرضية صلاة الجمعة سابقة لسورة الجمعة، موجودة في السورة نفسها، حيث عقب الله تبارك وتعالى على هذه الآية بقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾[٩٩]، وسبب نزولها أن النبي ﷺ كان قائماً يوم الجمعة يخطب لهم خطبة على المنبر والناس جلوس، فرأوا تجارة فانفض كثير منهم عن رسول الله ﷺ فنزلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعةفاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾[١٠٠].

س: وهل تعرف دليل فرضها قبل نزول هذه السورة خلال الحديث في طبقات ابن سعد التي ذكرتها؟

ج: أنا قلت إنه يكفيني نص واحد لإثبات الفرضية، ولا أعرف خلافه، ولكن هناك دليلاً سلبياً أضعف من الدليل الإيجابي الذي ذكرته، ولكنه قوي في ذاته، وهو أصح عند رجال الحديث، حديث سعد ابن زرارة الذي يخبر عنه أنه أول من جمع في المدينة، وهو بداهة في غيبة رسول الله ﷺ، وفي نفس الوقت لم يصلنا مطلقاً أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة في مكة، وهذا الأمر حري أن نخبر به لو كان.

س: وترى أن المسلمين كانوا متمكنين في المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ وذلك بحسب مفهوم التمكن عندك؟

ج: التمكن شيء له درجاته، وهو يبدأ عندي من الخروج من دائرة القهر والاستضعاف ثم يترقى حتى يصل إلى الفتح والتوسع، ومما لا شك فيه أنه كان المسلمون بعد الهجرة قد وصلوا للحد الأدنى الذي لم يرغمهم أحد على شيء ولا يقهرهم على شيء.

س: جماعتك لم تبلغ هذا الحد الأدنى في مصر بحيث يجوز لكم أن تقيموا الجمعة في مصر وفي أي مكان.

ج: كلا مطلقاً، ويكفيني للاستدلال على ذلك أنه قد لفقت لنا أكثر من خمسة عشر قضية في مدى خمس سنوات حبسنا فيها مرات، وفي هذه المرة الأخيرة أطبقت هنا على كثير من رجال الجماعة، فأين التمكن؟

س: نقصد التمكن فيما يتصل بالصلاة، فإننا نرى من التحقيقات التي أجرتها هذه المحكمة أنكم كنتم تصلون مع بعضكم البعض في حرية وفي أماكن لا تعلمها السلطات، ولا ترى المحكمة أن ثمة مانعاً يمنعكم من الصلاة في يوم الجمعة من الناحية الواقعية، فكيف تكونون في وضع أسوأ من وضع المسلمين الأوائل في المدينة المنورة قبل هجرة الرسول إليها؟

ج: أريد أن أذكر أن التمكن في اللقاءات بحرية لم يكن مكفولاً لأفراد الجماعة، بل الثابت في الأوراق أن قيادات الجماعة كان مطلوباً القبض عليها منذ حوالي سنة حتى الآن، وباعتراف محمد فؤاد فريد أنه كان يراقب أفراد الجماعة بدقة ويعرف أماكن وجودها وتدريباتها، هذا وفارق بين التمكن من الصلاة، وصلاة الجمعة بالذات، حيث أن النبي ﷺ كان يصلي هو وأصحابه في مكة ولا يصلي صلاة الجمعة في ذات الوقت وذات الظروف.

س: وهل عندك دليل على أن النبي ﷺ في ذلك الوقت كان لا يصلي الجمعة بسبب الاستضعاف وليس بسبب عدم نزول الفريضة؟

ج: سبق أن أثبّت أن فريضة الجمعة قد نزلت على رسول الله ﷺ بمكة وأنه لم يتمكن من الصلاة بسبب «مكانه من المشركين».

س: وما الذي فهمته من عبارة «لمكانه من المشركين»؟

ج: فهمت أن الإمكانية المادية لصلاة الجمعة تختلف مطلقاً عن إمكانية اجتماع النبي ﷺ بالمسلمين في دار الأرقم بن الأرقم، فتركه في مكة لم يكن بسبب عدم التمكن المادي من الصلاة نفسها، وإنما لسبب تواجده مستضعفاً في وسط المشركين عموماً، ولذلك فأقول إن المسألة ليست مسألة إمكانية صلاة الجمعة من الناحية المادية.

س: وهل كان يصيبكم أي ضرر من سلطات الدولة لو رأيتم إقامة شعائر صلاة الجمعة فيما بينكم في أي مكان؟

ج: سواء كانت الإجابة بالإيجاب أم بالنفي فإن هذا غير مؤثر على وجهة نظرنا في صلاة الجمعة، حيث أننا قد ربطناه بالاستضعاف العام المتصل بإمكانية الصلاة بكل أركانها بما فيه الحكم بما أنزل الله، ولكن الواقع أننا لو أقمنا لصلاة الجمعة ـ على فرض حدوث ذلك ـ لزادت مضايقة وتتبع مباحث أمن الدولة لنا وكثرت ادعاءاتها.

س: دون ما اعتبار إلى التسلسل التاريخي أو كون سورة الجمعة نزلت مكية أم مدنية، ألا تتضمن السورة قاعدة عامة مجردة تلزم كافة المؤمنين بأداء فريضة الجمعة حين النداء إليها؟

ج: طبعاً هي تدل على فريضة الجمعة، ولكن بشروطها، والشرط الذي نشترطه ليس من عندي ولكن بنص حديث الرسول ﷺ.

س: حتى ولو كانت إقامة هذه الصلاة لأحد أفراد الجماعة المسلمة التي رأيتها في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى؟

ج: ليست صلاة الجمعة عندنا مرتبطة بالمسجد وإنما مرتبطة بالتمكين كما بينا.

س: في نظرك ما الحكم الشرعي في حالة تواجدك أو أحد أفراد جماعتك عند المسجد الحرام وقت إقامة نداء الجمعة؟

ج: هذا السؤال ما هو إلا تحصيل حاصل، وإضافة كلمات ضخمة بقصد الإحراج، وأنا أجيب ولا أخشى إلا الله، فإن نودي بالصلاة من يوم الجمعة، ومن ينادي غير خاضع لجماعة المسلمين، وجماعة المسلمين غير باسطة سلطانها على هذا المسجد فلا فريضة للجمعة علينا.

وقالت المحكمة. استأنف ما بدأت:

فقال: كل ما ذكرته من أمر المسجد كله في تحديد مدلول المسجد ليس مثالاً على وجوب ضبط الاسم بالمعنى الشرعي، وكان ما سألتموني عليه ليس إلا تطبيقاً على ما قلت. وموضوع الأسماء الذي أشرت إليه واحد من الأسس والأصول الفقهية التي أردت الإشارة إليها قبل حديثي عن الإسلام.

وثانيها: من الأصول التي يجب أن أنبه إليها ما يمكن أن أسميه «العلاقة بين النظرية والشروط» فنقول توضيحاً لذلك: إن أي قاعدة شرعية مجردة هي حق في ذاتها ولا تطبق في الواقع إلا بشروطها، فمثلاً: إذا كانت القاعدة الشرعية أن السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فإنها قاعدة صحيحة من الناحية الشرعية المجردة، لكن لكي تطبق في الواقع يشترط فيها شروط لا تطبق إلا بها، كشرط أن يكون السارق مكلفاً يعني عاقل بالغ، وهناك موانع يجب غيابها لنفاذ ذاتها كعدم وجود شبهة حيث يدرأ الحد بالشبهة، وعليه فإنني أريد أن أقول: إنه يجب أن يفرق في قولي بين التصور النظري المجرد عن الإسلام وبين شروط تطبيق أو تطبيق بعض جزئياته في الواقع.

بمعنى أن أقول مثلاً: أنا أعتقد أن من بدّل دينه يُقتل، فهذا اعتقاد نظري لقاعدة شرعية، أما تطبيقه الآن فيحتاج إلى شروط كشرط التمكن وكشرط عدم الاضرار بالهدف الإسلامي العام وهكذا، وأيضاً أريد أن أقول انه إذا ما تواجدت الشروط وانتفت الموانع فإنه يلزم تطبيق النظرية والقاعدة الشرعية، وان ترك تطبيقها في هذه الحالة هو ترك للإسلام، وأن أقرّ بالقاعدة النظرية في نفس الوقت.

س: وما مصدر علمك بأصول الفقه...؟

ج: أصول الفقه ما هي إلا أصول للمنطق والفهم، وهي قبل تدوينها في الكتب موجودة في صدور الرجال، كانت ولا ريب في صدور الصحابة في عهد النبي ﷺ وقد سبق أن أشرت إلى الفطرة وما فيها من قواعد الحق، غير أنني شخصياً مهتم أيضاً بقراءة بعض ما كتب في أصول الفقه، فقرأت مثلاً في كتاب **الموافقات** للشاطبي، وقرأت في كتاب **الأحكام للآمدي** وكذلك **الأحكام لابن حزم** وقرأت كتاب أبو زهرة في **أصول الفقه**، وكتباً في هذا الموضوع وقبلت منها ورفضت.

س: يفهم من إجابتك هذه أن تلك المراجع بها شيء من الحق...

ج: نعم ولا ريب، واننا نقر أن البشر لا يخلون من خير وصواب في أي زمان، وأنهم يخطئون ويصيبون وأن المرجع إلى ذلك كله في الحكم بين الناس هو ما اتصل سنده بالله تبارك وتعالى، فطرة كانت أو سنة في الخلق أو كتاب أو رسول.

س: رضيت عن العلماء إذاً...؟

ج: أنا أطلع على آراء العلماء ولا أنكر مطلقاً إمكانية الاستفادة من الكتب الأولى وآراء الناس، وقد سبق أن قررت أنه يجب على من لا يعلم أن يسأل، وأنه نوع من الاجتهاد، ولكن كل الذي أنكرته أن يسلم بقول أحد الناس من غير دليل متصل السند بالله تبارك وتعالى.

س: هل نفهم من ذلك أنك تنظر في كتب الفقه سواء كانت في الأصول أو في غير الأصول من فروع العلم، وأنك لا تنكر هذه الكتب من حيث إنها اجتهادات في المذاهب كافة، وأنك تأخذ ما تراه صواباً وتترك منها ما لا تراه كذلك؟

ج: مما لاشك فيه أنه ثابت أنني أطلع في الكتب من حيث المبدأ، ولا أنكر الاجتهاد من حيث المبدأ بل أوجبه، ولا أنكر على أحد أن ينقل فكره إلى غيره كتابة أو مشافهة، ولكن أنكر كتابات بعينها للخطأ الذي فيها، أو أن يكون موضوعها غير مباح في أصله، أو أن يكون الكاتب قد أدخل نفسه في ما سكت عنه رسول الله ﷺ تعمداً من غير نسيان، وأعطي مثالاً صغيراً على هذا: فقد أمرنا النبي ﷺ ألا نأكل في الصيام، فيأتي السؤال الآتي: فهب إنساناً أكل سهواً فهل يكون مفطراً؟ فعند أبي حنيفة أن الحد الذي يفطر هو الحمصة، وقد سكت رسول الله ﷺ عن هذا الحد تعمداً غير نسيان، حيث أن مثل هذا الأمر مما تعم به البلوى لم نجزه، ووكل الإنسان فيه إلى قاعدة استفتِ قلبك، وترك الإنسان يقدر من حيث كلمة واحدة المبدأ، لأنه قد علم أن عمر الإنسان لا يتسع لذلك، وأنا شخصياً وفي هذه الفترة بالذات: مهمتي الأولى والأعظم والتي لا يحل لي أن أغادرها إلى ما هو دونها: هو تأسيس أسس الانطلاق الإسلامي وأيجاد نواة الجماعة المسلمة والدولة المسلمة، والذي يعنيني أولاً من الكتب هو ما يعالج هذا الأمر، واحتاج بطبيعة الحال إلى فرعيات في عبادة الله كالصلاة وكالصوم وغير ذلك، فهو أيضاً ينظر فيه مع اعطائه مقامه في الترتيب الطبيعي، وأقصد يقرأ أولاً في سنة رسول الله ﷺ ويسترشد بآراء من يقيم الدليل على صحة رأيه في الكتابات الأخرى، غير أني أريد أن أقرر أن: موضوعي الأصيل هو السعي لإقامة الإسلام، هو مما لا يمكن العثور على كتابات فيه للأولين، يصلح أن يكون مرشداً إلى هذا الأمر، ولا كتاب في ذلك إلا كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

س: وأي شيء استفدته من كتابات وآراء هؤلاء الأولين إنصافاً لهم أن كانوا يستحقون النصفة في رأيك؟

ج: إن الله هو الذي يجازي على الأعمال، ولا أنكر أنني استفدت من كل ما قرأت، ولا يخلو كتاب قرأته وقد أخذت منه فائدة ما بطبيعة الحال.

س: ألا تلفتنا إلى كتاب معين من هذه الكتب وتنصحنا أن نقرأه مثلاً في الأصول؟

ج: في الأصول أحسن ما قرأت ـ مع ما فيه من أخطاء جسام ـ هو كتاب **الأحكام لابن حزم**.

س: وفي غير الأصول، بم تنصحنا؟

ج: في التفسير كتاب **ابن كثير**، وفي السيرة كتاب **ابن هشام**، وان كان في الحديث فأحسنها **البخاري ومسلم**، وان كان في ما يتصل ببداية الحركة الإسلامية فكتب الشيخ سيد قطب.

س: تبيّن للمحكمة من التحقيقات التي أجرتها أن واحداً من المتهمين وهو عبد الستار عوض إبراهيم كان طالباً متفوقاً في معهد ديني في السنة الثالثة، وأنه ترك الدراسة ليعمل بائع كتب، فسألته المحكمة عن السبب في ذلك فقال: إن التعليم الأزهري في هذا المعهد ضلال وإضلال، كما سبّ الأزهر. فهل ترى رأيه...؟

ج: لا أنكر أن ما يقرر في المعاهد الأزهرية الدينية في ما يتصل بالجوانب الفقهية بالذات، أكثرها من حيث عموم القاعدة منحرف كل الانحراف ـ ولا أقول بعض الانحراف ـ عن شريعة محمد ﷺ،

ومؤسسة مثل هذه لا تخرج بطبيعة الحال إلا على غرار ما أعطت، قال تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾[١٠١]، ولو شئتم لفصلنا لكم تفصيلاً الأسس الفكرية الفقهية التي يقوم عليها التعليم في الأزهر.

س: المحكمة تريدك أن تحدد مصدر علمك، وكذلك دليلك على ما ذكرته من انحراف التعليم الفقهي في الأزهر؟

ج: **أولاً**: أنا بنفسي قلّبت في كتب الأزهر. **وثانياً**: في داخل الجماعة أفراد متخرجون من الأزهر، بعضهم كان الأول على دفعته في كلية أصول الدين في أسيوط وعين فيها معيداً وهو الآن في السعودية، وغيره كثير متخرجون من الأزهر، فهذا مصدر علمي، وقد لاقيت كثيراً من خريجي الأزهر وتناقشت معهم في ما يدرسون، بل لمست عن قرب مدى علمهم وأخلاقهم. أما عن المسألة الموضوعية فتقرر فلسفة ابن سينا والفارابي والكندي وغيره على طلبة الكليات وفي هذه المعاهد برمتها بما فيها من انحراف متعمد، كان قد بث من قديم على العقيدة الإسلامية. ومن ناحية التفسير فهم يقررون عليهم تفسيرات كما هي، من غير بيان لوجهة الخطأ والصواب الشرعي منها. من ناحية الأصول الفقهية فيقررون لهم جواز ـ بل وجوب ـ التقليد من ناحية الفقه نفسه كجزئيات، فيوجبون عليهم التمذهب بمذهب معين في أكثر الحالات، وتكفي هذه الأمثلة لبيان أن الأزهر يخرج عباداً لغير الله، فكيف يكون هؤلاء دعاة إلى الله...؟

س: ذكرت ما في الأزهر وبرامجه من خطأ، ألم تجد فيه شيئاً صواب...؟

ج: لا يخلو شيء من صواب، وأنا شخصياً كثيراً ما كنت أقرأ في كتب الأدب المقررة على طلبة دار العلوم والأزهر، وأيضاً في كتب الحديث، غير أن العبرة دائماً بالمحصلة العامة للأشياء.

س: وما الذي يمنع التلميذ في جماعتك من الاستمرار في هذه المعاهد، والأخذ بالصواب مما يلقى عليه وترك الخطأ أخذاً بالمبدأ الذي اعتنقته انت...؟

ج: لا مانع من حيث المبدأ؛ **وثانياً**: أنا لم ألتحق بالأزهر ولكني تخيّرت من كتب الأزهر بينما الطالب يفرض عليه الغث والسمين؛ **وثالثاً**: أنه قد ثبت أن في جماعتنا من هو قد استكمل دراسته الأزهرية وهو في داخل الجماعة؛ **ورابعاً**: إن المسألة عندنا مسألة وقت وتوزيع اهتمامات، وتستطيع الجماعة المسلمة أن تعلم من فيها الإسلام بغير سنوات يضيعها في هذا المعهد إذا كان في السنوات الأولى من المعهد.

س: وهل أنشأتم في جماعتكم نظاماً صحيحاً للتعليم الديني...؟

ج: الجماعة لم تقم إلا من منطق الفقه والتعليم، وقد ذكرت بالأمس حديث رسول الله ﷺ عن جماعة آخر الزمان والعصابة التي ستقاتل حين ينزل عيسى ابن مريم، مصدِّره بقول رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وفي بداية أمر هذه الجماعة لم يكن لنا شاغل أصيل إلا تعليم وتفقيه الداخلين فيها، ولما اتسعت الجماعة أنشأت لجاناً في شتى الجوانب من أهمها الجوانب التعليمية للحديث، ولجنة اللغة العربية، ولجنة الدعوة، وكنت أنا أنتخب الصالحين لتعليم غيرهم في تدريس ما أدرسه لهم لمجموعات من الجماعة، وعلى سبيل المثال قد درست **كتاب الخلافة** لمائة وعشرين فرداً تقريباً على ست مجموعات، وكانت كل مجموعة منهم تمكث سنة أو سبعة أيام كاملة تدرس هذا الفقه.

س: تبيّن للمحكمة من تحقيقها أن الحدث طه الزيني[١٠٢] ترك المدرسة الابتدائية، فأي شيء علمته الجماعة بدلاً من التعليم الحكومي، كما تبين قبل ذلك بالنسبة لغيره «كإسلام عاطف»[١٠٣]...؟

ج: كان طه الزيني وإسلام وغيرهما من الأحداث يتلقون من التعليم الديني ما يتناسب مع سنهم بل وربما قد تحملوا من العلم الديني ما هو أكثر من ذلك في العادة، حتى أن إسلام يعرف في أصول علم الحديث، ويعرف كيف يرد على بعض الشبه التي تثار على الفقه ويحفظ صفحات من كتب الجماعة في الدين وعشرات من أحاديث النبي ﷺ ويحسن تلاوة القرآن بأحكامه، وطه قريب من ذلك كله، ويمكننا أن نجري تجربة عامة لذلك، بل يمكن أن يجلس طه أمام رجل من رجال الأزهر ليناقشه في الإسلام، وأطلب ذلك رسمياً.

س: سألنا طه الزيني عما يحفظ من القرآن العظيم فقال: جزء ونصف جزء فكيف يتصدى للدعوة ولرجال الأزهر وهو على هذا العلم الضئيل بكتاب الله...؟

ج: ليس الحفظ هو دليل العلم، وإلا لجهَّلنا صحابة رسول الله ﷺ الا أربعة، حيث توفي رسول الله ﷺ ولا يحفظ القرآن كله إلا أربعة كما جاء في بعض الروايات الصحيحة أو يزيد عن ذلك كما جاء في بعض الروايات الأخرى، وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحفظ سورة البقرة على عشر سنوات، والأمثلة على ذلك كثيرة، غير أننا نريد أن نقول: إن حفظ القرآن لم يكله الله إلينا كحفظ نصوص، حيث قال الله تعالى: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[١٠٤]، بينما قال في الكتب الأخرى: ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[١٠٥]، وإنما المطلوب منا في كتاب الله أن ندرس ونتعلم حدوده، ثم نقوم عليها لنحكم بها في الأرض، حتى روي عن صحابة النبي ﷺ أن بعضهم كان لا يحفظ عشر آيات من القرآن، يقول: «يا معشر القراء لقد سبقتم سبقاً بعيداً... إلخ»، ولكن المندوب إليه لفظاً وأكثر هو تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾[١٠٦] وتلاوته ممكنة، أما تدبر المصحف فلا يكون بحفظه مطلقاً وإنما يكون بالجهاد لإحقاق ما فيه في الواقع، وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وان الله لمع المحسنين﴾[١٠٧] وهو ما تشرفت به جماعة المسلمين.

س: وهل تقرأون القرآن مع بعضكم البعض في اجتماعاتكم، وتدربون أولادكم لحفظه وفهم معاني ألفاظه بالرجوع إلى المعاجم اللغوية كما سبق أن بينت من أصول لفهم الأحكام؟

ج: يحدث فعلاً، ومن اللجان لجنة لتلاوة القرآن وتعليمه حتى بين الأحداث، ويندر عندنا من لا يعرف عموم التلاوة للقرآن، وقد كلفتُ أنا محمد عاطف، المكنى بأبي إسلام، بإنشاء مدرسة لتعليم الأحداث الموجودين في القاهرة بعض هذه العلوم.

س: وهل أنشأت هذه المدرسة بالفعل؟

ج: كان قد بدأ بانشائها ولم يتمها، وله هو شخصياً ثلاثة أولاد أكبرهم سنّاً إسلام وسنهُ خمسة عشر عاماً، وأصغرهم سناً حوالى ثمانية أو تسع سنوات، ولعله أكثر ضبطاً من إسلام نفسه للقرآن.

س: وما رأيك في التعليم في الكليات والمدارس بصفة عامة؟

ج: سأجيب على هذا بصورة مختصرة محتفظاً بحقي في الإجابة التفصيلية بعد شرح موضوع الإسلام، فبالنسبة للتعليم في الكليات والمعاهد، فأنا شخصياً لا أهتم أنا والجماعة بابداء رأينا في أسلوب التعليم أصلاً في هذه البلاد، حيث أننا ليس في خطتنا مناقشة جزئيات تقوم في أسس الدولة وسياستها وخطتها، وإنما خطتنا تقوم أصلاً على الانسحاب من هذه المجتمعات ثم العودة إليها ـ ولا أقصد مصر بالذات ـ لتغيير هذه المجتمعات من أساسها بكل ما فيها وقلبها رأساً على عقب إذا صحّ هذا التعبير، حيث اننا لا نؤمن بسياسة الترقيع، ولا نؤمن بتزيين الجاهلية بالإسلام، قال تعالى: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾[١٠٨]، دلالة على أن الخطة الإسلامية والسنة الربانية تقوم على الهدم من القاعدة، وبالنسبة للعلم كعلم، فهو من الحق الذي خلقه الله، ومن ذا الذي ينكر السنن التي يقوم عليها علم الحساب، أو السنن التي تقوم عليها التفاعلات الكيميائية، أو السنن التي تقوم عليها علم الافلاك في مدارها؟ ومن ذا الذي ينكر أننا أمرنا في ذلك كله؟ ولكننا نعود ونكرر مع وجوب أن يرتبط ذلك التعليم بغاية واحدة ـ وهي ـ عبادة الله، وأن تؤسس السنة العملية وتسبيح الرب تبارك وتعالى، والالتزام بشرعه، قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[١٠٩]. فقد بيّن تبارك وتعالى أن صفة التفكر في خلق السموات والأرض ملازمة للإيمان وملتصقة به، وهي بالتالي في خدمته ولعبادة الله، ولذلك قرر الغاية من هذا التفكر في آخر هذه الآية على لسان المؤمنين: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾، يعني ما خلقته عبثاً ولا بغير غاية، وإنما خلقته لغاية، ونسأل ما هي؟ هي بلا ريب: عبادة الله سبحانه وتعالى، ما خلقها إلا بالحق، ثم قال: سبحانك،

يعني: ننزهك أن يكون هناك سبب لخلق السموات والأرض ولا وجوب التفكر فيهما إلا لما خلقتنا لـه، وهو وجوب العبادة والطاعة، وقد أقررنا بالطاعة وابتغينا الوسيلة وهو التفكر في خلق السموات والأرض بهـذا الهدف، فقنا عذاب النار.

س: سألت المحكمة عثمـان عبد الـرحيم السيد[١١٠]، فـأجاب بـأنه طـالب بكلية العلـوم قسم الكيمياء الخاصة. فسألته المحكمة عن رأيه في هذا الفرع من فروع العلم، فقال: إنه إنمـا يريـد أن يتم دراسته لأنه في السنة الأخيرة ليس إلا، وان اتمام هذه الدراسة يتيح له أن يحصل على شهادة تدر عليه دخلاً وتعفيه من أن يمتهن مهنة أو يحترف حرفة تؤذيه في نفسه وتكون مهينة لـه، وذلك قبل أن يتيسر للجماعة الهجرة. فلما سألته المحكمة عن رأيه في تعلم هذا الفرع من فروع العلم من حيث هو علم قال: إن مجتمع المسلمين لا يحتاج إليه لأنـه ليس مجتمع زخـرف ولا حضارة، فهـل ترى أنت هذا الرأي؟

ج: أعتقد أنه يعبر عن فكرة صحيحة استخدم فيها بعض الألفاظ التي تحتاج إلى شيء من التعديل كقوله: «لا يحتاج» فأعد له بكلمة «قد لا أحتاج» وكقوله «ليس مجتمع زخـرف ولا حضارة» فـأعد لـه إلى قـول «ليس مجتمع زخـرف ولا حضارة بـالمعنى الموجـود الآن في الجاهليـة» وإن شئتم تفصيـلاً لـذلـك فصلنا...

س: وهل تختلف معه من حيث استحسـان تعلم الكيمياء كعلم، ومن حيث كـون هذا الفـرع جائزاً شرعاً في فكر الجماعة من عدمه؟

ج: نعم من الناحية النظرية جائز شرعاً، ومن الناحية العملية لا نكلف به أحداً من أفراد الجماعـة إلا لهدف جزئي تحتاجه الجماعة ولخدمة الهدف العام.

س: وما الذي دعاك أنت إلى إتمام دراستك في كلية الزراعة؟

ج: لذات السبب الذي ذكره. هو لإتمام دراسته وهو أنه لم يكن قد بقي إلا سنة واحدة للتخرج.

س: وضِّـح للمحكمة إجـابة شـاملة بشـأن التعليم في المعاهـد، هـل هـو مخـالف للشريعـة الإسلامية من عدمه؟

ج: بالنسبة لسائر العلوم التي خلقها الله سبحانه وتعالى، فيما عدا ما نُص عـلى تحريمـه كالسحـر مثلاً، فإننا نجيزها جميعاً ونؤمن بأنها جزء من الحق ولا نفرض على أنفسنا تعلمها من الناحيـة العملية، ولا أفرض إلا بالقرب أو البعد عن الهدف العام.

س: هل أمرت أحداً من جماعتك بترك كلية أو مدرسة؟

ج: نعم ولا ريب وباقتناعه، ووصلا بالهدف الذي ذكرناه.

ـ وقالت المحكمة: استأنف ما أخذت بيانه... فقال:

كان ما تكلمت فيه حتى الآن أمرين من أصول الفقه وهما: موضوع الأسماء وضابطهما؛ وثانيهما: ما أسميناه بالعلاقة بين النظرية والشرط ووجوب تواجد الشروط وانتفاء الموانع، أما الأمر الثـالث فهو مـا يمكن تسميته بموضوع القطعي، وأنه لا يجوز الاحتجاج إلا بـدليل قطعي الـدلالة وليس للثبـوت والظن، ونريد فقط أن نبين أن كلامنا في موضوع الدلالة وليس في الثبوت، وأنه إذا دخل الاحتمـال في الدليـل لما صلُح أن يكون حجة، حيث إن القاعدة البديهية تقول: ما دخل فيه الاحتمال لا يصح به الاستـدلال، وقد سبق أن اشترطنا عـلى أنفسنا أننـا سنأتي بعشرات الأدلـة على مـا نقول وكلهـا دلالات قطعية الـدلالة، وطالبنا المخالف بدليل واحد متصل السند بالله، على أن يكون الدليل قطعي الدلالة.

س: ما الذي تقصد بكون الدليل قطعي الدلالة؟

ج: تعريف ذلك أن يكون الدليل غير قابل لدخول الشك فيه ولا الاحتمال، أي لا يوجد معنى مخالف ويشترك مع غيره في ألفاظ النص نفسه، مثلاً يقـول النبي ﷺ: «العهد الـذي بيننا وبينهم الصـلاة، فمن تركها فقد كفر» (أخرجه أصحاب السنن وهو حديث لم يقدح في صحته). فهذا الحديث قطعي الدلالة على كفر تارك الصلاة، وعلى الذي يقول إن ترك الصلاة ليس كفراً أن يأتي بدليل قطعي الدلالة على ما يقـول،

كأن يقول مثلاً (من ترك الصلاة ليس بكافر). وليس أمامنا في هذه الحالة إلا معارضة الحديث بالحديث، وذلك لأنه لا يزول اليقين إلا باليقين، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿أن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾، وهذا دليل قاطع على أن الظن لا يصلح أن يحرك اليقين ذرة، لأنه لا يغني من الحق شيئاً. ونحن نطالب المحكمة في أن تستخدم القاعدة البديهية في كل ما وُجِّه إلينا من اتهامات فكرية وجنائية، إذا ما دخل الشك في دليل من الأدلة عندنا فيسقط الدليل بأكمله، ونمثل على ذلك من الواقع فنقول: اتهمنا بخطف الشيخ الذهبي، ولكن أخبر أحد شهود الإثبات من وكالة اليونايتدبرس: أنه كان يعلم من قبل المباحث أن أحداً سيأتيه يحمل بياناً، وعليه أن يقبض عليه، وبالتالي فقط ظهرت شبهة تدل على أن المباحث يعلمون مسبقاً على الأقل قبلها بيومين بهذا الحادث، فيسقط الدليل الأول لو كان هناك دليل على أن الجماعة هي المختطفة. ومثل آخر: يوجه الاتهام في حادثة القتل عن أن الجماعة قد قتلته في شقة الهرم المعروفة بداخل الشقة وبُنيت الأدلة على ذلك، ثم أثبت المستشار ابراهيم القليوبي[١١١] أن هناك بقعتين من الدماء في مدخل الشقة، يحتمل أن يكون دليلاً على أن القتيل قُتل بالخارج، وأدخل هذا مع أن البقعتين لم تحلّلا في حينها ولم يقيد بخصوصها محضر حقق فيه رغم أن ضباط المباحث قد تبينوها في حينها، فأي شبهة أعظم من هذه يمكن أن تقدح دليل، لو كان هناك دليل على أن الجماعة قد قتلته داخل الشقة[١١٢]؟

ـ وقالت المحكمة: استأنف ما أخذت في بيانه... فقال: كل الذي أردت أن أقول في موضوع القطع والظن إنه لا يحل لأحد أن يزيل دليلاً قطعياً بدليل ظني، فأيضاً أريد أن أقول أنه من منطلق ذلك يجب أن يحمل الظن على القطع، أعني أنه إذا جاء نص قطعي الدلالة على معنى ثم جاء نص يدل دلالة ظنية على خلاف هذا المعنى، أن يؤول النص الظني بما يتفق مع النص القطعي، وهذا ما أقصده على قولي «يحمل الظن على القطع».

أما الموضوع الرابع الأخير الذي أريد أن أتعرض له هذا التعرض السريع، فهو ما سبق أن أشرنا إليه من وجوب الجمع بين النصوص في الموضوع الواحد، ثم مناقشة كل نص على حدة لاستخراج الدلالة منه، ثم جمع هذه الدلالات لاستخراج الحكم العام، فمثلاً: إذا أردنا أن نعرف حكم الله في السارق فنستخرج من كل نص دلالته على حدة، ثم نجمع هذه الدلالات لنخرج بالحكم العام... والذي يهمني في أمر جمع النصوص مع اتساعه، اعتقادي أنه أجمل الأصول في الفقه.

س: ما هو الهدف من استخلاص الحكم العام بطريق استقراء الأحكام الجزئية كما ذكرت؟

ج: إنه لا يجوز الاحتجاج علينا بنص واحد في موضوع فيه جملة نصوص، لا يتضح الحكم في هذه المسألة إلا بجمعها، يعني مثلاً: يقول الرسول ﷺ: «منْ بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له» فهذا النص بمفرده يفهم على أن أي إنسان، لأن كلمة «من» تستوعب الجنس في اللغة، يبات متعباً من العمل فهو مؤمن مسلم يدخل الجنة، وبالتالي يتلخص الإسلام في أن يكل الإنسان من عمل يده. ومثل آخر «من فقد حبيبتيه ـ يعني عينيه ـ فصبر على ذلك لم يكن له جزاء إلا الجنة»، فكل واحد ضرير بهذه الصورة أصبح مسلماً، لو أخذ النص بمفرده، ولكن الحقيقة أن هذا النص لا يمكن فهمه على ضوء القواعد اليقينية والمسلمات الشرعية التي سبق لرسول الله ﷺ والقرآن أن أرساها وبينها كوجوب التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وكوجوب النطق بالشهادتين وكوجوب الكفر بالطاغوت، وعليه فإنه يجب أن لا نفهم النصوص التي ذكرناها على أنها دخول للجنة من غير معاقبة.

س: هل تقصد بالعملية العقلية التي تحدثت عنها ضبط وتمحيص للأحكام التي تستنبط من الأدلة، عن طريق مقارنة الأدلة والمدلولات بعضها ببعض؟ أو أنك تقصد حقيقة اجراء هذه المقارنة بقصد استخلاص حكم عام؟

ج: أقصد بذلك الوقوف قبل إصدار حكم في مسألة شرعية، إلى أن نجمع النصوص الخاصة به لاستصدار في النهاية الحكم الخاص به.

س: وقالت المحكمة: استمر في ما بدأت...

فقال: وهكذا فإنني أبدأ الآن في التعريف بالإسلام في المعنى العام، وهو لغة: الاذعان والخضوع

الكامل قلباً وجارحة، فإذا قيل: أسلم فلان، يعني خضع كله، ولا يجوز أن يُقال: يعني الجارحة فقط، حيث إن القلب جزء من فلان هذا، ولا يخصون شيء منه إلا بمخصص قطعي الدلالة، كقول الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[١١٣]، فدل النص دلالة قاطعة على أن الإسلام المذكور في هذه الآية غير مستوعب القلب لقوله تعالى: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾. يقودنا هذا النص للكلام في موضوع الإيمان من هذه الزاوية فنقول: آمن فلان، يعني آمن كله، ولا يخصص بذلك القلب إلا بقرينة قطعية الدلالة أيضاً، كما جاء في حديث النبي ﷺ الصحيح عن سعد بن أبي وقاص وخلاصته أن النبي ﷺ أعطى رجالاً ولم يعط رجالاً فقال له سعد: يا رسول الله: مالك عن فلان، فإني والله أراه مؤمناً، فقال النبي ﷺ: (أو مسلماً) فأرشده النبي ﷺ إلى الفارق اللفظي بين الإسلام والإيمان، ولكن هذا الفارق ليس واجباً أن يكون لقول النبي ﷺ «أو» تدل على التمييز ومجرد الاستحسان للفظة مسلم، ولكن دلت أيضاً على أن الإيمان الذي نسبه سعد لهذا الرجل ينبغي أن يعبر عنه بما هو أنقص منه وهو الإسلام الظاهر، فالقرينة هنا على أن لفظة الإيمان لا تعبر عن الإيمان كله. وهذا ما أردنا الإشارة إليه في بيان الألفاظ مخالفين بذلك رغم من زعم أن لفظة «أسلم» يقصد بها مجرد الجارحة، وأن لفظة «آمن» يقصد بها القلب ليس إلا، وبينا أن الإيمان يستوعب الإنسان كله، ونعود فنقرر أن لفظة «أسلم» و«آمن» و«أحسن» و«أصلح» و«أتقى» و«أطاع» وما شابهها من المصطلحات الشرعية تدل دلالات عامة واحدة وتنتهي إلى حكم واحد وهو أن هذا الشخص يستحق عند الله دخول الجنة، وإنما هذه العبارات مترادفات من حيث الحكم العام، مختلفات من حيث المدخل، فكلمة «أسلم» أقرب للجارحة، وكلمة «آمن» أقرب للقلب، وكلمة «أصلح» للعدل، وكلمة «أتقى» أقرب لاجتناب المعصية وهكذا...

ويستدل على ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والخاشعين والخاشعات﴾[١١٤]، تتكلم عن هيئة واحدة (عن المؤمنين) إنما من زوايا عدة تغلب على المتصف بهذه الصفة إضافة إلى باقي الصفات الأخرى بطبيعة الحال، فمثلاً أبو بكر الصديق سُمي صديقاً كاسم علم لامتيازه عن غيره في زيادة هذه الصفة مع وجود الصدق والتصديق أيضاً في غيره من الصحابة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾[١١٥]. وسمي أبو عبيدة أمين هذه الأمة لاتصافه بها زيادة عن غيره مع وجودها في سائر المؤمنين، وسمي خالد سيف الله، وهكذا... ومن ناحية أخرى فكلمة «كافر» و«ظالم» و«فاسق» و«مجرم» و«خبيث» و«منافق» و«خائن» كلها كلمات تدل على الكفر لغة وشرعاً، ولكنها تتكلم عن مداخل هذا الكفر المتفرقة، كقولنا عن الموتى: غريق وحريق... وهكذا، وأقصد بالذات أنه ليس بالضرورة للكافر أن تجتمع كل صفات الكفر وإلا لن يكون هناك كافر على وجه الأرض، والذي أريد أن أبدأ فيه الآن هو الإشارة مجرد إشارة إلى أن الإنسان في إسلامه وإيمانه يؤخذ ككل، وأنه لا يقتصر الإيمان على القلب ولا التسليم على الجارحة، وأنه يجب أن يسلم كله لله، هذا وقد علم ببديهيات العقل أن مراد الله من الخلق هو أن يطيعوه لا أن يقروا بطاعته، وأن يعبدوه لا أن يقروا بوجوب عبادته وأن يجتنبوا محارمه لا أن يقروا بوجوب اجتنابها، وإنما الإقرار بذلك كله ضرورة لبلوغ هذه الغاية العملية، وبهذه البديهية نكون قد أسقطنا مذهب أهل السنة كله المبني على أن الإسلام هو الإقرار، وأن شرط الكفر هو الجحود والإنكار القلبي أو اللساني، وقد سبق أن ناقشنا مسألة زيادة الإيمان، وأثبتنا بطلان قاعدة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص التي بنوا عليها أن الأعمال لا تؤثر في زيادة الإيمان ولا تنقصه.

وسألته المحكمة:

س: وما فهمك للآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[١١٦] وسؤالنا

بشأن ما أسلفت بيانه من معارضتك لقول القائلين إن الأعمال قد لا تؤثر في الإيمان؟

ج: أريد أن أنبه إلى أن المقصود في مذهب أهل السنة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص يقصدون الإيمان القلبي، أما عن مدلول الآيات الشريفة التي ذكرتها المحكمة فهو ما نؤمن به من أن منْ أذنب فذكر الله فاستغفر فتاب ولم يصر فمات على ذلك فهو في الجنة وان أتى بقراب الأرض خطايا، هذا وسأفرد أصلاً باباً في موضوع الاستغفار والتوبة والاصرار في كلامي عن الإسلام، ولا ريب أن التوبة هي في معناها اللغوي الرجوع، وفي معناها الشرعي الرجوع إلى الله، وهي أول ما قدم الله به الإسلام في قوله: ﴿التائبون العابدون﴾[١١٧]، وفي دخول الإسلام بقوله: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[١١٨]. وهي ما يختتم بها أعظم الأعمال الصالحة، بل عمل محمد ﷺ ثم قال له: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾[١١٩] فلا ريب أن يدخل التائبون في أعلى درجات الإيمان حسب درجة التوبة، قال تعالى في سورة الفرقان عن التائبين: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾[١٢٠].

ـ وقالت المحكمة: استأنف ما بدأت... فقال:

... نعود إلى بيان ما قلناه من أن الغاية من الخلق هي الأعمال لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[١٢١] ولقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[١٢٢]، ولقوله: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تكسبون﴾[١٢٣] ولقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[١٢٤] والنصوص في ذلك كثيرة جداً فوق قدرتنا على الحصر، وقد نتعرض لبعضها في موضوعات جزئية في هذا الأمر مرة أخرى. والآن نبدأ في بيان مدلول العبادة وهي لغة، وقد جمعناها في كافة قواميس اللغة العربية بمعنى (الطاعة)، ويقال: (ناقلة معبد) يعني مذللة مطيعة و(طريق معبد) يعني: لا يُستعصى على سالكه، وكذلك هي أعني العبادة في الشريعة الإسلامية والعبادة في الإسلام يقصد بها عبادة الله وحده، يعني طاعته من غير شريك في الطاعة، ولا يُقصد بها اشتراك الله مع غيره في أن يُطاع ـ تعالى الله ـ وهي مقررة من مقررات العقل ثابتة من ثوابت الشريعة وينبني عليها أن طاعة غير الله في معصية الله شرك عقلاً ونقلاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[١٢٥] تدل دلالة قاطعة على أن طاعة غير الله في معصية الله شرك. ونحب أن نلمح إلى طاعة الشياطين في أي شيء يكون شركاً خوفاً من أن يظن أن طاعة الشيطان خاصة بالسجود للأصنام وما شابهها، قال تعالى: ﴿لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[١٢٦] وقال الله تبارك وتعالى على لسان الشيطان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[١٢٧] وقال الله تعالى على لسان الشيطان لعنه الله: ﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[١٢٨]، فهذه الآيات وغيرها تدل على مجال عمل الشيطان وهو الأمر بمعصية الله، وأن طاعته في ذلك هي عبادته، قال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[١٢٩] وبداهة فإن طاعة أحدٍ في معصية الله هي في نفس الوقت انقطاع عن طاعة الله واشراك لغيره في طاعته، يعني: عبادته لغة وشرعاً، هذا وقد استدلوا خطأ وفهموا خطأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٣٠]، قالوا إن الشرك هنا هو السجود للأصنام والاستقسام بالأزلام، وأن ما دون الشرك من وجهة نظرهم هو السرقة والزنا وشرب الخمر وسائر الكبائر ـ وكذبوا ـ حيث لا دليل على ما قالوه عقلي ولا نص في تفسير الشرك وما دون الشرك، وأيضاً فإن سياق هذه الألفاظ ـ وقد ذكرت مرتين في سورة النساء ـ يقطع ببطلان ما قالوه. ففي السياق الأول يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً. إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾[١٣١]، فتقديمها بقوله تعالى: ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ دليل قاطع على أنه كلام عن معصية من المعاصي معروفة عند بني اسرائيل، وليست سجوداً للأصنام، أما ما في السياق الآخر فهو قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما

تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً أن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾[١٣٢] ثم يستمر في السياق إلى أن يقول: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به﴾[١٣٣] فهو دليل قاطع أيضاً على أنه كلام عن أعمال السوء وعن الأتباع وليس عن السجود للأصنام أما قوله: ﴿لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ فهو كقوله: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّمَم﴾[١٣٤] فأصبح ما دون هو اللمم، وكبائر الإثم والفواحش هو الشرك، وأيضاً: ﴿أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ تدل نفس الدلالة، وقول النبي ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» بمعنى أن دخول الجنة مرتهن بالموت على غير الشرك، هي الدلالة نفسها على قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾، فاشترطت الآية لدخول الجنة اجتناب الكبائر واشترط النبي ﷺ لدخول الجنة اجتناب الشرك، فهما إذاً لفظان بمعنى واحد، هذا وقد جاءت النصوص القاطعة الكثيرة التي تبين أن المعاصي شرك بلفظ الشرك وكفر بلفظ الكفر، كقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، وكقوله ﷺ «بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة» **صحيح مسلم**، وهكذا...

س: وضح وجه استدلالك بشأن الآيةالكريمة: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾[١٣٥] وان كبائر الإثم والفواحش هي الشرك بعينه، وضح ذلك ووضح للمحكمة أيضاً ما الذي فهمته بلفظ (اللمم)؟

ج: أنا أقرر أنه إذا كانت النتيجة واحدة في نصين، فالمقدمتان لهما واحدة بداهة من حيث الحكم، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٣٦] يدل على أنه يغفر ما دون الشرك بغير استغفار لأن الشرك نفسه يغفر بالاستغفار، والنص يقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾، يعني: من غير استغفار، وقوله: ﴿يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ دليل على أن هذه المشيئة ـ وهي ليست باطلاً في ذاتها ـ لها سبب وهو بطبيعة الحال لا يكون إلا لمن سبق استغفاره من الشرك، نفس النص الآخر وهو: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ يدل على أن اللمم لا يقدح في إيمان المؤمن، لأن النص يتكلم أصلا عن المؤمنين، ثم أردفه بقوله: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾، فهو بيان أن اللمم لم يقدح في إيمانهم لسبب اجتنابهم للكبائر، الذي أدى إلى المغفرة الواسعة، وبمقارنة هذا النص بسابقه يتضح اشتراكهما في موضوع واحد هو أن المغفرة متعلقة باجتناب الشرك أو الكبائر.

س: هل تقول بقاعدة أصولية عامة بأنه إذا اتحدت النتائج فلابد من اتحاد المقدمات؟

ج: نعم، أقصد بذلك الحكم العام، وهذا الأمر بديهي.

«أقوال المتهم: شكري أحمد مصطفى ـ بمحضر جلسة يوم الثلاثاء الموافق ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٧»

طلبت المحكمة من المتهم/ شكري أحمد مصطفى أن يستكمل ما بدأ بسرده بشأن أفكاره الرئيسية فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم» كنا بالأمس قد أشرنا إلى إثبات أن الدين دين عملي وأن الحكمة من خلق الخلق: احداث الطاعة فعلاً وليس مجرد تقريرها، واجتناب المعاصي فعلاً وليس مجرد إنكارها، اللهم إلا في حالة الضرورة فتكون استثناء وليست أصلاً للقاعدة الإسلامية، وتكلمنا في موضوع العبادة والشرك فيها وأن العبادة أعمال والشرك أعمال، وتعرضنا لمناقشة ما قالوه في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٣٧] ويهمنا في هذا الأمر الأخير أن نضيف الآتي بتلخيص أولها: أن ثمة نصوصاً قد سمّت الشرك ذنباً وكبيرة، كقوله ﷺ لما سئل أي الذنب أعظم؟ فقال ﷺ: «ان تجعل لله نداً وهو خالقك» (الحديث) وهو في **البخاري ومسلم** وغيره، وكقوله ﷺ: «أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين» وهو أيضاً في **البخاري ومسلم**، وهناك نصوص كثيرة في القرآن تبيّن أن الكفر ذنب وخطيئة، قال الله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا﴾[١٣٨] وقوم نوح كفار باتفاق وقال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكافرين يوم القيامة: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل

إلى خروج من سبيل. ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وأن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾[١٣٩]، فسماه كفراً وسماه ذنباً في الوقت نفسه.

وسألته المحكمة: **هل تجد في كتاب الله العظيم نصاً ورد به أن المولى عز وجل سمى الشرك ذنباً؟**

ج: اعتراف الكفار بذنوبهم أمام الله إنما هو اعتراف بالسبب الذي دخلوا به في النار فهو قطعي الدلالة على بيان أن الذنب كفر وشرك، وهو موضع سؤالكم، وكذا الآية الأخرى التي بينت أن قوم نوح اعترفوا بخطيئاتهم، وهذا قول الله تبارك وتعالى ﴿مما خطيئاتهم اغرقوا﴾، وقوم نوح كفار باتفاق، وقول الله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[١٤٠] ولا يخلد في النار إلا كافر، وهذا أمر مقرر متفق عليه في الشريعة وسنزيد هذا الأمر بياناً في موضعه حين نتكلم عن نواقض الإسلام في نفس الموضوع.

س: ما الذي تقصده بأن هذا الأمر مقرر متفق عليه في الشريعة الإسلامية؟ هل تقصد الاستناد إلى فقهاء بعينهم أم ماذا؟

ج: أقصد أنه قد ثبت بأدلة قاطعة في كتاب الله وسنة رسوله أنه لا يخلد في النار إلا كافراً، وأيضاً ظناً مني بالإضافة إلى ذلك أنكم موافقون على ذلك أيضاً، وأطلب الرد في هذه المسألة من وجهة نظركم، وأيضاً فلا نعرف في المذاهب المختلفة التي قرأنا فيها اختلافاً على هذه القاعدة، وإنما كان الاختلاف على لفظة الخلود وقالوا ـ يعني ـ مذهب أهل السنة ـ إن لفظة الخلود قد تأتي بمعنى الأبد وقد تأتي بمعنى طول المكث، وعليه ـ من وجهة نظرهم ـ فلا تفيد لفظة (خالد في النار) القطع باستمرار الخلود عندهم، وهذا باطل وسنرد عليه في حينه حين نتعرض لأصول شبههم، وعلى العموم الآن ـ فحسماً للخلاف ـ مؤقتاً ـ نسوق النص الذي لا يختلفون عليه، وهي لفظة (الخلود) يضاف إليها لفظة (أبداً) وهذه تعني: المكث الأبدي عندهم وعندنا، لقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾[١٤١]. **وطلبت المحكمة أن يستمر في سرد وجهة نظره**... فقال: هذه النقطة الأولى التي عقبنا فيها على آية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾، وأن الشرك ذكر بلفظة ذنب: وثانياً: إن العبرة بفهم الألفاظ يتصل بالمعنى أولاً قبل التسمية، حيث أن الله بداهة قد خلق الأشياء ثم سمّاها، هذا وقد يطلق الاسم تجاوزاً أو قد يكون اسم العلم تخصيصاً لمعنى يعينه بعينه ويعرف بقرينة، وحتى في هذه الحالة يقدم المعنى على الاسم قطعاً، ونقول على سبيل المثال وفي نفس الموضوع: إن لفظة «شرك» تعني: «الاشراك» في عبادة الله بأي صورة من الصور سواء سجدوا للأصنام أو قالوا إن الله ثالث ثلاثة، فهذا هو معنى لفظة «شرك» وهو الذي يفهم بداهة منها، إلا أن يعرف في موضوع بعينه أنه يتصل بها شيء خاص من الشرك، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾[١٤٢]، ففرق من حيث التسمية بين أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان تسمية ليس إلاّ، أما من حيث المعنى: فكلهم مشركون، والذي نريد أن نخلص إليه أنه لا يعمد إلى اسم العلم الخاص إلا بدليل، والأصل أن يعمد إلى الحقيقة والمعنى، وبالتالي، فقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾، إنما يؤخذ على معنى الشرك وليس على تسمية العلم الخاص. وثالثاً: أما ما جاء في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾[١٤٣]. فسأل الصحابة النبي ﷺ: رأينا لم يلبس إيمانهم بظلم؟ فقال: ليس ذاك «أو كلمة نحوها» ألم تسمعوا إلى قول الله تبارك وتعالى من قول لقمان: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ «في **البخاري** وغيره» وصدق رسول الله ﷺ، ولا يتعارض ذلك مع ما نقوله مطلقاً حيث أن الآية الكريمة إنما تتكلم عن مشهد يوم القيامة ومنْ يأتي الله لم يلبس إيمانه بظلم يومئذ، يعني تائباً، فلا يكون ذلك شركاً كما بين رسول الله ﷺ، وكما نقول نحن أيضاً ونبّه الصحابة إلى ذلك. رابعاً: ما صح عن النبي ﷺ في حديث أبي ذر: (بشر أمتك أنه منْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)، وهو بعض ما قلناه من أنه منْ مات لا يشرك بالله شيئاً، قال: وإن زنا وان سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق، فظنوا أن قول النبي ﷺ أن منْ أصر على الزنا أو السرقة من الممكن ألا يكون مشركاً حين يموت على ذلك! وبالتالي تحيط به بشارة النبي ﷺ! وهذا باطل وافتراء على

نص رسول الله ﷺ حيث إن النص يتكلم عن الزنا والسرقة بلفظ الماضي، يعني: وان زنا وإن سرق قبل أن يموت، ولم يتكلم عن إصراره لحظة الموت على الزنا والسرقة، يعني وإن كان سبق له الزنا وان كان سبق له السرقة، ولكن: أين الاصرار على ذلك وهو موضوع نقاشنا، ونحن لا ننكر أن من زنا وسرق وشرب الخمر وجاء بتراب الأرض معاصي، ثم أقبل الله بقلبه نادماً تائباً فمات يوم مات على رقعة التوبة وفي بحبوحتها ان الله يجيئه بها مغفرة، كما جاء في نصوص كثيرة في القرآن والسنة، سنتعرض لها إن شاء الله أثناء الكلام عن الاصرار والاستغفار والتوبة ولكن نسوق منها ما تيسر الآن، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[١٤٤] فبين أن المغفرة متعلقة بالتوبة وان الإيمان نتيجة من نتائجها، وقال الله على لسان الملائكة: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾[١٤٥] فلم يسألوا الله بما علموه من سنته أنه إنما يغفر للتائبين، وقد جعل النص الشريف اتباع السبيل من نتائج التوبة أيضاً، وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الصحيح: «يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»، وأنه قد علم في مقررات الشريعة أنه ان لم يغفر الله فلا مناص من العذاب، قال تعالى: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾[١٤٦].

س: أليس شرطاً لازماً أن تقترن التوبة بالعمل الصالح حيث قال تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾[١٤٧]؟

ج: العمل الصالح شرط لحدوث أصل الإيمان، والإسلام افترضه قبل الذنب وبعد التوبة، ويكون الحد الأدنى للعمل الصالح، هو ما افترضه الله عليه من العمل الصالح، وبعد الذنب بالتوبة فليس أمامه إلا الاستمرار أيضاً في العمل الصالح، وإلا لكان تركه للعمل الصالح ذنباً جديداً، فالعمل الصالح شرط في مغفرة الله ودخول الجنة كما شرطه الله... وسنزيد موضوع ارتباط مغفرة الله والجنة بياناً في حينه إن شاء الله في ذات الموضوع.

س: وما فهمك وخاصة في ضوء ما أسلفت ذكره، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[١٤٨].

ج: هو نص قاطع بصدق ما ذهبنا إليه أنه لا مناص لمن أسرف على نفسه وأراد ألا يقنط من رحمة الله أن يستغفر ربه ليغفر له، حسبما بينه الله في النصوص التي ذكرناها من أن مغفرة الله مشروطة باستغفار عباده، وفي نفس السياق، وفي نفس الآيات، قد اشترط التوبة أيضاً ثم العمل الصالح بعد ذلك، فيقول في الآية ذاتها: ﴿إنه يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[١٤٩]، ثم يقول: ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ والإنابة لغة هي الرجوع، والتوبة لغة هي الرجوع، يقال أناب: يعني رجع، وتاب يعني: رجع، كناب إلى الشيء يعني: رجع إليه، ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾[١٥٠]، فأوجب الله سبحانه وتعالى أن تكون التوبة من المعصية قبل أن يأتيه العذاب، وميعاد العذاب لا يعرف حيث يأتي بغتة كما هو مقرر في الشريعة وفي الآيات بعد ذلك، ولذلك وجب أن تكون التوبة والاستغفار على أسرع ما يكون، فقال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة﴾[١٥١]، وقال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾[١٥٢].

س: ذكرت أن الكفر ذنب، وضّح العلاقة بين هذين الحدين، وهل هي علاقة استغراق واحد منهما للآخر، أم ماذا؟

ج: للإجابة على هذا السؤال أقول إنني قلت إن الكفر ذنب من الذنوب ولم أقل إن كل ذنب كفر، حيث أن الذنب أعم من المعصية، ولكني أقول كل معصية كفر، وبالتالي فإن قلنا إن الكفر ذنب إنما نقصد المعاصي التي جاءت على أنها معصية، مع احتفاظي بما أود أن أبينه فيما بعد من أنه وان كانت المعصية كفراً، إلا أنه في تطبيق ذلك على الناس يطبق بشروطه التي اشترطها رسول الله ﷺ في الحكم على الغير، والتي منها عندنا: أن يظهر الإصرار على المعصية... وطلبت منه المحكمة أن يستمر في الإدلاء برأيه فقال: ننهي الملحوظة الرابعة بخصوص آية ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به﴾، في ما يتصل بحديث: وان زنا

وان سرق بتنبيهنا إلى التفرقة بين الفعل واسم الفاعل، وأن لفظة «زنـا» ليست في الشريعة كلفظـة «زاني» ولفظة «سرق» ليست في الشريعة كلفظة «سارق» من حيث عموم القاعدة، حيث إن لفظ «سرق» لا تدل عـلى الاستمـرار ولا على استيعـاب المعصية للشخص الـذي سرق، وإنما لفظـة (سارق) تـدل على الاستمـرار والاستيعاب، هذا ولا زلنا نذكر سؤالكم عن اللمم والمطالبة بتوضيح مدلولها عندنا، ونلخصه في الآتي: مع مراعاة أنه يحتاج إلى شرح طويل ـ وإن طُلب منّا تفصيلٌ فصّلنا ـ فيقال في اللغة: ألمّ بالشيء يعني: وقـع عليه ولم يلبث فيه، فيقال: زدنا علماً: يعني: بين الفينة والفينة، وهي كـذلك في الشريعـة بالطبـع، قال الله تعالى عن المؤمنين في سـورة النجم: ﴿والذين يجتنبـون كبائـر الإثم والفواحش إلا اللّمَم، إن ربـك واسع المغفرة﴾[١٥٣]، دلت هذه الآية على أن اللمم لا يخرج الإنسان عن إيمانه ولا يمنع مغفرة الله الواسعة، هذا يدل دلالة قاطعة على أنه في هذا الموضوع ليس من الكبائر ولا هو مصر عليها، غير أن لفظة اللمم لا تمنع أن يلم الإنسان بالكبيرة على ألاّ يصر عليها أيضاً، واللمم في آية النجم هي مقابل قولـه تعالى: ﴿ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٥٤]، وقد سبقت الإشارة إليه.

س: وما فهمك للذنوب التي تحـدث عنها المـولى سبحانـه وتعالى في الآيـة الكريمـة: ﴿قل يـا عبادي الذين أسرفوا...﴾ من حيث صلتها بالشرك والكفر أو عدم صلتها بذلك؟

ج: هذه الآية لم توضح هذه العلاقة بدلالة قطعية وان كانت لفظة الذنوب لفظـة عامـة يدخـل فيها الشرك واللمم، ففي هذه الآية يقول الله تبارك وتعالى انه إذا أذنب الإنسان سواء ذنبـاً كبيراً أو صغيـراً، حتى أسرف على نفسه في ذلك، ولو بالشرك فإن الله يتوب عليه إذا تاب وأناب.

س: ألم تقابل بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعـالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك بـه﴾ وهل ثمة تعارض بين فهمك الأخير الذي عبّـرت عنه، ومـا يتبادر من الآيـة الكريمـة ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾؟

ج: لما قد ثبت بالواقع وبالشرع أن الله يقبل توبـة المشركين إذا تـابوا والكفـار كالـذين كانـوا أيام محمد ﷺ، وأيضاً بما هو صحيح في الأحاديث أن ناساً جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقـالوا: «انـا نشرك بالله ونقتل ونزني فهل لنا من توبة؟»، فأنزل الله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخـر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً﴾[١٥٥]، إلى أن قال: ﴿إلا من تاب وآمن وعمـل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكـان الله غفوراً رحيمـاً﴾[١٥٦]. من هذه الأدلـة المستيقنة نعلم أن قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾[١٥٧] أن المقصود من لم يستغفر ولم يتب، وعليه فقد اتضـح اتفاق الآيتين واتفاق فهمنا في ذلك.

ـ وطلبت منه المحكمة الاستمرار في البيان... فقال:

... أيضاً فقد تعلقوا بأحاديث لرسول الله ﷺ خلاصتهـا أن منْ قال (لا إلـه إلا الله) دخل الجنـة، فقالوا: ولا يـدخل الجنـة إلا مسلم، وهذا حق، ثم قـالوا: فنحكم عـلى منْ قال: (لا إلـه إلا الله) ـ وان لم يفعل غيرها ـ بالإسلام، ويكون حد الإسلام هو هذه الكلمـة، ونقول هـذا استدلال بـاطل، حيث انـه علم بالعقل والنقل. والصحيح أن قائل هذه الكلمة لابد أن يكون قالها صادقاً بهـا وإلا كان منـافقاً في الـدرك الأسفل من النار كما جاء في حـديث أبي هريـرة في **صحيح مسلم** عن النبي ﷺ: (خـذ نعلي هـاتين فمن ألقيت خلف هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله صادقاً بهـا فبشره بالجنـة)، فاشتـرط النبي لبلوغ هـذه البشارة: القول والصدق، فلا يصح بداهة لبلوغ النتيجة ـ وهي دخول الجنة ـ إلا بوجود الشرطين، حيث ان الذي لا يتم إلا بشرطين لا يتم بشرط واحد بداهة. وأيضاً الحكم المتـرتب على هـذا النص لا يمكن أن يكون أيضاً إلا بالتعرف على وجود الشرطين، وهذا ما لا يمكن معرفته الآن ولا أيام النبي ﷺ إلا بالوحي، فيقال: فلان صادق فبشره بالجنة مثلاً، وعليه: فقد سقط دليلهم ببداهة العقـل، وبالنص في ذلـك، وأيضاً: فإن أبا هـريرة لايمكن أن يبشر بهـذا الحديث أحـداً بعينه لأنـه لا يعرف في هـذا الأحد الصـدق الذي اشترطه النبي ﷺ، وإنما كان أبو هريرة ينقل اللفظ كما هو لمن يقـابله، كمـا جاء في الحـديث ذاته حـين قابله عمر بن الخطاب أول من قابل قال: «ما هـاتان النعـلان؟ قال: همـا نعلا رسـول الله ﷺ أمرني: من

ألقيته خلف هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه أبشره بالجنة»، فهل يمكن أن يكون ذلك حكماً على أحد بعينه؟ وأيضاً فإن البشارة غير الحكم، قال تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾[١٥٨]، فالشهادة هي الحكم والبشارة شيء غيرها، وأيضاً قد صح في ذات الحديث «أن عمر لم يأذن لأبي هريرة في أن يستمر في التبشير، وساقه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله دعهم يعملون، فقال رسول الله ﷺ فدعهم، فلم يخبر به أبو هريرة بعد ذلك إلا على فراش الموت»، وأيضاً ما صح عن معاذ بن جبل «أنه كان ردف رسول الله ﷺ فأخبره بذات المعنى، فقال: يا رسول الله: أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلموا» **(صحيح مسلم)**. فهذا ما انتهى إليه أمر النبي ﷺ بالنهي عن الحديث في هذا الحديث، فلا يمكن أن يكون هذا الحديث حكماً من الأحكام الشرعية ثم ينهي بلاغة رسول الله ﷺ... وأخيراً: فإن اشتراط النبي ﷺ الصدق في هذه المقولة إنما هو تلخيص وأحكام للإسلام كله، حيث صح عن النبي ﷺ أن الصدق يهدي إلى البر وان البر يهدي إلى الجنة فيجمع الحديثين يكون قول النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، هداه الصدق إلى البر فهداه البر إلى الجنة، ولزمنا في هذه الحالة تعريف البر بالتعريف الشرعي الذي يثبت أنه الإسلام والإيمان مجتمعين بما هو ثابت في آية البر المعروفة في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾[١٥٩]، هذه الآية نزلت في قول (لا إله إلا الله) الصادقة والتي قَلَبها المنافقين، ففرقت بين منْ يقولها صادقاً فتؤتي ثمارها في الدنيا والآخرة، ومنْ يقولها فاجراً كافراً كاذباً، فهي كما قال الله: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾[١٦٠]. وثمار الكلمة الصالحة: الأوامر التي أمر الله بها والفرائض في حد الأمر الأدنى، وكذا فقد استشهدوا بأحاديث صحاح في غير موضعها لإثبات أن الإسلام هو كلمة، فاستشهدوا بقول النبي ﷺ لأبي طالب: «قل كلمة أجادل لك الله بها يوم القيامة»، ولما صح عن النبي ﷺ «أنه قال لغلام يهودي على فراش الموت: قل: لا إله إلا الله، فقالها، فخرج النبي ﷺ يقول: الحمد لله الذي نجى بي نفساً من النار»، وكذا حديث أسامة بن زيد «حين قتل رجلاً قال لا إله إلا الله، قال: أقتلته وقد قال لا إله إلا الله» فقالوا: هذه أدلة صحيحة على ان الإسلام هو قولة «لا إله إلا الله»... فنقول لهم: أخطأتم، هذه الأحاديث صحيحة ومدلولها صحيح فيمنْ حيل بينه وبين العمل الصالح بالموت أو بحائل خارج عن إرادته، وكل الذي ذكرتموه إنما عن أناس قد حيل بينهم وبين فرائض الله بالموت، فلا يستوفى منهم إلاّ ما يطيقون: ﴿لا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها﴾، أما لو استمرت حياة الغلام النصراني فهو مكلف بالصلاة وسائر الفرائض التي أعفي منها بسبب موته، ولو عاش ولم يصل بعد موته قوله لا إله إلا الله، لأمر النبي ﷺ بقتله على الكفر في حينه كما سنثبت إن شاء الله، ونجتزىء بحديث رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة». الحديث... وخلاصة ما نريد أن نقول في هذه النقطة: إن ما استدل به المنتسبون لمذهب أهل السنة إنما كان في حالة العجز الاضطراري عن العمل الصالح والفرائض، وأنه يجب التفرقة بين ما يدخل به الإسلام وبين الإسلام، هذا وقد بنوا على هذه النصوص قاعدة شيطانية تلغي فرائض الله أن تكون شرطاً في الإسلام وتجرد الإيمان من أن يزيده العمل أو تنقصه المعصية، بل وجعلوا الإصرار على ترك شرائع الإسلام ليس كفراً، وامتلأت كتبهم بهذه العبارة وأمثالها، «من قال لا إله إلا الله فهو المسلم وان ضيع الأعمال وأتى الكبائر ومات مصراً على ذلك» وقد سبق أن أحلناكم إلى المراجع في ذلك.

س: سألتك المحكمة من قبل عن اشتراط اقتران التوبة بالعمل الصالح، فأجبت بأن أداء الفرائض في الحد الأدنى يكفي لقبول التوبة، فهل ذلك لا يكفي ايضاً لمحو السيئات أم يلزم مع التوبة أعمال صالحات يذهبن السيئات، تكون فوق الفرائض ويتقبلها الله سبحانه وتعالى برحمته، نريد توضيحاً قاطعاً في هذه المسألة منعاً لأي التباس؟

ج: التوبة درجات، كما أن العمل الصالح درجات، إنه من تاب توبة في حدها الأدنى وهو مجرد لامتناع عن المعصية حتى مات، فإنه يقابل بتوبة الله عليه في حدها الأدنى، وهو ألا يجعله هصراً فلا يخلده في النار ويبقى جسم الجريمة ووسخها معلقاً بصاحبه كما هو، يكفني بالعمل الصالح ويسمّى

حينئذ عفواً من الله، وأما بالابتلاء في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، وأما بدخول النار ثم الخروج منها، ولا يضيع ربك مثقال ذرة، فإن كان يوازي ويساوي السيئة، محاها، وان زاد عنها أضيفت له الزيادة في درجاته، حتى قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل الذنب فيدخله الجنة».

س: وتقول بأن هناك من يدخل النار ثم يخرج منها؟

ج: هؤلاء من مات لا يشرك بالله شيئاً، مستغفراً، يريد الله أن يطهره من ذنوبه التي لم يمحها بالعمل الصالح ولا كفرت بابتلاءات الدنيا أو عذاب القبر، وهذا ما هو ثابت في سنة رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة في **البخاري ومسلم**.

ـ واستأنف بيانه فقال: وألحقوا هذه القاعدة... يعني منْ قال بها... بتحوير كل نصوص الإسلام لموافقة قاعدة أن (الإسلام كلمة)، وصرحوا بوجوب تأويل ـ يعني صرف ـ هذه النصوص عن ظاهرها، ويبلغ ما أولوه في ذلك مئات النصوص قطعية الدلالة، وأبرزوا قاعدة: الجحود القلبي والإنكار القلبي والاستحلال القلبي أو اللساني، كشرط في الكفر لا يكون إلاّ به، مع أن الجحود والإنكار والاستحلال كمصطلحات شرعية إنما جاءت في القرآن للتعبير عن السلوك العملي قطعاً، وليس عما في القلوب. فقال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[١٦١]. فالاستيقان موضعه القلب، فيستحيل أن يوقن القلب بمسألة ثم يجحدها في نفس الوقت، فلا بد أن يكون الجحود عملياً في الإنكار، فقال تبارك وتعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾[١٦٢]. والمعرفة موضعها القلب، ولا يجتمع المعرفة والإنكار لحظة واحدة في القلب، فلابد أن يكون الإنكار عملياً، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾[١٦٣]، ويستحيل في حق النبي أن يحرم تحريماً تشريعياً ما أحله الله، وإنما عملياً على نفسه، كقوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه﴾[١٦٤]. هذا، وقد أتوا على كل النصوص التي تكلمت عن إثبات الكفر والشرك، بسائر الألفاظ والمترادفات لنا على المعصية (الذي لم يتب)، أولوها بتأويلات كثيرة، ونفوا بالقطع أن يكون معناها هو الظاهر منها، ونعطي مثالاً واحداً على بعض الألفاظ التي استخدمت في الشريعة وكيف أولوها، فعن لفظة الكفر في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقال: كفاراً ولم يقل: كافرين، وهي بصيغة مبالغة في الكفر، فقال النووي نقلاً عن مذهب أهل السنة في هذا الحديث و«فيه سبعة أقوال ذكرها» ثم جزم أنه ليس منها أنه كافر! مع أن قتل المؤمن قد ورد فيه نصوص في القرآن والسنة عشرات، كلها قاطعة الدلالة على كفره... وعلى لفظة «لا يؤمن» في حديث: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: الذي لا يؤمن جاره بوائقه» (**البخاري ومسلم**) فقالوا فيها أقوالاً خلاصتها: إن ما أقسم عليه النبي ليس نفياً مطلق الإيمان، وإنما تماماً! وهو مؤمن ويخلد في الجنة وقد يدخلها مع السابقين. وفي لفظة «مشرك أو شرك» كقول النبي ﷺ: «وبين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة» (مما انفرد به **مسلم**) فقالوا: الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر؛ والأصغر هو مقصود النبي ﷺ في هذا الحديث وهو لا يخرج عن الملة، وهذا كلام كله خطأ، ونتجاوز عنه، وفي لفظة «خالدين فيها» قالوا: الخلود خلودان! مع أن لفظة خلود في اللغة هي الأبد، حتى في حديث النبي ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومنْ توجا بحديدة فقتل نفسه يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» (**البخاري ومسلم**) قالوا: هذا مخلد في الجنة ما دام قد قال لا إله إلا الله! مع أن النبي ﷺ يتكلم عمن كان مسلماً ثم انتحر، وفي لفظة «منافق» بل الذي يخبر النبي ﷺ أنه منافق خالص بقوله: «أربع من كن فيه كان خالصاً.. الحذيث» (**بخاري ومسلم**) فقالوا: إن كثيراً من الصحابة والعلماء بل اخوة يوسف فعلوا هذه الأربعة، ومقصود النبي ﷺ ليس هو النفاق الذي يخلد في الدرك الأسفل من النار، وإنما مقصوده ما أسموه: النفاق العملي! وصاحبه مؤمن لا نشك في إيمانه!!، ومثل آخر: قول النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام) أو كقوله «قاطع رحم»، (وكلاهما في **الصحيح**) فقالوا: لا يدخلها مع السابقين، وهو داخلها... هذا وقد اجتزأنا بتلك الأمثلة من التأويلات التي تأولوها بغير

سلطان من الله وتكذيباً لرسول الله ﷺ وإبطالاً للغة العربية ومدلولاتها، وقد رددنا عليهم تفصيلاً في بعض كتبنا التي ذكرناها أول الأمر، ولكن لا ينبغي أن يفوتنا أن نقول إن أصحاب المؤامرة الأولى لإقصاء كتاب الله وسنة رسوله من حيث الاستشراع والاحتجاج، هم بأعينهم أصحاب المؤامرة الثانية في الفساد، معاني النصوص وتحريف الكلم عن مواضعه، وعلى هؤلاء أن يردوا علينا في أمرين لا ثالث لهما، فإن ردوا في غيرهما فهم مشتتون للكلام هاربون من حقيقة المواجهة، والأمران على التحديد هما:

(١) هل الفرائض شرط في الإسلام؟

(٢) وهل الإصرار على المعصية حتى الموت كفراً أم لا؟

... والآن نبدأ فوراً في أدلتنا الإيجابية في تحديد الإسلام وبيان أن كل فريضة فرضها الله شرط فيه، وأن وجود الفرائض جميعاً مع غياب فريضة واحدة محبط للجميع، وكأنها لم تكن، وأيضاً فإن الإصرار على معصية واحدة كفر بالله العظيم ومحبط لكل أعمال البر وان كان كجبال تهامة، والدليل الأول على ما قلنا: ما نسميه: بالفرض والشرط، وخلاصته: إن الله سبحانه وتعالى لا يفرض فرضاً بداهة ويوجب علينا إتيانه إلا إذا كان ضرورة وشرطاً في التكليف الوحيد الذي كلّفنا به، وهو العبادة، وهكذا عند العقلاء جميعاً لا يفرضون على أنفسهم شيئاً ويلزمون أنفسهم به إلا كان ضرورة وشرطاً في تحقيق غاية من غاياتهم، هذه بديهية قد تحتاج إلى بعض البسط، ولكن نترك البسط فيها الآن، ويترتب عليها أن لا يفرض فرضاً في مسألة بعينها إلا أن يكون وجوده شرطاً في إيجادها، فمثلاً: لا يفرض الوضوء في الصلاة إلا أن يكون شرطاً في صحتها، وكذلك الركوع والسجود وقراءة الفاتحة لا فرض حتى تكون شرطاً في صحتها، وكذلك الركوع والسجود وقراءة الفاتحة لا تفرض حتى تكون شرطاً في صحتها، أما ما لا شرط في صحتها فهو من النوافل، والتي لا تفسد الصلاة في غيابها، وعليه فنقول: إنه إذا سلمنا بذلك فإن وجود كل الفرائض في الصلاة وغياب واحد فيها يفسد الصلاة كلها، ومثال ذلك: إذا اشترط فرض ـ جدلاً ـ في العين لتحقيق هدف الأبصار، وجود القرنية والشبكية وثمة أشياء أخرى كشروط للأبصار، فوجودها كلها فرض حدوث الغاية ـ وهي الأبصار ـ وغياب واحد إبطال للغاية واحباط لقيمة وجود سائر الفرائض، ومثال آخر إذا كنت أريد أن أصل أحد الطوابق في عمارة فيها أربعون درجة سلم، فإنني لو قطعت تسعاً وثلاثين ثم امتنعت عن بلوغ الأربعين فلن أصل إلى قيام الساعة ويحبط كل مجهودي الذي بذلته في ارتقاء التسعة والثلاثين، وهذه مسألة بديهية دائرة في كل ما خلق وفي كل ما أمر الله، وفي كل حق أنزله الله، لأن هذه السنة بالحق خلقت وهي في الإسلام كذلك، ولا شك... وأريد أن أقول إنه لو كان الإسلام مائة فريضة مثلاً، فنعلم أن الله ما فرضها إلا لأنها شرط في احداث العبادة التي ما كلفنا الله إلا بها، وأن غياب شرط واحد يعني غياب فرض واحد، محبط لسائر الفرائض، وان عملت... مضيع للغاية وهو العبادة، وبذلك نكون قد أثبتنا بدليل قاطع لا يجرؤ عاقل منصف على مخالفته... كذا قد علم في السنن التي خلقها الله وأيضاً في مسلمات الفطرة أنه لو وجدت شروط للحياة كلها في شيء ثم طرأ على هذا الشيء خارقة واحدة للحياة فإنه لا قيمة لوجود شروط الحياة كلها بعد وجود الخارق... فنقول مثلاً: إذا كان تواجد الحياة في الإنسان يشترط فيه الرأس والقلب والكبد والأمعاء والدم والماء والهواء مثلاً، فيشترط تواجدها جميعاً، وغياب واحد منها يقضي على الحياة. ولكن ليس هذا هو الموضوع، وإنما الموضوع أنه على فرض وجود هذه الشروط كلها ووجود الحياة فإنه حين نزول خارق من خوارق الحياة كالاختناق أو الصراع أو أي مرض فتّاك، فإنه تتم الوفاة وتحبط شروط الحياة ولا يشترط في هذه الحالة وجود كل عوامل الفناء وإلا لما مات أحد ألا فليعلم أن سنة الإيجاد غير سنة الإعدام وأنه لابد من وجود الشروط كلها لاحداث الإيجاد، ويكفي شرط واحد خارق لأحداث الإعدام، والآن نكون قد انتهينا من دليلنا الأول القطعي المدعّم بسنة الله كلها في الخلق، وهو أن الحد الأدنى للإسلام هو اجتماع كل ما فرضه الله، وإحباط الإسلام يكفي فيه وجود خارق واحد من خوارق الإسلام بين الله أنه خارق، إلا معذور بعذر شرعي...

س: وكيف تفهم وضع الموازين القسط بالحق وثقل الحسنات أو ثقل السيئات؟

ج: يقول الله تبارك وتعالى عن الكافرين: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾[١٦٥]، وقد يُفهم من ذلك أن أعمال هؤلاء الكافرين لا توزن، وقال الله تعالى: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾[١٦٦]. وليس الأمر كذلك، أقصد أن الفهم ليس هو مقصود الآيات، وإنما سيكون هو ما بينه الله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[١٦٧]. ولكن لما كانت الأعمال بخواتيمها، ولما كان وزن الشيء مرتبطاً بتمامه وبلوغه الغاية التي خلق من أجلها، فإن هذه الأعمال وإن ثقلت في ذاتها، فإنها لا تغني شيئاً في نهاية الأمر، حيث لم تبلغ القصر ولا الغاية، ويرجح عليها الشرك بالله والكفر به وترك ما أمروا معصيته، وتنسف هذه الأعمال كأنها لم تكن، وتكون أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده ولا وزن له.

ـ وطلبت منه المحكمة الاستمرار في بيان رأيه فقال:

كان دليلنا الأول العظيم وما بعده نافلة، وهو الدليل الثاني في ما صح عن النبي ﷺ:

س: واستوقفته المحكمة وقالت: أليس المسلمون منهيين عن أن يزكوا أنفسهم أو يعظموا أنفسهم؟

ج: فقال: لقد عظمت الدليل الذي من عند الله ولم أعظم نفسي، فاستأنف بيانه، فقال: صح عن النبي ﷺ في ما قال أصحابه عنه أن رجلاً جاء النبي ﷺ فدنونا منه فوجدناه يسأله عن شرائع الإسلام، قال النبي ﷺ خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تتطوع، والصوم صوم رمضان، قال: هل عليّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تتطوع... فأدبر الرجل وهو يقول: «لا أزيد على ذلك ولا أنقص»، قال رسول الله ﷺ «أفلح أن صدق». في هذا الحديث دلالة على أن الحد الأدنى من الإسلام، الذي لا يكون فلاح بغيره: ألا ينقص من الفرائض شيئاً. والدليل الثالث: وما يمكن تسميته بدليل البيعة، وخلاصته: أنه لو جاز لرسول الله ﷺ أن يبايع أحداً على الإسلام كله إلا فريضة، لما صح أن تسمى فريضة، وبالتالي فإنها لا تفرض عليه ولا على سائر الأمة، وتكون هي كغيرها من سائر ما يسمى بالفرائض، والذي ينبغي بهذا ألاّ تسمى فرائض، ولكن الثابت عن رسول الله ﷺ أنه كان يأتيه أناس فيقبلون البيعة على الإسلام إلا فريضة أو فريضتين فيأبى أن يبايعهم على ذلك، يعني: يأبى أن يدخلهم الإسلام، وفي هذا الدلالة اليقينية على أن حد الإسلام هو كل الفرائض، وإلا لقبل منهم رسول الله ﷺ، والنصوص على ذلك كثيرة، نمثل لها بحديث وآية: عن بشير بن الخصايصة السدوسي قال: «جئت أبايع النبي ﷺ على خمس، فقلت: يا رسول الله: أما اثنتان فوالله ما أطيقهما فإنهم قد زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله، وأما الصدقة: فليس عندي غير خمس ذو دهن رسل أهلي وحمولتهن، قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال: يا بشير فلا جهاد ولا صدقة، فيم تدخل الجنة إذاً؟ قال: فبايعته عليهن كلهن»، فهذا الحديث قاطع على أن الفرائض كلها شرط في الإسلام لا يبايع النبي على أقل منها مجتمعة، أما الآية، فهي آية البيعة في سورة الممتحنة والتي بايع على مثلها الرجال والنساء، كما صح في حديث عبادة بن الصامت، قال الله تعالى: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألاّ يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف. فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾[١٦٨]. فقط اشترط الله سبحانه وتعالى لقبول النبي ﷺ بيعة الرجال والنساء شروطاً فصّلها وأجملها في قوله: ﴿لا يشركن بالله شيئاً﴾ وهي معصية الله، ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ وهي العمل بشرائع الإسلام.

والدليل الرابع: وما يمكن تسميته بدليل القتال على كل ما أوجبه الله في الإسلام... فقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[١٦٩] وهي آية مبنية على وجوب أن نقاتل على شيء مسمى من الدين، والدين: هو ما يدين به الله، لغة: يعني: ما يطالب به الله، وهو قطعاً: ما أوجب الله علينا لغة وشرعاً، ولما كان الخطاب في الآية للمؤمنين كافة فقد علمنا أن قتالهم يكون لغيرهم... قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»، والحق لغة: هو الواجب، كذلك شرعاً يعني: واجب

الحدوث، ولغة أقاتل وقاتلوهم صيغة مفاعلة تكون من طرفين مثل يلاعب، ويؤاكل، ويشارب، تدل على اشتراك الطرف المقابل في النصين السابقين قطعاً، على أن مَنْ قاتلهم النبي ﷺ والمؤمنون كانوا في حكم المقاتلين له ﷺ، ولا نشك في كفر من قاتل رسول الله ﷺ هذا، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، فإذا قاتل النبي ﷺ أحداً تيقناً بكفره قطعاً ولكن القتال غير القتل لغة وشرعاً، وقد تقبل من النبي ﷺ منْ يستحق القتل من المسلمين وقد حصرهم رسول الله ﷺ في ثلاثة: أحدهم كافر كفراً عاماً يندرج تحته كل أبواب الكفر، قال النبي ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث»:

الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق الجماعة» فعلمنا ان النبي ﷺ إذا أمر بقتل أحد لا يخرج عن كونه ثيباً زانياً أو قاتلاً لنفس فإن لم يكن: فلا يكون إلا كافراً مرتداً مفارقاً الجماعة.

س: تقول إن كل كافر يجوز قتله شرعاً؟

ج: الكافر أصل الحكم فيه أنه حلال الدم والمال، ولكن لا تنفذ القاعدة النظرية هذه إلا بشروطها، ومن شروطها البلاغ، وشروط أخرى.

س: وما فهمك للآية الكريمة في القرآن العظيم: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[١٧٠]، فدلت على بدء الكافرين بقتال المسلمين شرط لقتال المسلمين لهم؟

ج: هذه الآية مرحلية، وقد علم أن القتال في الإسلام كان على مراحل، فقد أمر المسلمون أول الأمر بكف اليد مطلقاً وبالصفح والعفو حتى يأتي الله بأمره، قال تعالى: ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[١٧١]، وقال تعالى: ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾[١٧٢]، وقد أذن لهم في قتال عبدة الأوثان أول الأمر ولم يؤذن لهم في قتال اليهود والنصارى في قوله: ﴿وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً...﴾[١٧٣] إلى أن قال: ﴿فاعفوا واصفحوا﴾، ثم أذن للمسلمين في قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ثم أمر المسلمين بقتال الناس، كافة حتى يدخلوا في دين الله ـ الإسلام ـ ولا يقبل منهم غيره، ولسبب الكفر قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾[١٧٤] وهي مطلقة، وقال تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾[١٧٥] وقال في موضع آخر: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم﴾[١٧٦] وهذا تقرير للواقع والآية عامة، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[١٧٧] وقد يظن أنه لا يقبل منه في الآخرة، كلا... بل في الدنيا لأن الله ختم الآية بقوله: ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[١٧٨] فدل على أن الجزء الأول خاص بالدنيا، وقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[١٧٩] والدين هو دين الإسلام. وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله»... الحديث، وهذه كلها نصوص قاطعة على وجوب ارجاع الناس إلى دين الله وهو الإسلام.

س: وما الذي تقصده بقولك إن الآية التي حكوناها إنما كانت مرحلية، هل تقصد أن حكمها نسخ أم ماذا؟

ج: أقصد بقولي إنها مرحلية، أنها مرتهنة بحالة معينة تتصل بحالة الحركة الإسلامية، وهي بصدد بلوغها غايتها النهائية يمر المسلمون بحالة استضعاف وكف يد وصفح وعفو ودفاع وقتال على الجزية ومعاهدات، ثم قتال على الإسلام لذات الإسلام، وهذه كلها مراحل تقدر بقدرها، ولا أقول أن الآية نسخت مطلقاً، وإنما هي موقوفة بحالتها، ومن الأمثلة على القتال على الإسلام لذات الإسلام: ما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾[١٨٠].

س: قال تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كان يكسبون من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾[١٨١] ثم قال عز من قائل: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[١٨٢] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[١٨٣] و آيات أخرى تدل على أن

الكفر في ذاته يؤدي إلى عقاب المولى سبحانه وتعالى في الآخرة، وأنه بظاهرها لا يفهم أن المسلمين أمروا أن يقاتلوا الكفار الذين لم يقاتلوهم أو يفتنوهم في دينهم. فما فهمك وما اعتقادك بهذا الشأن؟

ج: هذه الآيات فعلاً لو أخذت بمفردها لكان لها ذات الدلالة التي ذكرتموها، وهي ترك الناس ـ كل الناس ـ لا نقاتلهم حتى يقاتلونا، ولكن لما كان مقرر شرعاً وبداهة الجمع بين النصوص كلها، وقد تلوت عليكم وذكرت لكم في الأوراق آيات ونصوصاً قد أوجبت قتال الناس ـ كل الناس ـ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدينوا بدين الله، ونصوص أخرى كثيرة لم أذكرها تدل نفس الدلالة، فقد وجب على كل مؤمن بالله أن يجمع الجمع المنطقي الصحيح بين دلالات هذه النصوص جميعاً، فإذا ما جمع، فلن يخرج إلا بنتيجة واحدة، ما أتقى الله وأنصف، ألا وهي: أن المسلمين إنما أمروا بقتال الناس على ظاهر الإسلام وما يمكن أن يستوفى منه حقوقه، وحجبهم الله في ذات الوقت عما وراء ذلك: بما في الصدور وبما يخفى في البيوت... ونرد بالتفصيل على النصوص التي ذكرتها المحكمة الثلاثة: فالآية الأولى: سورة الجاثية وهي سورة مكية وعلى الذين يريدون إثبات انها مدنية أن يأتوا بالدليل على صحة كونها مدنية من حيث الخبر، فاستوقفته المحكمة عند هذه النقطة وسألته:

س: ما ورد بالمصحف المتداولة أن سورة الجاثية مكية، وما ذكر في المصاحف بنسبة آية إلى مكة أو المدينة، ليس متفقاً عليه من حيث صحة الخبر، وعلى الذي يدعي أن هذه الآية بالذات مدنية عليه أن يأتي بالدليل على صحته، وعموماً فهذا الأمر ليس ما يهمنا، وإجابتنا في غير هذا الدليل، وقالت المحكمة: أتم الإجابة على السؤال الذي سئلته... فقال:

ج: إننا لا ننكر أن الإسلام قد أمرنا بالعفو والصفح عن الكافرين فترة من الزمان، ثم عاد فأمرنا بقتالهم على النحو الذي ذكرناه، وآية: ﴿لا إكراه في الدين﴾[184] تتكلم عن الإيمان بمعنى التصديق ـ ضرورة أن نفهم هذا الفهم ـ حيث ثبت القتال على الإسلام بالمعنى الظاهر منه، والآية في سورة يونس التي ذكرتها المحكمة تخص ما نقول إن الإكراه خاص بالإيمان، حيث تقول الآية: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[185]، وقد لخص حديث النبي ﷺ الأمرين جميعاً حيث قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله... إلا بحق الإسلام»، ثم قال في نفس الحديث: «وحسابهم على الله» مبيناً أن القتال على ظاهر الإسلام، وأن حساب الله على ما وراء ذلك وما يستتر على المسلمين، وهذا هو التوفيق الصحيح بين النصوص.

س: وكيف إذاً أعمال قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[186] وأعمال التمييز الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[187].

ج: يعني بعد إقامة الحجة على الناس، وبعد أن تكون قد أديت مهمتك في البلاغ فلست عليهم بمسيطر ولا أنت مكره أحداً على إدخال الإيمان في قلبه، ولا أنت تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي منْ يشاء، وهم بعد ذلك مخيرون في أن يختاروا الإيمان أو الكفر حيث لم يتركوا سدى بل سيحاسبون على ذلك، حيث ختم الله الآية بقوله: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾[188]. وهذا كله يتكلم عن حقيقة الإسلام والإيمان وهو ما سيحاسب الله عليه الناس، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، أما ما يتصل بالظاهر فقد كلف محمد ﷺ والمؤمنون من ورائه باعلاء كلمات الله فيه وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون. ويحضرني حديث عظيم في **صحيح مسلم** وهو أنه بعد أن قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس...» ـ كما بينا ـ وختمه بقوله: «وحسابهم على الله» تلا الآية الكريمة: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾[189] فعلمنا أن قوله تعالى ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ لا تتعارض مع صدر الحديث الشريف أنه أمر أن يقاتلهم على الإسلام.

س: ولكن الآيات الكريمة التي استشهدت بها: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾[190] تحتها: ﴿الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر ان إلينا إيابهم. ثم ان علينا

حسابهم﴾[١٩١] فقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ معناه لست مكرهاً لهم، وما جاء بعد ذلك إنما يؤكد أن حسابهم على الله وحسب. فما قولك؟

ج: حسابهم على الله نقرره كما قررته الآية، ونقصد به النوايا، وهو عين ما قرره رسول الله ﷺ في الحديث: «وحسابهم على الله» في ذات الحديث الذي قرر فيه وجوب قتالهم على ظاهر الإسلام، أما كلمة مسيطر فأصلها من السيطرة وأصلها اللغوي مشتق من السطر وهو التدوين، وخلاصته: إنك يا محمد لست مسيطراً، يعني لا كاتباً ولا حاسباً ولا مدوناً عليهم ذنوبهم الحقيقية التي نعلمها ولا تعلمها، ولا مكرهاً لهم على حقيقة الإيمان والهدى، إنما مكلف باستيفاء ما يمكنك استيفاؤه من ظاهر الإسلام واعلاء كلمة الله في الأرض، ولإظهار دينه وهو الإسلام بشرائعه على الدين كله ولو كره المشركون، وهي في نفس اشتقاق كلمة إكراه، ونربط بينهما، فقد نهى الله عن الإكراه في نص وأمر باظهار دين الله عليهم وان كرهوا في نص آخر، ولا يكون التوفيق إلا على أساس أنه لا إكراه على الإيمان، والإكراه كله على ظاهر الإسلام حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

س: وعندما أذن للمسلمين في الجهاد، وبعد انتهاء مرحلة الأمر بكف اليد قال المولى تبارك وتعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾[١٩٢] ألا يدل ذلك على اشتراط بدء الكفار بقتال المسلمين؟

ج: ليست هذه الصيغة صيغة شرطية، وانما هي لبيان الواقع الموجود حين نزلت الآية، وهو ما أرفقه الله بقوله: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾[١٩٣] ولا في هذه الآية الكريمة بيان للغاية النهائية القتالية في الإسلام، ولكن المتتبع للآيات التي وراءها يعلم علم اليقين الغاية الإسلامية من القتال، وهي نصر الله وإقرار عبادته في الأرض واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى في نفس السياق: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ثم ختمها بقوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾[١٩٤] لبيان أن مرجع الناس لحسابهم الحق إنما هو إلى الله.

س: هل تقول باستحقاق الكافرين للقتل شرعاً جماعات وأفراداً؟

ج: نعم، ولا فرق من ناحية الحكم النظري المطلق.

س: ماذا تعني؟

ج: أعني أن هذا مرتبط بشروط كما سبق أن أشرت، وأنه لا يجوز القتل ويحرم إلى حين تحقق شروطه.

س: وما هي هذه الشروط؟

ج: لا يجوز قتل أحد أصلاً من الناس على جرم لم يبين له أنه جرم، فيجب كشرط لقتله أن يبلغ بلاغاً مبيناً، وكلمة البلاغ لغة تعني: أن يبلغ الأمر من نفس المبلغ النهائي الصحيح، وأن تقام عليه الحجة الدامغة البالغة المبينة هذا شرط، وإقامة هذه الحجة مرتبط بسنة الله في ما خلق، وعلمه بطبيعة الناس، ومرتبط بحلمه سبحانه وأنه لا يعجل كعجلة أحدكم، وأنه يعمر الإنسان مدة تكفي أن يقال له يوم القيامة: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾[١٩٥] فأصبح الله عليهم بحجتين: بالنذير، ولم يكن هو الحجة الوحيدة، وإنما بالمدة الزمنية في الحياة، ولقد رأينا أحسن المسلمين إسلاماً يحاربون الإسلام أول الأمر كعمر وخالد وغيرهم كثير، فلو استصدر حكماً عملياً بقتل الناس من أول لحظة في البلاغ لما كان هناك إسلام، حيث سيقتل من سيكون في جماعة الإسلام، ومثل ذلك بقتل القاتل نفسه، حيث يكون مستضعفاً قليل العدد والعدة وما على ذلك تبنى الخطة الإسلامية الربانية، وإنما تبنى الخطة الإسلامية الربانية على إعطاء الناس المهلة ليتبيّنوا ويتفكروا، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا على بينة، وتعطي المهلة إلى المسلمين في الوقت ذاته ليتفقهوا من ناحية، وليعبدوا الله بالصالحات من ناحية أخرى، فيتأهل المسلمون بذلك لوراثة الأرض بعد أن عبدوا الله، ويتأهل الكفار لعذاب الله بعد أن أقيمت عليهم البيِّنة فكفروا...، والفيصل الزمني عندنا جماعة المسلمين هو الهجرة ثم ببدء القتال دفاعياً ثم هجوماً تبعاً للواقع واضطراره مراعاة للغاية الحركية الإسلامية النهائية، وليس دفعة واحدة...

وقالت المحكمة: استمر في البيان فقال:

هذا، وقد كان ما ذكرنا من الأدلة الأربعة إنما هي أدلة عامة، وهناك أيضاً نصوص عامة أخرى وهناك آيات محكمة تبيّن اشتراط العمل الصالح كحد أدنى لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١٩٦]، فاشترط شرطين، وقال تعالى ﴿رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١٩٧]، وقال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[١٩٨]، وقال: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[١٩٩]، وقال ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾[٢٠٠]. فهذه نصوص عامة ومثلها كثير في بيان أن أحد الإسلام هو الإيمان والعمل الصالح وأن خارقه هو المعصية، ونشترط الإصرار عليها لنصوص أخرى اشترطت ذلك، ولم يكتف الإسلام بالنصوص المحكمة الجامعة وإنما ربط الفرائض فريضة بالإسلام كشرط فيه، وربط المعاصي معصية معصية كناقض له، وإليكم بعض الأمثلة التفصيلية: فمثلاً في الصلاة: يقول الحديث الذي سبق أن قلناه في **صحيح مسلم**: «بين الرجل والشرك أو الكفر ترك الصلاة»، وقوله: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»، أو قوله: «من تركها فقد كفر»؛ وفي **الزكاة**: الحديث الذي ذكرته في **صحيح البخاري ومسلم**: «أمرت أن أقاتل الناس... إلى أن قال: ويؤتوا الزكاة»؛ **وفي الصوم** قال تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[٢٠١] فجعل رجاء التقوى متعلقاً بالصوم، وفي **الحج** يقول الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[٢٠٢] وفي فريضة **الجهاد والصبر**: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[٢٠٣]؛ وفي فريضة **لزوم الجماعة** يقول ﷺ: «من فارق الجماعة وخلع يداً من طاعة جاء الله ولا حجة له»، وقال: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»، وهذا الحديث أخرجه **الحاكم** وقال هو على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي؛ وفي فريضة **اكرام الجار واكرام الضيف** يقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». وهكذا في الفرائض القلبية في أعماق القلوب، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[٢٠٤]. ولو تتبعنا الفرائض فريضة فريضة لطال بنا المكث، ولكن نربط ـ كما رأيتم ـ الإسلام والإيمان وجعل كل واحدة منها بعينها شرطاً في الإسلام، أما في **المعاصي**، فأيضاً معصية معصية، وجعل كل معصية ناقضاً للإسلام، وإليكم بعض الأمثلة ـ وقد ذكرنا شطراً منها من قبل ـ قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن... الحديث»، وقد شمل الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاب في **البخاري**، وجعل مقارنة كل واحد منها مدعاة لانتفاء الإيمان، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام، لا يدخل الجنة قاطع رحم»، وقال تبارك وتعالى في **قطيعة الرحم**: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله...﴾[٢٠٥]. وفي **جريمة القتل** الحديث الشريف ونظائره كثيرة، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها..﴾[٢٠٦]. والمعاصي كلها مذكورة معصية معصية على أنها مخرجة عن الإسلام، وذكرناها وجمعنا كثيراً في كتبنا للتدليل على ذات الدلالة وكلها قطعية الدلالة، وهو ما اشترطناه على أنفسنا من أول الأمر. هذا وأريد أن أقف وقفة في موضوع الإصرار والكلام عن الاستغفار والتوبة... فقد أجمل الله الإسلام في أمرين عامين وجعل خلافهما شركاً، قال تعالى: ﴿فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾[٢٠٧]، فدل على أن الإسلام استقامة واستغفار، يعني الطاعة وترك المعصية أو اتيان المعصية، وقال تعالى على لسان المؤمنين: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا﴾[٢٠٨] فدلّت على نفس الدلالة، وجعل الله التوبة شرطاً في دخول الجنة بعد تكفير السيئات قال تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتهم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾[٢٠٩] وقال: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾[٢١٠] وهي نفس النتيجة في الآية التي قبلها، فعلمنا أن التوبة هي محل الإيمان والتقوى ورمز إليها باجتناب الكبائر وصرح في ذات المعنى في سورة التحريم، قال تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات

تجري...﴾[٢١١] فجعل التوبة شرطاً لرجاء دخول الجنة، وعن الإيمان والإسلام بالتوبة في قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾[٢١٢]، وقال تعالى على قتال المشركين: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٢١٣] يعني: أسلموا، وقال تعالى: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[٢١٤] كبيان الحالة للمؤمنين بعد الذنب، وعلى العموم: فاشتراط التوبة كشرط للمغفرة ولتكفير السيئات ولدخول الجنة شرط لا ينكره إلا مكابر، ولكن لا يفوتنا في كلامنا عن موضوع الإصرار أن ننبه إلى أننا نتكلم عن الحكم الشرعي المطلق في المصر، بغض النظر عن إمكانية تطبيقه في الواقع وسواء أمكننا معرفة الإصرار من عدمه، إنما نتكلم عن حكم الله في المصر، ولكي نعطي أمثلة على بعض ما يمكن ضبطه من إصرار في الواقع، فصح عن النبي ﷺ عن **البراء بن عازب**: «أن رجلاً تزوج امرأة أبيه، فعقد النبي ﷺ الراية لبعض المسلمين وأمرهم بقتله وتخميس ماله»، وليس هذا حكم الزاني وتخميس المال للكفار، وهذا يدل على أن هذا الرجل قد كفر بزواجه بامرأة أبيه كفراً عملياً ظاهراً مستوفياً للشروط العملية، حيث إن الفارق بين الزواج بالمحارم وبين الزنا فيهن هو أن الزواج يدل على الدوام والاصرار، فأمر بقتله كفراً، وهذا نص قرأته في كتاب **زاد الميعاد** لابن القيم ـ وأظن أن الشافعي أخرجه في كتاب **الأم** وهو صحيح عند علماء الحديث ـ وجاء لرسول الله ﷺ فقال: «إنا نتقوى على برد بلادنا بشراب، قال النبي ﷺ: أمسكر هو؟ قال: نعم، قال فاجتنبوه، قال: فإنهم غير تاركيه قال: فإن لم يتركوها فاقتلوهم، وأخرجه أصحاب السنن وليس حد الشرب للخمر القتل، إنما القتل يكون للكافر ان لم يكن قاتل نفس ولا ثيباً زانياً، وقد ثبت كفر هؤلاء بقوله من أنهم غير تاركيه، وهو بيان عن خطة للمستقبل في نية عدم التوبة والاصرار، وأنه من المتفق عليه عند العقلاء المنصفين أن ثمة فارقاً نوعياً وليس كمياً بين رجل يقول لوليه: لن أطيعك في مسألة، فهل يدل على الخروج عليه، وبين رجل عصى في مسألة ثم تاب فيعاقب بقدر المعصية وتقبل توبته. هذا ومن الصور الموجودة في المجتمع الآن من صور الإصرار على معصية الله ما يجل عن الحصر، نفترض لها بعض افتراضات فمثلاً: رجل عمل عقداً دائم لتجارة الخمر مدى الحياة، هذا يختلف نوعاً عن رجل شرب الخمر، وامرأة منتسبة للإسلام تزوجت برجل كتابي، وهذا يختلف عن الزنا، ورجل قال: لم أصل، وأخيراً وأهمها وأشملها: أن يستصدر تشريعاً غير قائم على الشريعة الاسلامية ثم يسمى الدستور الدائم للبلاد، وهو إقرار مستيقن على نية استمرار مخالفة أمر الله.

وأستوقفته المحكمة عند هذه النقطة وسألته:

س: حدد وجه أو أوجه مخالفة الدستور الدائم للشريعة الإسلامية؟

ج: لا تهمني التفصيلات في ما هو داخل هذا الدستور على الاطلاق، وبغض النظر عن مدى موافقتها أو مخالفتها لتفاصيل الشريعة الإسلامية، وإنما يكفيني ـ وفي المقام الأول ـ المصدر الذي ارتكز عليه الدستور في استنباط مواده، وأنا أعلم أنه لم يستنبط ما فيه من منطلق الشريعة الإسلامية بل من جملة الأسس والمصادر الأخرى، وآخرها أيضاً ولم يكف يقدمها، فهذا يكفيني في بيان بطلان شريعة هذا الدستور.

س: هل من الممكن أن نعرف ما إذا كنت قد وجدت أي نص في الدستور يخالف الشريعة؟

ج: سبق وأن قلت: لا يهمني على الاطلاق النظر في ما هو داخل هذا الدستور، والذي يكفيني وفي المقام الأول هو مصادر استشراع هذا الدستور.

س: وهل قرأته؟...

ج: لا... وأرجو ألا أقرأه...

س: وكيف إذن تحكم عليه بمخالفته للشريعة وانت لم تقرأه؟

ج: ليست القراءة هي المصدر الوحيد للتعرف على الأشياء والذي لم أقرأه ولا تهمني قراءته ولم يدخل في استدلالي هو ما يحتويه هذا الدستور، أما ما سبق أن قررته أني أعلمه بخصوص هذا الدستور، والذي بنيت عليه تحريمي له وعدم شرعيته أنه قائم ومستنبط من غير الشريعة الإسلامية، ويعلن ذلك

صراحة في كافة وسائل الإعلام وفي مقدمة هذا الدستور نفسه حيث عبَّر في مادته السادسة أن الشعب هو مصدر السلطات.

س: وهل تتعارض هذه القيلة مع الشريعة الإسلامية؟ وضح.

ج: نعم ولا ريب، حيث إن الأمر كله لله وأن له الخلق والأمر وأنه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأنه لا سلطان لأحد ـ مخلوق أو أمة أو شعب ـ من حيث المبدأ ولا ينتهي إليه أمر التشريع، ولا يكون مصدر التلقي والهداية والحكم إلا لله العلي الكبير.

س: ولكن هذه العبارة: «ان الشعب مصدر السلطات» إنما لها مفهوم ومعنى محدد ومصطلح عليه في فقه القانون الدستوري، وهو غسل يد الحاكم من الاستبداد بالشعب وظلمه وحمله على ما يكره... وتأكيداً لمبدأ الشورى وعدم الانفراد بالقرار ومنع التسلط والظلم، هذا هو المعنى المستقر لهذه العبارة الاصطلاحية لا يختلف عليه أحد في علم القانون، فهل ذلك يخالف الشريعة الإسلامية؟

ج: لا أعتقد أن ما ذكرته المحكمة هو التفسير الصحيح لمدلول هذه العبارة، وإنما أعتقد أن ما قالته نتيجة من نتائجها، وهو كف يد الحاكم عن التسلط حسب الدعوة، ولكن على فرض ما قالته المحكمة هو التعريف الصحيح لهذه العبارة، فأنا أقرر أنها كلها مخالفة لحكم الشريعة الإسلامية، وقلب للميزان الذي وضعه الله للعلاقة بين الأمة وإمامها، حيث لم يجعل للأمة مطلق السلطة على الحاكم، وإنما جعل للحاكم السلطة على الأمة إذا حكمها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ذكر عن الشورى فهو أمر مخالف تماماً هذا المعنى، حيث إن الحاكم في الأمة الإسلامية هو الذي يختار موضوع الشورى ويختار من يستشير والشورى بعد ذلك، معلمة له وليست ملزمة له، وله أن ينفرد برأيه بعد الشورى، وان اجتمعت الأمة كلها على خلاف رأيه، والنص القرآني يقول لرسول الله ﷺ: ﴿وشاورهم في الأمر﴾[٢١٥]، فكلفه هو أن يبدأ بالمشاورة على الصورة التي يراها صالحة، ولم يكلفهم بفرض الشورى عليه، وقال في «الأمر» وإضافة الألف واللام إليها يعني: في ما جل من الأمر، وليس أي أمر وباختياره وحسب وجهة نظره، ثم قال: ﴿فإذا عزمت﴾ وجعل العزيمة له خالصة من دون الناس: ﴿فتوكل على الله﴾ فأين سلطة الشعب؟

س: ولكن مبدأ سيادة الشعب يعطي الشعب حق اختيار الحاكم، وأنه لا يفرض نفسه على هذا الشعب، كما يعطيه الحق في مراقبته ورده عن الخطأ والظلم، أليست الخلافة في الإسلام عقداً بين الأمة والإمام، وكذلك أليس صحيحاً أن ولاية الشيخين الجليلين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأكثر من أمثالهما في هذه الأمة، إنما كانت على شرط تقوى الله واتباع القرآن العظيم وسنة النبي ﷺ، وأنهما رضي الله عنهما إذ توليا إنما قالا للناس: «إذا وجدتم فيّ عيباً فقوموني»، فهذا إذا لا يتعارض مع المفاهيم المقررة بعبارة سيادة الشعب في القانون الدستوري حسبما سلف للمحكمة تحديدها، فما قولك؟

ج: بالنسبة لاختيار الحاكم: فقد صح عن النبي ﷺ أنه أوشك أن يكتب كتاباً يعهد فيه بالخلافة بعده إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، خشية أن يتطلع إلى الخلافة غيره ثم قال: «فقلت في نفسي: الله يأبى ذلك والمؤمنون»، وصح عن النبي ﷺ: «أن امرأة وعدها النبي ﷺ بوعد إذا جاءت في وقت معين لتأخذه قالت: فإن لم أجدك ـ تعني الموت ـ قال: فمن هذا، وأشار إلى أبي بكر»، وصح عن رسول الله ﷺ: «أنه في حين مرض الوفاة قدم أبا بكر للصلاة وأنكر عمر أن يتقدم للصلاة بدلاً من أبي بكر لما سمع صوته يكبر»، فكل هذه النصوص ساطعة الدلالة على أن النبي ﷺ قد اختار أبا بكر، وعلم باختياره من الناحية القدرية، وسكن إلى ذلك وأشار إليه وقربه إليه بما يجعل أهل الحل والعقد الذين اختارهم هو وقربهم، يحرصون على خلافته من بعده، فالإمام هنا هو الذي اختار الخليفة من بعده باشارات واضحة حتى فهم الصحابة ذلك وقالوا لأبي بكر: «رضيك رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاك لدنيتنا؟»، وهو ﷺ الذي اختار من يمكن تسميتهم اصطلاحاً بأهل الحل، وهو الذي اختارهم وقربهم، وبالتالي فقد علم بطريقة غير مباشرة النوعية التي سيختارون... وحددها ورفض رفضاً كاملاً أن يكون الشعب هو الذي

يختـار الخليفة، وإلا لمـا اختار خليفـة، حيث أن لفظ الشعب تفيد عمـومه، وهـو ما عينتمـوه، وأبو بكـر الصديق قد اختاره المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة في المدينة، واضعافهم في الشام وغيرهـا في سائر جزيرة العرب، ولم يكن لهم رأي في ذلك إلا بالتبعية، وبعد انعقاد الخلافة لأبي بكـر الصديق. أمـا عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فما اختاره إلا الخليفة الأول فرضاً على الأمة، واختيـاره له أمـر من أوامره لا يحل للأمة أن تخالفه، أما عمر بن الخطاب فقد فرض على المسلمين ستة يختـارون واحداً منهم لا يحل لهم أن يخالفوه في هذا، واختيار الشعب للخليفة بالصورة الحديثة إنما يكون عن طريق الترشيح، وهو ما يحرمه حقه في الخلافة أصلاً إلى الأبد حيث يقول رسول الله ﷺ: «أنا لا نولي هذا الأمر من سأله أو رغب فيه».

س: تنكر أن ولاية الأمر عهد بين الإمام والرعية؟

ج: لا أنكـر أن هناك بيعـة في عنق الأفراد لإمـامهم أن يطيعوه مـا أطاع الله فيهم، حـاكمـاً فيهم بشريعة الله وحده، وهذا لا يتعارض مع قولنا الأول، فبعد أن يتولى الخليفة المسلم خلافته بـالصورة التي ذكرناها فعليه أن يلتزم بالإسلام في حده الأدنى على الأقل، وعليهم أن يطيعـوه في هذا الحـد ما لم يـروا كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان، فهذه النقطـة تتكلم على مـا بعد تنصيب الخليفـة وليس على حـين تنصيبه.

س: ما هي الطريقة الموافقة للشريعة الإسلامية التي يتم بها تنصيب الإمام؟

ج: لقـد أشرت إليها حتمـاً في كلامي السـابق، وخلاصتهـا: إن الخليفة الـذي قبله إمـا أن يعينـه بالاسم، واما أن يدخله ضمن ناس يختار من بينهم أو أن يأتي الاختيار تلقائياً من قبل المقربـين للخليفة الأول فيختـارون منهم واحداً، فكـان الخليفة هـو الذي اختـاره بطريق غـير مباشر ولا يتـرك للشعب أن يستفتي عليه. إن الدين الإسـلامي دين عملي واقعي، وهـو يعلم أن عموم النـاس لا يملكون الإمكـانيات الصحيحة، سواء من القدرات العقلية ولا من المعلـومات الـواردة على اختـار الأصلح لهم، ويعلم الـذين يتولون المراكز الأساسية في الدول الإسلاميـة من أقرب النـاس وأقدر النـاس على معـرفة الصـالح وغـير الصالح، وهم أولي الناس بالتقديم لأنهم ما قدموا عند الخليفة الأول المسلم إلا لسبب يستـوجب التقديم، فالإسلام يـواجه هـذا الأمر كمـا هو في الـواقع، والحقيقـة أنه في أرقى البـلاد العصرية الآن فـإن عوام الناس، ومن دخلوا الجامعات والمعاهد لا يصلحون للاختيار السياسي وفهم الساسة، ولا يختارون الحاكم، والذي يختار الحاكم في كل بلد هو الهيئة المؤثرة والتيارات العالمية.

س: وإذا تم اختيار الإمام بمعرفة مجلس محدود العدد، ثم استفتي الشعب عليه ألا يقابـل ذلك نظام الاختيار بمعرفة الحل والعقد ثم البيعة بعد ذلك؟

ج: كلا قطعاً، حيث إن أهـل الحل والعقـد الذي اختـارهم هو الحـاكم وليس الشعب، وهذا عكس المثل المضروب الآن.

س: ألست على رأس جماعتك؟

ج: بلى.

س: وكيف جعلت كذلك؟

ج: ليعلم أن موضوع السؤال الأخير هذا غير الموضوع الذي كنـا نتكلم فيه، حيث أنـه كنا نتكلم: ليس عن الخليفة الأول وهو رسـول الله ﷺ وإنما كنـا نتكلم عمّن بعده، وإلا فهـل طرحت مسـألة: كيف اختير النبي ﷺ ليكون إماماً للأمة؟ وهكذا... فإنه يفرق بين قيام ونشأة الحركة الإسلاميـة من الجاهليـة فيكون ترتيبها الطبيعي أن يقوم رجل فيدعو الناس فيستجيبـون له، فـارق بين هـذا وبين الخليفـة الذي يأتي بعده، قال تعالى مقرراً قاعدة عامة في وجوب اتباع الهادي الأول من الناحية العمليـة: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[٢١٦] وقال رسول الله ﷺ: «وفوا بيعة الأول واقتلوا الثاني».

س: أجدر بك أن تشبه بإنسان آخر خلاف رسول الله ﷺ نقصد من الأمراء وولاة الأمر، لأنه ﷺ إنما نزل عليه الوحي لهذا الأمر من الله سبحانه وتعالى: فما قولك؟

ج: لم أشبه نفسي برسول الله ﷺ وإنما استدللت بالسنة التي اتبع على أساسها رسول الله ﷺ، مع العلم أن تشبيه نفسي بغيري من الأئمة في هذه الحالة لا يصلح للاستدلال، لأن استدلالي كان مبنياً على نشأة الإسلام، فلا يصلح في هذا الاستدلال إلا بيان السنة التي كانت لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[٢١٧].

س: أتقول إن مثلك ومثل جماعتك كمثل نشأة الإسلام في مبتدأ الأمر؟

ج: نعم، وبذلك أوقن، قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح في **مسلم** وغيره: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»، وقال النبي ﷺ: «تكون النبوة ثم خلافة على منهاج النبوة ثم ملك عضوض ثم ملك جبري ثم خلافه على منهاج النبوة ثم سكت»، صححه الألباني في كتاب **الأحاديث الصحيحة وعزاه** إلى بعض الكتب لا أذكرها وله شواهد في الصحيحين.

س: تريد المحكمة أن تعرف: كيف جعلت على رأس جماعتك؟

ج: ملخص ذلك، أن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فهداني برحمة منه إلى ما أعتقد أنه دين الله، ثم هدى بي من شاء من عباده، فاتبعوني ائتماراً بأمر الله واعتصاماً بحبله، واستمر الأمر على ما ترون.

أقوال المتهم شكري أحمد مصطفى بمحضر جلسة ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٧.

طلبت المحكمة من المتهم الأول شكري أحمد مصطفى أن يستمر في بيان فكره...

فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: كان ما انتهينا إليه بالأمس هو تحديد النظر لحد الإسلام كما بيَّنه الله، وبيان كون المعصية ـ معصية الله ـ خرق للشهادة وللإسلام، يستمر هذا الخرق ما بقيت المعصية ويزول بالتوبة والاقلاع والاستغفار، وبيان أن الإصرار على معصية الله نقض كامل للشهادة بوحدانيته وكفر كامل بوجوب عبادته، وانه لا يجتمع التوحيد في العبادة مع الإصرار على المعصية أبداً، لا شرعاً ولا فطرة، وانتهى كلامنا إلى ضرب الأمثلة الواقعية عن الإصرار على معصية الله مما ثبت في عهد النبي ﷺ ومما هو واقع في أيدينا الآن في الأرض ـ كل الأرض ـ وفي المجتمعات ـ كل المجتمعات ـ وكان أعظم مثل ضربناه هو مثل الدساتير المستمدة من غير شرعة الله تبارك وتعالى والمنبثقة من إرادة الشعوب بزعمهم وأننا نقرر الآن أنه لا ظل لدين الله في الأرض الآن، وأن المجتمعات التي على البسيطة الآن كلها قد فسقت عن أمر ربها وعصت رسله واتبعت كل شيطان مريد، وأنه، والأمر كذلك، والحقيقة لا تخفى على منصف مشفق من يوم القيامة، كان على المؤمنين أن يبعثهم الله ليعبد بهم في الأرض كما هي سنته بعد أن يضرب ضربته سبحانه ويبطش بطشته انتقاماً لألوهيته وعزته، ومن البديهي أن أول ما يبدأ به المؤمنون هو أن يعرفوا حقيقة الإيمان والإسلام، ليدعوا الناس إليه وليقيموا أنفسهم عليه، ومع ذلك، وفي خلاله يعرفون حقيقة الكفر ودلائل الشرك ليفصلوا بين الإيمان والكفر، وبين المسلمين والكافرين، قال تعالى بعد أن بين أقسام الناس إلى ثلاثة أقسام في آخر سورة الأنفال: إلى مؤمن مهاجر وناصر له هم أولياء بعض، وإلى مؤمن لم يهاجر: ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ وإلى كافرين بعضهم أولياء بعض، قال تعالى تعقيباً على هذاالتقسيم: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾[٢١٨]. ولما كان بحر الجاهلية المتلاطم ـ بعلم الله قد اقتضت سنة الله فيه أن يحتوي من فيه وأن يجرفهم معه ـ كانت السنة الربانية والتي سنبينها ونفصلها في حين الكلام عن العزلة ـ أقول ـ كانت السنة هي تميز وانفصال وفرار الهيئة المؤمنة من ذلك الخضم الكافر، يتوج ذلك بالهجرة إلى أرض غير الأرض وعبادة غير العبادة، تمهيداً للانطلاق باسم الله في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكان بودنا ـ لولا ضيق الوقت ـ أن نتكلم بتوسع عن أسس المجتمعات الجاهلية عقيدة وعرفاً وحكماً وثماراً وأساليب، وأيضاً كان بودنا أن نتكلم عن الفرق بين المجتمعات وبين المجتمع الفذ العبقري المتحضر حقاً، الداعي لحق الله وحق الإنسان

والعاقد الصلة ـ حقاً ـ الصحيحة بين الله وعباده حتى النملة والصخرة، وأيضاً كان بودنا أن نتكلم عن أسلوب الجماعة المسلمة في استيفاء حق الله وكيف تنضبط فيها الأفراد بالضابط الشرعي الظاهر، فلا يستعلن فيها بالمعصية ولا يتجسد فيها بأعمال لغير الله في ظاهر الأمر، ولا يمجد فيها دين غير دين الله، يعني في نهاية الأمر: تكون فيها كلمة الله هي العليا، وكنا نود أيضاً أن نفصل أسلوب تعامل الجماعة المسلمة في أرضها مع رعاياها من غير المسلمين، لبيان أن الله لم يسو بين حزبه وعدوه لبيان أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولبيان كيف اختط رسول الله ﷺ خطة التفريق والتمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين حتى قال قائل اليهود: «إن هذا الرجل ـ يعني محمداً ﷺ ـ لا يريد أن يترك شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه»، قال تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم. ساء ما يحكمون﴾[٢١٩]. غير أنه ـ وقد ضاق الوقت عن هذا الآن ـ نحيل من يريد أن يعرف قولنا إلى كتبنا التي سبق أن أشرنا إليها وبالأخص كتاب **التبين** وكتاب **الخلافة** ـ ونعمد الآن مباشرة إلى بيان بدايات جماعة المسلمين في الانسحاب رويداً رويداً من سائر مؤسسات الجاهلية؛ ونخص بالذكر منها الآن المعابد الجاهلية ودور التعليم الجاهلية والجيش، ثم الانسحاب من الأساليب الاجتماعية المتعارف عليها غير الشرعية. وقد سبق أن تكلمنا عن موضوع المساجد كلاماً تفصيلياً، وأيضاً أجبنا على بعض الأسئلة في موضوع العلم بالتعلم، ولكن هذا الأمر لم نفه حقه من وجهة نظرنا، في بيان أصله الشرعي ومدلوله، وهو على النحو التالي ـ وقد سبق أن قلنا ـ إن العلم من الله وحده، وأن ما عداه فهو ظن، وعليه فإننا نخرج كل ما لا يتصل سنده بالله من دائرة العلوم ـ وإن أسموه علوماً ـ كعلوم الفلسفة والاجتماع والنظريات التي لم تثبت صحتها بأدلة مادية، وفي نهاية الأمر كله: ما لم يكن من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا ببديهيات العقل ولا بمقررات الواقع المستيقن، هذه أول نقطة، والنقطة الثانية: اننا نخرج عن دائرة التعليم، وليس العلم، كل ما نهى الله عن تعلمه ورسوله كعلم السحر والفنون المؤدية إلى الفاحشة والتشريح واللعب بجسد الموتى إلا أن يكون لضرورة تفيد منها الجماعة المسلمة في سبيل الله، ثم نعود فنقرر أن العلم الذي أجاز الله تعلمه للناس إنما هو على سبيل الحصر: العلم الذي يربطهم بالتكليف الوحيد الذي لم يكلفهم الله إلا به وهو عبادته وحده سبحانه، ونقول إن ذرة تعلم يقصد بها غير بلوغ هذه الغاية إنما هي ذرة خارجة عن العبودية مضافة إلى التأله في الأرض بغير الحق مبتدأة بداية الطغيان البشري. قال تعالى في أول سورة أنزلها: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم، كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[٢٢٠] ويظن المحرفون للكلام عن مواضعه أن هذه الآيات دلالة على الحض على التعلم من علومهم الدنيوية غير المتصلة بالعبودية، كذبوا، كلا، بل هي نهي عن التعليم إلا للعبودية، وبيان للكون العلم الزائد عن ذلك علماً يطغى به الإنسان إذ يرى أنه استغنى بهذا العلم عن ربه ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾.

س: ومن حيث الأسماء: ماذا تسمي ما تعلمته في كلية الزراعة؟

ج: ما كان متصل السند بالله كالسنن التي يدرس فيها التفاعلات الكيماوية والعمليات الحيوية، وسنة انبات النبات والتزاوج بين الكائنات وما إلى ذلك، فكلها تسمى علوماً من الناحية الشرعية، أما ما كان من نظريات اجتماعية كأساليب التعامل مع القرويين وتحسين حالتهم النفسية، فهذه نظريات لا يسمى منها علم إلا ما ثبت ببديهية عقلية.

س: يبدو من إجابتك السابقة انك لا تنكر ولا تستهجن دراستك تلك في جملتها فهل تؤكد فهمنا هذا؟

ج: أنا قلت إن هذه العلوم علوم، ولكن اختيارها على غيرها في الدراسة شيء آخر، ولو كان الأمر بيدي لجعلت عمري في علوم أخرى غير هذه العلوم، حيث قد ثبت بداهة وواقعاً أن عمر الإنسان لا يتسع للعلوم جملة، وإنما نأخذ هذه العلوم وندع على قدر الكفاية والحاجة المتعلقة بعبادة الله.

س: ألا ترى أن حياة الجماعة المسلمة وهدفها، ولا شك هو عبادة الرحمن وتحتاج إلى تعلم علوم بعينها واحتراف حرف بذواتها لتيسير هذه الحياة؟

ج: هذا مما لا يشك فيه أحد، ولكن المشكلة هي الموازنة العملية بين الأخذ والترك. وقالت المحكمة: أتم ما بدأت... فقال:

والآن نعود إلى أمر التعلم، ونقول إنه يجب أن يرتبط بالعبادة ولا تؤخذ منه الناحية العملية إلا بالحاجة الضرورية حتى في العلوم الشرعية، فمثلا: لا يدرس أحد تفاصيل الزكاة إلّا في حالة احتياجه لأدائها أو تعليمها لغيره، العملية إلا بالحاجة الضرورية، حتى في العلوم الشرعية لغيره، ولا يدرس تفاصيل البيوع في مسائل بعينها إلا لحاجة عملية في ذلك، وكذا، وعلى سبيل الأولى: العلوم الأخرى كالطب والفلك واللغة والكتابة واللغات الأخرى، ولقد أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يختار خير أمة أخرجت للناس أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، الشهر هكذا وهكذا، وعد بيديه تسعة وعشرين» (رواه مسلم)، وقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[٢٢١]، ولقد شاب رسول الله ﷺ ولم يكن يعرف أن النخل يؤبر كي لا يشيص، مع أنه في جزيرة العرب ذات النخل، وقال في ذلك: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، فثبت من هذا النص يقيناً بمقارنته بقوله ﷺ: «والله إني أعلمكم بالله وأتقاكم له» رواه البخاري.

وثبت أن الأعلم بالله والأتقى له هو الأقل علماً بأمور الدنيا، وأنه لا يملك الإنسان ـ حسب القدرات المودعة فيه ـ أن يجمع بين الأمرين في الصورة الكاملة، وأنه بقدر ما يترك علم الآخرة يقع في العلم الآخر، هذا، وأمية النبي ﷺ ـ وإن كانت من دلائل نبوته ـ إلا أنها ليست أصيلة في الدلالة على النبوة ولا هي من الضرورات في إثبات النبوة، فبعد أن ثبتت نبوته كان في مقدوره أن يتعلم الكتاب والحساب لو كان في ذلك خير للعبادة وللدين... بل لم نجد رسول الله ﷺ يفتتح الكتاتيب والمعاهد لتعليم المسلمين الكتابة والحساب، ولا خلفاؤه الراشدين من بعده لو كان في ذلك نفع الدين، وهم الأعلم بنفع الدين، وإنما أذن رسول الله ﷺ في التعلم بقدر الحاجة والضرورة، حتى صح في **الصحيح** أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن ثابت: إني أخشى من كيد اليهود في الكاتبات» وأمره بأن يتعلم السريانية، قال: فحذقتها في خمسة عشر يوماً، فكلف واحداً في الأمة ليس إلّا لتعلم السريانية بقدر الحاجة والضرورة، وأيضاً ما وجدنا رسول الله ﷺ ولا القرآن الكريم، يعنى بتعليم الطبيعيات والفلكيات والفلسفات والرياضيات، وإنما استمر رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً في دار الأرقم يعلمهم أمر الله وشريعة الله. قال الله: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[٢٢٢] (ما مهمته): ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[٢٢٣]، فبين النص مهمة النبي ﷺ وخلفائه من بعده التعليم ونوعية التعليم، وأثبت النص أن الذي لا يتعلم هذه العلوم المذكورة في الآية لفي ضلال مبين، وان تعلم ما تعلم من العلوم الأخرى. وها هم اليهود وأساطين الكتابة والحساب والعلوم يجعلهم الله (سبحانه وتعالى) في مثل الحمير، قال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[٢٢٤]، وهي الآية في ذات السورة التي تكلمت عن الأمة الأمية وهي سورة الجمعة، وإنما كانت أمة اليهود في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾[٢٢٥].

بقين أن أقول: إن هذه الأمة الأمية، التي اختارها الله خير أمة أخرجت للناس لم تنته بمواصفاتها هذه بانتهاء جماعة محمد ﷺ الأولى، وإنما هي كذلك في جماعته في آخر الزمان، حيث عقب الله تعالى على الآية التي ذكرناها: ﴿وهو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[٢٢٦] عقّب فقال: ﴿وآخرون منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٢٢٧].

س: ما فهمك لكلمة: أمي وأمية بحسب استخدامها في القرآن العظيم؟ ألا تفهم هذه الكلمة على أنها تدل على من ليس بيده كتاب من عند الله، وهو ما يتبادر من قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم الا يظنون﴾[٢٢٨] وأن محمداً ﷺ وأمته لم يكن عندها كتاب من الله قبل القرآن، فإن أهل الكتاب كانوا يقولون: ليس علينا في الأميين سبيل، ويعنون بالأميين غيرهم ممن ليس بيدهم كتاب، فهل علمك ما يناقض هذا الفهم ويثبت غيره حسبما قلت بمعنى أن الأمي والأمية يعني: عدم الكتابة تحديداً؟

ج: قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾[٢٢٩] تدل دلالة بينة على أن الأمية ليست متصلة بعدم وجود الكتاب، وإنما تتصل بالجهل في موضوع الأمية، فالآية قد أثبتت أمية اليهود، وهم عندهم الكتاب، إنما هي في الجهل بهذا الكتاب وهو التوراة.

ولفظة (الأمية) مطلقاً، لا يمكن فهمها في القرآن ولا في السنة أصلاً إلا من منطلق اللغة العربية، حيث نزل القرآن بلسان عربي مبين، وقد فتشنا في قواميس اللغة فلم نجد المعنى الذي ذكر في السؤال، وإنما نصت قواميس اللغة العربية واتفقت بقولها «الأمي والأمان» وهو الذي لا يكتب ولا يحسب، وهكذا فسرها رسول الله ﷺ: (نحن أمة أمية لا تكتب ولا تحسب).

س: ولكن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه عن ذاته: ﴿الذي علّم بالقلم﴾[٢٣٠] كما يقول عز من قائل: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾[٢٣١] كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾[٢٣٢] ألا تدل هذه الآيات العظام على أن الله سبحانه وتعالى يمنّ على خلقه بهذه النعم؟

ج: قوله تعالى: ﴿علّم بالقلم﴾ لا تدل على أن معناها علّم الإنسان أن يكتب بالقلم، وإنما معناها الظاهر هو أنه هو الذي علّم، يعني: خطّ بالقلم، ويعضد ذلك الآية الأخرى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ليس فيها أي دلالة على أن الإنسان هو الذي يسطر، بل المعنى الظاهر هو أن الملائكة هي التي تسطر في اللوح المحفوظ بالأقلام، وقد ثبت عن النبي ﷺ في حديث صحيح، أما عن قوله تعالى: ﴿عَلم الإنسان ما لم يعلم﴾ بعد قوله: ﴿علّم بالقلم﴾ فهو بيان لفظه سبحانه وتعالى أنه علّم الإنسان ما لم يعلم وارتباط هذا الذي تعلّم ما لم يعلم منهم من وضع العلم في موضعه ليعبد الله، ومنهم من استزاد في علوم الدنيا وفي حدودها مستغنياً عن الله بذلك، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾[٢٣٣]، أما قوله تعالى: ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾[٢٣٤] فنحن لا ننكر تعلم عدد السنين والحساب مرتبطاً بعبادة الله وفي حدوده، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾[٢٣٥] فربطها بشعائره وعباته، وعليه فكل علوم الحساب التي لا تخدم العبادة فهي شرك قطعاً وتأله قطعاً...

س: أليس القلم من نعم الله سبحانه وتعالى التي أنعمها على خلقه بحيث أقسم بها عز وجل مستعظماً شأنها في الآية التي ذكرتها المحكمة؟

ج: لا أنكر مطلقاً أنه من نعم الله الكبرى، وقلت إن المشكلة هي موازنة في الأخذ من هذه العلوم بقصد ربطها بالآخرة وعبادة الله، وفي هذه الحدود من الناحية العملية. يعني مثلاً، إذا كان علم التفاضل والتكامل في الرياضة لا يفيد في العبادة فهو علم لا ننكره، ولكن فرضه على طلبة الجامعات والمدارس الثانوية بالجملة هو في نظرنا اختلال في التوازن وتوجيه لهذا العلم إلى غير ما أراده الله له، هذا ما نريد أن نقوله.

س: إنما تريد المحكمة أن تعلم رأيك في تعلم الكتابة دون إفاضة في نظريات الشكوك في الإنسان إليها وغير ذلك؟

ج: يحرم تعليم الكتابة في الجماعة المسلمة إلا بقدر الحاجة العملية الواقعية لما يتصل بالكتابة وتعلم الكتابة الزائدة حرام.

س:: ألم يكن بعض الملمين يعرفون الكتابة العربية على عهد النبي ﷺ وأنه من يعرف الكتابة منهم كان يدوِّن القرآن العظيم؟

ج: نعم، وهذا لا يتعارض مع أمية الأمة لذاتها لأن المقصود بذلك الطابع العام لها، ولو لم يكن هناك من يعرف مطلقاً الكتابة فيها لأمر النبي ﷺ من يتعلمها منهم بقصد كتابة القرآن العظيم وفي حدود ذلك.

س: وإذا شرع بعض الصبية أو الرجال في تعلم الكتابة برغبة ذاتية، أترى أنه يمنع ذلك أو يترك حسب مشيئة الإمام، والسؤال: هل يجوز للإمام شرعاً أن يتدخل في هذا الأمر؟

ج: في العادة لا يتدخل الإمام في المسائل الشخصية حيث إننا إنما ذكرنا القاعدة العامة في التعلم

ويقدرها كل مسلم أصلاً بنفسه ولا يتدخل الإمام في ذلك إلا إذا أثر هذا الأمر على الخطة الإسلامية الحركية وبقدر الحاجة.

س: هل علمت في ما يؤثر عن سيرة الرسول ﷺ أو الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر أنهم نهوا أحداً عن تعلم الكتابة، ونسأل عن حالة واحدة؟

ج: نجيب على هذا السؤال بسؤال: هل هناك حالة عرضت علينا رغب فيها الناس في عهد النبي ﷺ في تعلم الكتابة والعلوم بصورة شائعة تؤثر على الحركة الإسلامية وتوجب تدخل الإمام؟ وعلى علمنا أن هذا لم يكن موجوداً في عهد النبي ﷺ وبالتالي فلم يكن وجود تدخل من الرسول ﷺ.

س: ألا تعلم أن الرسول كان يقبل من الأسرى أن يعلموا أولاد المسلمين الكتابة بدلاً من الفداء بالمال؟

ج: أعلم ذلك، وقد أشرت إليه من قبل في كلامي حيث قلت إن النبي ﷺ قد أمر بتعليم بعض المسلمين الكتابة في حدود الحاجة، وكنت أقصد بذلك ما حدث بخصوص أسرى بدر.

وقالت المحكمة: أكمل ما أخذت بيانه... فقال:

بقي أن أقول في أمر العلم: إن البشرية كلها الضالة التي دمرها الله تعالى لم تكن تزهو إلّا بالعلم، ولم تكن تتعالى على الله إلا بثمرة هذا العلم المنعدم الصلة بعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها: أتى أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس. كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾[٢٣٦]، وقال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون﴾[٢٣٧].

أما العلم في الإسلام فهو قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾[٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[٢٣٩]

س: سبق في إجابتك قولك: «إن تعلم الكتابة الزائدة حرام» هل تعني ذلك وتصر عليه؟

ج: نعم.

وقالت المحكمة: استمر فيما أخذت في سرده... فقال:

أما في ما يتصل بالانسحاب من المؤسسات الجاهلية والوشائج الأرضية المخالفة لأمر الله، فهذا تعمد إليه جماعة المسلمين مؤتمرة فيه بأمر الله، والأمثلة على ذلك ما يتصل بالزي وخاصة بالنسبة للمرأة، وما يتصل بالروابط الأسرية المعطلة للعبادة، بمعنى أنه إذا كانت مصاحبة الأهل تفضي إلى مخالفات شرعية كالاختلاط بالأجنبيات بالاضطرار، ونتيجة الوجود في منزل الأسرة، مثلاً في حالة سكن الرجل مع الأسرة يدخل عليه ضيوف الأسرة بالضرورة متبرجات إذا كن نساء، وهذا مما يوقعه في خطأ شرعي، وأيضاً فقد يحول الأهل بين المسلم وبين أوامر الجماعة المسلمة، فيضطر إلى أن يأخذ موقفاً يمنع ذلك، وقال الله تعالى: ﴿وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا﴾[٢٤٠].

س: ولكن هذه الآية خاصة بذي القربى وليس بأهل البيت؟

ج: كلامي أصلاً عن ذوي القربى، أما بخصوص الزوجة فهذا أصلاً لن تكون معه إلا إذا كانت ملتزمة بما تعتقد، قال الله تعالى: ﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً، واتبع سبيل من أناب إليّ﴾[٢٤١]، فقد أمرت الآية بالمصاحبة للأهل في الدنيا بالمعروف، ولكن إذا خفت من الشرك منهما، فمع المصاحبة بالمعروف، عليك أن تتبع سبيل المؤمنين، وينبه إلى أن المقصود بالدنيا ليس البيت خاصة، ولدينا احتراز مهم يجب أن ننبه إليه وهو، أننا بفرض الله، نفرض على أنفسنا المعاملة، بالحسنى والقسط والبر والتقوى بالوالدين والأقربين وبحسن الخلق للناس جميعاً.

س: سألت المحكمة هذا الصباح الصبي المتهم طه حسين زيني عن تركه منزل أسرته وعن

صفة أبيه وخلقه وعمله، فقال إنه تركه وهجره لأنه دعاه إلى الجماعة ـ يقصد جماعتكم ـ فلم يدخل فيها، فلما سألته عما إذا كان رجل دين؟ أجاب: هو يدعي بذلك، وأمرته المحكمة أن يحسن التكلم عن أبيه، فعقب المتهم ماهر بكري على ذلك من نفسه بقوله: «إننا لا نخشى في الحق لومة لائم» فهل تقر بذلك؟

ج: كانت إجابة طه الزيني هذه التي ذكرت إجابة مؤدبة وموفقة، حيث إنه مع أنها حق ـ في ما أعلم ـ فهي أيضاً قد كفت عن ذكر حوافز أخرى متصلة بوالده تدعو حقاً إلى هجره فامتنع هو عن ذكرها في المحكمة تأدباً، واعتمد على السبب الأصيل كمبرر.

س: وهل تقر للصبي غير البالغ الحق في أن يحكم على أبيه بالصواب والخطأ؟

ج: نعم وإذ إنني أقر للصبي فهم الحق وأعرضه عليه، فبالتبعية أنا أقر له بمعرفة الباطل، والإنكار عليه، وقد اعتبر القرآن الصبيان هيئة قائمة بذاتها فقال تعالى: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا...﴾[٢٤٢]. هذا، وأنه من المعلوم أن نحمل الصبي لحديث النبي ﷺ « ـ مقبول عند علماء الحديث وعندنا ـ وغيره أيضاً نجيز رواية الخبر للصبي المميز الذي بلونا منه حسن الضبط والنقل، وإن كنتم تقصدون الحكم بالكفر والإسلام، فنعم أيضاً، وهو الذي يدفع الولدان في النص القرآني أن يعتبروا أنفسهم من المستضعفين وأن يسعوا للهجرة.

س: وقالت المحكمة فاتّم... فقال:

ونحب أن نشير في أمر العلاقات الأسرية في مسألة الزواج عندنا، إذ إننا نسعى إلى جعلها أقرب ما يكون إلى ما كانت عليه أيام محمد ﷺ من حيث التيسير بالذات إعفافاً للمسلمين في هذا المجتمع للميسر والزنا، وائتماراً بأمره: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج». (الحديث).

أما في ما يتصل بأمر السن فأمره معروف في الشريعة.

س: وهل نجد في النظام المعمول به في بلادنا الآن ما يخالف الشريعة الإسلامية؟

ج: مثلاً: تقييد سن الشباب والفتاة بسن معيّن مخالف لما في الشريعة، وكذا ما يكتبونه في العقد أنه على مذهب فلان فهو مخالف أيضاً، هذا من ناحية الشكليات، أما من ناحية الواقعية فإن نظام الزواج في المجتمع نظام معقد لا يمكن الشاب حقاً من الزواج في الوقت المناسب من حيث تكاليف السكن أو العثور عليه، ومن حيث تقاليد الأسرة في الفراش وغيره.

س: وما الحكم عندكم إذا دعيت زوجة للدخول في جماعتكم فدخلتها ولم يدخلها زوجها، وهل عرضت هذه الحالة بالفعل من عدمه؟

ج: هذه الحالة عرضت لنا كثيراً، من الناحية النظرية، فإنها عندنا لا تحل له، ومن الناحية العملية فإنها تهجره باقتناعها وتستضيفها الجماعة ثم تطلب الطلاق رسمياً إلى أن تحصل عليه.

س: وكيف تطلب الطلاق؟ ولأي سبب يكون ذلك؟

ج: لاختلاف العقيدة.

س: وإذا رفض الزوج، ماذا تفعلون؟

ج: هي في النهاية لن تذهب إليه، وتقرفه أو نقرفه.

س: إذا تمكنت المرأة من مغادرة مصر وقد حكمتهم بكفر زوجها دون أن يطلقها، هل لها الحق ـ بالرغم من قيام عقد الزوجية وإصرار الزوج على عدم الطلاق ـ أن تتزوج من غيره؟

ج: إننا لا نفرق مطلقاً بين ما نعتقده وبين ما نفعله حين التمكن على شرط عدم الإضرار بمصلحة المسلمين، للإجابة مباشرة على هذا السؤال نقول: إنني لا أمانع مطلقاً إذا رغبت في الزواج أن تتزوج بهذه الشروط التي ذكرتها في هذه الحالة.

س: وهل حدث ذلك بالفعل؟

ج: لا.

س: جاء في رسالتك إلى السيد رئيس الجمهورية أنك تطلب اعفاء جماعتك من الخدمة في القوات المسلحة، فما مبررات ذلك؟

أولاً: أنا أعتقد من أن هذا الجيش لا يقاتل في سبيل الله، وهذه وحدها تكفي.

ثانياً: الجماعة محتاجة إلى هؤلاء الأفراد في مجالات خاصة بالجماعة الدعوة والإدارة وغيرها. هذا وانني أرى أن وجود أفراد منا داخل الجيش لا فائدة منه لنا ولا للدولة، حيث أنه في حالة وجودهم فيه قد أكلفهم بالدعوة إلى أفكارنا فيه، وقد حدث هذا بالفعل في البحرية بالإسكندرية مما ترتب عليه أن تسبب مشاكل كثيرة في البحرية، وأقول: أنا لا أرى في خروجهم كبير عبء على الدولة الآن حيث ان الدولة تدعو الآن إلى السلام وتقف على أبوابه، مما يصحبه في العادة بعد ذلك تخفيض طبيعي للقوات المسلحة.

س: إنما أسألك عن الحجة الشرعية، والمحكمة تحدد السؤال الآتي:

ألا ترى أن قتال اليهود اليوم ـ وقد فعلوا بالمسلمين ما تعلم واحتلوا من أرضهم ما تعرف ـ فريضة إسلامية على كل مسلم، وعليك أنت بالذات نسألك كمسلم؟

ج: أنا أعتقد أن الأرض التي احتلتها اليهود ليست إلا جزءاً من أرض الإسلام التي يحتلها سائر الكافرين في الأرض قبل احتلال اليهود، حيث إني أعتقد أن أرض الإسلام هي الأرض جميعاً، كل الأرض، والخطة الإسلامية في إعادة هذه الأرض كلها لله تحت السلطان المباشر للجماعة المسلمة ليست بالضرورة أن تبدأ بقتال اليهود، ولم تكن كذلك أيام محمد ﷺ، بل هو قد أمر بقتال غيرهم قبلهم، هذا إضافة إلى أن قتال العرب الآن اليهود لا يمكن بحال أن يسمى قتالاً إسلامياً، حيث إن القتال الإسلامي كما نعرفه هو القتال في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، يعني لغرض الحكم بما أنزل الله وليس من الممكن أن يقاتل قوم لا يحكمون أنفسهم بكتاب الله، يقاتلون ليحكموا غيرهم بكتاب الله... وإنما ذلك قتال كسائر القتال الدائر الآن في الأرض بين البشر جميعاً لدوافع أرضية بشرية بعيدة عن عبادة الله وإعلاء كلمته، ومع ذلك فان القتال الذي يقاتل عليه الناس الآن بعضهم بعضاً في أي منطقة وعند العرب، لو كان يستدعي من جماعة المسلمين أن تبدي فيه رأياً، حيث أنها في حقيقة الأمر لا تملك أن يكون لرأيها أثر في الحرب أو السلام، ولا حتى بمشاركتها أو عدم مشاركتها المادية الضئيلة، ولو كان لنا أن نبدي فإننا نفضل أن نعيش في بلادنا فيها فرصة سلام تؤهل لنا أن نؤدي دورنا في الدعوة والهجرة.

س: أنت الآن تعيش في مصر وجماعتك، فهل تقبل أن تترك اليهود يدخلون إليك في بيتك أم أنك تحمي الجيش الذي يصدهم ويمنعهم؟ أم ماذا؟

ج: أنا لا أقبل أن يدخل اليهود في بيتي، كما لا أقبل أن تدخل مباحث أمن الدولة في بيتي من الناحية العامة، غير أني إذا بلغ من الناحية العملية إمكانية دخول اليهود بيوت الجماعة أو حتى بيوت من يحسنون جوار جماعة المسلمين ويعينوهم فإنه مما لا شك فيه سأدفع ذلك بكل ما أملك، وبما لا يتعارض مع الخطة الإسلامية الحركية ذات الهدف البعيد بالتوازن الصحيح في ذلك، ونعطي مثالاً: في عهد رسول الله ﷺ هاجر المسلمون إلى الحبشة عند ملك (لا يظلم عنده أحد)، فأحسن جوارهم وأمنهم على أنفسهم وقال لهم أنتم شيوم في أرضي ـ يعني أحراراً ـ من ربكم عزم (قالها ثلاثاً)، ثم حدث أن جاء جيش من أمار البلاد يقاتل هذا الملك، وكانت قلة المسلمين في الحبشة لا تمكنهم أن يدافعوا عن ملك الحبشة، فاكتفوا بأنهم كانوا يدعون له بالنصر وهم في هذه الحالة يرغبون حقاً في أن ينتصر، ليس خدمة للرجل النصراني في ذات «ملك الحبشة»، وإنما خدمة للإسلام، حيث إن انتصاره خدمة لهم.

س: تعلم أن اليهود إن لم يصدوا عن ثغور المسلمين أو ثغورنا ـ إن لم نكن مسلمين عندك ـ فإنهم يدخلون إلينا وعندهم ما تعلم من الطائرات والدبابات وسائر الأسلحة الثقال التي لا صدّ لها إلا بالجيوش النظامية، فكيف تدفع شرهم عن نفسك وجماعتك إن لم يدفعهم الجيش المصري؟ وهل فعلهم بك وجماعتك من قتلٍ وغير ذلك من الشرور العظام يساوي ما تشكو منه بالنسبة لمباحث أمن الدولة؟

ج: بالنسبة لآخر السؤال فأنا قلت إن المشابهة «مشابهة» عامة في الحكم العام أعني في الكراهية

العامة وليست في الدرجة، ومن المعلوم أن الجيش الغازي ضرره أشد من الهيئات الملتزمة مهما كان ببعض الالتزامات داخل البلاد، غير أنه من الناحية الواقعية الآن فإنه ليس لليهودي أي أثر على الجماعة الآن من الناحية العملية، وفي ذات الوقت فإن الجماعة قد لقيت من مباحث أمن الدولة ما يجعلها في نظر الجماعة العدو الأول الذي تجب مواجهته من الناحية العملية الواقعية، وأني لو كنت أعتقد أن اليهود سيدخلون مصر، وقد يكون، يدخلون مصر أيضاً من الناحية العملية الواقعية فليس بالضرورة أن يكون سلوكي هو تقديم شباب جماعة المسلمين للموت في هذه المعارك، إنما قد يكون سلوكي ترك مصر وينتهي الأمر[٢٤٣]، غير أني أعتقد أنه لا قتال الآن بين اليهود ومصر يقضي من الناحية العملية الواقعية المتصلة بسياسة اليهود أنفسهم إلى دخول مصر، في هذه السنين القليلة المقبلة التي قررت فيها جماعة المسلمين أن يبقى بعضها بقصد الدعوة في مصر.

س: إنما نسأل من الناحية الشرعية: هل تسمي صد دبابة مثلاً بسيف دفاعاً أم أنه من الناحية الشرعية الإسلامية لصد جيش نظامي يلزم أن يجيش جيش نظامي على قدر استطاعة المسلمين، والمحكمة تريد أن تعرف رأيك بشأن بقاء بعض أفراد جماعتك بالقوات المسلحة الآن، هل هو جائز شرعاً أم حرام في نظرك، وذلك بافتراض أن هؤلاء الأفراد بطبيعة الحال إنما يخلصون النية لله تعالى؟

ج: بخصوص إعداد الجيش المسلم ليصد غيره من الجيوش، فإننا نفرض الاعداد المسبق خطةً وسعياً وعدةً بكل القوة الممكنة، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[٢٤٤]، هذا من الناحية النظرية، ولكن من الناحية العملية الواقعية في هذا الأمر فإنني أقول: إنه لم يحدث عبر التاريخ الإسلامي أن قاتلت الجيوش الإسلامية حقاً بالأسلحة الحديثة، حيث لم يكن حينئذ جيوش إسلامية، ونقرر أن الجيوش الإسلامية حقاً لم تتقاتل أبداً عبر التاريخ الإسلامي إلا بالسيف والرمي والخيل، والنص الإسلامي الذي ذكرناه يدل على ذلك فقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾[٢٤٥]، وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا إن القوة الرمي» وقالها ثلاثاً... وأيضاً فكون الآية ذكرت رباط الخيل ففيه دلالة بيّنة على كون الخيل قوة فعّالة في المعركة حيث قد خصها القرآن الكريم بالذكر، وهذا لا يمكن أن يكون في وجود الأسلحة الحديثة المعروفة، وقال رسول الله: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنم».

س: أتقول إن الجيش المسلم إنما ينبغي ويجب عليه أن يستعين بالخيل وحدها أم أنه يعد لعدوه عدة من مثل عدته أو تفوقها؟

ج: قلت وأقول إن على الجيش المقاتل أن يعد كل ما يستطيع من قوة، وانتهينا من الناحية النظرية، أما ما حدث وسيحدث من الناحية العملية وهو ما بدأت الكلام فيه لإثبات أن الجيوش الإسلامية لم تقاتل ولن تقاتل بالأسلحة الحديثة.

س: تريد المحكمة إجابة واضحة بشأن حل أو تحريم بقاء أفراد جماعتك بالقوات المسلحة الآن لقتال اليهود مع استقامة النية وخلوصها لله تعالى بالنسبة لهؤلاء الأفراد؟

ج: من حيث قتال اليهود من الناحية الشرعية فهو فرض على الجماعة الإسلامية، وهو ما سنفعله إن شاء الله حين التمكين، قال رسول الله: «يقاتل المسلمون اليهود فيقتلوهم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله؛ ورائي يهودي فتعال فاقتله» **(صحيح مسلم)**.

أما بخصوص بقاء بعض أفرادنا في الجيش الآن أحلال هو أم حرام؟ فإنه عندنا حرام من الناحية الشرعية، قد نضطر اضطراراً خشية وقوعنا في ما هو أضر منه على الحركة الإسلامية يعني البقاء.

س: ألا تدعو للجيش المصري بالنصر إذا نشب القتال بينه وبين اليهود الآن؟

ج: هذا يتوقف على نوعية معاملة الجيش المصري لنا ومعاملة الحكومة لنا، فإن كانت لصالح الجماعة المسلمة رجونا لها النصر على حسب ما ذكرنا من قبل، على فرض وجود قتال حقاً.

س: وإذا أساءت الحكومة معاملتها، أتحب لجيشها الهزيمة، ولو أدى ذلك إلى دخول اليهود إلى حيث يوجد بيتك؟

ج: يقدر ذلك حسب الضرر الواقع على الجماعة المسلمة من كلا الطرفين، وأنا قلت إنه إذا اقتضى الأمر دخول اليهود أو غيرهم بما يؤدي إلى قتل المسلمين ـ أعني جماعة المسلمين ـ فإن الحركة الإسلامية حينئذ ينبغي ألا تبنى على القتال في صفوف الجيش المصري، والمساعدة على الهرب قبل ذلك إلى مكان آمن يعرف ذلك بما تقوم به الجماعة المسلمة منذ دراسة للسياسة المحلية والمحيطة وتوقعاتها عما سيكون.

س: فإذا اتضح أن اليهود يرفضون السلام وأصبح لا مناص من قتالهم وهو وارد في الاحتمال ـ نقول افتراضاً ـ فما تفعلون، هل تفرون؟

ج: الأصل أن الحركة الإسلامية تبنى في أول أمرها على قضية الفرار، والأصل الآخر أن الحركة الإسلامية لا تعمل في فراغ، فهي تدرس الظروف المحيطة بها سواء المحلية أو الخارجية ذات الصلة بها أو التأثير عليها. وعليه فإن الاحتمال النظري الذي طرح في السؤال وقد سبق الرد عليه أكثر من مرة وخلاصة الرد: أننا بدراستنا السياسية المسبقة تكون خطتنا: هي الفرار من العدو الوافد تماماً كالفرار من العدو المحلي وليس مواجهته. وأما من الناحية الواقعية الآن وحسب دراسة جماعة المسلمين لظروف المنطقة نوقن بتحليلاتها السياسية، أن ثمة سلاماً سيسود المنطقة[٢٤٦] من الآن حتى حين، ولبضع سنوات، وقد رحبت الجماعة بذلك وبنت خطتها عليه.

س: وترحب بهذا السلام ولو قام على ترك بعض الأراضي الإسلامية أو المسجد الأقصى؟

ج: إن كان ترجيباً قلبياً فأنا لا أرحب أبداً أن يسيطر على المسجد الأقصى أحد غير المسلمين، لا اليهود ولا غيرهم، أما من الناحية العملية فلا قيمة لترحيبي من عدمه، حيث إن الجماعة المسلمة الآن لا تملك ذرة تأثير فيما سيكون في الواقع والسياسة العالمية، ولكن قولي «أرحب بالسلام» إنما أقصد ما هو مطروح فعلاً ولصلته الحسنة، أقصد تأثيره الحسن على الحركة الإسلامية في مصر وغيرها.

س: ألا يخشى أن تؤدي آراؤك هذه ـ خاصة وأنك تقول إنك وجماعتك المسلمون حقاً من دون الناس ـ إلى اتساع ظاهرة ترك الأفراد الخدمة بالقوات المسلحة تحت اسم الإسلام والإيمان، وأن يؤدي ذلك إلى وهن الجيش المصري وزيادة تمكن اليهود وصلفهم وبالتالي رفضهم السلام؟

ج: من الناحية الواقعية لا أخشى من ذلك ذرة واحدة، حيث إنني سبق أن قررت أن جماعة المسلمين قد بنت خطتها العملية على ما تيقنت به من أن ثمة سلاماً حتى حين سيكون في المنطقة، بل قررت الجماعة أنه من الممكن أن تخفض الجيوش العربية أو بعضها على الأقل القوات المسلحة تلقائياً كنتيجة لذلك السلام، ولإنفاق ما ينفق عليه على البناء والتعمير كما أعلن ذلك في وسائل الإعلام وسياسة الدولة مرات كثيرة، وبالتالي فإن ما توقع من السؤال...

س: وهل ترى أن المجتمع كله من حولك كافر؟ كل المجتمع؟

ج: من حيث الأسس التي يقوم عليها المجتمع كشيء معنوي وكحكم عام فإنني أجزم بكفره، أما من حيث كل فرد بعينه فإن الشريعة الإسلامية ونحن من ورائها لم تبح لنا أن نحكم على شيء لا بكفر ولا بإسلام حتى يبلغ الإسلام الحق، ثم نتبين منه هذا أو ذاك فيُحكم عليه حينئذٍ حكماً نظرياً بالكفر إن رفض الدخول في جماعة المسلمين، هذا وينبغي أن يعلم أنه حتى إجراء هذا التبين إنما هو مرتبط بقدرة الحركة الإسلامية وغايتها وصلة ما تعمل بالتكليف العبادي، بمعنى أنه لا يُطلب منّا إجراء أحكام على الناس أصلاً في الشريعة عبثاً لذات الأحكام، وإلا إذا طلب منا أن نعيّن كل واحد في الأرض باسمه ثم نجري عليه الحكم، وهذا باطل بداهة، وهو ما لم يفعله رسول الله ﷺ، وإنما المطلوب على وجه التحديد في هذا الأمر هو تنظيم الخطة الإسلامية بمراحلها لبلوغ غايتها وهي في هذا السبيل تقوم بعبئها في الدعوة والبلاغ بداهة، وتتفاعل مع هيئات ومؤسسات مما يفرض عليها فرضاً عملياً وبعد اجراء الحكم الشرعي.

س: وما الذي تقصده بقولك: الإسلام الحق، هل هو ما تدعو إليه أم أنه مفتوح ومتروك للاجتهاد وكل امرىء بحسب ما يهديه الله تعالى؟

ج: الإسلام الحق من وجهة نظري هو ما أدعو إليه بالذات حيث أوقن أنه هو الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ وأقصد بذلك أصول ما أدعو إليه والتي بينت أن ملخصها ثلاثة موضوعات:

أولها: وجوب استشراع الحكم بما جاء من عند الله.

ثانيها: ضوابط الإسلام ونواقضه التي ذكرناها.

ثالثاً: وهو ما سأتعرض له، من وجوب الهجرة والفرار كمنطلق لبلوغ الغاية الإسلامية.

س: وهل تعلم أحداً من السابقين عليك رأى مثل رأيك تماماً؟

ج: إن كان المقصود هو محمد ﷺ والمسلمون بعده في أيام الخلافة الراشدة بغير تحديد لزمان مدة الخلافة الراشدة، فإني أجزم بأن ما أقوله وأرتئيه وأعبد الله به هو عين ما كان عندهم، وان كان المقصود القرون التي تلت هذه الفترات فأنا أجزم أيضاً أن جماعة منهم لم تدع أبداً لما ندعو إليه ولا عملت بما تعمل به، حيث إنها لو عملت ودعت إليه لوجب لها التمكن، وقال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[٢٤٧] ونصوص أخرى كثيرة، وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾[٢٤٨].

س: ولكنك استشهدت بآراء ونظريات في كتب استحسنتها وتعلمت منها لأناس كانوا في الظروف التالية للخلافة الراشدة وقبل زمانك، فهل كانوا مسلمين حقاً؟ أم ماذا؟

ج: لم يحدث أبداً أن استشهدت بقول أحد الناس ولا مرة واحدة، حيث إنني أحرم الاستدلال إلا بدليل متصل السند بالله تعالى، ولكنني قرأت كتباً كثيرة ولم يخل كتاب منها من فائدة، وهو قول يندرج على كل كتاب قرأته حتى كتب الشيوعية، وكل كتاب لا بد في العادة أن يخرج الإنسان منه بفائدة، وأذكر أنني قلت أيضاً إن موضوع إعادة الإسلام واقامته لم يتناول أصلاً في كتب الأولين المعنيين بالسؤال اللهم إلا كتب لم تصل إلى نهايتها مثل كتابات الشيخ سيد قطب.

س: أنت دائم الإشارة والاستشهاد بصحيحي البخاري ومسلم، فما رأيك في صاحبيهما؟

ج: سبق أن قلت إننا لا نجري أحكاماً على أحد من الناس إلا بقدر الحاجة منها بالإسلام، والحاجة إلى الحكم على **البخاري ومسلم** تنحصر في كونهما يصلحان أم لا، في نقل أحاديث النبي ﷺ إلينا، ونحن نجزم بما روي عن أخبارهما ومسجل في التاريخ الصحيح وبعد دراستنا لشروطهما في نقل الخبر.

س: ولكن لا يمكن أن نصدقهما في هذا إن كانا كافرين، هذا مستحيل عقلاً؟

ج: الناس عندنا إما مسلم وإما كافر وإما لا نعرفه، وعند الله إما مسلم وإما كافر، وليس كعلم الله شيء.

س: فإن كان الناس طوائف ثلاث كما تقول، فلا بد عقلاً لتصديق البخاري ومسلم أن نجزم بانهما مسلمين، أليس كذلك؟

ج: كلا، وما تعتقده جماعة المسلمين وتستطيع أن تقيم الدليل عليه هو أن مدار نقل الخبر - أي خبر - لينبني على التصديق والضبط وليس على الإسلام أو الكفر، ولا نشترط لتصديق الخبر - أي خبر - أن يكون صاحبه محكوماً عليه بالإسلام، وقد كتبنا في موضوع علم الحديث كتاباً دوّنا فيه رأينا في علم الحديث ونسينا أن نذكر هذا الكتاب، حيث عددنا الكثير من قبل.

س: وهل يُتصور، عقلاً، أن يأذن الله سبحانه وتعالى أن يجمع أحاديث لرسوله ﷺ جمعاً صحيحاً لا دخول للشيطان فيه، ونحن لا شك لدينا أن قلب الكافر مستقر ومستودع للشيطان الرجيم؟

ج: قد دل الاستقراء الواقعي المستيقن على أن كثيراً من الكفار يصدقون الخبر، وهذا ما لا يشك

فيه أحد، وأن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام الظاهر، والمنافق إذا حدّث كذب، وهو أشد الكافرين كفراً - ولا ريب - ولا كراهية لأمر الإسلام، ومدار الصدق في الرواية لا يعتمد على ظاهر الحكم بالإسلام، وإنما يعتمد على باطن الإسلام وحقيقته، وهذا ما لا يمكن إدراكه، وبديهيات العقل تقول إن الذي يهمنا على باطن الإسلام وحقيقته، وهذا ما لا يمكن إدراكه، وبديهيات العقل تقول إن الذي يهمنا في الخبر هو الصدق فيه، وقد صح في كتاب الله جواز قبول شهادة غير المسلمين، في صورة المائدة: ﴿أو آخران من غيركم﴾، هو خلاصة الدليل الذي يمكن بحال معارضته.

س: هل تقول باحتمال وجود مسلمين حقاً خارج جماعتك قد أسلموا وجههم لله ورغبوا في دينه ويرجون الهداية منه؟ فإنني أجزم بوجود أناس من هؤلاء، وسيكونون يوماً ما.

ج: إن كان المقصود هو وجود ناس ممن ينصر الله ورسوله إن شاء الله، وأنهم لو ماتوا قبل ذلك ما داموا لم يقصروا في البحث عن الحق، حتى وان أخطأوا فإنهم يبعثون على نياتهم، أما أن كان المقصود وجود جماعة أخرى على ما نحن عليه من ناحية الهدى والقول لما نقول تماماً، فإني أجزم بانتفاء ذلك، حيث إن السنة هي أن ينشىء الله نواة واحدة للأمة الواحدة التي يريدها: ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[٢٤٩].

س: فإن دعوت إنساناً بعينه إلى فكرك ومذهبك ولم يدخل في ما دخلت فيه، هل تعطيه الحق في أن يستقل برأيه ليحاسبه الله على نيته واجتهاده أم تحكم عليه بالكفر لهذا السبب وحده؟

ج: بل أحكم عليه بالكفر لهذا السبب وحده، بل لا يوجد عندنا سبب للكفر غيره، وهو تكذيبه بآيات الله وسنة رسوله القاطعة، والتي سقناها له آية تلو آية ودليلاً بعد دليل، والتي في مضمونها حجة الله على عباده، هذا وقد جعلنا الله شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، وقال رسول الله ﷺ - في **البخاري ومسلم**: «أنتم شهداء الله في الأرض»، وأنه لو لم تحدد الجماعة المسلمة حكمها القاطع على من لا يقبل الإسلام من وجهة نظرها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، وإلا فعلى أي أساس تبني معاملاتها وقرارها وهجرتها؟ ولقد سبق أن بيّنا اشتراطنا على أنفسنا أن تكون أدلتنا كلها قطعية الدلالة، وطالبنا المخالف بدليل واحد متصل السند بالله تعالى يدل دلالة قاطعة على خلاف ما نقول في موضوعين بعينهما:

أولهما: أن الفرائض شرط في الإسلام، **وثانيهما**: أن الإصرار وليس مجرد المعصية كفر.

س: وان كان هذا الذي دعي إلى الدخول في جماعتك ولم يفعل ولا يكذب بالأدلة الشرعية من الكتاب أو السنة، ولكنه لا يستنبط، وبالتالي لا يرى مثل رأيك وإنما يجتهد برأيه هو، هل تغفر له وتتركه لحساب ربه وحكم ربه عليه؟ أم تحكم عليه أنت بالكفر؟

ج: إن النصوص الشرعية ليست حروفاً ولا حبراً على ورق، وإنما المقصود، والمقصود وحده من النصوص الشرعية هو دلالتها، وان التصديق بأن هذه النصوص الشرعية من الله لا يغني عن صاحبه مثقال ذرة، ألا يفهم هذه النصوص على مراد الله في ما يتصل بقطعي الدلالة منها بعد بيانه له وتوضيحه، هذا، وحكمي على الإنسان في الدنيا بالكفر لا يعني منازعة الله تعالى في حسابه، بل إنني سأرجع عن هذا الحكم في حالة رجوعه هو عن مخالفة الأدلة القاطعة التي بينت له.

س: طلب محاميك د. عبد الله رشوان دعوة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع (الأزهر) لتسأله المحكمة حول بعض المسائل الشرعية التي تتصل بمصلحة الدفاع حسبما فهم هذا المحامي، فهل ترى أن فضيلته يصلح لإبداء الآراء الشرعية الصحيحة في نظرك بحيث يصح رأيه في مجال الدفاع عنك شرعاً أم لا يصح ذلك فيكون استغناء منك عن طلب سماعه في الجلسة؟

ج: أنا غير موافق أصلاً على لفظة خبير في ما يتصل بكل منتسب إلى كل هيئة غير جماعة المسلمين في موضوع الإسلام والأسئلة المطروحة أياً كان نوعها وأياً كانت الإجابة عليها لنا أو علينا، فأنا لا أقبلها مبدئياً ولا أطلبها وإنما أطلب هذه الهيئات المتصدية للإسلام لأدعوهم إليه وأحاجهم عليه.

س: تسالك المحكمة: هل تحتاج إلى رأي شرعي من أي جهة للدفاع عنك؟

ج: لا... واستشهد بالله وبكتابه وبسنة رسوله ﷺ: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾[٢٥٠].

س: وهل تسمح لنفسك وبحسب اعتقادك من الناحية الشرعية بأن ترمي إنساناً بعينه بالكفر الآن وقبل التمكن؟

ج: نعم... وبالشروط التي ذكرتها وبعد البلاغ وإقامة الحجة وفي حدود الحاجة للعبادة العملية.

س: والذي تحكم عليه بالكفر هل تتخذه عدواً لك؟ يعني يحل أن تقتله وتستبيح ماله لنفسك أم ماذا؟ ونسألك عن الوقت الذي نحن فيه وليس بعد التمكين؟

ج: لا يحل لنا من الناحية العملية قتل من نحكم عليهم بالكفر الآن، حتى يعطوا الفرصة كافية في البلاغ والتي سبق أن أوضحنا بالأمس والتي لا تكون إلا بعد هجرة المسلمين أصلاً، أما ما يتصل بالقتل وغيرهما دفاعاً عن النفس فهو بداهة ليس متصلاً بالكفر، ونحن نؤمن أن حق الدفاع عن النفس مكفول للجماعة المسلمة من أول يوم يستخدم، في ما لا يتعارض مع غاياتها ومع إمكانياتها الواقعية.

س: وما رأيك في المرحوم الشيخ الذهبي، أمسلم هو أم كافر؟

ج: هو عندي كافر.

س: وما دليلك؟

ج: دليلي أنه يعمل في هيئة الأوقاف وكان وزيراً لها ومديراً للإشراف على مساجد الضرار، وقد أقسم اليمين على الحكم بغير ما أنزل الله في قسم الوزراء، وهذا لا يمكن أن يعتبر جهلاً منه وجوب الحكم بما أنزل الله، ولبعد الدولة والمجتمع عن الإسلام.

س: وهل هو مستحق للقتل بسبب ذلك؟

ج: من الناحية النظرية: نعم... ومن الناحية العملية الآن لا...

س: وان قتله واحد من جماعتك هل يستحق القودة (أي قتل النفس بالنفس) أم ماذا...؟

ج: لا يستحق القودة، قال رسول الله ﷺ: «ولا يقتل مؤمن بكافر» (في الحديث الصحيح).

س: هل تحب أن تضيف شيئاً آخر إلى ما أبديته من رأي وفكر؟

ج: نعم... لاحظت احتمال انتهاء كلامي وعدم السماح لي بتكملته ولذلك أقرر الآتي:

(١) إنني لم أتكلم عن فكرى كله وخاصة الموضوع الثالث وهو أمر الهجرة والاعتزال.

(٢) إن كلامي عن فكري ليس إلا مجرد كلام عن الفكر، وليس من باب الدفاع عن نفسي حيث إنني لا زلت عند قولي بأني لم أمكن بعد من الدفاع عن نفسي من قبل أو الآن.

(٣) إنه لا يهمني أن يرد أحد على ما قلت حيث إني أجزم أنه لا رد، ولكن في حالة وجود رد أشترط على الذي يرد أن يكون الرد على عين ما قلت وليس على غيره وأطلب منه أدلة قاطعة، كما أطلب ـ وهو حقي ـ أن تتاح لي فرص التعقيب والرد على ما قاله الآخرين.

(٤) كذا فإني أثبت اعتراضي على عدم تمكيني من بلاغ الإسلام في قاعة المحكمة وعلى عدم حضوري الجلسات، وأختتم قولي بأن:

أنذركم جميعاً من الله ان لم تعودوا إلى دين الله. ويا قوم... إنني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم. وان الله لا يرد ظلماً بالعباد فستذكرون ما أقول لكم... وأفوض أمري إلى الله... إن الله بصير بالعباد.

هوامش الوثيقة الثانية

(١) يتضح من هذا القول لشكري مصطفى أن ثمة أقوالاً أخرى له قد قيلت في المحكمة يوم ١٩٧٧/١١/٥، وبالرجوع إلى محاضر الجلسات وجدناها أقوالاً مقتضبة، وأنها متضمنة بالكامل في النص المرفق من الأقوال، هذا فضلاً على أن الأقوال الحالية تعد هي أكبر وأشمل اعترافات شكري مصطفى طيلة محاكمته (معد الوثائق).

(٢) قمنا بنشر هذا الكتاب (الوثيقة ضمن كتابنا «**النبي المسلح ـ ٢، الثائرون**» (لندن: دار رياض الريس للكتب وللنشر).

(٣) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة»، الآية ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢١٦ و٢٣٢.

(٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣١.

(٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣٢.

(٧) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٢٣.

(٨) المصدر نفسه، «سورة الاعراف»، الآية ٥٤.

(٩) المصدر نفسه، «سورة طه»، الآية ٥٠.

(١٠) المصدر نفسه، «سورة الشمس»، الآية ٨.

(١١) المصدر نفسه، «سورة السجدة»، الآية ٩.

(١٢) المصدر نفسه، «سورة الروم»، الآية ٣٠.

(١٣) المصدر نفسه، «سورة الطور»، الآية ٣٥.

(١٤) المصدر نفسه، «سورة الأنبياء»، الآية ٢٢.

(١٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٦٤.

(١٦) المصدر نفسه، «سورة الإسراء»، الآية ١٠٥.

(١٧) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٣ و٥.

(١٨) المصدر نفسه، «سورة سبأ»، الآية ٤٦.

(١٩) المصدر نفسه، «سورة القيامة»، الآية ١٤.

(٢٠) المصدر نفسه، «سورة الأعراف»، الآية ١٧٩.

(٢١) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٧٠.

(٢٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٧١.

(٢٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١١١.

(٢٤) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ١٤٨.

(٢٥) إن هذه الآراء لشكري أحمد مصطفى، كانت سبباً في استعداء كافة التيارات الإسلامية (العلنية والسرية) ضده، نظراً لقداسة الفقهاء الأربعة ومذاهبهم لدى غالب تلك التيارات، وأقوال وعقيدة شكري السابقة، تصدم تلك القداسة وتطعنها في الصميم كما هو واضح، وهي تعد آراء متقدمة وهامة، وبحاجة إلى الانتباه إليها ودراستها جيداً. (معد الوثائق).

(٢٦) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة»، الآية ٨٠.

(٢٧) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٣٥.

(٢٨) المصدر نفسه، «سورة محمد»، الآية ٢٤.

(٢٩) المصدر نفسه، «سورة الجاثية»، الآية ٦.

(٣٠) المصدر نفسه، «سورة الأعراف»، الآية ٢.

(٣١) المصدر نفسه، «سورة الشورى»، الآية ١٠.

(٣٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٥٩.

(٣٣) محمد بن ابراهيم بن الوزير، **الروض الباسم في سنة ابي القاسم** (مصر: دار الطباعة المنيرية، [٨١٧ هـ]).

(٣٤) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة»، الآية ٤.

(٣٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٤٦.

(٣٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٦٠

(٣٧) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ١١٣.

(٣٨) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب»، الآية ٢٢.

(٣٩) المصدر نفسه، «سورة يوسف»، الآية ١١٠.
(٤٠) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب»، الآية ١٠.
(٤١) المصدر نفسه، «سورة الحج»، الآية ٥٤.
(٤٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١٣٦.
(٤٣) المصدر نفسه، «سورة التكاثر». الآيات ١ ـ ٧.
(٤٤) المصدر نفسه، «سورة الحجر»، الآية ٩٩.
(٤٥) المصدر نفسه، «سورة الحشر»، الآية ٢٣.
(٤٦) كان لهذه الآراء الجزئية لشكري مصطفى، تأثير شديد في الواقع الإسلامي، واثارت غضب الكثيرين عليه خاصة داخل مؤسسة الأزهر، وداخل جماعة الإخوان المسلمين (معد الوثائق).
(٤٧) **القرآن الكريم**، «سورة الذاريات»، الآية ٥٦.
(٤٨) انظر الهامش ٤٦.
(٤٩) **القرآن الكريم**، «سورة النساء»، الآية ٦٤.
(٥٠) المصدر نفسه، «سورة الحاقة»، الآية ٤٤.
(٥١) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ١٤٥.
(٥٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١١٥.
(٥٣) المصدر نفسه، «سورة الأنبياء»، الآية ٧، و«سورة النحل»، الآية ٤٣.
(٥٤) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٤٢.
(٥٥) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٢٢.
(٥٦) المصدر نفسه، «سورة السجدة»، الآية ١٨.
(٥٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٩٩.
(٥٨) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٧٨.
(٥٩) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٣١.
(٦٠) المصدر نفسه، «سورة القمر»، الآية ١٧.
(٦١) المصدر نفسه، «سورة الأنفال»، الآية ٢٩.
(٦٢) المصدر نفسه، «سورة العنكبوت»، الآية ٦٩.
(٦٣) المصدر نفسه، «سورة الكهف»، الآية ١٣.
(٦٤) المصدر نفسه، «سورة الإسراء»، الآية ٣٢.
(٦٥) المصدر نفسه، «سورة الأعراف»، الآية ٢٨.
(٦٦) المصدر نفسه، «سورة هود»، الآية ١١٨.
(٦٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٧٦.
(٦٨) المصدر نفسه، «سورة يوسف»، الآية ١ ـ ٢.
(٦٩) المصدر نفسه، «سورة الشعراء»، الآية ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٧٠) المصدر نفسه، «سورة هود»، الآية ١.
(٧١) المصدر نفسه، «سورة الإسراء»، الآية ١٢.
(٧٢) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٨٩.
(٧٣) المصدر نفسه، «سورة الروم»، الآية ٥٨.
(٧٤) المصدر نفسه، «سورة فصلت»، الآية ٤٢.
(٧٥) المصدر نفسه، «سورة الكهف»، الآية ١.
(٧٦) المصدر نفسه، «سورة إبراهيم»، الآية ٤.
(٧٧) المصدر نفسه، «سورة يوسف»، الآية ١٠٠.
(٧٨) المصدر نفسه، «سورة الأعراف»، الآية ٥٣.
(٧٩) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٤٤.
(٨٠) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ١٥.
(٨١) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ١٦.
(٨٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣١.
(٨٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣٠.
(٨٤) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣٢.

www.books4all.net
مكتبة سور الأزبكية

(٨٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٥٤.
(٨٦) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٢٣.
(٨٧) المصدر نفسه، «سورة الجن»، الآية ١٨.
(٨٨) المعروف ان غالب المساجد في مصر وفي باقي البلدان الإسلامية سواء إبان محاكمة شكري مصطفى أو اليوم، يتم فيه الدعوة والدعاء للحاكم حتى ولو كان ظالماً وضارباً بكل قيم الإسلام عرض الحائط (معد الوثائق).
(٨٩) **القرآن الكريم**، «سورة النور»، الآية ٣٦.
(٩٠) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٩.
(٩١) المصدر نفسه.
(٩٢) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٨.
(٩٣) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٧.
(٩٤) المصدر نفسه، «سورة الأنفال»، الآية ٣٤.
(٩٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١١٥.
(٩٦) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٠٨.
(٩٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٠٧.
(٩٨) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ٩.
(٩٩) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ١١.
(١٠٠) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ٩.
(١٠١) المصدر نفسه، «سورة الاعراف»، الآية ٥٨.
(١٠٢) و(١٠٣) بعض اعضاء جماعة المسلمين المعروفة أمنياً بالتكفير والهجرة.
(١٠٤) **القرآن الكريم**، «سورة الحجر»، الآية ٩.
(١٠٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٤.
(١٠٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٢١.
(١٠٧) المصدر نفسه، «سورة العنكبوت»، الآية ٦٩.
(١٠٨) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٢٦.
(١٠٩) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٩١.
(١١٠) أحد أعضاء جماعة المسلمين.
(١١١) أحد المحققين الكبار في قضية خطف وقتل الشيخ الذهبي من قبل جماعة شكري مصطفى.
(١١٢) تؤكد هذه الأقوال لشكري ما كان يروج وقتذاك من أن السادات هو الذي خطف وقتل الشيخ الذهبي وقام بالتمثيلية كلها.
(١١٣) **القرآن الكريم**، «سورة الحجرات»، الآية ١٤.
(١١٤) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب»، الآية ٣٥.
(١١٥) المصدر نفسه، «سورة الحديد»، الآية ١٩.
(١١٦) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٣٣ ـ ١٣٥.
(١١٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١١٢.
(١١٨) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٥.
(١١٩) المصدر نفسه، «سورة النصر»، الآية ١ ـ ٣.
(١٢٠) المصدر نفسه، «سورة الفرقان»، الآية ٧٠.
(١٢١) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٣٩.
(١٢٢) المصدر نفسه، «سورة الزلزلة»، الآية ٧ ـ ٨.
(١٢٣) المصدر نفسه، «سورة النمل»، الآية ٩٠.
(١٢٤) المصدر نفسه، «سورة المدثر»، الآية ٣٨.
(١٢٥) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ١٢١.
(١٢٦) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٢١.
(١٢٧) المصدر نفسه، «سورة إبراهيم»، الآية ٢٢.
(١٢٨) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١١٨ ـ ١٢٠.
(١٢٩) المصدر نفسه، «سورة يس»، الآية ٦٠.
(١٣٠) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٤٨.
(١٣١) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٤٧.

(١٣٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١١٥.
(١٣٣) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١٢٣.
(١٣٤) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٣٢.
(١٣٥) المصدر نفسه.
(١٣٦) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٤٨.
(١٣٧) المصدر نفسه.
(١٣٨) المصدر نفسه، «سورة نوح»، الآية ٢٥.
(١٣٩) المصدر نفسه، «سورة غافر»، الآية ١١ ـ ١٣.
(١٤٠) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٨١.
(١٤١) المصدر نفسه، «سورة الجن»، الآية ٢٣.
(١٤٢) المصدر نفسه، «سورة البيّنة»، الآية ٦.
(١٤٣) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ٨٢.
(١٤٤) المصدر نفسه، «سورة طه»، الآية ٨٢.
(١٤٥) المصدر نفسه، «سورة غافر»، الآية ٧.
(١٤٦) المصدر نفسه، «سورة الحجر»، الآية ٤٩.
(١٤٧) المصدر نفسه، «سورة مريم»، الآية ٦٠.
(١٤٨) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٥٣.
(١٤٩) المصدر نفسه.
(١٥٠) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٥٤.
(١٥١) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٣٣.
(١٥٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ١٧.
(١٥٣) المصدر نفسه، «سورة النجم»، الآية ٣٢.
(١٥٤) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٤٨.
(١٥٥) المصدر نفسه، «سورة الفرقان»، الآية ٦٨.
(١٥٦) المصدر نفسه، «سورة الفرقان»، الآية ٧٠.
(١٥٧) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٤٨.
(١٥٨) المصدر نفسه، «سورة الفتح»، الآية ٨.
(١٥٩) المصدر نفسه، «سورة ابراهيم»، الآية ٢٤.
(١٦٠) المصدر نفسه، «سورة ابراهيم»، الآية ٢٦.
(١٦١) المصدر نفسه، «سورة النمل»، الآية ١٤.
(١٦٢) المصدر نفسه، «سورة النحل»، الآية ٨٣.
(١٦٣) المصدر نفسه، «سورة التحريم»، الآية ١.
(١٦٤) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٩٣.
(١٦٥) المصدر نفسه، «سورة الفرقان»، الآية ٢٣.
(١٦٦) المصدر نفسه، «سورة الكهف»، الآية ١٠٥.
(١٦٧) المصدر نفسه، «سورة الأنبياء»، الآية ٤٧.
(١٦٨) المصدر نفسه، «سورة الممتحنة»، الآية ١٢.
(١٦٩) المصدر نفسه، «سورة الأنفال»، الآية ٣٩.
(١٧٠) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٩٠.
(١٧١) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٧٧.
(١٧٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٠٩.
(١٧٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٠٩.
(١٧٤) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٢٣.
(١٧٥) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٣٦.
(١٧٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢١٦.
(١٧٧) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٨٥.
(١٧٨) المصدر نفسه.

www.books4all.net
منتدى سور الأزبكية

(١٧٩) المصدر نفسه، «سورة الأنفال»، الآية ٣٩.
(١٨٠) المصدر نفسه، «سورة الفتح»، الآية ١٦.
(١٨١) المصدر نفسه، «سورة الجاثية»، الآية ١٤ ـ ١٥.
(١٨٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٥٦.
(١٨٣) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٩٩.
(١٨٤) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٥٦.
(١٨٥) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٩٩.
(١٨٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٥٦.
(١٨٧) المصدر نفسه، «سورة الكهف»، الآية ٢٩.
(١٨٨) المصدر نفسه.
(١٨٩) المصدر نفسه، «سورة الغاشية»، الآية ٢١.
(١٩٠) المصدر نفسه.
(١٩١) المصدر نفسه، «سورة الغاشية»، الآية ٢٦.
(١٩٢) المصدر نفسه، «سورة الحج»، الآية ٣٩.
(١٩٣) المصدر نفسه، «سورة الحج»، الآية ٤٠.
(١٩٤) المصدر نفسه، «سورة الحج»، الآية ٤٠ ـ ٤١.
(١٩٥) المصدر نفسه، «سورة فاطر»، الآية ٣٧.
(١٩٦) المصدر نفسه، «سورة العصر»، الآية ٢.
(١٩٧) المصدر نفسه، «سورة التين»، الآية ٥.
(١٩٨) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٣٢.
(١٩٩) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٨١.
(٢٠٠) المصدر نفسه، «سورة الجن»، الآية ٢٣.
(٢٠١) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٨٣.
(٢٠٢) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٩٧.
(٢٠٣) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٤٢.
(٢٠٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٢٣.
(٢٠٥) المصدر نفسه، «سورة محمد»، الآية ٢٢.
(٢٠٦) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٩٣.
(٢٠٧) المصدر نفسه، «سورة فصلت»، الآية ٦.
(٢٠٨) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٨٥.
(٢٠٩) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٣١.
(٢١٠) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٦٥.
(٢١١) المصدر نفسه، «سورة التحريم»، الآية ٨.
(٢١٢) المصدر نفسه، «سورة هود»، الآية ١١٢.
(٢١٣) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ٥.
(٢١٤) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٣٥.
(٢١٥) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٥٩.
(٢١٦) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٣٥.
(٢١٧) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب»، الآية ٢١.
(٢١٨) المصدر نفسه، «سورة الأنفال»، الآية ٧٣.
(٢١٩) المصدر نفسه، «سورة الجاثية»، الآية ٢١.
(٢٢٠) المصدر نفسه، «سورة العلق»، الآية ٥ ـ ٦.
(٢٢١) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ٢.
(٢٢٢) المصدر نفسه.
(٢٢٣) المصدر نفسه.
(٢٢٤) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ٥.
(٢٢٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٧٨.

(٢٢٦) المصدر نفسه، «سورة الجمعة»، الآية ٢.
(٢٢٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٠٥.
(٢٢٨) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٧٨.
(٢٢٩) المصدر نفسه.
(٢٣٠) المصدر نفسه، «سورة العلق»، الآية ٤.
(٢٣١) المصدر نفسه، «سورة القلم»، الآية ١.
(٢٣٢) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٥.
(٢٣٣) المصدر نفسه، «سورة العلق»، الآية ٦.
(٢٣٤) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٥.
(٢٣٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٨٩.
(٢٣٦) المصدر نفسه، «سورة يونس»، الآية ٢٤.
(٢٣٧) المصدر نفسه، «سورة غافر»، الآية ٨٢.
(٢٣٨) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٩.
(٢٣٩) المصدر نفسه، «سورة الروم»،، الآية ٧.
(٢٤٠) المصدر نفسه، «سورة الإسراء»، الآية ٢٨.
(٢٤١) المصدر نفسه، «سورة لقمان»، الآية ١١٥.
(٢٤٢) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٩٨.
(٢٤٣) لقد أثارت هذه الآراء بشأن قتال اليهود ردود فعل واسعة داخل الوسط الإعلامي الرسمي وغير الرسمي وكانت في مجملها جديدة كلية عما تعارفت عليه باقي القوى الإسلامية من ضرورة التصدي لليهود (معد الوثائق).
(٢٤٤) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال»، الآية ٦٠.
(٢٤٥) المصدر نفسه.
(٢٤٦) يلاحظ ان محاكمة شكري مصطفى قد بدأت أثناء مبادرة القدس في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧.
(٢٤٧) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة»، الآية ١٤٣.
(٢٤٨) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٥٥.
(٢٤٩) المصدر نفسه، «سورة الأنبياء»، الآية ٩٢.
(٢٥٠) المصدر نفسه، «سورة الأنعام»، الآية ١٩.

www.books4all.net
مكتبة نور الأزبكية

الوثيقة الثالثة

منهج جماعة الجهاد الإسلامي

مخطوط وثائقي غير منشور

اعداد: عبود الزمر (أمير جماعة الجهاد)

القاهرة: ليمان طره ـ ١٩٨٦

تقديم

الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الناظر في حال الأمة الإسلامية اليوم وهي تئن من ألم الجراح وتترنح في خضم الأهواء، وقد أسكرها رحيق الحضارة الغربية الزائف لمستجير برب الأرض والسماء من ذلك البلاء الذي لحق بحكام المسلمين ببعدهم عن دينهم ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، فكانت العاقبة وخيمة إذ سقطت الخلافة الإسلامية، وضاعت مقدسات الإسلام واحتلت فلسطين وأفغانستان واضطهدت القلة المسلمة في كل بقاع الأرض، هذا وما زال حكام المسلمين في غيّهم والهون، وعن شريعة الرحمن معرضون ولأوليائه محاربون، أما كان لكم في السادات عبرة وقد قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾[١]، والحق يقال، إنهم لم يعوا الدرس ولم يستوعبوا التجربة، فحكام البلاد في مصر والذين أخرجوا من تحت المنصة وقد ديست وجوههم بالنعال، لم يتعظوا وصدق الله العظيم إذ يقول... ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[٢].

فهل لكم من توبة يا حكام البلاد في مصر، يا من عطلتم شريعة الله أن تطبق في أرضه وعلى عباده. لا عذر لكم بعد أن علمتم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٣]، وقوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[٤]. لا عذر لكم بعد أن جربتم القوانين الوضعية واستبدلتم بشرع الله حكماً آخر أجمع علماء المسلمين على كفر من استبدل شريعة الرحمن بقانون ما أنزل الله به من سلطان فما زادكم ذلك إلا جحوداً أو إعراضاً وبغياً فدرتم في فلك الشرق والغرب من أجل فتات الخبز ونسيتم قول المولى عز وجل: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[٥]. أما آن لكم أن تعودوا إلى دينكم وتثوبوا إلى رشدكم: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾[٦].

أما آن لكم أن تفسحوا الطريق بعد إذ فشلتم، لرجالات الحركة الإسلامية ليقودوا الأمة إلى ما فيه الخير والرشاد، فيقيموا دولة الإسلام على نهج النبوة ويصلحوا ما افسدتموه ويشيدوا ما هدمتموه من أمجاد الآباء والأجداد.

ولكن... هل من مجيب، هل من مآب.

لا، إن ذلك لن يكون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم... ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[٧].

نعم... إننا نوقن بأنهم لن يستجيبوا للنداءات ولا بالممارسات الحزبية ولا بالدعاوى القانونية ولا بالمسيرات السلمية... لأننا نؤمن بحتمية الصراع بين الحق والباطل، بين قوى الكفر والإيمان، بين أولياء

الرحمن وأولياء الشيطان وقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون﴾[٨] ويقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[٩]... ومن هنا فنحن قد عقدنا العزم ـ وكلنا أمل في نصر الله ـ على إزاحة دولة الباطل في مصر واستئصالها جذرياً، وإحلال البديل الإسلامي أمل المسلمين المنشود.

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾[١٠]، ولكن كيف يتحقق ذلك والمسلمون شتى وعدوهم قد استجمع قوته وأنصاره ويعمل ليل نهار ويدبر ويكيد ويمكر فكمم الأفواه من كلمة تقال، وسد الطريق أمام الدعاة إلى الله، وأغلق المساجد دون المصلين: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[١١]. بل وتجاوز الأمر مداه فزج بمن شاء في السجون وقدم من قدم إلى محاكمات جائرة بعد أن أذاقهم من صنوف العذاب ألواناً لا لشيء سوى أنهم قالوا ربنا الله... لا لشيء سوى انهم صدعوا بقوله حق ولم يرضوا بغير حكم الله حكماً... لا لشيء سوى انهم أرادوا أن يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد... ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[١٢].

وها أنت يا شعبنا المسلم بكل فئاته، نراك تقف اليوم مكتوف الأيدي لا تحرك ساكناً تجاه حكام ضيعوا البلاد وأضلوا العباد، ففي صمتك الذي طال تكون الهلكة دون النجاة وفي توحدك الذي غاب تكون القدرة دون العجز وفي فاعليتك ونصرتك لدينك يكون النصر بإذن الله.

﴿وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[١٣] ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[١٤] فكونوا حماة لدينكم ودرعاً لعقيدتكم من موقعكم في لحظة المواجهة الحاسمة.

ومن أجل هذا فنحن نطرح الخطوط العامة للمنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي ـ التي شرفها الله بقتل السادات على أيدي بعض رجالها نحسبهم عند الله شهداء ـ عسى أن يكون في هذا الموجز فاتحة خير يجتمع عليه شملنا وتتوحد به صفوفنا، نحو هدف قد حددناه، وأسس قد ارتكزنا عليها، وواقع قد قيمناه، وبديل قد أعددناه، وطريق قد رسمنا معالمه بدماء شهدائنا «محمد عبد السلام وخالد وعطا وحسين وعبد الحميد..». وفي تفصيل هذه الخطوط حين تسنح الفرصة مستقبلاً بإذن الله، يكون المزيد من تعميق المفاهيم، يكون المزيد من التماسك والترابط في جسد الحركة الإسلامية للمضي قدماً نحو الهدف، نحو الخلافة الإسلامية الغائبة: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[١٥]، ويومئذ: ﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[١٦].

والله الموفق للحق والصواب.

١ ـ تمهيد

«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء[١٧] قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس»[١٨]، واليوم وقد صدقت نبوءة رسول الله ﷺ فلقد أضحى الإسلام غريباً في مواجهة كل مناهج الأرض، أضحى غريباً وهو يلاقي العداء تلو العداء من كل قوى الكفر... أضحى غريباً بين أبنائه الذين فتنتهم الحضارة المزعومة للشرق أو للغرب ونسوا أنهم يملكون أعظم وأدق وأكمل منهج على وجه الأرض... منهج رباني متفرد، فمنذ أن سقطت الخلافة الإسلامية فقد المسلمون سيفهم ودرعهم وأصبحوا نهبة لكل طامع وفريسة لكل غاصب، فتقطعت أوصال الدولة الإسلامية وغابت شريعة الله من موقع الريادة، فتخبطت البشرية في مستنقعات القوانين الوضعية الباطلة وتردت في غيابات الأفكار العلمانية الضالة... وفي معترك هذا الواقع الأليم وأعداء الإسلام يجهزون على البقية الباقية من الإسلام وأهله، يقيض الله عز وجل عصابة من أمة المصطفى ﷺ تشيط غضباً لانتهاك حرمات المسلمين وغياب شريعة الرحمن فتسعى من منطلق واجبها الشرعي لإعادة الخلافة الإسلامية حامية هذا الدين، باذلة في

سبيل ذلك أرواحها وأموالها.. فقامت جماعة حسن البنا في مصر والدكتور مصطفى السباعي في سوريا والمودودي في الباكستان، وفي إيران كان نواب صفوي وكانت «فدائيان إسلام» وغيرها... وغيرها من الحركات الإسلامية التي كلما بدأت تعمل أجهضتها القوى الكافرة لتقوم غيرها لتكمل المسيرة غير عابئة بما لحق بسابقتها.. وهكذا، صراع دائم من أجل إعادة الخلافة الإسلامية، وصدق رسول ﷺ حين قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

فنسأل الله أن نكون قد استوفينا شروط ومواصفات هذه الطائفة، وقد قال البخاري عنها بأنهم أهل العلم. وقال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم». وقال القاضي عياض: «إنما أراد أحد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»، وقال النووي: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض...». والآن ونحن في غمرة ذلك الصراع الدائر بيننا وبين أعداء الإسلام في بقاع متعددة من أقطار الأرض لنستشعر خطورة المواجهة تجاه عدو قد أجمع أمره علينا، فكيف لا نجتمع ونحن أحوج ما نكون إلى جهد كل عضو عامل منا لنكوّن حركة عالمية واحدة فلا نركن إلى قدرية وقوع الخلاف بالكف عن السعي للاجتماع ونحن مأمورون به، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[١٩] وقال: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[٢٠]. إذن فلماذا لا نبحث في أواصر الخلاف وجذوره، فإن كان الخلاف خلاف تنوع جاز لنا الاجتماع، حيث ان الأمر يعد خلافياً سواء ذلك كان اعتقادياً أم فقهياً، ولأن المخالف له دليله وسنده المعتبر، أما إذا كان الخلاف تضاداً فعلينا أن نتجرد لله جميعاً في البحث وأينما يكون الدليل نكون معه، فإن نحن فعلنا ذلك أصبنا الحق بإذن الله تعالى، أما إذا ثبت بيننا هذا النوع من الخلاف فإنه يمنع من الاجتماع البتة في كيان واحد، إلا أننا في هذه الحالة لا نعدم وسيلة لإيجاد نوع آخر من العلاقات الجائزة شرعاً كالتعاون وتنسيق المواقف طبقاً لما تطلبه مصلحة الحركة الإسلامية.

ونحن قبل أن نشرع في طرح الخطوط العامة للمنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي، نشير إلى أن هناك تفصيلاً ينبغي أن يطرح لجزئيات هذا المنهج في أبحاث تفصيلية، حيث لا يتسع المقام لطرح فكرنا دفعة واحدة مدعماً بالأدلة الشرعية من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو أقوال السلف الصالح أو فتاوى العلماء المعاصرين الاثبات.

وما نقدمه اليوم لا يعد إلا علامة إرشاد على الطريق الذي ارتضيناه لنا، عسى أن يجمع الله به أوصال الحركة الإسلامية على الحق المبين.

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[٢١].

٢ ـ المدخل

أولاً: ... تعريف المنهج الفكري:

هو مجموعة الأفكار والاجراءات التي تحدد الطريق الذي تنتهجه في هذا الواقع، لتحقيق الغاية العظمى التي من أجلها وضع هذا المنهج وذلك بالوسائل المشروعة وفي ضوء الإمكانيات المتاحة، أو بمعنى آخر: «هو ذلك الإطار المنضبط بالشرع الحنيف الذي يوجه ويحكم حركة الجماعة في طريقها نحو احلال البديل الإسلامي محل الأنظمة الجاهلية طبقاً لمتطلبات الخطة العامة».

ثانياً: مصادر المنهج:

(أ) القرآن الكريم: كتاب الله تعالى الذي نزل على رسولنا محمد ﷺ، وهو يعد الأصل الأول من أصول التشريع الإسلامي، ولا خلاف عليه، نقل إلينا بالتواتر وهو حجة على الناس أجمعين. قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٢٢] وقال: ﴿وانه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[٢٣].

(ب) السنة المطهرة: وهي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وتعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢٤] وقال ﴿ومن يطع الرسول فقط أطاع الله﴾[٢٥].

(ج) الإجماع: وهو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور بعد موت النبي ﷺ على حكم شرعي، ويعتبر الإجماع هو المصدر الثالث من التشريع الإسلامي وهو حجة يجب العمل بمقتضاها عند الجمهور.

(د) أقوال أئمة السلف الصالح كأحمد ومالك وأبي حنيفة والشافعي والذين أخبر عنهم رسولنا الكريم بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

(هـ) الفتاوى المباشرة للعلماء المعاصرين الثقات في القضايا الجديدة لضمان الضبط الشرعي الصحيح للفكر والحركة: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٢٦].

ثالثاً: ... خصائص المنهج:

(أ) التجرد المطلق في طرح قضايا الإسلام فهو السبيل للوصول إلى الحق.

(ب) الشمول في غير تجزئة ولا نقصان حيث «لا يقوم بهذا الدين إلا من احاطه من جميع جوانبه».

(ج) الوضوح في مواجهة الجاهلية ومفاصلتها وتحديد المواقف من أهل البدع والأهواء.

(د) الفاعلية في علاقة الإنسان بربه وتأثيره على المجال البشري الذي يحيط به: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٢٧].

(هـ) الواقعية في تناول قضايا الواقع ومعالجة أمور الدين فيها كما أمر الله ورسوله، أما أمور الدنيا كالاستفادة العملية من العلوم الواقعية النافعة لإدارة الحركة والدولة فبمقتضى قول رسول الله ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

(و) انه دعوة سلفية أصولية للعودة إلى فهم واعتقاد السلف الصالح في عصر ساد فيه الانحلال.

(ز) الاتزان الحركي في البناء والمضي قدماً نحو الهدف بما يتطلبه ذلك من مفهوم القدرة وحد الاستطاعة المادي والتنظيمي: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[٢٨].

رابعاً أهمية وجود المنهج:

(أ) يحدد رؤية إسلامية صحيحة وصالحة للتطبيق في الواقع القائم.

(ب) يساعد على تجميع الاتجاهات الإسلامية في إطار حركة واحدة.

(ج) يعمل على توجيه حركة الجماعات المختلفة بما يحقق الفائدة المرجوة لصالح الحركة الإسلامية.

(د) تختفي بوجوده الخلافات الفكرية التي تنشأ داخل الكيان الواحد.

(هـ) يعد أحد المقومات اللازمة لاستمرار الكيان واستكمال المسيرة.

(و) يقضي على ظاهرة الشخصانية فلا يكون الاجتماع حول أشخاص بل حول منهج.

(ز) يحمي الجماعة من تحمل الأخطاء الفردية لقادتها أو أعضائها حيث يكون هو مقياس الخطأ والصواب.

خامساً: أهداف المنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي:

(أ) إحداث الوحدة المرجوة بين أوصال الحركة الإسلامية لتكون يداً واحدة على من سواها.

(ب) رسم وتحديد معالم الطريق الذي ينبغي أن نسلكه بالسبل المشروعة لتحقيق غايتنا المنشودة بكل أبعادها.

(ج) حماية حركة الجماعة من الانحراف أو الشطط على المدى القريب أو البعيد.

(د) إعداد جيل على مستوى من الفهم والوعي بقضيته، وقادر على تحقيق الأهداف المنوطة بالجماعة.

٣ ـ عناصر المنهج

(١) **الغاية**: وهي كل ما نسعى لتحقيقه في هذه الحياة الدنيا وتنحصر في:

أ ـ **إرضاء المولى عزّ وجل**، وهي غاية كل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وتبرأ من كل ما يخالف ذلك. وذلك يكون:

١ ـ بالإخلاص لله عزّ وجل بتجريد قصد التقرب إليه من جميع الشوائب: ﴿قل إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[٢٩]، ويقول القاضي عياض: «ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

٢ ـ وبالمتابعة لرسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[٣٠]. ولقد ثبت في **الصحيح** ان رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وذلك لأن الاخلاص والمتابعة هما شرطا قبول العمل، ويقول ابن القيم رحمه الله: «كل عمل ينشر له ديوانان لما؟ وكيف؟ فالأول عن الاخلاص والثاني عن المتابعة».

... وارضاء المولى عزّ وجل يتطلب منّا تحقيق الغاية العظمى التي من أجلها خلق الخلق: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد من رزق وما أريد منهم أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[٣١].

ب ـ **إعادة الخلافة الإسلامية**، حيث انه عادة ما تتحقق عبودية الناس لله تعالى: ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[٣٢] وقوله تعالى: ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾[٣٣] وقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنستخلفنهم في الأرض﴾[٣٤]، وقد نقل الاجماع على وجوب تنصيب خليفة كل من النووي والقرطبي والماوردي وأبي يعلى والكاشاني وابن خلدون وابن حزم والأشعري، والخلافة التي نعنيها هي خلافة على نهج النبوة تقوم على حراسة الدين وسياسة الدنيا.

(٢) **الأسس**: وهي القواعد الأساسية التي يرتكز عليها فكر الجماعة، وتعتبر بمثابة الضابط الذي يحكم حركتها نحو تحقيق الأهداف المنوطة بها، وهذه الأسس هي:

١ ـ **السلفية**: وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح (جيل القرون الثلاثة الأولى) التي زكاها رسول الله ﷺ بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وذلك في:

أ ـ مجال الاعتقاد: فاعتقادنا هو اعتقاد صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان دون زيادة أو نقصان.

ب ـ مجال الفهم: بالعودة إلى فهم السلف الصالح للكتاب والسنة ونبذ الابتداع، في الدين، ورحم الله الإمام أحمد حيث قال: «لا تقل قولاً ليس فيه سلف».

ج ـ حدود الاجتماع والاختلاف: وذلك باتباع الضوابط الشرعية التي وضعها سلفنا الصالح في الاجتماع والاختلاف علماً بأننا في حالة خلاف التنوع فيجوز معه الاجتماع، أما في حالة التضاد فإنه لا يجوز معه الاجتماع في كيان واحد وإنما نلجأ إلى علاقات التعاون والتنسيق لما تقتضيه طبيعة المواجهة مع الجاهلية، وبعد استنفاد كل الوسائل لإقناع المخالف بما نحسب أننا نحن عليه من حق.

٢ ـ **العلمية**: وذلك بالاستفادة بالعلوم الواقعية النافعة للحركة الإسلامية، والاستعانة بمتخصصيها سواء كان ذلك في مرحلة إدارة الحركة قبل التمكين أم بعد التمكين، ومن أمثلة هذه العلوم: العلوم السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والتنظيمية والإعلامية والتربوية... إلخ.

٣ ـ **الانقلابية**: وهي الرفض المطلق لكل النظم والمجتمعات الجاهلية لصدورها عن غير الإسلام، والعمل على إرساء المبادىء والقيم الإسلامية في جميع المجالات سواء كان ذلك في مجال الاعتقاد أم الأخلاق أم التشريع أم الفكر. والانقلابية التي نعنيها هي التغيير الجذري في شتى مناحي الحياة وصورها.

٤ ـ **الشمولية**: وهي عدم التجزئة في أخذ الإسلام أو تطبيقه وقد قال رسولنا الكريم: «لن يقوم بهذا الدين إلّا من أحاطه من جميع جوانبه».

وأما عن التعارض الذي ينشأ عن كيفية الجمع بين واجبين، أحدهما مستلزم اسقاط الآخر نظراً لمتطلبات الحركة فإن ذلك يخضع لخطة الجماعة وفتاوى العلماء عليها، للتوفيق بين الواجبات وتقدير الأولويات.

(٣) **الواقع**: إنه من الضروري أن تكون الحركة الإسلامية على وعي كامل ودراية تامة بالواقع الذي نعيش فيه، إذ أن المتناول لهذا الواقع بالتشريع لمنتهٍ إلى حتمية احلال البديل الإسلامي المنشود.

ولا بد لمن أراد أن يحصل هذا الفهم، عليه أن يتناول التاريخ بالدراسة المتفحصة المتأنية لتنقيته من دسائس المغرضين كالذين وصفوا الفتح العثماني بالاحتلال، والفساد الأخلاقي بالحرية والتقدم، وذلك في ادراك عميق للتفسير الإسلامي للتاريخ وفي ضوء استيعاب شامل للتجارب السابقة بما في ذلك أسباب التآمر على الخلافة الإسلامية لإسقاطها.

ولعل في تخصيص مجموعة من رجالات الحركة الإسلامية، القول الفصل لحفظ الحقائق دونما تزييف أو تحريف، لتكون نصب الأعين وفي متناول الأيدي مما يكسب الحركة وضوحاً في الرؤية وثباتاً في الخطى ويقيناً بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين... هذا وسنشرع بإذن الله تعالى في تقسيم الواقع إلى ثلاثة أقسام سنتناولها في اختصار واقتضاب حسبما يليق بذلك المقام سائلين المولى حسن الأجر والثواب:

١ ـ **واقع العالم**: بعد ان خفت صوت الإسلام وخبا حكمه من جنبات الأرض بسقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ على أيدي المتآمرين، زان للشيطان ان يستكمل صولته ويتم وثبته لبسط نفوذه على البسيطة بأسرها، فعاث في الأرض الفساد وأغرق العالم في دنيا الشهوات فأنساهم ذكر ربهم فعمت قلوبهم وأبصارهم فضلوا عن السبيل: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون﴾[٣٥]، وبذلك سول الشيطان للجهال من الناس أن يضعوا المناهج والدساتير يعارضون بها حكم الله ويضاهون شريعته.

قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوالهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾[٣٦]. هكذا استطاع الشيطان أن يمسك بزمام الحكم وان يحرك بأعوانه وأنصاره ليصدوا عن سبيل الله وهو خاذلهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما اشتركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم﴾[٣٧].

نحن نستطيع من خلال الوهلة الأولى أن نتبين تلك الأنظمة التي تحكم العالم اليوم، فلا نجدها تخرج عن ذلك الاتجاه الغربي أو الماركسي أو الصهيوني وهي جميعاً أنظمة كفرية ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٣٨].

٢ ـ **واقع الأمة الإسلامية**: مما لا شك فيه أن مسيرة الأمة الإسلامية بدأت مع بزوغ فجر الإسلام في مكة المكرمة، على أساس من التوحيد الخالص لله عز وجل وعلى يد رسولنا الكريم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين، قالً تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٣٩]. وما هي إلا سنوات عدة حتى استطاعت تلك الفئة المؤمنة التي تربت على مائدة الإسلام وصنعت على عين رسول الله ﷺ أن تقيم الدولة الإسلامية في المدينة، وسرعان ما انطلقت لتفتح معظم أرجاء العالم وتعلي راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وهكذا أخضع سلطان الفرس والروم أمام تلك الثلة المؤمنة بربها المتمسكة بدينها... أمام ذلك الرهط الصالح الذي أعز الله به دين الإسلام: ﴿وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٤٠].

وبعد أن ازدهرت الأمة الإسلامية في ظل الخلافة الإسلامية ثلاثة عشر قرناً من الزمان، ساد فيها المسلمون الدنيا بأسرها، ومع تدفق الناس إلى دين الإسلام كثر الغثاء وقلّ النقاء فأصبح الكثير من المسلمين لا يمثلون الإسلام كما مثله المسلمون الأوائل، فتحيّن الاستعمار فرصته للوثوب على صرح الخلافة بعد أن وهنت قوتها وخارت عزيمتها فلم تستطع الخلافة إبان ذلك أن تواجه الزحف الجاهلي؛ المعادي؛ الحاقد على الإسلام وأهله والمتلون في صور وأشكال شتى، فترنحت ثم سقطت وتفتتت إلى دويلات هشة التهمها الاستعمار واحدة تلو الأخرى. وليس بغريب بعد ذلك أن يتولى حكم هذه الدويلات حكام يدينون بالولاء للشرق أو للغرب، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ورفعوا لواء الديمقراطية تارة،

فنادوا بالعلمانية والوطنية والقومية والحياة النيابية والحرية الشخصية والتبرج والاختلاط، فانهار الاقتصاد وانحدرت الأخلاق وضاعت الحريات وتبددت الآمال وباتت الأهداف في طي الأوهام. ثم بادروا برفع راية الاشتراكية تارة أخرى فهتفوا بحياة الاشتراكية والحرية والوحدة ودعوا إلى التقدم والرقي وتحرير فلسطين، فلا الجوع سد من رمق ولا ردت إلينا فلسطين. بل وفشلت محاولات الوحدة وذبحت الحرية على النصب وشدد الخناق على المعارضين وأرخي العنان للعصاة الفاجرين... وهكذا أسدل الستار على تجربة حكام الأمة الإسلامية للنظامين الديمقراطي والاشتراكي والتي يغني فيها الحال عن السؤال.

ولا ندري ماذا يريد حكام المسلمين بعد كل هذا التردي في جهالات التجارب؟ فالإسلام قد قسم الحكّام إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ حاكم مسلم عادل يحكم بكتاب الله، وهذا قد أجمع علماء المسلمين على وجوب السمع والطاعة له وحرمة الخروج عليه أو نزع اليد من طاعته.

ب ـ حاكم ظالم أو فاسق، أصل الحكم عنده بكتاب الله ولكنه ملابس لبعض الظلم أو الفسق لشبهة أو لشهوة فالجمهور أجمع على أنه لا يخرج عليه مخافة الفتنة، وقال بعضهم بالخروج على أي حال، واشترط آخرون أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة.

ج ـ حاكم كافر أو طرأ عليه كفر وهو الذي لا يحكم بما أنزل الله المستبدل للشرائع، وهذا يجب الخروج عليه وقتاله وخلعه إجماعاً وتنصيب إمام مسلم بدلاً منه يحكم بكتاب الله.

فلينظر حكام المسلمين إلى أي هذه الأقسام ينتمون قبل أن يأتي يوم ولا ينفع فيه مال ولا بنون.

أما عن الدار التي نعيش فيها، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **الفتاوى** عندما سئل عن بلد تسمى «ماردين» كانت تحكم بحكم الإسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر هل هي دار حرب؟ فأجاب: «أما هذه مركب فيها المعنيان فهي ليست بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه».

إنه ليس أمام الأمة الإسلامية كي تستعيد مجدها سوى أن تنسلخ من تحت إمرة الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، المستبدلين للشرائع لينضموا إلى صف الحركة الإسلامية باذلين المهج والأرواح والأموال لاستعادة الخلافة الإسلامية فتتجمع الأوصال بعد التفكك والانفصال، فيعود للإسلام هيبته ويصان لكل مسلم حرمته.

٣ ـ **الجماعات الإسلامية**: لقد كان من الضروري تحت وطأة الغزو الاستعماري، وغياب الخلافة عن قيادة البشرية، وانغماس الأمة الإسلامية في غيابات الحضارات الزائفة، ان تهب جماعات من المسلمين المتحمسين لدينهم إلى مواجهة ذلك الاحتلال والتحلل الأخلاقي في محاولة لانتشال الأمة واسترداد ما سلب من أمجاد الآباء والأجداد. فتحقق بذلك الأمر القدري المتمثل في وجود الطائفة الظاهرة على الحق حتى قيام الساعة... وهكذا بدأت رحى المعركة تدور بين الجماعات الإسلامية وبين الحكومات الباطلة. بيد أن هذه الجماعات قد قطعت خطوات لا يستهان بها نحو الهدف الذي يسعى الجميع لاستعادته، إلا أن هناك بعض العقبات التي حالت دون بلوغ الغايات، ألا وهو التفوق والتقدم العلمي الذي حظي به أعداء الإسلام فخلبت الأبصار وتشتتت الأفكار فانحرف الجهال مع التيار.

وفي المقابل وعلى الجانب الآخر بقيت الجماعات الإسلامية على تعددها وتشتتها لخلافات في تقدير الإمكانيات وتقييم الواقع واختيار الوسائل، فإن جاز للبعض أن يفترق من أجل خلاف في الاعتقاد يوجب المفارقة، فالواجب في حق المتفقين الاتحاد.

كما أن فقدان النصح الواجب بين الإخوة التوائم أحدث الجفوة الموسعة للفجوة والمقعدة عن النصرة. قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة ـ ثلاثاً ـ قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ـ عز وجل ـ ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٤١].

ولعل في الاتفاق على التصور الفكري والحركي المخرج الذي يجمع الله به الشمل، فيتوحد الصف

وتتحدد الرؤية المستقبلية الصالحة للتطبيق في ضوء الاستفادة من التجارب السابقة والامكانيات والطاقات المتاحة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[٤٢].

إن البديل الإسلامي المنشود المتمثل في الخلافة الإسلامية على نهج النبوة، أصبح ضرورة لإنقاذ العالم من جاهليته، وأمسى عبئاً ملقى على عاتق الجماعات الإسلامية تترنح به كواهلهم التي أعيتها الفرقة والاختلاف وان كان الهدف واحداً والغاية سامية.

٤ ـ البديل: لقد تعرضنا في الفصل السابق إلى الواقع الذي نعيش فيه وبيَّنا فساده وإفساده رغم محاولة البائسين لإضفاء هالة مزعومة على تلك التي تسمى الحضارة العالمية، إلا انه غدا من البديهيات، انها أصبحت كالمريض الذي في النزع الأخير وأوشك أن يفارق الحياة فنقلوه إلى غرفة الإنعاش في محاولة يائسة لانقاذ حياته، فأشبعوا جسده بالأمصال والعقاقير دون جدوى فلقد حانت المنية ولا رادّ لقضاء الله.

لقد أصبح جلياً لبسطاء الناس أن النظام الحاكم في مصر قد أعرض عن الإسلام وارتمى في أحضان تلك الحضارة المزعومة، فطبق النظام الاشتراكي تارة والنظام الديمقراطي تارة أخرى في حقبة يسيرة من الزمان فلم يزده ذلك إلا خسراناً في الدنيا والآخرة: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[٤٣]. لقد توصل المفكرون المعاصرون إلى أن المنهج الإسلامي هو النظام الصحيح الذي استطاع أن يوازن بين الفرد والمجتمع في الحقوق والواجبات في غير تفريط ولا إفراط، وليس هذا بغريب عنّا بعد ان أضناهم البحث وأعيتهم التجارب، فهم لم يأتونا بجديد، فإن المنهج الإسلامي الذي نعتقده قد أخبر عن ذلك منذ أربعة عشر قرناً من الزمان حيث يقول رب العزة: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[٤٤]. وهكذا، فلقد أصبح الحل الإسلامي هو البديل الذي يفرض نفسه وتتلقاه النفس الزكية بالقبول ففيه صلاح الدنيا والدين، وفيه حل لكافة المشاكل المعقدة التي عجزت الأنظمة الباطلة عن حلها، إنه طوق النجاة الذي يفتقده العالم كله وهو يصارع الأمواج المتلاطمة وقد خارت قواه، انه المعبر إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

إن الإسلام بحاجة إلى دولة تحمي العقيدة وتقيم الشعائر في طمأنينة وتربي النشء على الآداب والأخلاق القويمة، وتطبق القوانين والتشريعات الإسلامية ليسود العدل ويعم الخير، فتنطلق الجيوش للجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته واخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فلا يستقيم وفطرة الإنسان أن يكون هناك فصل بين التصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي، فبدون الدولة يفقد المسلمون الحامي والموجه والمربي والمرشد الذي يقودهم إلى الطريق الصحيح: ﴿أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾[٤٥].

وعلى هذا، فنحن نرفض التطبيق المشوه للشريعة الإسلامية على غرار الذي حدث في السودان، إذ ربما تسعى الحكومة المصرية إلى تطبيق بعض الحدود والقوانين الإسلامية لإنقاذ نظامها الهرم، وهو في رمقه الأخير ليلتقط بعض الأنفاس قبل أن يلقى مصيره المحتوم على أيدي رجال الحركة الإسلامية، الذين وعوا درس السودان وحذروا منه فور وقوعه، ولن تنجح الحكومة المصرية الراهنة بإذن الله تعالى في احتواء الحركة الإسلامية بهذه المحاولة، أو بالإيقاع بين فصائلها وإثارة الخلاف حولها، فإن أقدمت عليها فموقفنا الاعتقادي منها سيكون كما هو لا يتغير بحال إذ لم يخرجوا علينا بجديد، فطبيعة المنهج الإسلامي لا تقبل التجزئة، قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾[٤٦]. إذن، فنحن نريدها دولة إسلامية على نهج النبوة ولا نقبل التجزئة أو الترقيع ولن نستجيب لدعوة بعض الناس الذين يطالبون فيها الحركة الإسلامية بطرح تصورات إسلامية لحل القضايا والمشاكل المعقدة التي يعج بها الواقع الأليم الذي نعيشه، فتارة يقولون لنا ما هو الحل في الأزمة الاقتصادية، وأخرى عن أزمة المواصلات

وثالثة عن الإسكان ورابعة وخامسة... ثم حينما لا نجيبهم بمشروع تفصيلي لكل أزمة يتصورون أننا لا نملك البديل، إن العبث الذي ليس بعده عبث أن تتقدم الحركة الإسلامية بالحلول الجزئية لتعاون النظام الباطل، وهي التي عقدت العزم على استئصاله جذرياً، فضلاً عن ان المنهج الإسلامي منهج متكامل الجوانب والأرجاء وتظهر فاعليته المطلقة في معالجة القضايا الراهنة التي هي نتاج هذه الأنظمة العفنة من خلال تطبيق الإسلام كاملاً غير منقوص، تاماً غير مجزوء ولا مؤجل. في هذه الحالة وفقط، ستختفي كل التعقيدات التي يشكو منها الجميع، فلا عجب من أن يكون حل الأزمة الاقتصادية ليس في خطة خمسية نمطية لزيادة القروض الربوية من الدول الأجنبية، أو بتأجيل أقساط الديون إلى سنوات مقبلة تكون عجافاً على من بعدنا، بل إنه يكون مثلاً في إلغاء النظام الربوي فيخرج المجتمع بذلك من تحت طائلة، الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم...﴾[٤٧].

إن خصائص ذلك البديل الذي نسعى لإحلاله، إنما تكمن في كونه منهجاً ربانياً من عند الخالق لا يضارعه منهاج، فهو منهج ثابتة أصوله راسخة معالمه بغير تبديل ولا تغيير، ورغم ذلك فهو صالح للتطبيق في كل أونة لما يتميز به من مرونة تامة في معالجة القضايا المعاصرة بما لا يخلّ بذلك الإطار الذي حددته تلك القيم والأصول الثابتة. هذا ومما لا شك فيه ان المناهج الوضعية تقف أمام كثير من القضايا والمشكلات، معلنة عجزها وقصورها عن المعالجة المتكاملة الجوانب والأبعاد، إلا أنه في المقابل تجد أن المنهج الإسلامي يتميز أيضاً بشمول النظرة وعمق الفكرة ومثالية الواقع وتوازن الحركة وإيجابية التفاعل بين أطرافه، فتكون حركة الإنسان كلها مرتبطة بالخالق سبحانه وتعالى وعلى أساس من التوحيد الخالص: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾[٤٨].

إن الذي ينبغي على الحركة الإسلامية أن تعده هو ذلك القدر الكافي واللازم من التصورات والمعتقدات الإسلامية في القضايا الكلية، وكذلك من الأسس النظرية لأنظمة الدولة الإسلامية وهياكلها التنظيمية، التي ممكن معها أن تسير أمور الدولة وادارتها فور قيامها ولتثبيت أركانها طبقاً لمتطلبات الخطة العامة للتغيير، وما تتضمنه من تصورات مبدئية في شتى المجالات. ونرى انه لا يخرج عن دائرة الوجوب ذلك القدر من البديل الذي أشرنا إليه آنفاً، ولا نرى صواب تأجيله أو استبعاده من الخطة العامة، حيث لا يستقيم البتة الوصول إلى السلطة القائمة والإطاحة بها واستقرار الأمور إلا أن تكون الحركة جاهزة بالتصورات التي ترسيها على الفور في الواقع المتعطش لدينه المتلهف لفطرته وإلا فسيحدث التخبط الذي لا تُحمد عقباه ولا يعرف إلاّ الله مداه.

(٥) الطريق: ... بعد أن تعرضنا في الفصول السابقة إلى الأسس التي ترتكز عليها حركتنا، وحددنا موقفنا من الواقع الأليم الذي نعيش فيه، ثم تناولنا بإيجاز ما ينبغي أن نعده من بديل إسلامي محتم احلاله محل الأنظمة الجاهلية، أصبح لزاماً علينا أن نرسم الطريق الذي ينبغي علينا أن نسلكه إلى غايتنا العظمى، مستخدمين الوسائل والأساليب المشروعة لتحقيقها، فلا نقول بالقولة الباطلة «ان الغاية تبرر الوسيلة» لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. فلم يترك الإسلام وسائل تحقيق أهدافه دون تحديد بل إنه أرسى دعائمها في دقة وإتقان لا مثيل لهما.

والطريق محفوفة بالمخاطر والمتاعب، والايذاء فيها واقع لا محالة، والأجر لمن طرق الباب ثابت بلا ريب، قال رسول الله ﷺ: «انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[٤٩].

ونحن كحركة شمولية في تناولها للإسلام في مجال الأخذ أو التطبيق، لا نرى صواب قصر وسائل تحقيق الأهداف على أي من السبل المشروعة كالجهاد أو الدعوة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن كنا قد ارتضينا اطلاق لفظ الجهاد على جماعتنا باعتبار أن الجهاد قضية محورية لحركتنا ـ تعارفت علينا الناس به ـ لا يعني اقتصار حركتنا على الجهاد فحسب وإنما لنا منهجنا في الدعوة إلى الله، وفي الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر فالكل له مجاله الذي يلزم أعماله فيه فلا نعطل واجباً شرعياً من هذه الواجبات بدعوى قيام غيرنا به ونحن نوقن بعدم استيفائه لهذا الواجب، أو بدعوى عدم بلوغ حد الاستطاعة أو القدرة بتقرير من هو ليس أهلاً لتحديدها، بل يتم ذلك بمقتضى فتاوى العلماء الأجلاء الثقات لحسم قضايا الحركة المتعلقة بتعطيل واجب لمصلحة شرعية أعلى، تقتضيها طبيعة العمل التنظيمي.

١ ـ **الأسلوب**: إن المنهج الانقلابي هو ذلك الطابع الذي يصبغ حركة جماعتنا نحو تحقيق غايتها السامية وذلك بالثورة الإسلامية على النظم الجاهلية القائمة في البلاد، واقتلاع جذور الباطل وإحداث التغيير الشامل في كل جوانب الحياة بإحلال البديل الإسلامي، رافضين بذلك كل الحلول الجزئية الرامية إلى التدرج في التطبيق أو تطبيق الحدود فقط، فقد قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾[٥٠].

كما إننا نرفض المشاركة في السلطة الباطلة القائمة في البلاد لعدم مشروعية ذلك، كالانضمام إلى الأحزاب السياسية الراهنة أو تكوين حزب ديني يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وسرعان ما تبدَّد مطالبه مع تصفيق الأغلبية الجاهلة في مجلس الشعب.

٢ ـ **الوسائل**: وترتكز الوسائل التي تحدد لنا معالم الطريق على عمليتين هامتين لا غنى عنهما، فهما لا تتجزآن بل تسيران جنباً إلى جنب، ففي الوقت الذي تقوم فيه الجماعة بالبناء والتكوين تتحرك بما يتم بناؤه نحو الهدف، فلا صحة للفصل بينهما على مستوى الجماعة أو القول إننا في مرحلة بناء أو تربية فقط، وإنما ذلك يكون على مستوى العضو نفسه حيث لا يُدفع لقتال قبل تلقيه فنونه ولا إلى الدعوة قبل أن يتحلى بمواصفات الداعية، ولا إلى أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر إلا إذا كان بما يأمر به أو ينهي عنه، بل أن تعلم ذلك قبل الخوض فيه واجب لا بد من تحصيله للنهوض بالمهام والتكاليف المنوطة بالأعضاء.

أ ـ **البناء والتكوين**: وتشتمل هذه العملية على الآتي:

(١) التعليم: ويتم ذلك من خلال تعليم العضو بمدرسة الجماعة أو بالقراءة الفردية والتوجيه إذا دعت الضرورة، ولقد روعي في البرنامج التعليمي القدر اللازم من العلوم المختلفة وكذا منهجية المواد والتدرج في تعليمها وتقسيم الدارسين إلى مستويات علمية تحقيقاً للاستفادة مع الاستغلال الكامل للوسائل التعليمية الحديثة، على أن يجتاز العضو الاختبار النهائي في هذه العلوم ولا يسمح له بالانتقال من مستوى إلى الذي يليه إلا بعد اجازته: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٥١].
وتنقسم هذه العلوم إلى علوم شرعية وواقعية:

(أ) التعليم الشرعي: حيث يتم تعليم العضو الواجبات التي تصح بها العقيدة والعبادة والمعاملات، ويعطى هذا القدر لحمايته من الشطط واعانته على فهم الإسلام فهماً سلفياً صحيحاً مع بناء شخصيته بناءً إسلامياً قويماً ويتم ذلك وفق منهج للعلوم الشرعية يقره العلماء.

(ب) التعليم الواقعي: حيث يتم تعليم العضو الحد الأدنى من العلوم الواقعية المشروعة والنافعة للحركة الإسلامية ليتمكن من الإدراك الصحيح للواقع الذي يعيشه وأهدافه التي يسعى لتحقيقها، وطبيعة الطريق الذي يسلكه والصعوبات التي تواجهه، وذلك وفق منهج يضعه المتخصصون في المجالات المختلفة.

(٢) التربية: وهي تلك العملية التي يتم من خلالها إعداد الإنسان الصالح، الإنسان الأتقى الذي يعبد الله، الإنسان المتبع لهدى الله تبارك وتعالى. وبالجملة هو الإنسان الذي يفي بشرط الخلافة في الأرض: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[٥٢]. وتنقسم التربية إلى تربية للروح وتربية للبدن:

(أ) التربية الروحية: وهي ذلك الزاد الذي يعين العضو على تحمل المشاق، وذلك يربط العضو بربه

ربطاً قوياً يدفعه للجهاد والبذل والعطاء ويتم ذلك بإعطاء العضو كفايته من الرقائق وتعويده على القيام والصيام والانفاق والذكر وكل ما يساعده على تدعيم وتقوية كافة الجوانب الروحية في شخصيته.

(ب) التربية البدنية: المقصود بها استنفاد الطاقة الجسمية والحيوية في الاتجاهات العليا، لا بقصد إنهاكها ولا كبتها ولكن بقصد توجيهها وضبطها والاستفادة منها، فالإسلام يوجه الرجال إلى الجندية حيث يقوى البدن ليتحمل مشاق الجهاد في سبيل الله، ويوجه النساء إلى تدبير المنزل وهو رياضة عالية. كما أن الإسلام يضبط الدوافع الفطرية في الجسم فلا إسراف في طعام أو شراب أو شهوات.

(٣) الإعداد: هو مجموعة الأعمال التي تقوم بها قيادة الجماعة وأجهزتها التنفيذية المختصة بغرض إعداد الأعضاء بكافة مستوياتهم ليكونوا قادرين على تنفيذ المهام المنوطة بهم، مع توفير الإمكانيات التي تفي باحتياجات الخطة العامة في هذا الشأن: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾[٥٣].

(أ) إعداد قتالي: وهو إعداد العناصر الصالحة للقتال وتوفير العدة اللازمة لها طبقاً لخطة الخروج العام التي أقر رجحانها أهل الاختصاص، والعمل على اكتساب المهارات والخبرات القتالية عملياً في الداخل والخارج، على أن تتخذ كافة الإجراءات الأمنية التي تضمن سلامة هذا الإعداد في سرية تامة.

(ب) إعداد المتخصصين: وفيه يتم انتقاء الأعضاء الذين يصلحون لتلَقي التعليم على مستوى أعلى، بعد اتمامهم المناهج الأساسية للجماعة، وذلك لاعدادهم كمتخصصين لتناط بهم مهمة تنظيم وتقييم وتطوير حركة الجماعة قبل التمكين ومهمة إدارة الدولة بعد التمكين بإذن الله تعالى، باعتبارهم اللبنات الأولى لحين إمكان تحقيق الاستفادة من جميع طاقات الدولة وتوظيفها طبقاً للقواعد الشرعية في التقديم والتأخير.

ب ـ الحركة: وهي مجموعة الأعمال التي تقوم بها الجماعة للوصول إلى الغاية العظمى التي تسعى إليها، وذلك بالسبل المشروعة المتمثلة في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله:

(١) الدعوة: وهي فرض على الكفاية إن قام بها البعض بما لا يخلّ بحقيقتها سقطت عن الشكل وإلا فهو متعين في حقهم جميعاً، فإن لم يفعلوا باء المتأهل منهم للدعوة وغيره بالإثم.

ترى جماعة الجهاد الإسلامي ان الدعوة إلى الله واجب متعين عليها، منوط بالقدرة، يسقطه اختصاص طائفة منها بذلك. ولا تحصل الكفاية من غيرنا في زمان كثُر فيه الخبث والشرك والصد عن سبيل الله وعلقت بأفهام الإسلام كثيرٌ من الشوائب، فضلاً عن إننا بحاجة إلى استثمار نتاج هذه الدعوة بتوظيف من يستجيب لها في بنيان الجماعة، وعلى هذا فإنه لا يستقيم قيام غيرنا بذلك لانتفاء إمكان تحقيق هذه المصلحة.

والأصل في الدعوة العلانية، وقد يلجأ الدعاة إلى الإسرار بها لمن يغلب على ظنهم الاستجابة لها أخذاً بالحيطة والحذر من أعداء الله المتربصين بالإسلام وأهله، فلا مناص من وجوب الدعوة السرية حينئذ، كما لا يجوز لداعية أن يتعدى حدود الشريعة الإسلامية بدعوى مصلحة الدعوة أو حكمتها فيوافق الناس على أهوائهم أن يتنازل عن مبادئه ومعتقداته ابتغاء اجتذاب الخلق إلى ما يدعو إليه إذ: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾[٥٤].

كما انه لا يجوز الاعراض عن مسلم أو حتى كسر خاطره بغية تحقيق الغايات المشروعة، ولعلّ في عتاب رب العباد لرسوله ﷺ على اعراضه عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه مؤجلاً إياه لوقت آخر ومنشغلاً عنه بمناقشة الكفار أملاً في استجابتهم، خير دليل على دقة الشريعة المتناهية في ضبط أساليب ووسائل تحقيق الأهداف. وينبغي أن لا يتصدى لمهمة الدعوة منّا إلا لمن أجازته الجماعة لهذا الأمر وتوافرت فيه شروط الداعية التي أقرها الفقهاء.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو الأمر بكل ما أمر به دين الله عز وجل والنهي عن كل ما نهى عنه بدعوة غير المسلم لاعتناق الإسلام، والعصاة من المسلمين إلى التزام شرع الله: ﴿كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾[٥٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين»[٥٦] ويقول: «وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره»[٥٧]. ويقول: «فإذا أقام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال»[٥٨]، ولا صحة لشرط المنكر مأذوناً من الإمام فالثابت من عادات السلف قاطع بالاستغناء عن التفويض. وهو فرض عين على من رآه وحده. قال الإمام النووي في شرح حديث: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه»، قال: «وأما قوله فليغيره فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقال: ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من ازالته إلا هو»[٥٩].

والساكت على المعصية بغير عذر شريك في الإثم، فيقول الإمام الشوكاني: «والحاصل أنه لا فرق بين فعل المعصية وبين من رضي ولم يفعلها وبين من لم يرض بها لكن ترك النهي عنها مع عدم وجود ما يسقط ذلك عنهم»[٦٠]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب على الحكام من غيرهم لما لديهم من القوة والمنعة، فيقول الإمام ابن تيمية: «وذوو السلطان أقدر على غيرهم فإن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل إنسان بحسب قدرته»[٦١]، والاثم في حق القادر على الأمر والنهي ولم يفعل أشد، يقول الإمام الشوكاني: «من كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذنبه أشد وعقوبته أعظم ومعصيته أفظع، بهذا جاءت حجج الله وقامت براهينه ونطقت به كتبه وأبلغته إلى عبادة رسله»[٦٢]. وهو لا يختص بحاكم دون شعب بل هو في أعناقهم جميعاً فكما يجب على الدولة الإسلامية تعيين المحتسبين ومحاسبة المخالفين يحق للرعية مؤاخذة حكامهم في الحدود التي أمر بها الشرع.

واشترط الفقهاء في من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون مسلماً مكلفاً قادراً، وأن يتحلى بآداب منها الإخلاص والعلم والصبر والحلم والرفق وقطع العلائق وتقليل الطمع عن الخلائق وقال بعض السلف: «لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه»[٦٣]. وان يراعي عند الأمر والنهي الأخذ بمراتب التغيير «وأولها التعرف، وثانيها التعريف، وثالثها النهي بالوعظ أو النصح والتخويف بالله، ورابعها التعنيف والزجر بالخشن من القول في غير فحش، وخامسها المنع بالقهر ككسر الملاهي وإراقة الخمر، وسادسها التخويف والتهديد بالضرب، وسابعها مباشرة الضرب باليد والرجل ونحو ذلك مما ليس بسلاح، وثامنها أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح»[٦٤].

كما على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقدّر المصالح والمفاسد المترتبة على فعله قبل الإقدام، ولا يعتد بقول الجبان أو المتهور وإنما بقول صاحب العقل السليم وان تكون المصلحة فيه راجحة فيقول ابن تيمية: «فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به وان ترك واجباً وفعل محرماً»[٦٥]، ويقول: «فإن الأمر والنهي ـ وان كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة ـ فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته»[٦٦] أما في حالة اشتباه الأمر فيقول شيخ الإسلام: «وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية وإذا تركها كان عاصياً فترك الأمر الواجب معصية وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية وهذا باب واسع ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٦٧].

وهو صفة من الصفات الملازمة للمؤمنين، فيقول الإمام الغزالي: «لقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المنعوتين في الآية: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾[٦٨].

ترى الجماعة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب متعين على أفرادها حال رؤيتهم للمنكر حتى يزول، وأن بُغض المنكر واجب لا رخصة فيه، والتغيير بحسب القدرة، ولا رخصة في الترك معها إلا للعاملين في مواقع بعينها ويترتب على الإنكار مفسدة كبرى كانكشاف الأمر أو إهدار للعمل التنظيمي الذين ينتمون إليه، فإن أمكن الهجر بلا مخاطر لزمهم ذلك.

ولا يتصدى منّا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا منْ توفرت فيه الشروط المعتبرة لدى الفقهاء، وأن لا يتخطى مرتبة من مراتب الإنكار إلا وأن يمر بها، فربما استجاب المنكر عليه فتتحقق المصلحة بلا مشقة. ولا بد من توخي الحذر من الوقوع في مذلة الغرور بالعلم أو موقع الريادة من الآخرين بأمره ونهيه ومن يفعل ذلك فهو أحق بالاحتساب.

كما لا يصح لأحد إرسال أفراد أو مجموعات إلى أماكن بعينها لاستكشاف المعاصي المستترة وتغييرها إلا بيقين يتعين بشهادة العدول. كما يجوز لنا التغيير باليد مع العصاة بغير مفسدة أكبر وبدون تفويض من الحكام إذ شرط الإذن محجوج بفعل السلف، فضلاً عن انه لا ولاية لحكام اليوم علينا لخروجهم عن دائرة الإسلام بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واستبدالهم للشرائع، فهم أحق بالتغيير من غيرهم والوثوب عليهم من باب إنكار المنكر واجب متعين في عنق المسلمين حتى تتحقق الإزالة وإلّا أثم الجميع كل بحسب قدرته.

(٣) الجهاد في سبيل الله: هو ذروة سنام الإسلام، فيقول الإمام السرخسي: «وقد سمى رسول الله ﷺ الجهاد سنام الدين وفيه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهو صفة هذه الأمة وفيه تعرض لأعلى الدرجات وهو الشهادة»[٦٩]، «وقيل إنه من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٧٠] بل هو أعلاها[٧١].

وهو بذل الجهود في سبيل الله بالتضحية بالنفس والمال حتى تكون كلمة الله هي العليا، وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وقبل ان يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف.

وهو صفة من صفات المؤمنين، يقول القرطبي: «إن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه»[٧٢]، ويقول ابن تيمية: «فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به»[٧٣].

ولقد فضل المولى سبحانه وتعالى أمة نبيه محمد ﷺ عن سائر الأمم لجهادنا في سبيل الله، يقول ابن تيمية: «بيّن سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهم كملوا الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن المنكر كل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وهذا كمال النفع للخلق»[٧٤].

ولا صحة بأن الجهاد قد شرع للدفاع عن الإسلام دون ملاحقة الكفار وغزوهم في عقر دورهم باتفاق أئمة المسلمين، يقول الشيخ أبى الطيب صاحب **الروضة الندية**: «وأما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية، ولأجله بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول الله ﷺ منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شئونه وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتّسع لها المقام ولا لبعضها وما ورد من مواد عنهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة ذلك منسوخ باتفاق أئمة المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم»[٧٥].

وقتال الحاكم الكافر من الجهاد في سبيل الله، فيقول الإمام الدهلوي في **الحجة البالغة**: «... وبالجملة فإذا كفر الخليفة بإنكار ضرورة من ضروريات الدين حل قتاله بل وجب وإلّا لا، وذلك لأنه حينئذ فاتت مصلحة نصبه بل يخاف مفسدته على القوم فكان قتاله من الجهاد في سبيل الله»[٧٦].

ولا صحة لإذن الوالدين إذا ما تعيّن الجهاد. ولا حجة لمن ادعى ان الجهاد لا يكون إلا مع الخليفة الممكن، وهو محجوج بإجماع الفقهاء على وجوب نصب الخليفة وهذا لا يتم إلا بقتال الطواغيت وجهادهم، إذ إنهم لا ينخلعون البتة عن سلطانهم بغير قتال كما أن أقوال كل من إمام الحرمين وشيخ

الإسلام ابن تيمية والإمام ابن قدامة قاطعة بعدم تعطيل الجهاد عند شعور الزمان عن الإمام.

وتجب الدعوة قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال إما الإسلام أو الجزية أو القتال. كما يجوز تبيت الكفار والانغماس في صفوفهم ومخادعتهم في غير نقض للعهد واستخدام المعاريض معهم دون الكذب الصراح، ولا تجوز مهادنتهم أو مسالمتهم أو القعود عن قتالهم إذا ما توافرت أسباب القوة لذلك، وإلا فيحرم الإقدام على قتالهم بغير مظنة النكاية باتفاق جمهور الأئمة. فيقول العز بن عبد السلام: «فإذا لم تحدث النكاية وجب الانهزام لما في الثبوت في فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة»[٧٧].

والجهاد غالباً ما يفضي إلى الشهادة في سبيل الله وهي غاية ما يتمناه المسلم، ففيها الملاذ حيث المغفرة من الذنوب والفوز بجنات النعيم: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[٧٨].

وترى جماعة الجهاد الإسلامي:

- إن الجهاد ماض إلى قيام الساعة لقول رسول الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال»، وانه فرض على الكفاية إن قام به البعض سقط عن الباقين وهو في حق الجميع متعين حتى تقوم به طائفة وإلّا أثموا كل بحسب قدرته.

- وإن الخروج على الحكام الكفرة وقتالهم وخلعهم وتنصيب إمام مسلم واجب بإجماع علماء المسلمين، على كل مكلف منوط القدرة ولا يخرج أحد منهم عن دائرة الإثم إلا أن يقدم نفسه أو ماله للقيام بهذا الواجب حتى تتحقق الكفاية. ولا يجوز الاعتقاد بأن وجود جماعة الجهاد الإسلامي في هذه الآونة يسقط فريضة الجهاد عن أعيان المكلفين، فيركنوا إلى الدنيا ويغضوا عنه الطرف وهو في حقهم قائم والإثم بهم لاحق، ان لم ينهضوا باستكمال حد القدرة اللازمة للإطاحة بهذا النظام الباطل طبقاً لما يقرره أهل الخبرة والاختصاص من حيث العدة والعدد، ورجحان الخطة العامة والإقدام عليها مرهون بغلبة الظن التي يقررها من لهم أهلية تحديد ذلك. فإن أعوزت القدرة - كما في حالنا اليوم - لزم الاجتماع وجوباً بلا ريب وفي حدود مقتضى ما تقرره سلفيتنا إذ لا عذر للجماعات الإسلامية العاملة في الساحة والتي تتفق في الاعتقاد معنا من ان يستفرغوا الجهد في السعي للاجتماع والوحدة في ما بيننا، حتى تتم الواجبات الملقاة على عاتق المسلمين: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[٧٩].

خاتمة

بعد أن أوضحنا في ما تقدم الخطوط العامة لمنهج جماعة الجهاد الإسلامي وقد تمثلت في الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها والأسس التي نرتكز عليها، ورؤيتنا للواقع الذي نعيش فيه وتصورنا للبديل الإسلامي الذي نسعى لإحلاله راسمين الطريق الذي نسلكه لتحقيق الغاية المنشودة، بقيت لنا كلمة لا يفوتنا أن نقولها حتى تتم الفائدة.

إن الذي ينبغي عمله بعد ذلك يتوقف عند حد الاطلاع على هذه الوريقات وقراءتها، وإنما لا بد وان يتعدى الأمر إلى تفجير الطاقات الكامنة واستغلال الإمكانيات المتاحة فتنبثق عنها الخطة العامة التي يقوم عليها أهل العلم والخبرة في شتى المجالات، متضمنة تخصيص المهام وتوزيع المسؤوليات وتحديد أساليب التنفيذ وتوقيتاتها طبقاً للإمكانيات المتيسرة مع تحقيق الضبط الشرعي لكافة جوانبها باقرارها من علمائنا الأجلاء. كما أنه لا بد من إيجاد الكيان الذي تتوافر فيه الشروط والمواصفات ولديه القدرة (قادة وجنوداً) على القيام بتبعات هذه الخطة من خلال الهيكل التنظيمي المناسب لطبيعة المهام العظام الملقاة على عاتقه.

وأخيراً، فنحن ندعو إخواننا الكرام قادة العمل الإسلامي في مصر للتفاهم حول هذا الطرح الذي قدمنا خطوطه العريضة، فإن وفق الله بالقبول فقد تمت الوحدة المرجوة بإذن الله تعالى وان وقع الخلاف

حول نقاط معينة فعلينا بقول الله عز وجل: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٨٠].

فإن أشكل علينا فلنحتكم إلى العلماء الثقات الاثبات ممن يرضى الجميع حكمهم وهكذا.. فلا ندع باباً لاجتماع الحركة الإسلامية في كيان واحد إلا وطرقناه، وطبقاً لما تقرره سلفيتنا في حدود الاجتماع والاختلاف حتى نكون حركة قوية على مستوى تحقيق الأهداف.

ونحن بصدد هذه الدعوة لا ندّعي لأنفسنا حق قيادة المسيرة بل نحن على استعداد لأن يتولاها غيرنا ممن لهم أهلية ذلك، إنها أمانة لن يقوم بها إلا من أعانه الله عليها، فهبّوا نحو وحدة يكون فيها الخلاص من ذلك التمزق والشتات الذي يؤخر المسيرة ويعوق موكب النصر.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٨١].

هوامش الوثيقة الثالثة

(١) **القرآن الكريم**، «سورة محمد»، الآية ١.
(٢) المصدر نفسه، «سورة الرعد»، الآية ١٩.
(٣) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٤٤.
(٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٥.
(٥) المصدر نفسه، «سورة الاعراف»، الآية ٩٦.
(٦) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٧٤.
(٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة».
(٨) المصدر نفسه، «سورة برادة»، الآية ١٢.
(٩) المصدر نفسه، «سورة الانفال»، الآية ٣٩.
(١٠) المصدر نفسه، «سورة الاسراء»، الآية ٨١.
(١١) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١١٤.
(١٢) المصدر نفسه، «سورة الصف»، الآية ٨ ـ ٩.
(١٣) المصدر نفسه، «سورة محمد»، الآية ٧.
(١٤) المصدر نفسه، «سورة محمد»، الآية ٣٨.
(١٥) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٥٥.
(١٦) المصدر نفسه، «سورة الروم»، الآية ٥.
(١٧) **صحيح مسلم**.
(١٨) ابو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند**، شرحه (القاهرة: دار المعارف [١٩٤٧])، ١٥ ج.
(١٩) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران»، الآية ١٠٣.
(٢٠) المصدر نفسه، «سورة الانفال»، الآية ٤٦.
(٢١) المصدر نفسه، «سورة يوسف»، الآية ١٨.
(٢٢) المصدر نفسه، «سورة الحجر»، الآية ٩.
(٢٣) المصدر نفسه، «سورة الشعراء»، الآية ١٩٢ ـ ١٩٥.
(٢٤) المصدر نفسه، «سورة الحشر»، الآية ٧.
(٢٥) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٨.
(٢٦) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٩.
(٢٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة»، الآية ١٠٥.
(٢٨) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٢٨٦.
(٢٩) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ١١.
(٣٠) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٣١.
(٣١) المصدر نفسه، «سورة الزاريات»، الآية ٥٦ ـ ٥٨.
(٣٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣٠.
(٣٣) المصدر نفسه، «سورة صٓ»، الآية ٢٦.
(٣٤) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٥٥.
(٣٥) المصدر نفسه، «سورة الزخرف»، الآية ٣٦ ـ ٣٧.
(٣٦) المصدر نفسه، «سورة الشورى»، الآية ٢١.
(٣٧) المصدر نفسه، «سورة إبراهيم»، الآية ٢٢.
(٣٨) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ٨٥.
(٣٩) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٣.
(٤٠) المصدر نفسه، «سورة الصف»، الآية ٩.
(٤١) رواه **مسلم**.
(٤٢) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ج ١١، ص ٩٢.
(٤٣) **القرآن الكريم**، «سورة طه»، الآية ٢٤ ـ ٢٦.

www.books4all.net
مكتبة سور الأزبكية

(٤٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة»، الآية ٥٠.
(٤٥) المصدر نفسه، «سورة الملك»، الآية ٢٢.
(٤٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٨٥.
(٤٧) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ٣.
(٤٨) المصدر نفسه، «سورة الانعام»، الآية ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٤٩) **البخاري**.
(٥٠) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة»، الآية ٨٥.
(٥١) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٩.
(٥٢) المصدر نفسه، «سورة الحج»، الآية ٤١.
(٥٣) المصدر نفسه، «سورة الانفال»، الآية ٦٠.
(٥٤) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، **الآية ٢٧٢**.
(٥٥) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١١٠.
(٥٦) ابن تيمية، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ص ١٧.
(٥٧) المصدر نفسه.
(٥٨) المصدر نفسه.
(٥٩) مسلم بن الحجاج، **مسلم بشرح النووي** (القاهرة: المطبعة المصرية، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠)، ١٨ ج.
(٦٠) الشوكاني، **الرسائل المنيرية**، ج ٢، ص ٢٠٣.
(٦١) ابن تيمية، **الحسبة في الإسلام**، تحقيق سيد بن محمد بن ابي سعدة (الكويت: مكتبة دار الأرقم، ١٩٨٣). ص ٣٧.
(٦٢) الشوكاني، المصدر نفسه.
(٦٣) ابن قدامة **مختصر منهاج القاصرين**.
(٦٤) ابو حامد محمد الغزالي، **احياء علوم الدين** (القاهرة: الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨).
(٦٥) ابن تيمية، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ص ٢٢.
(٦٦) المصدر نفسه.
(٦٧) الغزالي، **احياء علوم الدين**، ج ٢، ص ٢٤٠.
(٦٨) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة»، الآية ٧١.
(٦٩) محمد بن أحمد السرخسي، **شرح كتاب السير الكبير** (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٧) ج ١، ص ٢٣.
(٧٠) الشاطبي، **المرافقات**، ج ٣، ص ٥٠.
(٧١) تعليق الشيخ درازعلى الموافقات.
(٧٢) ابو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٣ ـ ١٩٥٠)، ٢٠ ج.
(٧٣) ابن تيمية، **الحسبة في الإسلام**، ص ٦٤.
(٧٤) المصدر نفسه.
(٧٥) ابي الطيب، **الروضة الندية**، ج ٢، ص ٢٣٣.
(٧٦) ولي الله احمد بن عبد الرحيم، **حجة الله البالغة**، حققه وراجعة السيد سابق (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨)، ج ٢، ص ١٥٠.
(٧٧) عز الدين بن عبد السلام، **قواعد الاحكام في مصالح الانام** (مصر: المكتبة الحسينية المصرية، ١٩٣٤)، ج ١، ص ٩٥.
(٧٨) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة»، الآية ١١١.
(٧٩) المصدر نفسه، «سورة الصف»، الآية ٤.
(٨٠) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٥٩.
(٨١) المصدر نفسه، «سورة آل عمران»، الآية ١٠٣.

الوثيقة الرابعة

وثيقة الفريضة الغائبة

إعداد: محمد عبد السلام فرج

«الأمين العام لتنظيم الجهاد عام ١٩٧٩/١٩٨١ م»

بسم الله الرحمن الرحيم

«مقدمة»(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد..

فإن الجهاد في سبيل الله بالرغم من أهميته القصوى وخطورته العظمى على مستقبل هذا الدين فقد أهمله علماء العصر وتجاهلوه بالرغم من علمهم بأنه السبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الاسلام من جديد وآثر كل مسلم ما يهوى من أفكاره وفلسفاته على خير طريق رسمه الله سبحانه وتعالى لعزة العباد...

والذي لا شك فيه هو أن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف ولذلك يقول ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم». أخرجه الامام أحمد عن ابن عمر.

ويقول ابن رجب: «قوله صلى الله عليه بعثت بالسيف»، يعني أن الله بعثه داعياً بالسيف إلى توحيد الله بعد دعائه بالحجة فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعي بالسيف.

ويخاطب رسول الله ﷺ طواغيت مكة وهو بها (استمعوا يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) فأخذ القوم كلمته حتى ما نيم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع وحتى إن أشدهم على ذلك ليلقاه بأحسن ما يجد من القول حتى أنه ليقول: انطلق يا أبا القاسم راشداً فوالله ما كنت جهولاً ورسول الله ﷺ بقوله (لقد جئتكم بالذبح) قد رسم الطريق القويم الذي لا جدال فيه ولا مداهنة مع أئمة الكفر وقادة الضلال وهو في قلب مكة.

الاسلام مقبل

واقامة الدولة الاسلامية واعادة الخلافة قد بشر بها رسول الله ﷺ هذا فضلاً عن كونها أمراً من أوامر المولى جل وعلا وواجب على كل مسلم بذل قصارى جهده لتنفيذه.

(أ) يقول عليه الصلاة والسلام: «ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها وأن أمتي سيبلغ

(*) جدير بالذكر أن هذه الوثيقة مثلت المنهاج الفكري العام لأعضاء تنظيم الجهاد الذي اغتال السادات عام ١٩٨١، ولقد حاولنا هنا أن نقدمها كاملة على الرغم من العديد من الأخطاء المطبعية واللغوية في النسخة الأصلية التي استندنا إليها، ولقد قمنا بحذف بعض الجمل أو الكلمات غير المفهومة والتي استحال استنباط معناها من السياق العام. (معد الوثائق).

ملكها ما زوي لي منها» رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة والترمذي. وهذا لم يحدث إلى الآن. حيث ان هناك بلاداً لم يفتحها المسلمون في أي عصر مضى إلى الآن وسوف يحدث إن شاء الله.

(ب) ويقول عليه الصلاة والسلام: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به الله الاسلام وذلاً يذل به الكفر» رواه أحمد والطبراني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح. المدر: أهل القرى والأمصار (الوبر: أهل البوادي والمدن والقرى).

(ج) وفي الحديث الصحيح يقول أبو قبيل: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق فأخرج منه كتاباً. قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً يعني القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ «مدينة هرقل تفتح أولاً القسطنطينية رواه أحمد والدرامي (رومية) هي روما كما في (معجم البلدان) وهي عاصمة ايطاليا اليوم. وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح وسيحقق الفتح الثاني بإذن الله ولا بد ولتعلمن نبأه بعد حين.

(د) «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً عارضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقى الاسلام جرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركانها شيئاً إلا أخرجته»، ذكره حذيفة مرفوعاً ورواه الحافظ العراقي من طريق أحمد وقال هذا حسن صحيح، والملك العارض قد انتهى والملك الجبري هو عن طريق الانقلابات التي يُجْعَل أصحابها على الحكم رغم ارادة الشعب...

والحديث من المبشرات بعودة الاسلام في العصر الحالي بعد هذه الصحوة الاسلامية وينبىء أن لهم مستقبلاً باهراً من الناحية الاقتصادية والزراعية.

الرد على اليائسين

ورّد بعض اليائسين على هذا الحديث وهذه المبشرات بحديث النبي ﷺ عن أنس: «اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلّا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» سمعت هذا من نبيكم عليه الصلاة والسلام، قال الترمذي حسن صحيح.. ويقولون لا داعي لإضاعة الجهد والوقت في أحلام... وهنا نذكر قول النبي ﷺ: «أمتي أمة مباركة لا تدري أولها خير أم آخرها» رواه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان أشار السيوطي إلى حسنه ولا تناقض بين الحديثين حيث أن خطاب النبي ﷺ موجه إلى جيل الصحابة حتى يلقوا ربهم... وليس الحديث على عمومه بل «من العام المخصوص وأيضاً بدليل أحاديث المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً».

وبشر الله طائفة من المؤمنين بقوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً. والله لا يخلف الميعاد)[1] نسأله جل وعلا أن يجعلنا منهم.

اقامة الدولة الاسلامية

هو فرض أنكره بعض المسلمين وتغافل عنه البعض مع أن الدليل على فرضية قيام الدولة واضح بين في كتاب الله تبارك وتعالى فالله سبحانه وتعالى يقول: وأن أحكم بينهم بما أنزل الله[2]، ويقول: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»[3] . ويقول جل وعلا في سورة النور عن فرضية أحكام الاسلام: «سورة أنزلناها وفرضناها»[4]، ومنه فإن حكم اقامة حكم الله على هذه الأرض فرض على المسلمين ويكون

أحكام الله فرض على المسلمين فبالتالي قيام الدولة الاسلامية فرضٌ على المسلمين لأن ما لم يتم الواجب إلّا به فهو واجب وأيضاً إذا كانت الدولة لن تقوم إلا بقتال فوجب علينا القتال.

ولقد أجمع المسلمون على فرضية اقامة الخلافة الاسلامية واعلان الخلافة يعتمد على وجود النواة وهي الدولة الاسلامية ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية فعلى كل مسلم السعي لإعادة الخلافة بجد لكيلا يقع تحت طائلة الحديث، والمقصود بالبيعة بيعة الخلافة.

الدار التي نعيش فيها

ويبدو هنا تساؤل هل نحن نعيش في دول اسلامية؟ من شروط الدولة أن تعلوها أحكام الاسلام وأفتى الإمام أبو حنيفة أن دار الاسلام تتحول إلى دار كفر إذا توافرت ثلاثة شروط مجتمعة:

١ـ أن تعلوها أحكام الكفر.

٢ـ ذهاب الأمان للمسلمين.

٣ـ المتاخمة أو المجاورة... وذلك بأن تكون تلك الدار مجاورة لدار الكفر بحيث تكون مصدر خطر على المسلمين وسبباً في ذهاب الأمن.

وأفتى الإمام محمد والامام أبو يوسف صاحبي أبو حنيفة بأن حكم الدار تابع للأحكام التي تعلوها فإن كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام الاسلام (فهي دار الاسلام) وان كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام الكفر (فهي دار كفر) (بدائع الصنائع جزء ١) وأفتى شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الفتاوى الجزء الرابع (كتاب الجهاد) عندما سئل عن بلد تسمى ماردين كانت تحكم بحكم الاسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر هل هي دار حرب أو سلم؟ فأجاب أن هذه مركب فيها المعنيان فهي ليست بمنزلة دار السلم التي جرى عليها أحكام الاسلام ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق ويعامل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه... والحقيقة أن لهذه الأقوال لا نجد تناقض بين أقوال الأئمة فأبو حنيفة وصاحبيه لم يذكروا أن أهلها كفار... فالسلم لمن يستحق السلم والحرب لمن يستحق الحرب، فالدولة تحكم بأحكام الكفر بالرغم من أن أغلب أهلها مسلمون.

الحاكم بغير ما أنزل الله

والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام الكفر بل هي قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين ويقول الله سبحانه وتعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»[٥]. فبعد ذهاب الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤ واقتلاع أحكام الاسلام كلها واستبدالها بأحكام وضعها كفار... أصبحت حالتهم هي نفس حالة التتار كما ثبت في تفسير ابن كثير لقوله سبحانه وتعالى: «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»[٦].

قال ابن كثير: ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعَدَّل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الجهال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك كان يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه من كثير ولا قليل[٧].

وحكام العصر قد تعددت أبواب الكفر التي خرجوا بها عن ملة الاسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم، هذا بالإضافة إلى قضية الحكم. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفتاوى الكبرى[٨] ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير

دين الاسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر وهو ككفر من أمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب كما قال تعالى:

«إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعددنا للكافرين عذاباً مهيناً»[٩].

حكام اليوم في ردة عن الاسلام

فحكام هذا العصر في ردة عن الاسلام تربوا على موائد الاستعمار سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية. فهم لا يحملون من الاسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم. وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها أن المرتد يقتل وان كان عاجزاً عن القتال بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد. ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر الأصلي إلى غير ذلك من الأحكام. وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين فالردة عن شرائعه أعظم من الكفر بأصل الدين فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه. إذاً فما موقف المسلمين من هؤلاء. ويقول ابن تيمية[١٠]:

«كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، كذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق وكذلك ان امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة وكذلك ان امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والإبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة وكذلك ان امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع السلف مثل أن يظهروا الالحاد في أسماء الله وآياته أو التكذيب بآيات الله وصفاته والتكذيب بقدره وقضاءه أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الاسلام وأمثال هذه الأمور قال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»[١١]، ولهذا قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»[١٢]، وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا بالصلاة والصيام ولكن لم يمتنعوا عن ترك الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا والربا هو آخر ما حرمه الله وهو ما لا يؤخذ برضاء صاحبه فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم فكيف لمن يترك كثيراً من شعائر الاسلام أو أكثرها كالتتار وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة ان امتنعت عن بعض واجبات الاسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق أو الربا أو الميسر أو جهاد الكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الاسلام فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله.

المقارنة بين التتار وحكام اليوم

١ـ واضح من قول ابن كثير في تفسير قوله تعالى «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» ص ٦ بهذا الكتاب[١٣] أنه لم يفرق بين كل من خرج عن الحكم بما أنزل الله أياً من كان وبين التتار... **وفي الحقيقة ان كون التتار يحكمون بالياسق الذي اقتبس من شرائع شتى من اليهودية**

والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه... فلا شك أن الياسق أقل جرماً من شرائع وضعها الغرب لا تمت للإسلام بصلة ولا لأي من الشرائع.

٢ـ وفي سؤال موجه إلى شيخ الاسلام ابن تيمية من مسلم غيور، يقول السائل واصفاً أحوالهم للإمام (هؤلاء التتار الذين يقدمون إلى الشام مرة بعد مرة وقد تكلموا بالشهادتين ولم يبقوا على الكفر الذي كانوا عليه في أول الأمر فهل يجب قتالهم وما حكم من قد أخرجوه معهم كرهاً (أي أنهم يضمون المسلمين إلى صفوف جيشهم كرهاً «التجنيد الاجباري»)، وما حكم من يكون مع عسكرهم من المنتسبين إلى العلم والفقه والتصوف وغير ذلك. وما يقال فيمن زعم أنهم مسلمون والمقاتلون لهم مسلمون وكليهما ظالم فلا يقاتل مع أحدهما.. (وهي نفس الشبهة) الموجودة الآن وسوف يتم توضيحها إن شاء الله[١٤].

٣ـ ويقول ابن تيمية في وصف التتار (ولم يكن معهم في دولتهم مولى لهم إلا من كان من شر الخلق أو زنديق منافق لا يعتقد دين الإسلام في الباطن أي أن يظهر الإسلام وأما من هؤلاء من هو شر أهل البدع كالرافضة والجهمية والاتحادية ونحوهم (وهم من أصحاب البدع) وأما من أفجر الناس وأفسقهم وهم في بلادهم مع تمكنهم لا يحجون البيت العتيق وإن كان فيهم من يصلي ويصوم فليس الغالب عليهم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة... أليس ذلك هو الكائن؟

٤ـ وهم يقاتلون على ملك جنكيز خان (اسم ملكهم) فمن دخل في طاعتهم جعلوه وليهم وإن كان كافراً، ومن خرج عن ذلك جعلوه عدواً لهم وإن كان من خيار المسلمين لا يقاتلون على الاسلام ولا يضعون الجزية والصغار بل غاية كثير من المسلمين منهم من أكابر أمرائهم ووزرائهم أن يكون المسلم عندهم كمن يعظمونه من المشركين من اليهود والنصارى[١٥].

ملحوظة: أليست هذه الصفات هي نفس الصفات لحكام العصر هم وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا أمر الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم.

٥ـ يضيف شيخ الاسلام[١٦] واصفاً الموالين لجنكيز خان فيكتب بمن كان فيما يظهره من الاسلام يجعل محمداً كجنكيز خان وإلا فهم مع إظهارهم للاسلام يعظمون أمر جنكيز خان كما يقاتلون المسلمين بل أعظم أولئك الكفار يبذلون له الطاعة والانقياد ويحملون إليه الأموال ويقرون له بالنيابة ولا يخالفون ما يأمرهم به إلا كما يخالف الخارج عن طاعة الإمام للإمام وهم يحاربون المسلمين ويعادونهم أعظم معاداة ويطلبون من المسلمين الطاعة لهم وبذل الأموال والدخول في ما وضعه لهم الملك الكافر المشرك المشابه لفرعون أو النمرود ونحوهم بل هو أعظم فساداً في الأرض منها.

٦ـ ويضيف ابن تيمية ويقول (من دخل في طاعتهم الجاهلية وسنتهم الكفرية كان صديقهم ومن يخالفهم كان عدوهم ولو كان من أنبياء الله ورسله وأولياءه)[١٧].

٧ـ ويضيف شيخ الاسلام متكلماً عن القضاء في عصر التتار فيقول:

(وكذلك وزيرهم السفيه الملقب بالرشيد يحكم على هذه الأصناف ويقدم شرار المسلمين كالرافضة والملاحدة على خيار المسلمين أهل العلم والايمان حتى يتولى قضاء القضاة من كان أقرب إلى الزندقة والالحاد والكفر بالله ورسوله.. بحيث تكون موافقة الكفار والمنافقين من اليهود والقرامطة والملاحدة والرافضة على ما يريدون أعظم من غيره ويتظاهرون من شريعة الإسلام بما لا بد له منه لأجل من هناك من المسلمين حتى أن وزيرهم هذا الخبيث المنافق صنف مصنفاً مضمونه «أن النبي ﷺ» رضي بدين اليهود والنصارى وانه لا ينكر عليهم ولا يذمون ولا ينهون عن دينهم ولا يؤمرون بالانتقال إلى الاسلام ويستبدل الخبيث الجاهل بقوله: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين»[١٨] وزعم أن هذه الآية تقتضي أنه يرضى دينهم. قال وهذه الآية محكمة ليست منسوخة[١٩] فسبحان الله. أليس مصنف وزير التتار هو نفسه مصنف (الاخاء الديني)، و(مجمع الأديان) بل الأخير أفظع وأجرم...

«مجموعة فتاوى لابن تيمية في هذا العصر»

ومن هنا يجدر بنا أن ننقل بعض فتاوى ابن تيمية في حكم هؤلاء... وكنا قد ذكرنا فتواه في حكم بلدة «ماردين» التي كان يحكمها التتار بقوانين تجمع ما بين شريعة اليهود والنصارى وجزء من الاسلام وجزء من العقل والهوى فقال : أما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي تسري عليها أحكام الاسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه.

(ما هو حكم اعانتهم ومساعدتهم؟)

يقول شيخ الاسلام بن تيمية رداً على هذا السؤال[٢٠]: (واعانة الخارجين عن شريعة دين الاسلام محرمة سواء أكانوا أهل «ماردين» أو غيرهم والمقيم بها إن كان عاجزاً عن اقامة دينه وجبت الهجرة عليه وإلا استحبت ولم تجب. ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم ويجب عليهم الاقلاع عن ذلك بأي طريق أمكنهم من تغيب أو تعريض أو مصانعة فإذا لم يكن إلا بالهجرة تعينت) ويضيف بن تيمية قاصداً أهالي ماردين الذين يعاونون (التتار «السلطة الحاكمة»)... (ولا يحل سبهم عموماً بالنفاق بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم) أي ليس كله.

حكم الجنود المسلمين الذين يرفضون الخدمة في جيش التتار

ص ٢٨٠ مسألة (٥١٢) في رجل جندي وهو يريد ألا يخدم، (الجواب): إذا كان للمسلمين به منفعة وهو قادر عليها لا ينبغ له أن يترك ذلك لغير مصلحة راجعة على المسلمين... بل كونه مقدماً في الجهاد الذي يجعله الله ورسوله أفضل من التطوع بالعبادة كصلاة التطوع والحج وصيام التطوع والله أعلم.

حكم أموالهم

مسألة (٥١٤) إذا دخل التتار الشام ونهبوا أموال النصارى والمسلمين ثم نهب المسلمون التتار وسلبوا القتلى منهم... فهل المأخوذ من أموالهم وسلبهم حلال أم لا؟ (الجواب) كل ما أخذ من التتار يخمس ويباح الانتفاع به (ومعنى يخمس أي غنيمة).

حكم قتالهم

يقول ابن تيمية في ص ٢٩٨ مسألة (٢١٧). قتال التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة فإن الله يقول في القرآن (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)[٢١] والدين هو الطاعة فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله. وجب القتال حتى يكون الدين كله لله ولهذا قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)[٢٢] وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الاسلام والتزموا الصلاة والصيام ولكن امتنعوا عن ترك الربا بين الله أنهم محاربين له ولرسوله فإذا كان هؤلاء محاربين لله ولرسوله يجب جهادهم فكيف بمن يترك كثيراً من شرائع الاسلام أو أكثرها كالتتار وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض الواجبات الاسلامية الظاهرة فإنه يجب قتالها إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق أو الربا أو الميسر أو الجهاد للكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الاسلام فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله. وقد ثبت في الصحيحين أن عمر لما ناظر أبا بكر في مانعي الزكاة. قال له أبو بكر: كيف لا أقاتل من ترك الحقوق أوجبها الله ورسوله وإن كان قد أسلم كالزكاة وقال له فإن الزكاة من حقها والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر فما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق وقد ثبت في الصحيح غير مرة أن النبي ﷺ ذكر الخوارج وقال فيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع

صيامهم وقراءتـه مـع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقـون من الاسلام كمـا يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فـإن لمن قتلهم أجراً عنـد الله يوم القيـامة لئن أدركتهم لأقتلهم قتـل عاد.

وقد اتفق السلف والأئمة على قتال هؤلاء وأول من قـاتلهم علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ومـا زال المسلمون في صدر خلافة بني أمية وبني العباس مع الأمراء وان كانوا ظلمـة وكان الحجـاج ونوابه ممن يقاتلونه فكل أئمة المسلمين يأمرون بقتالهم والتتار وأشباههم (أمثال حكام اليوم) أعظم خروجاً من شريعة الاسلام من مانعي الزكاة والخوارج من أهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الاسلام وحيث وجب قتالهم قوتلوا وإن كان فيهم المنكره...

هل قتالهم قتال بغي

يقول ابن تيمية[٢٣] (فقد يتوهم البعض أن هؤلاء التتـار من أهل البغي المتـأولين ويحكم فيهم بمثـل هذه الأحكام كما أدخل في هذا الحكم مانعي الـزكاة والخـوارج وسنبين فسـاد هذا التـوهم إن شاء الله. ويقول ابن تيمية في ص ٢٩٦... (كما قال النبي ﷺ في الحديث: من قتل دون مـاله فهـو شهيد ومن قتـل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون حـرمة فهـو شهيد فكيف بقتـال هؤلاء الخارجـين عن شرائع الاسـلام المحاربين لله ولـرسولـه الذين صـولهم وبغيهم أقل مـا فيهم فإن قتـال المعتدين الضـالين ثـابت بالسنـة والاجماع وهؤلاء ضالـون معتدون عـلى المسلمين في أنفسهم وأمـوالهم وحرمهم من شر البغـاة المتأولـين الظالمين ولكن من زعم أنهم يقاتلون كما تقاتل البغاة المتأولون أن يكون لهم تأويل سائغ خرجوا به ولهـذا قالوا إن الإمام يراسلهم فإن ذكر شبهة بينهما وان ذكروا مظلمة أزالها فأي شبهـة لهؤلاء المحاربـين لله ولرسوله الساعين في الأرض فساداً الخارجين عن شرائـع الدين أنهم ليقـولون إنهم أقـوم بدين الاسـلام علماً وعملاً من هذه الطائفة.

حكم من والاهم ضد المسلمين

يقول ابن تيمية[٢٤] (وكـل من نفر إليهم من أمـراء العسكر وغـير الأمراء فحكمـه وحكمهم وفيهم من الردة عن شرائع الاسلام بقدر مـا ارتد عنـه من شرائع الاسـلام وإذا كان السلف سمـوا مانعي الـزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين فكيف بمن صـار مع أعـداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين). ويقول ابن تيمية ص ٢٩٣ (وبهذا يتبـين أن من كان مسلم الأصـل هو شر من الترك للذين كانوا كفاراً فإن المسلم الأصلي إذا ارتد عن بعض شرائعه أسوأ حـالاً ممن لم يدخـل بعد في تلك الشرائع متفقهاً أو متصوفاً أو تاجراً أو كاتباً أو غير ذلك فهؤلاء شر من الترك للذين لم يدخلوا في تلك الشرائع وأصروا على الكفر. ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين مـا لا يجدونـه من ضرر أولئك وينقادون للإسلام وشرائعه وطـاعة الله ورسـوله أعظم انقيـاداً من هؤلاء الذين ارتـدوا عن بعض الدين ونافقوا في بعض وإن تظاهروا بالانتساب إلى العلم والايمان)[٢٥].

آراء وأضواء: الدعوة من خلال الجمعيات الخيرية) أو قيام حزب اسلامي

وفي الحقيقة أن هذا يزيد الجمعيات الخيرية بكونه حزب يتكلم في السياسة بـالاضافـة إلى ذلك فـإن الهدف الذي قام من أجله تحطيم دولة الكفر سوف يكون بالفعل على طريق الحـزب هو عكسـه وهو بنـاء دولة الكفر فهم يشاركونهم في الآراء... ويشتـركون في عضـوية المجـالس التشريعية التي تشرع من دون الله.

الاجتهاد من أجل الحصول على المناصب

وهناك من يقول ان على المسلمين الاجتهاد من أجل الحصـول على المنـاصب فنملأ المـراكز بـالطبيب المسلم والمهندس المسلم وبذلك يسقط النظام الكافر وحده وبدون مجهود ويتكون الحاكم المسلم... والذي يسمع هذا الكلام لأول وهلة يظنه خيال أو مزاح ولكن الحقيقة أن بـالحقل الاسـلامي من يفلسف الأمور بهذه الطريقة وهذا الكلام بالرغم من أنه لا دليل له من الكتاب والسنة فإن الواقع حائـل دون تحقيقه...

فمهما وصل الأمر إلى تكوين أطباء مسلمين ومهندسين مسلمين فهم أيضاً من بناة الدولة ولن يصل الأمر إلى توصيل أي شخصية مسلمة إلى منصب وزاري إلا إذا كان موالياً للنظام موالاة كاملة.

(الدعوة فقط) وتكوين قاعدة عريضة

ومنهم ن يقول إن الطريق لإقامة الدولة هو الدعوة فقط وإقامة قاعدة عريضة وهذا لا يحقق قيام الدولة بالرغم من أن البعض جعل هذه النقطة أساس تراجعه عن الجهاد والحق أن الذي سيقيم الدولة هم القلة المؤمنة.. والذين يستقيمون على أمر الله وسنة رسول الله ﷺ دائماً قلة بدليل قول الله عز وجل «وقليل من عبادي الشكور»[٢٦] وقوله سبحانه «وان تتبع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله»[٢٧]. وتلك سنة الله في أرضه... فمن أين ستأتي بهذه الكثرة المأمولة.. ويقول سبحانه «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين»[٢٨].

والاسلام لا ينتصر بالكثرة فالله سبحانه وتعالى يقول «وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله»[٢٩] ويقول سبحانه «ويوم حنين إذ أعجتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت»[٣٠].. ويقول ﷺ:

«ولينزعن الله الهيبة من قلوب أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن» وذلك بعد أن سألوه ﷺ «أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل».

ثم كيف تنجح الدعوى لهذا النجاح العريض وكل الوسائل الاعلامية الآن تحت سيطرة الكفرة والفسقة والمحاربين لدين الله... فالسعي المقيد حقاً هو من أجل تحرير هذه الأجهزة الاعلامية من أيدي هؤلاء... ومعلوم أنه بمجرد النصر والتمكين تكون هناك استجابة فيقول سبحانه وتعالى «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً»[٣١].

ويجدر بنا في استعراض هذه النقطة الرد على من يقول إنه لا بد أن يكون الناس مسلمين حتى نطبق الاسلام عليهم كي يستجيبوا له وكي لا تفشل في تطبيقه والذي يتشدق بهذا الكلام فهو إنما يتهم الاسلام بالنقص والعجز دون أن يشعر فهذا الدين الصالح التطبيق في كل زمان ومكان وقادر على تسيير المسلم والكافر والفاسق والصالح والعالم والجاهل... وإذا كان الناس يعيشون تحت أحكام الكفر فكيف بهم إذا وجدوا أنفسهم تحت حكم الاسلام الذي هو كله عدل.

وقد أخطأ الفهم من يفهم كلامي هذا بمعنى التوقف عن الدعوة (دعوة الناس إلى الاسلام فالأساس هو أن تأخذ الاسلام ككل ولكن ذلك رد على من جعل قضيته هي تكوين القاعدة العريضة والشغل عن الجهاد ومن أجلها أوقفه وعطله.

الهجرة

وهناك من يقول إن الطريق لإقامة الدولة الاسلامية هو الهجرة إلى بلد أخرى واقامة الدولة هناك ثم العودة مرة أخرى فاتحين، ولتوفير جهد هؤلاء فعليهم أن يقيموا دولة الاسلام بينهم ويخرجوا منها فاتحين... وهل هذه الهجرة شرعية أم لا. للإجابة على هذا التساؤل لعدد من أنواع الهجرة الواردة في السنة في تفسير حديث فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله كانت هجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه، يقول بن حجر: (والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره)[٣٢]، وفي الشرع ما ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت في الاسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة. وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الايمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين. ولا عجب في ذلك فإن هناك من يقول إنه سوف يهاجر إلى الجبل ثم يعود فيلتقي بفرعون كما فعل موسى وبعد ذلك يخسف الله بفرعون وجنوده الأرض..وكل هذه الشطحات ما نتجت إلا من جراء ترك الأسلوب الصحيح والشرعي الوحيد لإقامة الدولة الاسلامية إذاً فما هو الأسلوب

الصحيح؟ يقول الله تعالى «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم»[٣٣] ويقول سبحانه «قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»[٣٤].

الانشغال بطلب العلم

وهناك من يقول إن الطريق الآن هو الانشغال بطلب العلم وكيف نجاهد ولسنا على علم وطلب العلم فريضة، ولكننا لم نسمع بقول واحد يبيح ترك أمر شرعي أو فرض من فرائض الاسلام بحجة العلم خاصة إذا كان هذا الفرض هو الجهاد فكيف نترك فرض عين من أجل فرض كفاية... ثم كيف يتأتى أن نكون قد تعلمنا أقل السنن والمستحبات وننادي بها ثم نترك فرضاً عظمه الرسول ﷺ ثم الذي تعمق في العلم إلى درجة أنه عرف الصغيرة والكبيرة كيف يمر عليه قدر الجهاد وعقوبة تأخيره أو التقصير فيه... ومن يقول إن العلم جهاد عليه أن يعلم أن الفرض هو القتال لأن الله سبحانه وتعالى يقول.. «كتب عليكم القتال..»[٣٥] ومعلوم أن رجلاً شهد الشهادتين بين يدي رسول الله ﷺ ثم نزل ميدان القتال فقاتل حتى قتل قبل أن يفعل شيئاً سواء في العلم أو في العبادة فبشره رسول الله ﷺ بهذا العمل القليل بالأجر الكبير، وحدود العلم أن من علم فرضية الصلاة فعليه أن يصلي ومن علم فرضية الصيام فعليه أن يصوم وكذلك من علم فرضية الجهاد فعليه ان يجاهد ومن تبجح بعدم علمه بأحكام الجهاد فعليه ان يعرف أن أحكام الاسلام سهلة وميسرة لمن أخلص النية لله فعلى هذا ينوي الجهاد في سبيل الله وبعد ذلك فأحكام الجهاد تدرس بسهولة ويسر وفي وقت قصير قصير جداً والأمر لا يحتاج إلى بينة ومن أراد أن يزداد من العلم فوق هذا الحد فليس هناك حكر على العلم فالعلم متاح للجميع أما تأخير الجهاد بحجة طلب العلم فتلك حجة من لا حجة له.. وهناك مجاهدون منذ بداية دعوة النبي ﷺ وفي عصور التابعين حتى عصور قريبة لم يكونوا علماء وفتح الله على أيديهم أمصار كثير ولم يحتجوا بطلب العلم أو بمعرفة علم الحديث أصول الفقه بل إن الله سبحانه وتعالى جعل على أيديهم نصر للإسلام لم يقم به علماء الأزهر يوم أن أدخل نابليون وجنوده الأزهر بالخيل والنعال ماذا فعلوا بعلمهم أمام تلك المهزلة.. فالعلم ليس هو السلاح الحاد والقاطع الذي سوف يقطع دابر الكافرين ولكن هذا السلاح الذي ذكرناه لنا المولى عز وجل في قوله «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»[٣٦] ونحن لا نحقر قدر العلم والعلماء بل ننادي به ولكن لا نحتج به في التخلي عن فرائض شرعها الله.

بيان أن أمة الاسلام تختلف عن الأمم الأخرى في أمر القتال

يوضح الله تعالى أن هذه الأمة تختلف عن الأمم الأخرى في أمر القتال ففي الأمم السابقة كان الله سبحانه وتعالى ينزل عذابه على الكفار وأعداء دينه بالسنن الكونية كالخسف والغرق والصيحة والريح... وهذا الوضع يختلف مع أمة محمد ﷺ فالله سبحانه وتعالى خاطبهم قائلاً: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»[٣٧] أي أنه على المسلم أولاً أن يأخذ الأمر بالقتال بيده ثم بعد ذلك يتدخل سبحانه وتعالى بالسنن الكونية وبذلك يتحقق النصر على أيدي المؤمنين من عند الله سبحانه وتعالى.

الخروج على الحاكم

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي عن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته عن رسول الله ﷺ فقال دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا: أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهاناً. وبواحاً: أي ظاهر والمراد الكفر هنا المعاصي. ومعنى عندكم من الله فيه برهان أي تعلمونه من فدين الله ويقول النووي في شرح الحديث (قال القاضي عياض أجمع العلماء على أن الامامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل قال وكذا لو ترك اقامة الصلوات والدعاء إليها وكذلك قال عند جمهورهم المبدعة.. قال وقال بعض البصريين تنعقد له وتسند أم لأنه متأول... قال القاضي لو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة فرج

عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل ان أمكنهم ذلك إلا لطائفة وجبت عليهم القيام بخلع الكافر[٣٨] وهذا الباب هو أيضاً رد على القائلين بأنه لا يجوز القتال إلا تحت خليفة أو أمير.

ويقول بن تيمية: (كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين)[٣٩].

العدو القريب والعدو البعيد

وهناك قول بأن ميدان الجهاد اليوم هو تحرير القدس كأرض مقدسة والحقيقة أن تحرير الأراضي المقدسة أمر شرعي واجب على كل مسلم ولكن الحقيقة أن تحرير الأراضي المقدسة أمر واجب على كل مسلم ولكن رسول الله ﷺ وصف المؤمن بأنه كيس فطن أي أنه يعرف ما ينفع وما يضر ويقدم الحلول الحاسمة الجارية وهذه نقطة تستلزم توضيح الآتي:

أولاً ـ ان قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد.

ثانياً ـ ان دماء المسلمين التي ستنزف حتى وإن تحقق النصر فالسؤال الآن هل هذا النصر لصالح الدولة الاسلامية القائمة؟ أم أن هذا النصر هو لصالح الحكم الكافر القائم وهو تثبيت لأركان الدولة الخارجة عن شرع الله... وهؤلاء الحكام إنما ينتهزون فرصة أفكار هؤلاء المسلمين الوطنية في تحقيق أغراضهم الغير اسلامية وإن كان ظاهرها الاسلام فالقتال يجب أن يكون تحت راية مسلمة وقيادة مسلمة ولا خلاف في ذلك.

ثالثاً ـ ان أساس وجود الاستعمار في بلاد الاسلام هم هؤلاء الحكام فالبدء بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجد وغير مفيد وما هو إلا مضيعة للوقت. فعلينا أن نركز على قضيتنا الاسلامية وهي اقامة شرع الله أولاً في بلدنا وجعل كلمة الله هي العليا فلا شك أن ميدان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدالها بالنظام الاسلامي الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة.

الرد على من يقول إن الجهاد في الاسلام للدفاع فقط

ويجدر بنا في هذا الصدد الرد على من قال إن الجهاد في الاسلام للدفاع وأن الاسلام لم ينتشر بالسيف وهذا القول باطل رده عدد كبير ممن يبرز في مجال الدعوة الاسلامية والصواب يجيب به رسول الله ﷺ عندما سئل، أي الجهاد في سبيل الله... قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، فالقتال في الاسلام هو لرفع كلمة الله في الأرض سواء هجوماً أو دفاعاً... والاسلام انتشر بالسيف ولكن في وجه أئمة الكفر الذين حجبوه عن البشر، وبعد ذلك لا يكره أحد... فواجب على المسلمين أن يرفعوا السيوف في وجوه القادة الذين يحجبون الحق ويظهرون الباطل إلا أن يصل الحق إلى قلوب الناس واقرأ معي رسالة النبي ﷺ إلى هرقل... عن ابن عباس في صحيح البخاري ونصها: ـ

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم:

سلام على من اتبع الهدى ـ أما بعد... فإني أدعوك بدعوة الاسلام... أسلم تسلم يأتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأديسين «ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[٤٠].

ونضيف نص رسالة النبي ﷺ إلى كسرى أيضاً:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس...

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك (أخرجه ابن حزير عن طريق ابن اسحاق).

وأخرج البيهقي نص رسالة الرسول إلى أهل نجران وهي: باسم إله ابراهيم واسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران: سلم أنتم... فإني أحمد إليكم إله ابراهيم

واسحاق ويعقوب أما بعد: فإني أدعوك إلى عبادة الله من عبادة العباد... وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد... فإن أبيتم فالجزية.. فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام.

وقد أرسل رسول الله ﷺ رسائل مشابهة إلى المقوقس وإلى ملك اليمامة وإلى المنذر بن ساوى عظيم البحرين وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني وإلى الحارث بن عبد كلال الحميري وإلى ملك عمان وغيرهم.

آية السيف

ولقد تكلم أغلب المفسرين في آية القرآن وسموها آية السيف وهي قول الله سبحانه وتعالى: «أفإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد»[٤١].

قال الحافظ بن كثير في تفسير الآية: (قال الضحاك بن مزاحم: أنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد المشركين وكل عقد ومدة. وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة.

ويقول الحافظ محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي صاحب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (وتقدم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والاعراض والصبر على أذاهم بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه فإنه وقع منه في القرآن مائة وأربع عشرة آية من أربع وخمسين سورة نسخ ذلك كله بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (كتب عليكم القتال)[٤٢].

وقال الحسين بن فضل فيها هي آية السيف نسخت هذه كل آية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الأعداء. فالعجب ممن يستدل بالآيات المنسوخة على ترك القتال والجهاد.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ في الناسخ والمنسوخ «باب الاعراض عن المشركين» في مائة وأربع عشرة آية في ثمان وأربعين سورة نسخ الكل بقوله عز وجل «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وسنذكرها في مواطنها إن شاء الله تعالى انتهت...

ويقول الامام المحقق أبو القاسم هبة الله بن سلامة: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (الآية الثالثة) هي الآية الثالثة وهي الناسخة ولكن نسخت من القرآن مائة آية وأربعاً وعشرين ثم صار آخرها ناسخاً لأولها وهي قوله تعالى: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»[٤٣].

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب

وقال السدي والضحاك: إن آية السيف منسوخة بآية (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد وأما فداء)[٤٤] وهي أشد على المشركين من آية السيف وقال قتادة بالعكس ولا أعلم أحد خالف القول بالمنسوخ سوى السيوطي قال في كتاب الاتفاق[٤٥]: (الأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها... فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هو المنسأ... وقال ذكر جماعته أن ما ورد من الخطاب والتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره)[٤٦] حكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل. انتهى كلام السيوطي.

وبالرغم من مخالفة السيوطي لكل الأقوال السابقة مما لا يدع مجالاً للشك بأن الصواب هو الأخذ بالقول الأول. فبالإضافة إلى ذلك فإنه قد أخطأ من فهم أن القول بعدم نسخ آيات العفو والصفح يعني تعطيل فريضتي الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... أو اسقاط فرض الجهاد فرسول الله ﷺ يقول: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة». ويقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف[٤٧] فإن كونه ماضياً إلى يوم القيامة يدلّ على أنه باق ما بقيت الدنيا وتعطيل الجهاد بحجة النسأ ليس ايقاف للغزو فقط ولكنه ايقاف لنية الغزو أيضاً وخطورة ذلك في قول رسول الله ﷺ (من لم يغزو أو تحدثنفسه بالغزو مات ميتة جاهلية) والأمر المتفق عليه أن المسلمين كي يجاهدوا لا بدّ لهم من قوة ولكن كيف تتحقق هذه القوة وأنت معطل لفرض الجهاد والله سبحانه وتعالى يقول (لو أراد الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم

فثبطهم)[٤٨] فكونك لا تريد الخروج يتلوه تركك للعدة فالمسلم الذي أوقف فرض الجهاد أنّى له أن يأخذ بأسباب القوة ويقول ﷺ (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم تبايعوا بالعينة، وتركوا الجهاد في سبيل الله، وأخذوا أذناب البقر أنزل الله عليهم من السماء بلاءاً فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم).

مواقف المسلمين في القتال

جيوش المسلمين على مر العصور قليلي العدد والعدة ويواجهون جيوشاً أضعافهم ويحتج البعض بأن تلك خصوصية للرسول ﷺ وصحابته الكرام والرد على ذلك هو أن وعد الله بالنصر دائم ما دامت السموات والأرض ومن الممكن أن تطلع على ما حدث مع ظهير الدين بابر أسرا الذي واجه الملك الهندوكي (دانا سنمجي) وجيشه عشرون ألفاً فقط، وجيش الملك الهندوكي مائتي ألفاً وانتصر القائد المسلم بعد توبته عن شرب الخمر... وغيره كثيرون.

المجتمع المكي والمجتمع المدني

وهناك من يدعي أننا نعيش في مجتمع مكي مجتهداً في ذلك كي يحصل على رخصة بترك الجهاد في سبيل الله. فإن من يضع نفسه في مجتمع مكي لكي يترك فريضة الجهاد فعليه أن يترك الصوم والصلاة وأن يأكل الربا لأن الربا لم يحرم إلّا في المدينة... والصواب هو أن مكة هي فترة نشأة الدعوة وقول الله سبحانه وتعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»[٤٩]، قد نسخ كل هذه الأفكار التثبطية بحجة أننا مكيون فنحن لا نبدأ كما بدأ النبي ﷺ ولكن نأخذ بما انتهى به الشرع... ونحن لسنا في مجتمع مكي ولسنا أيضاً في مجتمع مدني ولكي تعرف المجتمع الذي نعيش فيه راجع فصل (الدار التي نعيش فيها).

القتال الآن فرض على كل مسلم

والله سبحانه وتعالى عندما فرض الصيام ﴿كتب عليكم الصيام﴾[٥٠] وفي أمر القتال قال ﴿كتب عليكم القتال﴾[٥١] أي أن القتال فرض وذلك ورد على من قال إن الفرض هو الجهاد. ومن هنا يقول إنني إذا قمت بواجب الدعوة فقد أديت الفرض لأن ذلك جهاد وإذا خرجت في طلب العلم فأنا في سبيل الله حتى أرجع بنص الحديث فبذلك فقد أديت الفرض... فالفرض واضح بالنص القرآني إنه القتال أي المواجهة والدم. والسؤال الآن متى يكون الجهاد فرض عين؟ يتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

أولاً: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليهم المقام لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً)[٥٢] وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)[٥٣].

ثانياً: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

ثالثاً: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل. الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير)[٥٤] وقال ﷺ: (إذا استنفرتم فانفروا)... انتهى.

وبالنسبة للأقطار الاسلامية فإن العدو يقيم في ديارهم بل أصبح العدو يمتلك زمام الأمور وذلك العدو هم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين ومن هنا فجهادهم فرض عين هذا بالإضافة إلى أن الجهاد الاسلامي اليوم يحتاج إلى قطرة عرق كل مسلم.

واعلم أنه إذا كان الجهاد فرض عين فليس هناك استئذان للوالدين في الخروج للجهاد كما قال الفقهاء فمثله كمثل الصلاة والصوم.

مراتب الجهاد وليست مراحل الجهاد

الواضح أن الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم وبالرغم من ذلك نجد أن هناك من يحتج بأنه يحتاج إلى تربية نفسه وأن الجهاد مراحل فهو ما زال في مرحلة جهاد النفس، ويستدل على ذلك بقول الإمام بن القيم... الذي قسم الجهاد إلى مراتب:

١ـ جهاد النفس.
٢ـ جهاد الشيطان.
٣ـ جهاد الكفار والمنافقين.

وهذا الاستدلال ينبىء من خلفه أما جهل كامل أو جبن فاحش ذلك لأن ابن القيم قسم الجهاد إلى مراتب ولم يقسمه إلى مراحل... وإلا فعلينا أن نتوقف عن مجاهدة الشيطان حتى ننتهي من مرحلة جهاد النفس والحقيقة أن الثلاثة مراتب تسير سوياً في خط مستقيم ونحن لا ننكر أن أقوانا ايماناً أكثرنا مجاهدة لنفسه أكثرنا ثباتاً... ولكن من يدرس السيرة يجد أنه عندما ينادي منادي الجهاد كان الجميع يفر في سبيل الله حتى مرتكبي الكبيرة وحديثي العهد بالاسلام ويروى أن رجلاً أسلم أثناء القتال ونزل في المعركة فقتل شهيداً فقال ﷺ (عمل قليل وأجر كثير).

وقصة أبو محجن الثقفي الذي كان يدمن الخمر وبلاؤه في حرب فارس مشهور وذكر ابن القيم أن حديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر... قيل ما الجهاد الأكبر يا رسول الله.. قال جهاد النفس) إنه حديث موضوع (المنار المنيف). وما قصد بوضع هذا الحديث إلا التقليل من شأن القتال بالسيف لشغل المسلمين عن قتال الكفار والمنافقين.

خشية الفشل

وهناك قول بأننا نخشى أن نقيم الدولة ثم بعد يوم أو يومين يحدث رد فعل مضاد يقضي على كل ما أنجزناه.

والرد على ذلك هو أن اقامة الدولة الاسلامية هو تنفيذ لأمر الله ولسنا مطالبون بالنتائج والذي يتشدق بهذا القول الذي لا فائدة من ورائه إلا تثبت المسلمين عن تأدية واجبهم الشرعي بإقامة شرع الله قد نسي أنه بمجرد سقوط الحكم الكافر فكل شيء سوف يصبح بأيدي المسلمين بما يستحيل معه سقوط الدولة المسلمة. ثم إن قوانين الإسلام ليست قاصرة ولا ضعيفة عن اخضاع كل مفسد في الأرض خارج عن أمر الله.. وبالإضافة إلى ذلك فإن القوانين الله كلها عدل لن تجد سوى كل ترحاب حتى ممن لا يعرف الاسلام ولتوضيح موقف المنافقين عدائهم للمسلمين يطمئن الذين يخشون الفشل بقول المولى في سورة الحشر (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن خرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا الا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولوا الأدبار ثم لا ينصرون)[٥٥]. وهذا وعد الله فانهم (المنافقين) إذ رأوا أن القوم في صف الاسلام سوف يعودون مذعنين فلا تنخذع لهذه الأصوات فإنها سرعان ما تخمد وتنطفىء، وموقف المنافقين سوف يكون موقف كل أعداء الاسلام ويقول الله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[٥٦].

القيادة

وهناك من يحتج بعدم وجود قيادة تقود مسيرة الجهاد وهناك من يعلق أمر الجهاد بوجود أمير أو خليفة.. والقائلين لهذا القول هم الذين ضيعوا القيادة وأوقفوا مسيرة الجهاد والرسول ﷺ يحصن المسلمين في أحاديثه على تكوين القيادات... يروي أبو داود في كتاب الجهاد قال ﷺ (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) ومن هنا ندرك أن قيادة المسلمين بأيديهم هم الذين يظهرونها ويقول ﷺ من استعمل على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين) رواه الحاكم ورمز السيوطي إلى صحته.

فينبغي أن نكون للأحسن اسلاماً ويقول ﷺ لأبي ذر (إنك ضعيف وأنها أمانة) وينبغي أن تكون للأقوى والأمر نسبي، وما نستنتجه أن قائد المسلمين فليس هناك حجة لمن يدعي فقدان القيادة فإنهم يستطيعون أن يخرجوا من أنفسهم القيادة. وإذا كان في القيادة شيء من القصور فما من شيء إلا ويمكن اكتسابه.. أما أن نفقد بحجة فقدان القيادة فهذا لا يجوز...

وقد نجد فقيهاً ولكن ليس عالماً بأحوال الزمان والقياد والتنظيم وقد نجد العكس ولكن كل هذا لا

يعفينا من ايجاد القيادة وأن نخرج أنسبنا لقيادتنا في وجود الشورى والنواقص يمكن استكمالها. والآن لم تعد هناك حجة لمسلم في ترك فريضتي الجهاد الملقاة على عاتقه فلا بد من البدء وبكل جدٍ في تنظيم عملية الجهاد لإعادة الاسلام لهذه الأمة واقامة الدولة واستئصال طواغيت لا يزيدون عن كونهم بشر لم يجدوا أمامهم من يقمعهم بأمر الله سبحانه وتعالى.

البيعة على القتال والموت

أخرج البخاري عن سلمة رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما حف الناس قال يا ابن الأكوع ألا تبايع. قلت بايعت يا رسول الله. قال: أيضاً. فبايعته الثانية فقلت له: يا أبا سلمة على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ. قال على الموت. وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي.

وأخرج البخاري ص ٤١٥، أيضاً عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحمرة أتاوات فقال له ان ابن حنظلة يبايع الناس على الموت فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ وأخرجه أيضاً مسلم في العين ص ١٥ والبيهقي.

والرواية السابقة تفيد جواز البيعة على الموت ولسنا بصدد دراسة موقف عبد الله بن زيد. وهناك فارق بين بيعة الموت والبيعة المطلقة للخليفة فقط وليس بمعنى ذلك أن أمير الجند لا يُطاع فقد قال رسول الله ﷺ من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني (متفق عليه).

وعن ابن عباس في قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[٥٧] نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه الله في سرية أي كان أمير جهاد.

التحريض على الجهاد في سبيل الله

ولا يجب على المسلم الا أن يعد نفسه للجهاد في سبيل الله فرسول الله ﷺ يقول انتدب الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله وايمان بي وتصديق برسول فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه قائلاً ما قال من أجر أو غنيمة متفق عليه.

ويقول ﷺ: من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه. رواه مسلم والبيهقي عن أبي هريرة. وجاء رجل رسول الله فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده، قال هل تستطيع؟ إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ولا تصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك.

قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليستن (يتحرك) في طوله يكتب له حسنات رواه البخاري. ويقول ﷺ (للشهيد عند الله ست خصال. يغفر له من أول دفقة دم، ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه)[٥٨] (الترمذي).

عقوبة ترك الجهاد

ترك الجهاد هو السبب فيما يعيش فيه المسلمون اليوم من ذل ومهانة وتفرق وتمزق فقد صدق فيهم قول المولى عز وجل «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير»[٥٩].

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات (هذا مشروع في عقاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر «وحمارة القيظ» فقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض»[٦٠] إذا دعيتم للجهاد في سبيل الله «اثاقلتم إلى الأرض» أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة[٦١]، ما لكم فعلتم هكذا رضا منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة ثم زهَّد تبارك وتعالى من الدنيا ورغَّب في الآخرة فقال «وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل»[٦٢]. ثم توعَّد الله تعالى من ترك الجهاد فقال «ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً»[٦٣]. قال ابن عباس استغفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك

الله عنهم الفطر فكان عذابهم «ويستبدل قوماً غيركم»[٦٤] أي لنصرة نبيه واقامة دينه، كما قال تعالى «ويستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»[٦٥] «ولا تضروه شيئاً»[٦٦] أي ولا تضروا شيئاً بتوليكم على الجهاد وتثاقلتم عنه».

ويقول ﷺ إذ ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة. وتركوا الجهاد في سبيل الله، وأخذوا أذناب البقر أنزل عليهم من السماء بلاءاً، فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم. ولا يجب على مسلم أن يرضى أن يكون الآن في صفوف النساء كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ أن جهادهم في الحج والعمرة.

شبهات فقهية والرد عليها

هناك من يخشى الدخول في هذا النوع من القتال محتجاً بأن الذين يواجهونه هم جنود فيهم المسلم وفيهم الكافر... فكيف نقاتل مسلمين؟ ورسول الله ﷺ يقول إن القاتل والمقتول في النار. ولقد تعرض شيخ الاسلام ابن تيمية لنفس السؤال فكانت مسألة من مسائل الفتاوى الكبرى (٥١٧) في أجناد يمتنعون عن قتال التتار ويقولون إن فيهم من يخرج مكرهاً. (والجواب) يقول ابن تيمية (فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الاسلام وحيث وجب قتالهم قوتلوا وإن كان فيهم المكره باتفاق المسلمين) كما قال العباسي لما أسر يوم بدر يا رسول الله إني خرجت مكرهاً فقال النبي ﷺ «أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله». وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا أي احتموا بمن عندهم من أسرى المسلمين للضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم وإن لم يخف على المسلمين في جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء وهؤلاء المسلمون إذا قتلوا كانوا شهداء ولا يترك الجهاد الواجب من يقتل شهيداً فإن المسلمين إذا قاتلوا الكفار فمن قتل من المسلمين يكون شهيداً ومن قتل شهيداً وهو في الباطن لا يستحق القتل لأجل مصلحة الاسلام كان شهيداً.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «يغزو جيش من الناس فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خُسف بهم فقيل يا رسول الله وفيهم المكره فقال يبعثون على نياتهم» فإذا كان العذاب الذي ينزله الله بالجيش الذي يغزو المسلمين ينزله بالمكره وغيرها فكيف بالعذاب الذي يعذبهم الله به أو بأيدي المؤمنين كما قال تعالى «قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا»[٦٧] ونحن نعلم أننا لا نقدر على التمييز بين المكره وغيره فإذا قتلناهم بأمر الله كنا في ذلك مأجورين ومعذورين وكانوا هم على نياتهم فمن كان مكرهاً لا يستطيع الامتناع فإنه يحشر على نيته يوم القيامة فإذا قتل لأجل قيام الدين لم يكن ذلك بأعظم من قتل من يقتل من عسكر المسلمين وأما إذا هرب أحدهم فإن من الناس من يجعل قتالهم بمنزلة قتال البغاة المتأولين وهؤلاء إذا كان لهم طائفة ممتنعة فهل يجوز اتباع مدبرهم وقتل أسيرهم والإجهاز على جريحهم على قولين للعلماء مشهورين.

فقيل لا يفعل ذلك لأن منادي علي بن أبي طالب ناوى يوم الجمل لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولا يقتل أسير وقيل بل يفعل ذلك لأنه يوم الجمل لم يكن لهم طائفة ممتنعة وكان المقصود من القتال دفعهم فلما اندفعوا لم يكن إلى ذلك حاجة بمنزلة دفع الصائل. وقد روي أنه يوم الجمل وصفين كان أوهم بخلاف ذلك فمن جعلهم بمنزلة البغاة المتأولين جعل فيهم هذين القولين... والصواب أن هؤلاء ليسوا من البغاة المتأولين فإن هؤلاء ليس لهم تأويل سائغ أصلاً وإنما هم من جنس الخوارج المارقين ومانعي الزكاة وأهل الطائف والحرمية ونحوهم ممن قوتلوا على ما خرجوا عنه من شرائع الاسلام وهذا موضع اشتبه على كثير من الناس من الفقهاء.

أسلوب القتال المناسب

مع تقدم الزمن وتطور البشرية يبدو تساؤل... لا شك أن أساليب القتال الحديثة قد تختلف شيئاً ما عن أساليب القتال في عهد النبي ﷺ... فما هو أسلوب قتال المسلم في العصر الحديث؟ وهل له أن يعمل عقله ورأيه؟

مخادعة الكفار فن من فنون القتال في الاسلام

يقول: (الحرب خدعة)، ويقول النووي في شرح الحديث (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل). ومعلوم أنه لا عهد بيننا وبينهم حيث إنهم محاربون لدين الله سبحانه وتعالى والمسلمون أحرار في اختيار أسلوب القتال المناسب على أن تحقق الخدعة وهي النصر بأقل الخسائر وأيسر السبل.

أسلوب القتال في غزوة الأحزاب

بعد أن نجح ساسة اليهود في تأليب الأحزاب الكافرة على النبي ﷺ ودعوته وأصبح الوضع خطيراً، رسم المسلمون على عجل خطة فريدة لم تسمع العرب عنها من قبل فهم لا يعرفون إلا قتال الميادين المكشوفة وتلك الخطة أشار بها سلمان الفارسي وهي حفر خندق عميق يحيط بالمدينة من ناحية السهل ويفصل بين المدافعين والمغيرين فأسلوب القتال ليس وحياً ولا سنة ثابتة ولكن المسلم له أن يعمل عقله ويدبر ويخطط والأمر يعود فيه للمشورة.

الكذب على الأعداء

وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء... قال الطبري: إنما يجوز من الكذب في الحرب المعارضة دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل... هذا كلامه.. والظاهر هو إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصاد على التعريض أفضل والله أعلم (شرح النووي).

تخطيطات اسلامية

ومن خلال دراسة السرايا يخرج المسلم بتخطيطات اسلامية وخدع قتالية تمضي أحكامها على كثير من المسلمين وتذكر على سبيل المثال:

١ـ سرية مقتل كعب بن الأشرف في السنة الثالثة من الهجرة: في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال ﷺ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله. قال: نعم قال: فاذن لي أن أقول شيئاً (وهو استئذان من النبي ﷺ بأن يتكلم كلاماً وحتى لو كان منافياً للإيمان، وذلك لإظهار الكفر منافياً للإيمان وذلك لإظهار الكفر أمام كعب بن الأشرف فأذن له).

قال ﷺ: قل، فأتاه محمد بن مسلمة فقال إن هذا الرجل يقصد النبي ﷺ قد سألنا صدقة وقد عنانا (وهذا القول ظاهره إنكار الصدقة والتعدي على رسول الله ﷺ وهذا كفر)... وهذا يفيد بأنه من الممكن للمسلم إظهار موالاته الكاملة للعدو في الحرب ولو وصل الأمر إلى اظهار الشرك والكفر.

وإني قد أتيتك أستسلفك... قال: وأيضاً والله لقبلته، قال إنا قد اتبعناه فلا تحب أن ندعه حتى ننظر إلى شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين فقال كعب نعم: ارهنوني، قالوا أي شيء تريد؟ قال أرهنوني نسائكم.. قالوا كيف. نرهنك نسائنا وأنت أجمل العرب؟ قال ارهنون أبنائكم.. قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو بوسقين هذا عار علينا... ولكنا نرهنك الأمه (أي السلاح)... فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم. فقال له امرأته أين تخرج هذه الساعة؟ فقال إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة وقال غير عمرو: فقالت له اسمع صوته كأنه يقطر، قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم إذا دمى إلى طعنة بليل لاجاب.

قال ويدخل محمد بن مسلمة ومعه رجلين ميل لسفيان سماهم عمرو قال (الحارث بن بشر) وعياد بن بشر قال عمرو فقال محمد بن مسلمة إذا جاء فإني قائل (أي جاذب بشعره) فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه (وتلك هي طريقة للتمكن من قتله حيث إنه كان ضخم الجثة قوي البنية). وفي هذه القصة من الفوائد في فن القتال الكثير وقد زعم بعض المستشرقين ومن في قلوبهم مرض أن مقتل كعب بن الأشرف كان غدراً وخيانة له... والرد عليهم هو أن ذلك الكافر قد نقض عهده وأمعن في

إيذاء المسلمين وقد جاء اليهود إلى النبي ﷺ بعد مقتل كعب بن الأشرف فقالوا يا محمد: قد طرق أي قتل صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه... قال ﷺ إنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه آذانا وهجانا بالشعر ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف[٦٨].

٢ـ سرية عبد الله إلى أبي سفيان، وكانت في السنة الرابعة وسببها أن النبي بلغه أن شعبان بن خالد الهذلي يقيم بيعمرة وأنه يجمع الجموع لحرب المسلمين فأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس الجهني بقتله... قال عبد الله قلت يا رسول الله انعته (صفه لي) حتى أعرفه فقال ﷺ إنك إذا رأيته أذكر الشيطان وآية ما بينك وبينه ذلك. قال: واستأذنت رسول الله ﷺ أن أقول (هو نفس إذن محمد بن مسلمة) فأذن لي ثم قال لي (انتسب إلى خزاعة)، (وهذا كذب ولكنه مباح).

قال عبد الله: فعرفته بنعت (أي بوصف) رسول الله ﷺ وشعرت بالخوف منه فقلت صدق رسول الله. قال عبد الله وكان وقت العصر قد دخل حين رأيته فخشيت أن تكون بيني وبينه محاورة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومىء ايماءاً برأسي. فلما انتهيت إليه قال ممن الرجل؟ قلت من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك (وفي هذا القول اظهار الموالاة) قال أجل إني لأجمع له قال عبد الله فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وانشدته وقلت عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الأباء وسفه أحلامهم (ومن القول كفر)... قال (أبي سفيان) إنه لم يلق أحد يشبهني، وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهم إلى خبائة وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه ولم يطبقوه به، فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه... فقال اجلس... قال عبد الله فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا اغترته فقتلته وأخذت رأسه ثم خرجت وتركت ظمائنه منكبات عليه. فلما قدمت المدينة وجدت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في فلما رآني: قال: افلح الوجه. قلت أفلح وجهك يا رسول الله وضعت الرأس بين يديه وأخبرته بخبري.

٣ـ قصة نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب: لما جاء نعيم بن مسعود مسلماً أوصاه أن يكتم اسلامه ورده على المشركين يوقع بينهم... فذهب نعيم إلى بني قريظة وقال لهم على هيئة النصيحة لا تقاتلوا مع القوم (يقصد قريش وغطفان) حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيدكم... وذلك بعد أن أقنعهم أن قريش وغطفان بصفتهم ليسوا من أهل المدينة فإن حدث شيء لحقوا ببلادهم وتركوهم للنبي ﷺ فقالوا له: لقد أشرت بالرأي. ثم أتى قريشاً وأخبرهم أن يهود بني قريظة قد ندموا على تحالفهم معكم وأرسلوا إلى محمد يقولون (هل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين رجالاً من أشرافهم... فنضرب أعناقهم).. وأتى غطفان فقال مثل ذلك. فأرسل أبو سفيان ورؤس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم (اغدوا للقتال حتى نناجز محمداً)... فأجابوا أن هذا يوم السبت لا نعمل فيه شيئاً ولن نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا فإنا نخشى ان اشتد عليكم القتال أن تنتشروا إلى بلادكم... فلما رجعت الرسل قالت قريش وغطفان (والله الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق) انا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا. فقالت بنو قريظة ان الذي ذكر لكم نعيم لحق. ومن هنا انشب نعيم الفرقة في صفوف الأحزاب.

نقطة هامة

جواز انغماس المسلم في صفوف الكفار إن كان في ذلك مصلحة للمسلمين[٦٩] يقول ابن تيمية في باب الجهاد صفحة ٢٩٦.

وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قصة أصحاب الأخدود... وفيها أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة الدين ولذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وان غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين) ويعني كلام ابن تيمية جواز انغماس المسلم في صفوف الجيش الكافر وإن أدى ذلك إلى قتله حتى قبل أن يرى بعينه الفائدة من انغماسه.

الدعوة قبل القتال

جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الاسلام من غير انذار. روى الامام مسلم عن ابن عدي قال: كتبت إلى نافع أسئلة عن الدعوة قبل القتال قال: فكتب إلي: إنما كان ذلك في أول الاسلام... قد أغار رسول الله ﷺ على ابن المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم وأصاب، يومئذ قال بحي أحسبه قال جويرية أو قال البيته ابنة الحارث.

الشرح: قال النووي في هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة بغير انذار بالإغارة. وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري القاضي أحدهما يجب الانذار مطلقاً قال مالك وغيره... وهذا ضعيف.. والثاني لا يجب مطلقاً وهذا أضعف منه أو باطل، والثالث يجب ان لم تبلغهم الدعوة ولا يجب أن بلغتهم لكن يستحب وهذا هو الصحيح وبه قال نافع مولى بن عمر والحسن البصري والثوري والليث والشافعي وأبو ثور وابن المنذر والجمهور... وقال بن المنذر وهو قول أكثر أهل العلم... انتهى (مسلم شرح النووي).

جواز تبيت الكفار ورميهم وان أرى إلى قتل ذراريهم «الاغارة ليلاً»

عن ابن عباس عن الصعب بن جهامة قال قلت: يا رسول الله انا نصيب في البيان من ذراري المشتركين (ذريتهم) قال: هم منهم... «رواه مسلم».

الشرح: سئل رسول الله ﷺ عن حكم صبيان المشركين الذين يبقون فيصاب من نسائهم وصبيانهم بالقتل فقال هم من آبائهم أي لا بأس لأن أحكام آبائهم جارية عليهم في الميراث وفي النكاح وفي القصاص وللديانات وغير ذلك، والمراد إذا لم يتعدوا من غير ضرورة.. انتهى... (مسلم شرح النووي باب الجهاد).

الكف عن قصد النساء والرهبان والشيخ بالقتل

عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان (رواه الجماعة إلا النسائي).

ويروي أحمد وأبو داود أنه في احدى الغزوات مر رسول الله ﷺ على مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون إليها يعني وهم يتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله فقال (ما كانت هذه لتقاتل. فقال لأحدهم إلحق خالداً فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفاً) (أي أجير)...

وحديث بن عباس السابق في جواز قتل الذراري لا يتناقض مع هذا الحديث حيث أن لكل منهما حالة تختلف عن الأخرى.

الاستعانة بمشرك

عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله ﷺ فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذر منه جرأة ونجدة فرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: أتؤمن بالله ورسوله قال: لا، فقال: ارجع فلن نستعين بمشرك قالت ثم رجع فأدركنا بالبيداء فقال له كما قال أول مرة أتؤمن بالله ورسوله قال: نعم فقال له ﷺ فانطلق (رواه مسلم).. يقول النووي قد جاء حديث آخر أن النبي ﷺ استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على اطلاقه وقال الشافعي وآخرون إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين وإلا فيكره.

وحمل الحديثين هذين الحالتين وإذا حضر الكافر بالإذن وضع له ولاييهم له وهذا هو مذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة والجمهور وقال الزهري والأوزاعي بهم له والله أعلم... انتهى[٧٠].

ويقول مالك في الاستعانة بالمشركين والكفرة «الا أن يكونوا خداماً للمسلمين فيجوز... وقال أبو حنيفة يستعان بهم ويعاونون على الاطلاق متى كان الاسلام هو الغالب الجاري عليهم فإن كان حكم الشرك هو الغالب كره.

وقال الشافعي يجوز وذلك لشرطين: أحدهما أن يكون بالمسلمين قلة ويكون المشركين كثرة. والثاني: أن يعلم من المشركين حسن رأي في الاسلام وميل إليه ومتى استعان بهم وضح لهم ولم يسهم (أي أعطاهم مكافأة ولم يشركهم في سهام المسلمين من للغنيمة).

جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها

روى الامام مسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة زاد قتيبة وابن رفح في حديثهما فأنزل الله عز وجل (ما قطعتم من لبنة أو تركتموها قائمة على أصولها فأذن الله وليخزي الفاسقين)[٧١].

قال النووي في شرح الحديث: في هذا الحديث جواز قطع شجر الكفار واحراقه[٧٢].

من خشى الأسر فله أن يستأسر وله أن يقاتل حتى يقتل

عن أبي هريرة، بعث رسول الله ﷺ غره رهطاً عيناً. وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عفان ومكة وذكروا لبني لحيان فتقروا لهم قريباً من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا أثرهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم أنزلوا وأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا قتل منكم أحداً، قال عاصم بن ثابت أمير السرية:

«أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم خبر عنا نبيك، فرموهما بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة وهطر بالعهد والميثاق منهم: حبيب الأنصاري، وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيسهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث: هذا أول القدر والله لا أصحبكم إن لي في هؤلاء لأسوة يريد القتلى، فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى، فقتلوه وانطلقوا بحبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقفة بدر. وذكر قصة قتل حبيب، إلى أن قال استجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب. فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا).

«مختصر لأحمد والبخاري وأبو داود»
(تنظيم الجيش المسلم)

«عن عمار بن ياسر «أن رسول الله ﷺ كان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه، رواه أحمد.

* وعن البراء بن عازب قال رسول الله ﷺ «انكم ستلقون العدو غداً فإن شعاركم... حسم لا ينصرون»، رواه أحمد.

* وعن الحسن عن قيس بن عبادة قال «كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند القتال» رواه أبو داود.

الأوقات التي يستحب الخروج فيها للغزو

عن كعب بن مالك «أن النبي ﷺ خرج في يوم الخميس في غزوة تبوك وكان يجب أن يخرج يوم الخميس، متفق عليه.

وعن النعمان بن مقرن «أن النبي ﷺ كان إذا لم يقاتل في أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر» (رواه أحمد) و(أبو داود) وصححه البخاري. وقال «انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات».

استجاب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو وأدعية القتال

من أدعيته ﷺ في القتال (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم) (صحيح مسلم).

أمر هام يجب التنبيه عليه

الاخلاص في الجهاد في سبيل الله: والاخلاص هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل من جميع الشوائب... وقيل هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وفي باب تلبس ابليس على الغزاة بذكر الامام ابن الجوزي «قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات».

عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله فقال ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. وعن بن مسعود رضي الله عنه قال إياكم أن تقولوا مات فلان شهيد أو قتل شهيداً فإن الرجل ليقاتل ليغنم ويقال ليذكر ويقاتل ليرى مكانه. وبالإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أول الناس يقض فيه يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتى به تعرفه نفسه فعرفها فقال: ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت حتى يقال هو جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه وألقي في النار.. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نفسه فعرفها، فقال ما عملت فيما يقال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نفسه فعرفها فقال ما علمت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال انك جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار (تقرر باخراجه سلم).

وباسناد مرفوع عن أبي حاتم الرازي قال سمعت عبده بن سليمان يقول: كنا في سرية مع عبد الله ابن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله.

فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص، كيف خاف على اخلاصه برؤية الناس له ومدحهم اياه فستر نفسه. وقد كان ابراهيم بن أدهم: يقاتل فإذا أغنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر وقد لبس ابليس على المجاهد إذا غنم. فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له فإما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدري أن الغلول من الغنائم معصية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة. قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا. فلم نغتنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبداً له فلما نزلنا قام عن رسول الله ﷺ يحل رحاله فرمي بسهم فكان فيه حتفه. فلما قلنا له هنيئاً له بالشهاة يا رسول الله فقال كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة تلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس. فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراكان من نار.

وقد يكون الغازي عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشيء فلا يصبر عنه... وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل. وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم. روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشف عن أبي عبيدة العنبري قال: لما هبط المسلمون «المداين» وجمعوا الأقباط الذين معه. ما رأينا مثل هذا قط. أقبل رجل بحُق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط ما يعذله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله. لولا ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: من أنت فقال والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه فاتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

هناك من يتم استبعادهم عن الطريق

فانتهوا أن الشدائد أهلا وذروا ما تزين الأهواء

فهو يطلب منهم الانتماء الفتى ويدعوهم إلى الافصاح عما ستروه من دافع حب الراحة وتجنب

المشقة وهو نفسه الدافع الذي حكاه القرآن عن المخلفين في سورة التوبة إذ يقول الله تعالى «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون»[٧٣].

«إن هؤلاء نموذج في ضعف الهمة وطراوة الارادة، وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب وينفرون من الجهد ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي بالرجال[٧٤]. هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد في ساعة العسرة وتخلفوا عن الركب في أول مرة هؤلاء لا يصلحون للكفاح ولا يرجون للجهاد ولا يجوز أن يؤخذوا بالتقاضي ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذين تخلفوا عنهم وهم راضين «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوا للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين». (ان الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق والصف الذي يتخلله الضعاف والمسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونهم في ساعة الشدة فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب فالذين يضعفون ويتخلّفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية لهم من التخلخل والهزيمة والتسامح مع هؤلاء جناية على الصف كله)[٧٥].

هوامش الوثيقة الرابعة

(١) وردت هذه الآية في الوثيقة الأصلية هكذا وصحتها ﴿... يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.
(٢) **القرآن الكريم**، «سورة المائدة،» الآية ٤٨.
(٣) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٤٤.
(٤) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ١.
(٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٤٤.
(٦) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٥٠.
(٧) ابن كثير، ج ٢، ص ٦٧.
(٨) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، باب الجهاد، ج ٤، ص ٢٨٨.
(٩) **القرآن الكريم**، «سورة النساء،» الآية ١٥١.
(١٠) ابن تيمية، ص ٢٩٣.
(١١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(١٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢٧٩.
(١٣) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٥٠.
(١٤) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ص ٢٨٠، ٢٨١ مسألة (٥١٦).
(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.
(١٨) **القرآن الكريم**، «سورة الكافرون،» الآية ١ ـ ٥.
(١٩) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٠ (باب الجهاد).
(٢١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(٢٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢٧٩.
(٢٣) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ص ٢٨٣.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٩١.
(٢٥) يفصل محمد عبد السلام هنا العديد من البدائل المطروحة من قبل القوى الاسلامية الأخرى ويفندها، مثل أولئك الذين يدعون إلى الاسلام عبر الجمعيات الخيرية أو من خلال قيام حزب اسلامي، ولقد وضع هذه البدائل جميعاً تحت عنوان **آراء وأهواء** ولقد اخترنا اغلبها وركزنا عليها كما سيرد تفصيلاً. (معد الوثائق).
(٢٦) **القرآن الكريم**، «سورة سبأ،» الآية ١٣.
(٢٧) المصدر نفسه، «سورة الأنعام،» الآية ١١٦.
(٢٨) المصدر نفسه، «سورة يوسف،» الآية ١٠٣.
(٢٩) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢٤٩.
(٣٠) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٢٥.
(٣١) المصدر نفسه، «سورة النصر،» الآية ٢.
(٣٢) يقصد محمد عبد السلام فرج بأصحاب هذه الاتجاهات جماعة (الاخوان المسلمين) و «جماعة التكفير والهجرة» والجمعيات الشرعية بمصر (معد الوثائق).
(٣٣) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ٢١٦.
(٣٤) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(٣٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢١٦.
(٣٦) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ١٤.
(٣٧) المصدر نفسه.
(٣٨) مسلم بن الحجاج **صحيح مسلم بشرح النووي**،باب الجهاد (القاهرة: المطبعة المصرية، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠)، ١٨ ج.
(٣٩) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، باب الجهاد، ص ٢٨١.

(٤٠) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ٦٤.
(٤١) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٥.
(٤٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢١٦.
(٤٣) أبو عبد الله محمد بن حزم، تفسير القرآن العظيم لجلال الدين بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبهامشه أربعة كتب انظر: الكتاب الثاني، **في معرفة الناسخ والمنسوخ** (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، د.ت.).
(٤٤) القرآن الكريم، «سورة محمد،» الآية ٤.
(٤٥) السيوطي، **كتاب الاتفاق**.
(٤٦) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ١٠٩.
(٤٧) عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**، ص ٢٢٧.
(٤٨) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٤٦.
(٤٩) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٣.
(٥٠) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ١٨٣.
(٥١) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢١٦.
(٥٢) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٤٥.
(٥٣) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ١٥.
(٥٤) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٣٨.
(٥٥) المصدر نفسه، «سورة الحشر،» الآية ١١ ـ ١٢.
(٥٦) المصدر نفسه، «سورة محمد،» الآية ٧.
(٥٧) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ٥٩.
(٥٨) هكذا وردت هذه الكلمات في النص الأصلي من وثيقة (الفريضة الغائبة) ولا ندري لها معنى محدداً، وفضلنا تركها بنصها احتراماً للوثيقة. (معد الوثائق)
(٥٩) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٣٨.
(٦٠) المصدر نفسه.
(٦١) المصدر نفسه.
(٦٢) المصدر نفسه.
(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) المصدر نفسه.
(٦٥) المصدر نفسه.
(٦٦) المصدر نفسه.
(٦٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٥٢.
(٦٨) ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول** (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٢هـ)، ص ٧١.
(٦٩) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، باب الجهاد، ص ٢٩٦.
(٧٠) مسلم بن الحجاج، **مسلم بشرح النووي**، باب الجهاد.
(٧١) **القرآن الكريم**، «سورة الحشر،» الآية ٥. انظر: **مسلم بشرح النووي**، ج ١٢.
(٧٢) **مسلم بشرح النووي**، باب الجهاد.
(٧٣) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٨١.
(٧٤) انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٧٥)، ج ١٠، ص ٢٦.
(٧٥) تنتهي وثيقة «الفريضة الغائبة» بسطور أخرى قليلة رأينا عدم جدواها لتكرارها فهي سطور قليلة تدعو إلى ضرورة تنقية الصف الاسلامي من المنافقين، وإلى أن غرور الفقيه يحول دون تأميره في الإسلام ويختم وثيقته بقوله [ولقادة جماعات المسلمين هذا اليوم أن يقولوا لكل داعية يتطلع للسمعة والجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة مثل الذي قال عمر لأبي عبيد. ويفهموه أنه: قد أخطأت بداية الطريق إلى مرادك فمررت بديار دعوة التواضع والبذل والالتزام الخططي وهذا الطريق إلى ديار أشكالك فالحق بهم]. وبهذا تنتهي الوثيقة كاملة غير منقوصة. (معد الوثائق).

الوثيقة الخامسة(*)

موقف الحركة الاسلامية من العمل الحزبي في مصر

صدرت أوائل الثمانينات في مصر

اصدار الجماعة الاسلامية الجهادية في مصر

(فرع تنظيم الجهاد بصعيد مصر)

نظرة على الساحة السياسية

يقودنا الحديث إلى أبواب اللعبة الحزبية في مصر وواقعها، لنتعرف عليها ونشرحها وندرك تفاصيلها وجزئياتها وطبيعة القوى السياسية فيها، ومدى قوتها ليساعدنا ذلك في اضافة حيثيات جديدة إلى موقفنا من الأحزاب والانتخابات. والناظر إلى الساحة السياسية المصرية يستطيع أن يميز نوعين من القوى.

الأولى: القوى السياسية المسموح بها قانوناً وهي الأحزاب والتي تنقسم إلى قسمين:

أ- القوى اليمينية (التي تتبنى طروحات الرأسمالية والليبرالية مع فروق طفيفة بينهم) وتتمثل في أحزاب الوطني والوفد والأحرار والأمة.

ب - القوى اليسارية (وهي التي تتبنى الاشتراكية مع فروق بينهم) وهي أحزاب العمل والتجمع.

الثانية: القوى غير المسموح لها قانوناً أن تشكل أحزاباً أو هيئات، وهي:

أ- الاتجاه الشيوعي: ويمثله حزب العمال الشيوعي والحزب الشيوعي المصري.

ب - الاتجاه الناصري: ويمثله حزبان تحت التأسيس وهما:

الحزب الاشتراكي الناصري بقيادة (فريد عبد الكريم).

حزب اتحاد الشعب العامل الناصري بقيادة (كمال أحمد).

ج - الاتجاه الاسلامي: ويتميز بتيارين رئيسيين:

١- تيار يعترف بمشروعية النظام ومؤسساته ويقبل الدخول في اللعبة الانتخابية كأسلوب يصل من خلاله إلى اقامة الاسلام، ويقف على رأس هذه الفئة الاخوان المسلمون.

٢- تيار رافض للنظام جملة وتفصيلاً ويتبنى في ذلك أسلوب مواجهته غير معترف بشرعيته وتبرز في هذه الفئة (الجماعة الاسلامية)[1].

ويجب - بالطبع - ألا نهمل ما يمكن تسميته بجماعات الضغط وهي تنظيمات وتجمعات تسعى لتحصيل بعض المكاسب الخاصة بها عن طريق الضغط بصورة أو بأخرى على صانعي القرار لتحقيق أغراضها بعيداً عن الوصول للسلطة مثل النقابات واتحادات العمال والجماعات الاقتصادية... وهذه الجماعات لا يكون لها تأثير جوهري لو انحصرت في مطالبها الخاصة ولكن قد تتحرك بقوة لتغيير صورة المجتمع، فيكون لها فاعلية في ذلك كما فعلت النقابات في السودان لإسقاط نظام النميري سنة ١٩٨٥.

والآن سنتناول بشيء من التفصيل القوى المذكورة آنفاً.

أ. الأحزاب الرسمية

١. الحزب الوطني

النشأة: تكوّن الحزب الوطني في آب/ اغسطس سنة ١٩٧٨ عندما قرّر السادات أن يكوِّن حزباً يكون على رأسه وعندئذ تدافع أفراد حزب مصر - والذي كان يشكل الحكومة في ذلك الوقت - للانضمام لحزب السادات تاركين حزب مصر خالياً من الأفراد مضطراً لحل نفسه، وهكذا يتضح من

(*) نظراً لطول هذه الوثيقة وتكرار أفكارها فلقد فضلنا اختيار أهم أجزائها وهو الجزء المتعلق بتقييم كافة القوى السياسية على الساحة الحزبية في مصر من منظور الجماعة الاسلامية الجهادية. (معد الوثائق).

النشأة لهذا الحزب أنه حزب ليس له جذور تاريخية ولا قاعدة جماعية، وإنما نشأ بقرار فوقي... أما عن أعضائه فهم ثلة المنتفعين التي لم تتحمل البقاء في حزب مصر لما أعلن رئيس الجمهورية إنشاء حزب جديد فسارعوا للانضمام له... وأمين الحزب هو يوسف والي، والذي تولى بعد وفاة فؤاد محي الدين الأمين العام السابق.

والحزب الوطني لا يتمتع بأي جماهيرية تذكر ولكن تأثيره مرتهن بأمرين: أولهما هو سيطرة الحزب على الأجهزة الادارية بالدولة وتسخيرها لمصلحته وخاصة أيام الانتخابات، وثانيهما هو استمرار حسني مبارك ـ رئيس الجمهورية ـ رئيساً للحزب ولعل هذا هو ما يجعل المعارضة تلح في دعوة مبارك لترك رئاسة الحزب ليكون لها مكان ذو قيمة في المجلس النيابي.

الفكر: يطرح الحزب فكراً ليبرالياً على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، ولكن بمنظور خاص به ليلائم المجتمع وحاجات الحزب.

فهو يطرح ـ على الصعيد الاقتصادي ـ اطلاق الحرية للقطاع الخاص ولكنه يضطر للمحافظة على القطاع العام خوفاً من اتهامه بتضييع مصالح الطبقات الكادحة أو الخروج على ما يسمونها بمبادىء ثورة تموز/ يوليو.

أما على الصعيد السياسي فهو يطرح الديمقراطية ولكنها ـ أيضاً ـ ديمقراطية خاصة لا تسمح بتضخم القوى السياسية المعارضة عن طريق استصدار القوانين المكبلة لحركة المعارضة من آن لآخر، وذلك في ظل قانون الطوارىء وإن كان هذا لا يمنع الشقشقة بالحديث عن الديمقراطية في كل مناسبة.

ثم هو يحاول أن ينسب نفسه لثورة تموز/ يوليو و١٥ أيار/ مايو والقومية العربية والوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي بل والاسلام ـ أيضاً ـ ان احتاج الأمر.

الموقف: ويهمنا ـ في هذا الأمر ـ ذكر بعض المواقف معرضين عما لا يفيدنا كثيراً.

الموقف من الشريعة والاسلام: لا يشق على المراقب أن يدرك موقف الحزب الرافض للشريعة والاسلام، فمجالس الشعب والحكومات تتغير وتتعاقب دون أن يتحرك الحزب نحو تطبيق شيء منها ولا حتى اعداد المجتمع لتطبيقها وإن كان هذا لم يمنع أبواقه من التكلم عن التدرج تارة، وعن التنقية تارة أخرى وعن تهيئة المجتمع وغيرها من المسميات الطريفة التي اخترعوها.

وموقفه من الحركة الاسلامية باعتبارها حاملة للفكر الاسلامي يزيد من إبراز الوجه العلماني للحزب، فالمطاردة والتضييق والملاحقات الأمنية هي سمة تعامله مع الشباب المسلم، وأحكام الإعدام تصدر على أطهر شباب الحركة: خالد الاسلامبولي ورفاقه. وكذا أحكام السجن على أكثر من ١١٠ منهم، والمعتقلات لا تكاد تخلو من عشرات الشباب. فإذا أضفنا مواقفه وسياساته الداخلية والخارجية المناقضة للإسلام لبرز لنا هذا الوجه العلماني، بل وإذا استعرضنا قائمة أسماء قياداته والمساهمة في تسيير حركته لأدركنا دون شك موقفه من الاسلام والمسلمين.

الموقف من اسرائيل: موقف الحزب من اسرائيل امتداد لسياسة رئيسه السابق، فهو يعتز بزيارة السادات للقدس ويعلن أن كامب ديفيد هي الخيار الوحيد لعلاقة مصر باسرائيل وأنه بالتالي متمسك بها.

الموقف من القوى العظمى: يتمسك الحزب بالعلاقة الخاصة مع أمريكا وإن كان يحاول مد جسور العلاقة مع الاتحاد السوفيتي.

والتدخل الأمريكي في مصر صار سافراً وبصورة لم يسبق لها مثيل، وذلك نتيجة المعونات الاقتصادية والديون الهائلة التي يلزم مصر تسديدها.

انجازات الحزب: انجازاته العظيمة تظهر بوضوح على رجل الشارع المسكين الذي تطحنه الأزمة الاقتصادية الراهنة، والانهيار الكامل للمجتمع أخلاقياً واجتماعياً.

قيادات الحزب: يحتل المقاعد الرئيسية مجموعة من رموز الحقبة الساداتية، ومن الانفتاحيين المستفيدين من هذه المكانة، وإن كانت هناك محاولات محدودة تتم من آن لآخر لتحجيم النوع الأول وهؤلاء مثل: مصطفى خليل، عثمان أحمد عثمان، فكري مكرم عبيد، يوسف والي (أمين الحزب)، كمال

الشاذلي (أمين التنظيم)، رفعت المحجوب، حلمي الحديدي[٢] وغيرهم. وكل هؤلاء يبرز الطابع العلماني على فكرهم وسلوكهم دون مواربة.

مستقبل الحزب الانتخابي: حصل الحزب الوطني في انتخابات سنة ١٩٨٤ على ما يعادل ٧٢,٨ بالمائة من الأصوات، وذلك باستخدام كل الوسائل المشروع منها وغير المشروع حيث ارتفع إلى ٨٧,٣ بالمائة نتيجة استعمال قانون الانتخابات الذي يقضي بضم الأصوات التي حازتها الأحزاب الأخرى والتي لم تحصل على ٨ بالمائة إلى الحزب الأكثر أصواتاً، أما الانتخابات المقبلة والتي يتوقع أن يتضاعف فيها مستوى الغش والتزوير نتيجة وجود زكي بدر مشرفاً عليها فإنه يتوقع أن يحصل على ٦٥ ـ ٧٠ بالمائة[٣].

والخلاصة أن الحزب الوطني هو حزب الحكومة المعبّر عن علمانيتها فكراً وسلوكاً، وأن أعضاءه يغلب عليهم بل يسود الطابع النفعي الانتهازي، وهو ذو توجه فكري تلفيقي معاد للاسلام مؤيد للعلاقات المتميزة مع اليهود وتابع لأمريكا.

٢. حزب الوفد الجديد

النشأة: وهو احياء لحزب الوفد الشهير الذي حل عام ١٩٥٢ وحوكمت قياداته، وعلى رأسهم رئيس الحزب الحالي فؤاد سراج الدين بتهمة افساد الحياة السياسية قبل الثورة ـ وحزب الوفد القديم أنشأه سعد زغلول واشتق اسمه من الوفد المصري الذي كان يرأسه لمفاوضة الانجليز سنة ١٩١٨ للجلاء.

وهو أكثر الأحزاب علمانية، وفي عهده (الوفد القديم) وبتوجيه من النحاس ـ زعيمه آنذاك ـ تم تغيير القوانين المدنية واحلال القانون الفرنسي مكانها!!!

هذا، وقد جمد الوفد الجديد نشاطه سنة ١٩٧٨ نتيجة هجوم السادات الشديد عليه ثم عاود نشاطه قبل انتخابات أيار/ مايو سنة ١٩٨٤، وقد تحالف الوفد مع الاخوان المسلمين ـ هداهم الله ـ قبل الانتخابات وحصل على ٥٨ مقعداً ولكنه أنهى هذا التحالف قبل الانتخابات الأخيرة (١٩٨٧).

الفكر: لم يكن للوفد ـ منذ نشأته وطوال تاريخه الطويل حتى حلته الثورة ـ فكر ذو قيمة يجمع الناس عليه إلا «شعاره الاستقلال التام أو الموت الزؤام». فلما عاد إلى الظهور كان لزاماً عليه أن يقدم برنامجاً يضمنه آراءه ومواقفه... ونستطيع أن نبلور ـ من خلال هذا البرنامج، ومن خلال مواقفه على مر التاريخ والتي يتمسك بها كجذور له ـ المعالم الفكرية الآتية:

١ـ يطرح الوفد العلمانية كأساس فكري له، وتاريخه يحمل على الدوام شعارات علمانية بارزة مثل «الدين لله والوطن للجميع» ومثل «تعانق الهلال والصليب» ومثل «الوحدة الوطنية» تلك التي تقوم على أساس من تقوية الرابطة الوطنية على الاسلامية، وانعكست هذه الشعارات على كل مواقف الوفد التي تترجم هذه الشعارات وحتى على تشكيلاته الداخلية التي ترتفع فيها نسبة النصارى بصورة ملحوظة.

٢ـ يتبنى الوفد سياسة اقتصادية شديدة الليبرالية، فينادي بتقليص دور القطاع العام أو إلغائه وإلغاء الدعم وفتح الطرق للاقتصاد الحر.

٢ـ يتبنى على الصعيد السياسي ديمقراطية الغرب والتي تظهر كصورة جديدة من مظاهر العلمانية، والتي تدعو للسماح لجميع القوى بما فيها من الشيوعيين والنصارى وغيرهم بالمشاركة في صنع القرار السياسي في البلاد، وحثهم على تكوين أحزابهم الخاصة بهم.

المواقف من الشريعة والاسلام: نفس الموقف المعادي الذي رأيناه للحزب الوطني. فرغم أن الوفد توسد أريكة الحكم في مصر عبر تاريخه قرابة ثماني سنوات، إلا أنه لم يفكر أن يخطو نحو تطبيق الشريعة بل على العكس، أصدر جملة من القوانين المناقضة لها وهو يتبنى نفس مقولات الحزب الوطني في التدرج والتنقية وتهيئة المجتمع، وقد آزر الحكومة في اقفال باب المناقشة في قضية الشريعة وعدم اثارتها مرة أخرى، وقد شهدت جريدته هجوماً من نائب رئيس الحزب وحيد رأفت وبعض الكتاب الآخرين مثل: خالد محمد خالد على التيار الاسلامي، بل وتحفل جريدته بالتحريض الخفي على الاسلاميين وإن نشرت بعض التحقيقات عن الاسلاميين نكاية في الحكومة.

الموقف من الأوضاع الداخلية: يناصب الوفد ثورة تموز/ يوليو العداء بفكرها ورموزها، بل ويدعو

لمحاكمة من كانوا سبباً في التأميم والحراسات وغيرها، وهو يدعو إلى إلغاء القطاع العام ويساهم في كشف مخازي الحكومة مما يجعله في حالة اشتباك دائم معها رغم اتفاقهما في الفكر والمواقف إلى حد بعيد.

الموقف من اسرائيل: لا يختلف عن الحزب الوطني في مواقفه تجاه اسرائيل، إلا أنه يطالب الحكومة بتجميد الاتفاقية لأن اسرائيل لم تف ببنود المعاهدة وهو كما نرى موقف تلفيقي يجمع بين التأييد والرفض.

الموقف من القوى العظمى: يؤيد الوفد العلاقات المتميزة مع أمريكا بل ويرى المراقبون أنه يحاول أن يطرح نفسه أمام الادارة الأمريكية كبديل مناسب للحزب الوطني من خلال مواقفه مثل: موقفه من خطف الطائرة، ومن سليمان خاطر وغيرها، وإن كان لا يمانع في اقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي.

قيادات الحزب: يعتبر الحزب نفسه امتداداً لقيادة سعد زغلول ومصطفى النحاس أصحاب التوجه العلماني البارز: أما القيادات الحاضرة فهي تكرار لفكر القيادات السابقة وأبرزها: فؤاد سراج الدين رئيس الحزب، ونائبه وحيد رأفت[٤]، ومعهم علوي حافظ ونعمان جمعة، وياسين سراج الدين، ومحمد عصفور، وأحمد أبو الفتح وابراهيم فرج الصليبي (سكرتير الحزب) وغيرهم.

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي: حصل حزب الوفد في الانتخابات السابقة سنة ١٩٨٤ على ١٥,١ بالمائة من عدد الأصوات، كما نصيب الاخوان منها ـ على حد قول الوفديين ـ ٤ بالمائة وإن كان الاخوان يرفعون هذه النسبة إلى ٧ بالمائة من الأصوات. هذا وقد انخفضت هذه النسبة نتيجة قانون الانتخاب الجديد إلى ١٢,٧ بالمائة حصل الحزب بها على ٥٨ مقعداً في البرلمان منها ٨ مقاعد للاخوان.

والوفد يحاول أن يغطي العجز الحادث بخروج الاخوان عن طريق اجتذاب الأقباط ليعودوا لسالف عهدهم فيه[٥].

والخلاصة: أن حزب الوفد لا يختلف عن الحزب الوطني خلافاً ذا قيمة سواء في فكره أو موقفه أو غير ذلك.

٣ ـ حزب الأحرار

النشأة: كانت بدايته منبر اليمين في تجربة المنابر سنة ١٩٧٦ ثم تحول إلى حزب الأحرار. وكان أكبر الأحزاب المعارضة بحصوله على ١٢ مقعداً، ولكن في انتخابات سنة ١٩٧٩ لم يتمكن من الفوز إلا بمقعد واحد سرعان ما انضم صاحبه إلى الوفد بمجرد ظهوره... ويرجع المراقبون هذا التردي في شعبيته إلى السياسة المهادنة التي اتبعها في سنة ١٩٧٦ إلى سنة ١٩٧٩ حيث وافق على مجمل سياسات الحكومة في ذلك الوقت، بل وأيّد كل الخطوات الخطيرة التي خطاها السادات حتى زيارة القدس واقتصرت معارضته على بعض القضايا الشكلية. فإذا أضفنا إلى ذلك ظهور الوفد والذي يحمل نفس الفكر الليبرالي لحزب الأحرار ولكنه يتميز عليه برصيد تاريخي طويل إلى جانب مواقف معارضة قوية، استطعنا أن ندرك لماذا تحول مؤيدوه لتأييد حزب الوفد، وقد كان لبقائه على هامش الحياة الحزبية ـ رغم أن صحيفته ظلت تصدر بانتظام ولم تتعرض إلى أي مصادرة أو تعويق وبالرغم من أن قياداته لم يتعرض أحد منهم للقبض والمصادرة حتى في تحفظ سنة ١٩٨١ ـ كان له عظيم الأثر في محاولات اجراء بعض التغييرات في ملامحه، فأصدر جريدة «النور الاسلامية» لتكون عامل جذب للتيار الاسلامي، ولكن ذلك لم يؤثر على جماهيريته إذ حصل في انتخابات سنة ١٩٨٤ على ٥ بالمائة فاستأذن مصطفى كامل مراد ـ رئيس الحزب ـ حسني مبارك في إجراء حوارات مع الجماعات الاسلامية في محاولات لاحتوائها ووافقه مبارك على ذلك. حيث بدأ الحزب في استغلال حالة الشقاق بين الوفد والشيخ صلاح أبو اسماعيل فضمه إلى الحزب وبدأ في تنفيذ هذه الندوات ولكن دون جدوى وبقي الشباب المسلم رافضاً لهذه اللعبة. وهنا طرح الحزب فكرة القائمة الموحدة أو التحالف والتي أسفرت ـ بعد أخذ ورد ـ عن تحقيق بين الاخوان والأحرار والعمل استعداداً للانتخابات[٦].

الفكر: تستطيع أن تصف فكر ذلك الحزب الذي يطرحه بأنه: «سمك لبن تمر هندي». فإنهم يطرحون الاقتصاد الحر من الناحية الاقتصادية ويرفضون دور القطاع العام الا في الصناعات

الاستراتيجية، في الوقت الذي يؤيدون ثورة تموز/ يوليو والتطبيق الناصري. وهم يطرحون برنامجاً ديمقراطياً يطالبون فيه بحرية إنشاء الأحزاب دون قيد، والانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية وتأييد ثورة التصحيح. ويطرحون ـ أيضاً ـ أن الشريعة الاسلامية المصدر الوحيد للتشريع ويطالبون بتطبيقها وكأن ثورة تموز/ يوليو والاقتصاد الحر وغيرها لا يتناقض مع الشريعة.

الموقف من الشريعة: كما فعل غيره من الأحزاب تبنى حزب الأحرار المطالبة بتطبيق الشريعة وإن ناقض ذلك بطروحاته في السياسة والاقتصاد وغيرها، بل والمتتبع لصحيفتيه النور والأحرار يلاحظ ذلك التناقض. فقد دأبت جريدة «النور على بث مفاهيم ظاهرها الاسلام وباطنها هادم لأصول هامة في هذا الدين، وأبرز هذه الطروحات موقفها من التصدي للحكام المستبدلين للشرائع، فهي قد دأبت على الدعوة إلى الاستسلام للحكام ولو كان كافراً لأنه ـ كما يقولون ـ ظل الله في أرضه. ومن هذا المنطلق أخذت تجرم كل من اعترض الحكام، حتى قتل السادات جرَّمته.

وبالطبع كان هذا في ظل المحاولات المستميتة لجذب الاسلاميين بالندوات والغاء لفظ الاشتراكي من اسم الحزب، واطلاق اللحى وسحب الموافقة على كامب ديفيد وغيرها من تلك الحركات البهلوانية.

الموقف من اسرائيل: كان رئيس الحزب يفخر دائماً أنه أول من دعا لإجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل، ولهذا كان رئيس الحزب الوحيد الذي شارك السادات رحلته للقدس مما جعله هدفاً لحملة شرسة في الصحف العربية، ولكنه سحب هذه الموافقة مؤخراً في اطار محاولاته لجذب التيار الاسلامي.

الموقف من القوى العظمى: من الطبيعي أن تكون توجهات الحزب غربية باعتباره يمينياً ليبرالياً ولكنه لا يرى بأساً من وجود علاقات طبيعية مع الاتحاد السوفيتي.

القيادات: يعتبر حزب الأحرار إلى عهد قريب حزب الرجل الواحد، إذ عانى الحزب من كثير من الانشقاقات والضعف الجماهيري حتى وصل الأمر أن كان رئيس الحزب يقوم بأكثر مهامه: من رئاسة وسكرتارية وأمانة صندوق وغيرها.

ويعتبر مصطفى كامل مراد من الضباط الأحرار (الصف الثاني) وقد تولى مجموعة من المناصب الادارية كان فيها محل اتهامات مالية.

هذا، وقد دخل الحزب بعض الشخصيات الدينية مؤخراً مثل: الشيخ صلاح أبو اسماعيل، والشيخ يوسف البدري[٧]، وبعض القيادات القديمة مثل: الحمزة دعبس، ومراد البسطاسي، وعبد الفتاح الشوربجي.

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي: تشابه طروحات حزب الأحرار مع حزبي الوفد والوطني، إلى جانب قصوره ـ عنهما ـ في مجالات أخرى يقلص فرصته في الحصول على تأييد جماهيري مناسب، ولذلك تعد فرصته الوحيدة في ذلك التحالف الذي قد يتيح له الفرصة في الحصول على بعض المقاعد.

وتظل فرصته في الوجود كقوة مؤثرة على الشارع السياسي مرهونة بتجاوب التيار الاسلامي معه، والذي لم يفلح حتى الآن في تحقيق نجاح يذكر في استقطابه.

٤. حزب الأمة

النشأة: آثار حكم القضاء لصالح انشاء حزب الأمة الذي طرح في برنامجه تطبيق الشريعة الاسلامية، مخالفاً بذلك القانون العديد من التساؤلات حول دور هذا الحزب، فرئيسه ـ أحمد الصباحي ـ لم يكن معروفاً من قبل، ولم يكن له أي ماضٍ سياسي أو غير سياسي اللهم الا اجتهاداته في قراءة الكف وفي معرفة الحظ من خلال الأبراج، كذلك شهرته في اختراع ما أطلق عليه «الكرة الصاروخية». هذه هي كل مؤهلات أحمد الصباحي والتي أنشأ على أساسها حزبه.

ونعود للتساؤل عن هذا الحزب وعن الهدف من السماح بإنشائه!

تثور في ذلك أقوال كثيرة، فمن قائل بأنه تجمع عائلي لأسرة الصباحي أراد أن يخوض بهم غمار السلطة والسياسة، ومن قائل بأنه قناة صنعتها الحكومة للتيار الاسلامي ليخوض غمار السياسة من خلالها دون أن يسمح له بالتسلط على مراكز الحزب الرئيسية (ويلاحظ أنه عرض على شخصيات

اسلامية كالشيخ الشعراوي والشيخ التلمساني تولي مكانه داخل الحزب، وكذلك عرض على الاخوان دخول الانتخابات من خلاله)، ومن قائل بأنه سمح بالقيام ليقطع الطريق على أي حزب اسلامي يحاول أن يبرز على الساحة بدعوى تشابه البرامج، ومن قائل بأنه قام لكل هذه الأسباب.

المهم، أنه قد أصبح حقيقة واقعة وبدأ الصباحي كرئيس لحزب يشارك في اللعبة السياسية بطرح وجهات نظر في القضايا السياسية المطروحة، تلك الآراء التي جعلته يظهر في صورة هزيلة لا تدرك شيئاً من مبادىء السياسة أو الاقتصاد أو غيره من شئون المجتمع، ولعل تركيز الاعلام الحكومي على هذه الصورة إنما يريد لإبراز من يتبنون الاسلام بصورة لا يدرك مما حوله شيئاً لاهدارهم أمام الرأي العام. وقد أصدر الحزب جريدة ولكنها تعثرت لضعف مادتها الصحفية وقلة امكانياتها.

الفكر: يحاول حزب الأمة ان يجعل الاسلام محور برنامجه لكنه عندما ينتقل من الاجمال إلى التفصيل تختلط المفاهيم لديه فهو يؤمن بالاشتراكية، وكذلك بإطلاق الحرية للقطاع الخاص مع تدعيم القطاع العام، وهو يدعو للديمقراطية والوطنية وتحالف قوى الشعب العامل وتدعيم الوحدة الوطنية، وغيرها من الشعارات المكررة.

الموقف: الشريعة والاسلام: يعتبر حزب الأمة أوضح الأحزاب في طرح قضية الشريعة رغم قدراته المتواضعة، وإن كان مفهوم الاسلام لديه يمنع من وجود حزب شيوعي وآخر علماني و.... ولا يمنع الاسلام ـ لديه ـ من تأييد كامب ديفيد، ولا الدعوة لمزيد من التطبيع. والحق اننا يمكن أن نقول دون حرج: ان اتجاه حزب الأمة هو ضرب للدين بالدين.

القضايا الداخلية: ليس للحزب موقف واضح من القضايا الاقتصادية أو السياسية، اللهم إلا ما تم الاتفاق عليه بين الأحزاب جميعاً حول المطالبة بالديمقراطية: من اطلاق الحق في إنشاء الأحزاب والغاء القوانين المقيدة للحريات والانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية وغيرها.

الموقف من اسرائيل: الحزب مؤيد لكامب ديفيد، ويدعو لمزيد من التطبيع مع اليهود، وهو بذلك أشد تطرفاً في تبعيته حتى من الحزب الوطني، وان كان الحزب لا يمانع من إنشاء دولة فلسطينية.

الموقف من القوى العظمى: برنامج الحزب المطبوع يدعو لالتزام الحياد وتحقيق التوازن في العلاقات بين القوتين العظميين.

قيادات الحزب: يعتبر الحزب شديد الفقر في الكواد القيادية ولا يعرف من أسماء قيادته إلا هذا الصباحي رئيس الحزب، وتتردد أسماء بعض أقاربه من آن لآخر.

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي: آثر الحزب ألا يخوض انتخابات عام ١٩٨٤ لأنه لا يوجد لديه مرشحون، وكذا فقد شارك باقي الأحزاب في عدم المشاركة في انتخابات سنة ١٩٨٧ إلا أنه يستعد لها ويسعى في تدبير أفراد يملأ بهم قوائمه...»[٨] وذلك بعد استبعاده من تحالف الاخوان والعمل والأحرار، وبالتالي فالحزب بهذه الصورة لا حاضر له ولا مستقبل إلا أن يشاء الله أمراً.

والخلاصة: فهو حزب عائلي لا فكر له، ومقاعده خاوية ونشأته تثير حوله الظنون.

٥. حزب العمل

النشأة: هو امتداد لحزب مصر الفتاة، وقد استثناه قانون السادات من الحظر الذي ضرب على عودة أي حزب من الأحزاب التي كانت قبل الثورة والحزب الوطني، وقدم السادات نفسه تسهيلات لقيامه، ففي سنة ١٩٧٨ وفي لقاء بين ابراهيم شكري ـ وزير الزراعة واستصلاح الأراضي ساعتئذ ـ والسادات، عرض عليه الأول فكرة انشاء حزب جديد لإثراء التجربة الديمقراطية فوافق وأوعز إلى بعض أعضاء مجلس الشعب بالانضمام للحزب ليتجاوز شرط العشرين عضواً الموضوع في القانون، ووافقت لجنة الأحزاب عليه حيث خاض بعد ذلك انتخابات سنة ١٩٧٩ وحصل على ٢١ مقعداً هي عدد الدوائر التي تركها له الحزب الوطني، وهذا يبين مدى العلاقة التي كانت بينه وبين النظام القائم.

وبالتدريج بدأ حزب العمل في التحول نحو المعارضة الصريحة حتى صدمته قرارات التحفظ الأخيرة. ولكنه عاد بعدها يمارس نشاطه بعد مقتل السادات وتولي مبارك الحكم. وخاض مع باقي الأحزاب

الانتخابات سنة ١٩٨٤ ولكنه فشل في الحصول على مقاعد بالمجلس لأنه لم يحصل على ٨ بالمائة من الأصول (حصل على ٧,٦ بالمائة) فاختار رئيس الجمهورية بعض أعضائه ضمن العشرة المسموح باختيارهم بنص الدستور حيث دخلوا المجلس بعد خلاف داخلي حول ذلك.

ويتميز الحزب بوجود جناحي الناصريين والاسلاميين، ومن عبارات ابراهيم شكري المأثورة: «نحن اسلاميون قبل الاسلاميين وناصريون قبل الناصريين».

الفكر: يطرح الحزب نفسه كحزب وسط في تبني قضاياه فهو يدَّعي الاسلامية التي لا تتناقض مع القومية العربية ولا الوطنية المصرية!!! كذا. وهو يتبنى الديمقراطية مثل باقي الأحزاب ويدعو لتحقيق التوازن بين دوري كل من القطاع العام والقطاع الخاص، ويؤيد الانفتاح الانتاجي.

بمعنى أكثر وضوحاً هو يحاول أن يضع طروحات ترضي كلاً من الاسلاميين والناصريين وأعضاء مصر الفتاة القدامى.

المواقف من الشريعة: ينص برنامجه على الشريعة الاسلامية كمصدر رئيسي للتشريع ويدعو لتطبيق الشريعة، وركز في برنامجه على أهمية القيم الدينية، ولكن... يظل جمعه الغريب بين الناصرية والاسلام وتبنيه للمواقف المختلفة دون أساس شرعي واضح يثير علامات استفهام كثيرة؟ ويظل ترشيحه لبهجة ميخائيل الراهب[٩] تلميذة الأنبا شنودة، وتعيينه لجمال أسعد مساعداً لأمين اللجنة التنفيذية للحزب ومرشحاً على الدوام على رأس قوائمه يضاعف من علامات الاستفهام[١٠].

هل يستغل حزب العمل الدين لتملق مشاعر الجماهير وتحقيق تقدم في اللعبة الانتخابية؟ أم أنه ما زالت لديه التشوهات الفكرية التي كانت في حزب مصر الفتاة، والتي تجعله بعيداً عن الاسلام النقي؟

الموقف من اسرائيل: بدأ الحزب بالموافقة على كامب ديفيد، ولكنه سرعان ما سحب هذه الموافقة وأعلن أن استخدام القوة العسكرية قد يكون هو الحل الوحيد لو لم تفلح الحلول السلمية، كما أنه حذر من أخطار التطبيع ودعا إلى تكوين دولة الولايات العربية المتحدة.

الموقف من القوى العظمى: ينتصر الحزب لسياسة عدم الانحياز.

أبرز القيادات: يعتبر ابراهيم شكري أبرز وأقدم القيادات في الحزب، ويليه الدكتور حلمي مراد - نائب رئيس الحزب - ثم عبد الحميد بركات أمين التنظيم، وممدوح قناوي، وعادل حسين - رئيس تحرير جريدة الشعب - وشوقي خالد وحسنين كروم من الناصريين. وإن كان الحزب - كغيره من الأحزاب المصرية - ما زال فقيراً في القيادات والكوادر الفاعلة وخاصة مع حدوث مجموعة من الانشقاقات من آن لآخر.

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي: يوجد في الحزب بعض الشخصيات ذات التأثير الجماهيري في بعض المناطق، سواء نتيجة خدماتها، أو نتيجة عائلاتها وعصبياتها. فإذا أضفنا إلى ذلك تحالفه مع الاخوان فإننا نتوقع له تجاوز النسبة المطلوبة لدخول المجلس.

ولكن!! ماذا لو تركه هؤلاء الأفراد - لسبب أو لآخر - وماذا لو انفضّ هذا الحلف، وتركه الناصريون بعد أن ينشأ لهم حزب؟ لا شك أنه سيلحق بسابقيه حزبي: الأحرار والتجمع ليقبع في زوايا النسيان.

٦. حزب التجمع

النشأة: كان منبر التجمع الوطني القومي الوحدوي أحد المنابر الثلاثة التي أبقاها السادات فلم يلغها، فلما أصدر قراره بتحويل المنابر إلى أحزاب، كان حزب التجمع هو المعبِّر عن التيارات اليسارية، ويترأسه خالد محي الدين وذلك بعد أن رفض السادات السماح بأحزاب ناصرية أو ماركسية أو غيرها.

الفكر: يشير برنامج الحزب إلى أنه صيغة تجمع ما سماه بالقوى الوطنية والتي تضم المدارس الفكرية الآتية:

١- **الماركسيون**: وهم امتداد لمجموعة الأحزاب الشيوعية التي تكونت في الأربعينات وكان يترأسها هلال شوارتز وهنري كوربيل اليهوديان، وهؤلاء... يمثلهم: خالد محي الدين، ورفعت السعيد، وفؤاد مرسي، واسماعيل صبري، وصلاح عيسى وغيرهم.

٢ـ **الناصريون**: وهم الذين يعبرون عن التجربة الناصرية ويمثلهم: محمد صبري مهدي، ومحمد عودة، وغيرهم. وقد مالوا إلى تقليص مشاركتهم بعد فشلهم في السيطرة على الحزب بمراكزه الرئيسية التي سيطر عليها الماركسيون.

٣ـ **التيار الديني المستنير** ـ على حد زعمهم ـ وهم الذين ينظرون للدين باعتباره العنصر الروحي في بناء المجتمع، ولا علاقة له بتوجيه الدولة. وهؤلاء يمثلهم: د. محمد عمارة[١١]، وخليل عبد الكريم.

٤ـ **التيار الوحدوي القومي**: وهم الذين يعتنقون القومية العربية كايديولوجية، وهؤلاء يمثلهم لطفي واكد، ومحمد أحمد خلف الله (والبعض ينسب الأخير للتيار الديني المستنير).

ونتيجة لهذا الخليط الفكري المتناقض، لا نستطيع أن نقول: إن لحزب التجمع فكراً واحداً محدداً، ولكن هناك بعض النقاط التي يتفق عليها الجميع نوجزها فيما يلي:

١ـ التقييم الإيجابي لثورة تموز/ يوليو وقائدها جمال عبد الناصر وضرورة حماية منجزاتها الوطنية والتقدمية والوحدوية وتطويرها.

٢ـ العداء الأصيل للاستعمار والامبريالية والصهيونية.

٣ـ النضال المشترك من أجل الدفاع عن الاستقلال الوطني واحترام الحقوق والحريات الديمقراطية واحترام الأديان السماوية وبناء المجتمع الاشتراكي الخالي من الاستغلال.

٤ـ الايمان بعروبة مصر والنضال من أجل الوحدة العربية ومن أجل مساندة الثورة الفلسطينية.

ومن هذه النقاط نستطيع أن نتبين بوضوح أن هذه الاتجاهات تجمع بينها الطروحات الاشتراكية والقومية.

المواقف: **الاسلام والشريعة**: لا شك ان حزب التجمع يعتبر أكثر الأحزاب وقاحة في معارضته لتطبيق الشريعة ولو حاول أن يتبنى موقفاً اعلامياً يخفف به من وقاحة رفضه عن طريق الحديث عن دعم المساجد والكنائس، أو المطالبة ـ مثلاً ـ باستلهام الشريعة في تطوير ديمقراطيتنا باعتبارها مصدراً للتشريع.

وهو يطرح شعار: الدين لله والوطن للجميع. ولكن الحقيقة أنه حتى هذه الأشياء التي ينافق بها الشارع الاسلامي ليس لها وجود حقيقي، فقد نقلت مجلة الشراع (عدد ١٧٦) عما جاء في مؤتمر الحزب المنعقد في ٢٧ و٢٨ حزيران/ يونيو سنة ١٩٨٥ أن الكثير من أعضاء الحزب طالبوا بضرورة اعلان فصل الدين عن الدولة وترك الموقف التلفيقي المعلن، فوزعت عليهم ورقة من الأمانة العامة تبين أن هذا الطرح الصريح سوف يستغل من قبل اتجاهات يمينية لوصف الحزب بالكفر والإلحاد، وأضافت الورقة أن الحزب ضد اقامة دولة دينية، وهكذا: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيِّنون ما لا يرضى من القول﴾. وهم بالإضافة لما سبق، يؤيدون غزو السوفيت لأفغانستان ويعتبرون المجاهدين متمردين.

ولا يكاد يخلو عدد من جريدتهم من طعنة في الدين أو تحريض على التيار الإسلامي، على أمل أن يحدث الصدام بين التيار الاسلامي وبين النظام، فيضعف كل من النظام والتيار الاسلامي كلاهما الآخر فيثبوا هم على الحكم في الوقت المناسب.

الأوضاع الداخلية: هم لا يطرحون بدائل اشتراكية بزعم أن البلاد غير مهيأة لاستقبالها، ولكن يطرحون برنامجاً اقتصادياً يقوم على دعم الاقتصاد المركزي والقطاع العام، والإبقاء على الدعم مع الغاء الامتيازات المعطاة للطفيليين من دعاة الانفتاح وتشجيع رأس المال الوطني.

أما بالنسبة للأوضاع السياسية، فالحزب يطالب ـ كغيره من الأحزاب ـ بدعم الديمقراطية، واطلاق الحريات لتكوين الأحزاب، وإعطاء حق الاضراب والمظاهرات السلمية، وانتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً مباشراً والغاء القوانين المقيدة للحريات.

اسرائيل: يدعو الحزب إلى اسقاط كامب ديفيد بالتدريج المناسب، وتقبل بعض أجنحة الحزب بالوجود الاسرائيلي وترى التعايش معه، بينما يرفض الباقون ذلك.

وعلى كل، فالظرف الداخلي والخارجي لم يسمح بطرح الخلاف حول هذه القضية بوضوح.

القوى العظمى: بالطبع، يدعو الحزب إلى الانحياز للاتحاد السوفيتي باعتباره الصديق الوحيد ضد الامبريالية وإن كان هذا لم يمنع الحزب من الدعوة إلى عدم الانحياز.

أهم القيادات: خالد محي الدين ـ رئيس الحزب ـ ود. رفعت السعيد واسماعيل صبري، وفؤاد مرسي، وحسين عبد الرازق ـ رئيس تحرير جريدة الأهالي ـ[١٢] ومحمد سيد أحمد. وكل هؤلاء ممثلون للتيار الماركسي ويضاف إليهم بعض الأسماء الأخرى مثل: محمد أحمد خلف الله، وخليل عبد الكريم، وأبو العز الحريري ولطفي واكد، ولطفي الخولي.

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي: ليس للحزب رصيد جماهيري يُذكر، نتيجة ما هو معروف عن إلحاده، وبالتالي فلا أمل له في تحقيق أدنى وجود في المجلس القادم. ولعلّ تجربة انتخابات سنة ١٩٨٤ اشارة واضحة لاختبار جماهيريته حيث لم يحصل إلا على ٤ بالمائة من الأصوات وان كانت فرصة حصوله على مقعد أو مقعدين من المقاعد الفردية أو بالتعيين موجودة.

والحزب يتعرض لهزة شديدة نتيجة الانسحاب البطيء للناصريين من الحزب، بسبب تسلط الماركسيين على مراكزه، أو بسبب انشاء الحزب الاشتراكي العربي الناصري بقيادة **فريد عبد الكريم**. وهذا كله يعرض صيغة (التجمع) للانفجار من الداخل التي ستجهز على البقية الباقية من مؤيديه.

بعد أن استعرضنا القوى السياسية الرسمية التي سمحت لها الحكومة بالتواجد، نستطيع أن ندرك بسهولة من خلال ذلك الاستعراض أنهم لم يسمحوا إلا بالأحزاب ذات التوجهات العلمانية بينما غيبوا الاسلام عن الساحة، ونستطيع ـ أيضاً ـ أن نلاحظ أن المعارضة قد وضع لها اطار لا يسمح لها بتجاوزه لمجرد تجميل الصورة الديمقراطية للبلاد.

ب ـ القوى السياسية غير الرسمية

ينبغي ـ لكي تكتمل الصورة ـ أن نتعرف على القوى السياسية التي لم تسمح لها الحكومة باقتحام الساحة السياسية، وسنستعرضها ـ هنا ـ على وجه السرعة.

١ـ **الشيوعيون**: هم الذين يحملون الفكر الماركسي مع التطورات التي أدخلها لينين. وهم يعتبرون امتداداً لبعض التنظيمات التي ظهرت في مصر في نهاية الأربعينات مثل الحزب الشيوعي المصري، وحزب العمال الشيوعي... وهؤلاء يرفضون المشاركة في اللعبة الحزبية لمخالفتها لتوجهاتهم الفكرية. ومن قياداتهم البارزة المحامي نبيل الهلالي، وزكي مراد ـ الذي توفي منذ فترة قصيرة.

ويستخدم الحزب نشرات دورية في التهييج واثارة الجماهير، ومنها نشرة الحقيقة، والانتفاضة. وهم مجموعة من مدعي الثقافة وأنصاف المثقفين الذين تستهويهم المناقشات والمجادلات الفكرية. وأحياناً ما تعلن أجهزة الأمن القبض على مجموعة منهم. ولا ننسى في النهاية الاشارة إلى علاقتهم الوطيدة بالاتحاد السوفيتي.

٢ـ **الناصريون**: هم ينتسبون إلى التجربة الناصرية والتي تشبعوا بطروحاتها من خلال منظمات الشباب والمعهد الاشتراكي.

والحق أن الناصريين لم يستقروا حتى الآن على ماهية هذه الناصرية؟ فمنهم من يزعم أنها نظرية وفلسفة متكاملة للحكم والحياة، ومنهم من يقول إنها لا تعدو أن تكون منهاج عمل لمرحلة وقد مضت، ومنهم من يقول إنها مجموعة ممارسات يسعى أنصارها قبول بعضها وتصحيح البعض الآخر... ولكل تعريف من التعريفات السابقة أنصاره ومؤيدوه:

ففريد عبد الكريم ـ أمين عام الحزب الاشتراكي العربي الناصري (تحت التأسيس) يقول: «إن الناصرية نظرية ينقصها الاطار الفلسفي!!! وهذه النظرية تصنف الواقع وتحدد أساليب مواجهته والحلول للمشاكل التي به، وتحدد القوى القادرة على النهوض بالمجتمع والقوى المعارضة له». ثم يضيف في محاولة تلفيقية واضحة: «إن نقص الإطار الفلسفي لم يكن عن خطأ أو إهمال، ولكن عن قصد حيث ان الجانب الفلسفي يعتمد على مكونات الأمة التاريخية والدينية».

والحق، ان الناصرية تعاني من أزمة فكرية يمكن أن نطلق عليها أزمة التنظير، وهي افتقاد الرؤية الواحدة للفكر الذي يحملونه، وهم كذلك يفتقدون نتيجة ذلك إلى التنظيم الواحد نتيجة هذه الخلافات الفكرية. وعلى كل نستطيع أن نميز بين صفوف الناصريين الاتجاهات الآتية:

١ـ **الميثاقيون**: هم أكثر الناصريين جموداً، فهم يعتبرون ميثاق العمل الوطني الذي صدر سنة ١٩٦٢ ومعه مجموعة خطابات عبد الناصر وبيان ٣٠ آذار/ مارس دستوراً لهم، يصلح ـ في نظرهم ـ لكل زمان ومكان ولا يقبلون اجتهادات أقطاب الناصرية المخالفة لذلك (كالتعدد الحزبي مثلاً).

٢ـ **الاشتراكيون**: وهم الذين يعتبرون أن عبد الناصر سعى لتطبيق عربي للاشتراكية، وبالتالي فهم يعتبرون الاشتراكية هي الأصل في ذلك ويطبق منها حسب مناسبة المجتمع واستعداده لتلقيها.

٣ـ **القوميون**: وهم الذين يجعلون القومية العربية بالطرح الناصري هي البعد الأساسي لناصريتهم والتي يدعون للاجتماع حولها فكرياً وتنظيمياً.

٤ـ **التيار التجديدي**: وهو الذي يستوعب تراث الأمة ثم يقيم على تفهمه وتجديده، وبالتالي فهو يعتبر الناصرية اجتهاداً فكرياً ونضالياً عربياً في الإطار الواسع للإسلام الحضاري. وهو ـ كما يقولون ـ تيار منفتح على التوجهات المختلفة جميعاً: اسلامية وماركسية وقومية!!! ويدعو للحوار معها.

والحقيقة: ان كل هذه التيارات أعداد ضئيلة ليست بذات قيمة ولا يجمعها جامع، بخاصة وأن الناصرية لم تتبلور بعد، كمفاهيم ومبادىء، بل لم تُطرح في محاولات تنظيرية إلا بعد وفاة عبد الناصر سنة ١٩٧٠ ثم تخلي السادات عن التوجهات الناصرية. بل إن الميثاق نفسه يقول: «إنهم لم يقوموا بالثورة ولديهم فلسفة لها... ولكن الشعب نفسه انطلق يطور المبادىء الستة التي أعلنتها الثورة سنة ١٩٥٥، عن طريق التجربة والخطأ!! وهذا البرنامج قابل لإعادة النظر فيه بعد عشر سنوات». هذه هي حقيقة الناصرية فكراً ومنهجاً وتنظيماً.

لماذا لا تسمح الحكومة بقيام حزب ناصري؟ قدم كمال رفعت سنة ١٩٧٦ طلباً لتأسيس منبر ناصري، ولكن طلبه قوبل بالرفض. وكان طبيعياً أن يُرفض هذا الطلب لأسباب عديدة منها:

١ـ ان السادات كان يُنسب لعبد الناصر وبالتالي فإنشاء حزب ناصري يسلبه المشروعية الناصرية.

٢ـ ان ظهور حزب ناصري يعطي انطباعاً غير ملائم للغرب إذ إنهم يرفضون الممارسات الناصرية مما قد يكون له أثره في إحجامهم عن مساعدة الحكومة.

٣ـ السادات ـ في ذلك الوقت ـ كان يتهيأ لمزيد من الارتماء في أحضان الغرب ومزيد من السلام مع اليهود، وهي سياسات كان من الطبيعي أن تلقى المعارضة الشديدة فكيف يضيف للمعارضة حزباً معارضاً جديداً.

٤ـ حاول السادات برفضه قيام حزب ناصري أن يحتوي الناصريين داخل الحزب حزب الحكومة، وقد نجح في ذلك إلى حد ما، أما من يرفض منهم فإنه يدخل إلى حزب التجمع الموصوم بالإلحاد، وبالفعل دخل بعض المنتفعين من الناصريين للحزب الوطني للارتزاق تحت دعوى غزو الحزب الوطني من الداخل، أما البعض الآخر فقد اتجه لحزب التجمع. وبذلك فقد الناصريون الإطار الخاص بهم وبخاصة بعد اغلاق النوادي السياسية داخل الجامعات.

ولقد بدأت في الآونة الأخيرة محاولات جديدة لتكوين أحزاب ناصرية عن طريق رفع قضايا على الدولة للسماح بتأسيس تلك الأحزاب، وتبلورت هذه المحاولات في محاولتين:

١ـ محاولة كمال أحمد لإنشاء حزب اتحاد الشعب العامل الناصري.

٢ـ محاولة فريد عبد الكريم لإنشاء الحزب الاشتراكي العربي الناصري، والذي يحشد بين مؤسسيه كل الرموز الناصرية التي شاركت في حكم مصر وتخلّص منها السادات في ١٥ أيار/ مايو سنة ١٩٧١.

وما زالت القضايا لم يفصل فيها بعد.

المواقف: يعتبر الاتجاه الذي يتصدره فريد عبد الكريم هو أقوى الاتجاهات الناصرية، ولذلك سيكون حديثنا عن مجمل مواقفه:

الاسلام والشريعة: هم يعتبرون الاسلام أحد عناصر بناء الأمة ويرونه الإطار الفلسفي الأوسع للناصرية... وهم يزعمون أنهم لا يتصادمون مع أي نص في الكتاب أو السنة ولكنهم لا يعطون لأحد حق تكفير أحد... وهم بذلك يشاركون عبد الناصر الرؤية في أن الاسلام يمكن أن يكون أحد الروافد التي تبني ايديولوجية متكاملة وليس ايديولوجية مستقلة، هذا ـ بالطبع ـ إلى جانب محاولاتهم أن يكسوا كل مقولات عبد الناصر ثوباً اسلامياً. وهم لا يمانعون من تطبيق الشريعة بشرط اقامة الكفاية والعدل في المجتمع والضرب على أيدي المترفين. وبالرغم من دعوى الإسلامية التي يطرحونها فهم يدعون أن رؤيتهم هي نفس رؤية حزب التجمع في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

الأوضاع الداخلية: على الجانب الاقتصادي، طبيعي أن يشجع الناصريون التوسع في القطاع العام والتأميم مع إنهاء سياسة الانفتاح لتحقيق العدل الاجتماعي. أما على الجانب السياسي فقد تخلوا عن فكرة التنظيم السياسي الواحد وطالبوا بإطلاق حرية إنشاء الأحزاب.

اسرائيل: يرفض الناصريون كامب ديفيد ويدعون لإلغائها واعتماد الخيار العسكري لحل المشكلة الفلسطينية.

القوى العظمى: هم بالطبع يختارون جانب السوفيت ويطالبون بتقليص العلاقات مع أمريكا مع الإصرار على عدم الانحياز.

أبرز القيادات: هم بالطبع مجموعة كبيرة من القيادات موزعة على شتى الأحزاب أو خارجها، في انتظار الموافقة على تأسيس حزبهم الخاص وأبرزهم: فريد عبد الكريم، كمال أحمد، علي صبري، شعراوي جمعة، محمد فوزي، محمد عودة، خالد عبد الناصر، ضياء الدين داود، محمد فائق، سعد الدين وهبة، بل ان منهم من تمكّن من التغلغل في مؤسسة الرئاسة نفسها مثل: رفعت المحجوب، أسامة الباز (مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية)، مصطفى الفقي (مدير مكتب رئيس الجمهورية للمعلومات). ويصدر الناصريون جريدة صوت العرب الأسبوعية، ومجلة الموقف العربي الشهرية ويترأس تحريرها عبد العظيم مناف، ومجلة أوراق عربية (غير دورية).

المستقبل والموقع الانتخابي: تفتقد الناصرية إلى التثقل الجماهيري الفعال. فهي رغم وجود الكثير من الشخصيات القيادية فيها نتيجة وجودهم على رأس أجهزة الدولة في العصر الناصري إلا أنها تفتقد إلى الكوادر الفعالة، فإذا أضيف لذلك افتقادهم إلى الاستقرار الفكري والإطار التنظيمي نتيجة عدم وجود الشخصية القيادية الجامعة التي يدين لها الجميع بالاحترام، وبالتالي فإلى أن تظهر هذه القيادة وإلى أن ينجحوا في الحصول على حزب يجمعهم في هيكل تنظيمي واحد، فإن فرصة الناصرية في تحقيق شيء في هذه الانتخابات تظل ضئيلة وإن بقي احتمال أن ينجحوا في تحقيق شيء نتيجة نزولهم في بعض القوائم الحزبية.

وتبقى بعد ذلك الناصرية بفكرها وممارستها في الحكم تمثل أحد أعداء الإسلام والحركة الاسلامية فكراً وسلوكاً.

٣ـ **التيار الاسلامي**: ينقسم الاسلاميون تجاه موضوع الانتخابات إلى اتجاهين رئيسيين: الأول هو الذي يقبل المشاركة في هذه اللعبة ويبرز فيهم الاخوان المسلمون؛ والثاني هو الذي ينابزها العداء ويبرز فيه اتجاه «الجماعة الاسلامية»... ونحن سنتناول بإيجاز هذا الأمر لكي تكتمل لدى القارىء صورة الساحة السياسية، وإلا فإن الحديث عنهما يحتاج إلى مجلدات ومجلدات.

أ ـ الاخوان المسلمون

كان الاخوان على طوال تاريخهم يتبنون جواز التحرك من خلال مؤسسات النظام وبخاصة المجالس النيابية، انطلاقاً من القول بإسلامية الحكام ولو استبدلوا الشرائع، وحكموا بغير ما أنزل الله... وقد لاحظنا ـ من خلال العرض السريع الذي أسلفناه ـ تأصيل ذلك الفهم في حركتهم. وقد ظل ذلك امتداداً

لتحركهم بعد ذلك حيث خرجوا من المعتقلات في أوائل السبعينات باتفاق مع السادات على اتباع تلك السياسة المهادنة. واستمروا عليها كذلك بعد تولي مبارك الحكم بما تحمله تلك السياسة من تنازلات وتراجعات... فشهدنا استنكاراً لمقتل السادات، ورفضاً للعنف والجهاد للحكام المستبدلين للشرائع، والاعلان عن جواز إنشاء أحزاب ولو كانت شيوعية، وزيارات لشنودة وغير شنودة من أعداء الدين، وتودد وتلطف معهم. كل هذه السقطات ما هي الا محاولات لإظهار الوجه الموافق للسلطة الحاكمة وبعث الإطمئنان لديهم لتحقيق بعض المكاسب المحدودة: كإصدار مجلة مصادرة ـ ولم يتم حتى الآن[١٣] ـ أو السماح لهم بتكوين حزب ـ ولم يتم أيضاً ـ أو الكف عن الملاحقات الأمنية.

ولا شك أن التحالف الفاشل مع الوفد لم يكن إلا امتداداً لتلك الاستراتيجية، وكذلك التحالف الجديد مع العمل والأحرار وذلك ريثما يوافق على حزب جديد لهم. ويتوقع أن يؤدي ذلك التحالف إلى دخول بعض نواب الاخوان لمجلس الشعب، ولكنهم ـ على ما يبدو ـ لم يتعلموا الدرس بعد، فسيكون نصيبهم من المجلس كنصيب سابقيهم الذين فشلوا في أن يخرجوا قضية الشريعة من أدراج المجلس حتى لمجرد المناقشة.

ب. الجماعة الاسلامية

لن نطيل الحديث عنها، لأن المجال قد لا يتسع وبخاصة أن مواقفها وأهدافها قد صارت بؤرة يجتمع حولها أكثر الشباب غير المعترف بشرعية هذه النظم العلمانية الضالة... وهم يؤمنون بعدم جواز الاندماج في مؤسسات النظام الديمقراطية ويرفضونها بكل ما فيها ومن فيها، فالخلاف معه خلاف جذري في مصادر التلقي في القيم.. في المفاهيم.. في الهوية.. في توجيه الولاء. خلاف يمنع أي صور الالتقاء... صراع مصيري... صراع مع كل النظم المستبدلة للشرائع الحاكمة بغير ما أنزل الله.

فهم يختلفون عن كل القوى السياسية التي تقبل النظام شكلاً وتختلف معه في موضوع أو أكثر، تختلف عن كل القوى التي ترى وجود جامع مشترك بينها وبين تلك النظم العلمانية. إنهم يؤمنون بأن الخلاص من هذا التردي والفساد لا بد أن يتم بتغيير جذري وليس بالتلفيق والالتقاء في منتصف الطريق.

ج. جماعات الضغط

قبل أن نفارق الساحة السياسية لا بدّ أن نشير اشارة إلى جماعات الضغط لكي نتعرف على كل من يشارك ـ بصورة أو بأخرى ـ في التفاعلات التي على الساحة السياسية اليوم.

وجماعات الضغط لها أشكال متعددة تظهر في صورة تجمعات أو تنظيمات أو منظمات أو نقابات عمالية أو طلابية أو مهنية، تسعى لتحقيق أهداف خاصة بها دون أن تشمل هذه الأهداف الوصول والسيطرة على السلطة.

وبالطبع تسعى كل الاتجاهات لجذب تلك الجماعات إلى صفها. فالحكومة تهدف من ذلك تأكيد سيطرتها وتثبيت نظامها ومنع هذه الجماعات من التفاعل مع الأحداث الهامة تفاعلاً يضر بالنظام، وكذلك لمنع عوامل القلق التي قد تنشأ من تحركاتها للحصول على مطالبها الفئوية. أما الأحزاب فإنها تهدف إلى توجيه تلك الجماعات تكون مجالاً خصباً للتنافس والتنازع.

وتستطيع أن تدرك أهمية هذه الجماعات إذا تذكرت ـ معنا ـ اضراب سائقي السكة الحديد وما أحدثه من إرباك، اضطرت الحكومة بعده أن تستجيب لمطالبهم، وكذلك اضراب عمال أسكو والمحلة. وإن كانت الحكومة تستخدم الشدة أحياناً في معاملة هذه الاضرابات حذراً من تكرارها.

ونتذكر أيضاً دور جمعية رجال الأعمال المصرية الأمريكية في الضغط على الحكومة لإلغاء قرارات ٥ كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٨٥ الاقتصادية التي كانت ضارة بمصالحهم ومصالح المستثمرين... والتي استجابت لها الحكومة بعد شهرين فقط وأقالت وزير الاقتصاد، بل وأكثر من ذلك تم الاتفاق على أن يكون هناك اجتماع دوري بين ممثل الحكومة وممثل الجمعية لتبادل الآراء حول القرارات الاقتصادية قبل اصدارها.

هذه صورة من صور تحرك تلك الجماعات لتحقيق مطالب خاصة. وكثيراً ما تتحرك من أجل المطالب العامة مثل مظاهرات الطلاب التي طالبت بقطع العلاقات مع أمريكا بعد خطف الطائرة المصرية سنة ١٩٨٥، واللقاءات والمؤتمرات التي تعقدها نقابة المحامين للتنديد بالتطبيع مع اليهود، والاعتراضات المختلفة على القوانين الاستثنائية وعلى استمرار العمل بقانون الطوارىء.

ونستعرض الآن بإيجاز أبرز جماعات الضغط في المعترك السياسي المصري:

أ ـ **الطلاب**: هم أبرز جماعات الضغط وأكثرها ايجابية وتفاعلاً مع المتغيرات المختلفة، وذلك راجع إلى انتمائها لشتى طبقات المجتمع وشرائحه، وهم بحكم سنهم يعتبرون أكثر شرائح المجتمع نقاءً ومثالية، وبالتالي فهم هدف دائم لكل محاولات الاحتواء.

والمتتبع للحركة الطلابية اليوم يستطيع أن يدرك دون جهد أن الخيار الاسلامي هو السائد بين الطلاب انتماءً ودعوة وجهاداً... تستطيع أن تلمح ذلك في سمتهم وتفاعلهم مع الأحداث ـ بل وفي انتخابات اتحادات الطلاب ـ رغم محاولات الحكومة المستميتة عن طريق وزير داخليتها التزوير والضغط لإبعادهم. أما باقي القوى السياسية بما فيها حزب الحكومة فلا وجود لهم يُذكر اللهم إلا بعض الأفراد المتناثرين الذين لا يؤبه بهم.

ب ـ **النقابات والاتحادات العمالية**: وهي الممثلة لقطاع عريض من المجتمع المصري، إذ يبلغ عدد المنتمين إليها قرابة ثلاثة ملايين عامل قد توزعوا على ١٧٨٠ نقابة فرعية. والحكومة تسعى ـ دائماً ـ للسيطرة عليها منذ انشائها سنة ١٩٥٧ حتى انها جعلت هناك تقليداً منذ السبعينات يعين بمقتضاه رئيس اتحاد العمال وزيراً للقوى العاملة، وبالتالي فقد كانت السمة الغالبة عليها هي موافقة الحكومة في كل قراراتها وان كان قد نجح في احداث بعض المكاسب العمالية التي لم تخرجه عن استئناسه المعتاد للحكومة.

ج ـ **النقابات المهنية**: وعددها قرابة ١٥ نقابة، وهي تجمعات نقابية تهدف للحفاظ على مصالح المنتسبين إليها، وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون لها دور سياسي بتفاوت بين نقابة وأخرى، وسنشير هنا إلى أبرزها وأكثرها نشاطاً في الساحة السياسية:

١ـ **نقابة المحامين**: تأسست سنة ١٩١٢ وتميزت بنشاطها السياسي الواضح، وكذلك فهي تجمع شتى الاتجاهات السياسية، فرئيسها أحمد الخواجة وفدي، وسكرتيرها محمد صبري ناصري، إلى جانب مجموعة من التيار الاسلامي والاتجاهات اليسارية والحكومة.

هذا، وقد كانت مواقفها المعارضة للحكومة سياسياً سبباً في مجموعة من الصدامات معها.

٢ـ **نقابة الأطباء**: للاتجاه الاسلامي فيها مكانة بارزة وأكثرهم من الاخوان المسلمين، ولذلك فطابعها العام القيام ببعض النشاطات الاسلامية والخدمات المهنية مع تجنب الصدام مع الحكومة.

٣ـ **نقابة الصحفيين**: منذ تأسست سنة ١٩٤٨ والحكومة تكاد تسيطر على توجيهها وإن كان هذا لم يمنع من وجود بعض المنتسبين للتيارات السياسية الأخرى كالاخوان والناصريين وغيرهم ضمن قياداتها.

هذا، وقد انتخب ابراهيم نافع نقيباً لها وهو شخص حكومي[١٤] ومن أعضاء الحزب الوطني، وطابعها العام يميل لتحقيق الخدمات المهنية مع بعض النقد الطفيف الذي لا يتجاوز العتاب عند الحاجة.

٤ـ **نقابة المهندسين**: أسست سنة ١٩٤٦، وشغل عثمان أحمد عثمان فيها منصب النقيب يؤازره مجموعة من الاخوان المسلمين، وهي لذلك ليس لها صوت معارضة للحكومة وانما ينحصر نشاطها في المطالب المهنية.

٥ـ **نقابة المعلمين**: هي أكبر النقابات عدداً، وهي منذ أنشئت سنة ١٩٥٥ وهي تكاد تكون خاضعة لحزب الحكومة، ولذلك فإنك لا تكاد تسمع لها صوتاً.

د ـ **جماعات الضغط الاقتصادية**: وأبرزها جمعية رجال الأعمال المصريين، وهي جمعية يقتصر

عضويتها على كبار رجال الأعمال، واشتراكها السنوي ١٠٠٠ جنيه، وهي منذ أنشئت سنة ١٩٧٧ لم يتجاوز أعضاؤها ٢٥٠ عضواً أكثرهم رؤساء وزراء ووزراء وكبار رجال الاقتصاد.

وتنص أهدافها صراحة على مساندة سياسة الانفتاح والضغط على صانعي القرار المصري ليكون لهم دور في تسيير دفة الاقتصاد المصري.

وقد نجحت الجمعية في الاتفاق مع الحكومة على لقاء دوري مع رجال الاقتصاد المصري ورئيس الوزراء، لاستشارتهم في القرارات الاقتصادية وقد كان لها دور واضح في الغاء قرارات مصطفى السعيد في كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٨٥ وإقالته. هذا وقد تفرعت منها مجموعة من الجمعيات مثل: جمعية رجال الأعمال المصرية الأمريكية، والمصرية الكندية، والمصرية الفرنسية، وهكذا.

ومن جماعات الضغط الاقتصادي: المجلس المصري الأمريكي الذي تأسس سنة ١٩٧٥ نتيجة اتفاق بين نيكسون والسادات، والتي ذلّل لها السادات بنفسه كافة العقبات، وكانت الحكومة تسارع بالاستجابة لتوصياتها الاقتصادية.

... وبعد استعراض الخريطة السياسية المصرية تتضح ضخامة الأجهزة والمؤسسات العلمانية، التي تمثل عدواً وعائقاً ضخماً أمام الحركة الاسلامية، والتي تضاعف التحديات أمامها، والتي توجب علينا المزيد من الجهد والعمل الدائب.

هوامش الوثيقة الخامسة

(١) تعد (الجماعة الاسلامية) من التنظيمات التي تحاول قوتين نسبتها إلى نفسها، فنجد الاخوان المسلمين يخلقون لأنفسهم (الجماعة الاسلامية وشعارها: الله أكبر ولله الحمد) أما تنظيم الجهاد فخلق لنفسه (الجماعة الاسلامية وشعارها: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) وهي تتركز في صعيد مصر. ومن اصداراتها الوثيقة التي بين أيدينا، ويعد الدكتور عمر عبد الرحمن **الأمين العام الحالي لها**. (معد الوثائق).

(٢) بعضاً من هذه القيادات تم الاستغناء عنها واستبدالها بأخرى أسوأ منها، على سبيل المثال تم الاستغناء عن مصطفى خليل، وفكري مكرم عبيد، وحلمي الحديدي (الذي كان من قبل عضواً بحزب العمل). (معد الوثائق).

(٣) وهو ما كان بالفعل، وتم التزوير على نطاق أوسع.

(٤) توفاه الله عام ١٩٨٧.

(٥) تقف هذه الوثيقة زمانياً عند انتخابات عام ١٩٨٤، ولم تتجاوزها إلى انتخابات ١٩٨٧ التي شهدت تحالفاً جديداً بين «الاخوان المسلمين» وحزب العمل الاشتراكي. (معد الوثائق).

(٦) يقصد انتخابات مجلس الشعب في نيسان/ ابريل ١٩٨٧. (معد الوثائق).

(٧) والاثنان استقالا من الحزب عام ١٩٨٧.

(٨) شارك الحزب في انتخابات ١٩٨٧ ودخل ٢٠ دائرة بمرشحين من لديه فشل جميعهم في الحصول على أية مقاعد. ولم ينجح في تلك الانتخابات سوى (تحالف الاخوان والعمل والأحرار) و (حزب الوفد)، فضلاً عن الحزب الوطني، وفشل حزبا (التجمع) و (الأمة).

(٩) واحدة من أشهر أعضاء حزب العمل الاشتراكي ومن المسيحيات المصريات المعروفات بعلاقتهن الوثيقة بالكنيسة المصرية.

(١٠) جمال أسعد عبد الملاك كان أحد قيادات حزب التجمع، ثم استقال ودخل حزب العمل وبعد انتخابات ١٩٨٧ نجح جمال أسعد، ثم بعد حدوث انشقاق سياسي داخل الحزب بين كتلة اسلامية وأخرى اشتراكية بقيادة أحمد مجاهد نائب رئيس الحزب وذلك عام ١٩٨٨ انضم جمال أسعد إلى الكتلة الاشتراكية (معد الوثائق).

(١١) جدير بالذكر أن د. محمد عمارة غير منتمٍ إلى أي من التنظيمات أو الأحزاب السياسية القائمة، بل هو على خلاف مباشر مع بعضها خاصة حزب التجمع.

(١٢) أقيل حسين عبد الرازق من منصب رئيس تحرير الأهالي، وخلفه كل من لطفي واكد ومحمود المراغي وذلك عام ١٩٨٨.

(١٣) جدير بالذكر أن مجلة «الدعوة» لسان حال الاخوان المسلمين قد توقفت عن الصدور عام ١٩٨١ بعد قرارات ٥ أيلول/ سبتمبر الشهيرة التي تمكن السادات بمقتضاها من اغلاق العديد من المجلات المعارضة، وما زالت هذه المجلة ممنوعة من الصدور حتى اليوم (١٩٨٩) الأمر الذي دفع فريق من الاخوان إلى إصدار مجلة تسمى (لواء الاسلام) عام ١٩٨٧ كبديل لمجلة الدعوة. (معد الوثائق).

(١٤) خلف ابراهيم نافع في رئاسة نقابة الصحفيين؛ مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة المصور، وأول صحفي يزور اسرائيل مع السادات عام ١٩٧٧ وهو حكومي الاتجاه أيضاً مثل سلفه. (معد الوثائق).

الوثيقة السادسة

(صفحات من ميثاق العمل الاسلامي)(*)
اصدار: الجماعة الاسلامية الجهادية في مصر

(احد فروع تنظيم الجهاد ـ فرع الصعيد)

(ملاحظة: بالرغم من ان عام الاصدار لهذه الوثيقة هو عام ١٩٨٤، إلا انها تنتمي فكرياً لحقبة السبعينات نظراً لأن الذين وضعوها هم قادة تنظيم الجهاد بصعيد مصر إبان عملية اغتيال السادات)

صفحات من ميثاق العمل الاسلامي

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[١].

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات. ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[٢].

ـ **غايتنا**: رضي الله تعالى بتجريد الاخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه ﷺ.

ـ **عقيدتنا**: عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلاً.

ـ **فهمنا**: نفهم الاسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين (رضي الله عنهم).

ـ **هدفنا**: تعبيد الناس لربهم، اقامة خلافة على نهج النبوة.

ـ **طريقنا**: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

ـ **زادنا**: تقوى وعلم... يقين وتوكل... شكر وصبر... زهد في الدنيا وايثار الآخرة.

ـ **ولاؤنا**: لله ولرسوله وللمؤمنين.

ـ **عداؤنا**: للظالمين.

ـ **اجتماعنا**: لغاية واحدة.. بعقيدة واحدة.. تحت راية وحدة فكرية واحدة.

«الجماعة الاسلامية»[٣]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٤].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[٥].

(*) الذين القوا هذا الميثاق هم (عاصم عبد الماجد ـ عصام الدين دربالة ـ ناجح ابراهيم عبد الله) وهم قادة الجماعة الاسلامية التابعة لتنظيم الجهاد بالوجه القبلي. وهم يقضون الآن عقوبة السجن في قضيتي (اغتيال السادات وتكوين تنظيم الجهاد). وميثاق العمل الاسلامي يقع أصلاً في حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير، وهو مكتوب بخط اليد ويتم توزيعه سراً على أعضاء «الجهاد» في مصر منذ اغتيال السادات حتى اليوم (١٩٨٩) وهو يمثل العقيدة الثابتة المحورية لأعضاء التنظيم في صعيد مصر، هذا وسوف نقتصر على بعض صفحاته للتدليل فقط على فكر هذا الفرع من التنظيم. (معد الوثائق).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٦].

قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[٧].

أما بعد...

هذا وعد من الله تعالى بالنصر والعز والتمكين، يتراءى لنا كشعاع أمل يلمع بريقه يضيء لنا الطريق في هذا الظلام الدامس الذي يكتنف أمتنا...

هذه الأمة التي سادت بالإسلام ردحاً طويلاً من الزمان، امتدت خلاله خلافتها لتظلل معظم البلدان تقودها بكتاب الله، ها هي اليوم تتجرع كأس المذلّة والهوان، وقد أضحى مجدها وعزها أنشودة قديمة يتغنى بها ويتسامر الأبناء... ها هي تسقط وتتمزق خلافتها إلى دويلات، منها ما اقتطعه النصارى، ومنها ما اقتنصه اليهود، ومنها ما استولى عليه الملاحدة وعبدة الأوثان، وأما ما بقي منها يحمل اسم الاسلام فقد علاه حكام علمانيون.

تكالب علينا الأعداء.. مدارس ومذاهب.. نظريات وفلسفات.. هيئات ومؤسسات.. أمم وممالك.. تجتمع كلها على حرب الاسلام وأهله، منها ما يؤزره حقد دفين ومنها ما يدفعه عداء قديم.

ويشهد مطلع القرن العشرين واحدة من أعتى الضربات التي وجهها الأعداء لأمتنا: اسقاط الخلافة.

وليت الكيد وقف عند هذا الحد، بل راحوا ينهشون بمخالبهم في عقول أبناء هذه الأمة مشوهين الإسلام في افهامهم، وأدخلوا علينا وعلى الإسلام أفهاماً غريبة عجيبة ليلبسوا علينا ديننا، حتى إذا ما أفقنا يوماً وأردنا أن نعود عدنا ولكن إلى غير مأوى نأوي إليه.. عدنا إلى ضياع فكري، يختلط فيه الخبيث بالطيب فيلتبس الحق علينا ونضل الطريق.

وضاع الفهم الصحيح للإسلام من العقول...

كما تلاشت من فوق الخارطة الخلافة...

هذا حالنا، وإن شئت قلت: هذه محنتنا التي أوقعنا فيها جهلنا وتفريطنا قبل أن يوقعنا فيها كيد أعدائنا.

ويبقى وعد الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات:

﴿ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾[٨].

ولقد مكّن الله تعالى للجيل الأول من هذه الأمة ـ جيل الصحابة ـ حينما نجحوا في التزام الاسلام وامتثاله، وصياغة النفس وفق منهجه، وجعله ـ وحده ـ أساساً لوحدتهم ومحوراً لتجمعهم. ثم تقدموا يعملون به وله من خلال حركة جماعية منظمة.

هذا هو طريق سيادتهم وتمكينهم.

وإنه لهو طريق عودتنا.. إن نحن أفقنا يوماً وأردنا أن نعود لإسلامنا.. إن نحن قبلنا يوماً أن نتحدى أعداءنا ونعيد للعالم اسلامنا. علينا أن نسارع ونعود ونرتق الفتق الذي اتسع بيننا وبين سلفنا من أبناء هذه الأمة.

علينا أن نرجع فنلتزم ما كانوا عليه من فهم للإسلام، وما كانوا عليه من عمل وبذل وجهاد للاسلام.

نحن في حاجة ماسة إلى عودة نقتفي فيها آثار المصطفى ﷺ وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

وصدق الأوزاعي إذ قال:

«اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم».

وعلى أول درب العودة نقف ونتعلم:

نتعلم أن لا نقدم بين يدي الله ورسوله...
نتعلم أن لا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي...
نتعلم كيف نتجرد لله ولدين الله.

وعندها يسهل علينا أن نبدأ الطريق، يسهل علينا أن نصوغ أنفسنا صياغة اسلامية خالصة وصادقة، تمهيداً للانطلاق بهذا الدين.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[٩].

لذا نقدم (ميثاق العمل الاسلامي)، نقدمه تبييناً وتوضيحاً وتذكيراً بأسس وأصول شرعية ما كان لها أن تغيب عن أي حركة اسلامية يهمها أن تلتزم وتنضبط في كل أمورها بالشرع الحنيف.

وهذه الأسس ليست مستحدثة ولا مبتدعة، بل هي مسلمات ثابتة لا يسع مسلم أن يتجاهلها فضلاً عن أن ينكرها. ولكنها للأسف غاب بعضها أو أكثرها عن الكثيرين من العاملين لهذا الدين، فهذا يعلم عنها شيئاً ويجهل الآخر؛ وذلك يعمل بشيء منها ويهمل الآخر.

فلما طال غيابها وتعمّد من تعمد تغييبها ما كان لنا أن نسكت، فرأينا أن من الواجب علينا تقديمها ـ أو قل تبيينها ـ نصيحة منا لأبناء أمتنا، توضيحاً لمعالم الطريق... وتحديداً لغايته... وبياناً لكيفية السير على دربه، حرصاً على العمل الاسلامي أن يخوضه الرجال بغير وضوح في الرؤية، حتى لا تتذبذب الحركة في منتصف سيرها.. أو تحيد عن الطريق المستقيم إلى السبل، وما أكثر السبل، وما أوعر السبل... وحتى لا ننسى غايتنا.. أو يلتبس علينا أمرنا.. أو نهمل واجبنا. ومحاولة لضبط الحركة الاسلامية بأصولها الشرعية التي ان تركتها ضاع أملها في النصر.

هذا ما أردناه بتقديم هذه الأسس والأصول.

حتى إذا ما اتضحت ورسخت في النفوس، أمكننا ـ عندئذ ـ أن نجتمع حولها لنعمل ـ في جماعة واحدة ـ للإسلام.

فتكون هذه الأصول بمثابة تقدمة لا بدّ منها لإيجاد وحدة فكرية ضرورية، قبل البدء في السير.

إن من يهمل أمر هذه الوحدة الفكرية التي ننشدها ويتخطاها ليقدم عليها تجميع الصفوف، من يفعل ذلك يخطىء خطأ بيِّناً، إذ إنه يحمل في طيات حركته ـ وهو لا يدري ـ عوامل فنائها، فإن تجمعاً لا انسجام بين أعضائه انما يعني حشدا غير منظم لأفهام غير متجانسة، وعند أول اختبار حقيقي ينفرط العقد وتتناثر ـ وقد تتناحر ـ حبّاته.

لذا، فإننا نحذر أشد التحذير من محاولة الالتقاء في تجمع واحد، يعمل للإسلام قبل الاتفاق والانسجام التام بين أفراده حول الأسس الشرعية التي تحكم هذا التجمع.

لا بدّ أن يجيب أفراد هذا التجمع ـ قادة وجنوداً ـ على عدة تساؤلات:

ما هي غايتنا التي نسعى لها؟
ما هي عقيدتنا التي ندين بها؟
ما هو فهمنا الذي نتحرك به؟
ما هي أهدافنا؟
ما هو طريقنا لتحقيق هذه الأهداف؟
ما هو زادنا؟
لمن يكون ولاؤنا؟ ومن نعادي؟
من الذي نقبله داخل صفوفنا؟ ومن الذي نرده ونرفضه؟ ولم؟

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإجابة على هذه التساؤلات يجب أن تكون نابعة من الاسلام وحده.. الاسلام كما أنزله الله على نبيه ﷺ وكما فهمه أصحاب نبينا، وكما علمه لنا علماؤنا من سلفنا الصالح.

* * * * * *

كان هذا الميثاق محاولة منا متواضعة ـ قدر جهدنا المتواضع ـ لتبيين وتوضيح المعالم والملامح الشرعية والفكرية التي على الجماعة المسلمة أن تلتزم بها.

فإن كنا قد أصبنا في ذلك فمن الله تعالى وحده: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾[١٠]، وله سبحانه الحمد والمنة.

وإن كنا قد جانبنا الصواب قيد أنملة، ولو في كلمة واحدة، فمن أنفسنا: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[١١] ودين الله بريء من ذلك منزه عنه، ونحن أول من يبرأ إلى الله من ذلك: «ميثاق العمل الاسلامي» إنما نقدمه خلاصة للتجربة التي عاشتها «الجماعة الاسلامية».

وفي ضوء المواجهة التي خاضت غمارها ضد أعداء ديننا في ذي الحجة سنة ١٤٠١ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٨١ والتي قدمت فيها الكثير من أبنائها شهداء: ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[١٢] نقدم **(ميثاق العمل الاسلامي)**[١٣].

في الوقت الذي يُحاكم فيه المئات من أبناء الجماعة الاسلامية، ويُطالب بقتلهم فما يزيدهم ذلك إلا ايماناً واصراراً... ايماناً بأن الأمة الاسلامية ستقوم يوماً ـ ولا بد ـ من رقدتها وتتقدم لتقود من جديد... واصراراً على مواصلة السعي ـ العون لهذه الأمة حتى تقال من عثرتها..

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده﴾[١٤].

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الجماعة الاسلامية

٢٥ من جمادى الأولى ١٤٠٤

٢٧ من شباط/ فبراير ١٩٨٤

هدفنا
تعبيد الناس لربهم
اقامة خلافة على نهج النبوة

أما هدفنا فهو ما أمرنا به الشارع سبحانه بقوله: ﴿أن اقيموا الدين﴾.

فهدفنا اقامة الدين كله، في كل نفس وفوق كل شبر من الأرض... داخل كل بيت وفي كل مؤسسة وفي كل مجتمع.

واقامة الدين بهذا المعنى يتحقق إذا ما نجحنا في:

ـ تعبيد الناس لربهم.

ـ واقامة خلافة على نهج النبوة.

هذان هما الهدفان اللذان نسعى لتحقيقهما امتثالاً لأمر الحق باقامة الدين. لقد أكثرنا القول ولا بأس من أن نكرر أن الخلق عبيد الله والأرض ملك لله.. لذا فإن الخلق كلهم مطالبون بالدخول في دين الله، والأرض كلها من المفروض أن تخضع لسلطان هذا الدين.

لذا كان هدفنا أن نعيد هذه الفلول الشاردة الآبقة الضالة عن صراطه المستقيم. نعيدها إلى فطرتها التي فطرت عليها ونردها إلى رشدها.. وهو ما عنيناه بقولنا «تعبيد الناس لربهم».. (تعبيد الناس لربهم في عقائدهم وشعائرهم وأخلاقياتهم ومعاملاتهم وتحاكمهم وتقاليدهم).

وحيث إن ذلك يتطلب أن يكون النظام السياسي الحاكم المهيمن على الناس، ومجتمعاته نظاماً معبداً هو الآخر لله نظاماً يدين بالإسلام ويعمل به ويحكم به، يحمي للناس دينهم ويدفع عنهم شياطين الانس والجن التي تريد أن تخرجهم من دين الله. وحيث ان ترك الناس يعيشون في ظل نظام غير اسلامي ـ أي غير معبد لله ـ يعني أن الناس لن يتحاكموا للإسلام ولن يستطيعوا أن يقيموا دينهم كاملاً، كما أنه يعني وجود سلطة ذات سلطان تحاول اخراج الناس من دين الله وادخالهم في شرعتها الجاهلية بكافة ما تملكه من وسائل ونفوذ وامكانات وعتاد.

لذا، كان من تمام تعبيد الناس لربهم ومن أركان اقامة الدين، ايجاد نظام سياسي يحكم الناس ويقودهم بكتاب الله، لأن دين الناس لا يكتمل إلا باقامة هذا النظام الذي يقيم فيه الاسلام.

قال ابن تيمية: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها».

لذا، كان من أهدافنا «اقامة خلافة على نهج النبوة».

واننا نسعى بكل الطرق والسبل التي جاءت بها شرعتنا الحنيفية لتحقيق هدفنا.. «تعبيد الناس لربهم واقامة الخلافة»، نسعى بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله... وكل سبيل من هذه السبل له دوره في تحقيق الهدف، كما أن له مجال عمله، وله فقهه الخاص به وتفصيل ذلك سيأتي إن شاء الله تعالى في حديثنا عن (طريقنا).

تعبيد الناس لربهم

هذا هو الهدف الذي خلقت لأجل اقامته وتحقيقه السموات والأرض والملائكة والناس والليل والنهار والميزان والصراط والجنة والنار.

إن هذا الكون لم يخلق لعباً: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾[١٥]. والانس والجن لم يخلقوا عبثاً: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾[١٦]، لم يخلقوا بلا قصد ولا حكمة ولا ارادة منهم، بل: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾[١٧]، انه القصد الأوحد الذي خلقوا لأجله... (ليعبدون)، خلقوا ليؤدوا حق الله الواجب عليهم.

أتدرون ما حق الله على العباد؟ اسمعوا معي نبي الله ﷺ ينادي معاذ بن جبل ثلاث مرات: «يا معاذ بن جبل» ليقول له: هل تدري ما حق الله على العباد؟» ويجيب معاذ: «الله ورسوله أعلم» فيقول ﷺ: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»[١٨]. هذا هو حق الله الواجب على العباد تأديته.. أن يعبدوه بكل ما في العبودية من معاني الذل، والخضوع والمحبة والإنابة والتوكل والعمل الصالح والتقوى.. وهذا ما أرسلت الرسل تأمر به وتدعو إليه: قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره أفلا تتقون﴾[١٩]، وقال: ﴿وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون﴾[٢٠]، وقال: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٢١]، وقال: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٢٢]، وقال: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٢٣]. ويحكي لنا القرآن قول عيسى بن مريم لبني اسرائيل: ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٢٤]، وقال عز وجل: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[٢٥]. وهذا هو الهدف الذي من أجله أرسل نبينا ﷺ: (حتى يعبد الله وحده لا شريك له)، وهذا هو الهدف الذي وعاه الصحابة عن نبينا ﷺ.

قال ربعي بن عامر لرستم حينما سأله ما الذي جاء لكم: فأجابه «إن الله ابتعثنا لكي نخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار».

إن الإنسان ـ بطبعه ـ لا بد أن يكون عبداً... شاء أم أبى، هذه طبيعة متأصلة فيه لا يملك أن يغيرها... لا بدَّ له من خضوع عبودية وحب عبودية وخوف عبودية ورجاء عبودية، لا بد له من ذل وانابة وخشية وتوكل وعبودية... فإن صرف هذه وغيرها من صنوف العبودية لله وإلا فإنه سيوجهها لغير الله... سيوجهها لآلهة مزيفة: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾[٢٦].

يجب أن يعرف الناس هذه الحقيقة ويعوها جيداً، إنهم إذا فروا من الله تعالى ومن عبوديته فسيقعون في عبودية حقيرة دنيئة لآلهة لا تنفع ولا تضر. هذا ناموس من نواميس الكون، لم يخرقه أحد من البشر، لم ولن تخرقه أمة من الأمم، كل من استكبر عن عبادة الله وقع ـ ولا محالة ـ في عبادة سواه.

فالنصارى يعبدون المسيح، واليهود عبدوا العجل، ومشركو العرب عبدوا الأصنام فمنهم من عبد صنماً من عجوة يصنعه بيده حتى إذا ما جاع أكله! أكل إلهه الذي كان يدعوه ويرجوه ويحبه ويتذلل

إليه... أكل إلهه الذي كان يسأله منذ قليل أن يطعمه ويسقيه فلما لم يستجب له أكله... وهناك من يعبد النار، وهناك من يعبد البقر، وهناك من يعبد الشجر، وهناك من يعبد الشمس والقمر، وهناك من يعبد هواه: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾[٢٧].

قال ابن عباس: «الهوى إله يعبد من دون الله»، وفي الأثر: «ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع». ورحم الله ابن القيم وهو يتحدث عمن اتخذ إلهه هواه: «فهو متعبد لغير الله حباً وخوفاً ورجاءً وسخطاً وتعظيماً وذلاً إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن أعطى أعطى لهواه وان منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضى مولاه، فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه».

وهناك من يتكبر عن عبادة الله فإذا به يصير عبداً للدرهم والدينار، ففي الحديث الصحيح: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقس أن اعطى رضى وان منع سخط». قال ابن حجر: «عبد الدينار ـ أي طالبه ـ الحريص على جمعه القائم على حفظه فكان لذلك خادمه وعبده».

وهناك من تكبر عن عبادة ربه فعبد حاكماً يشرع من دون ربه، مثلما عبد أهل الكتاب من قبل أحبارهم ورهبانهم من دون الله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[٢٨]. قال عدي بن حاتم: «يا رسول الله ما عبدوهم». فقال ﷺ: «حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم».

أن مهمتنا هي أن نهز الناس هزاً عنيفاً بهذه الحقيقة... ونقول لهم: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾[٢٩]، نهزهم هزاً عنيفاً: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره﴾[٣٠]. نهزهم هزاً عنيفاً: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سَلَماً لرجل هل يستويان مثلاً﴾[٣١]. نهزهم ونقول لهم هيا اختاروا اما عبودية لله واما عبودية لآلهة متعددة متشاكسة لا تضر ولا تنفع.. لا ترزق.. ولا تخلق.. لا تنصر ولا تعز ولا تذل ولا تحيي ولا تميت..

﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾[٣٢] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾[٣٣] آلهة تتبرأ منهم يوم القيامة وتسلمهم إلى مصيرهم.. وعجباً للخلق كيف يعرضون عن عبادة الله تعالى وفيها عزتهم وكرامتهم في الدنيا، وفيها الشرك في عبودية الأنداد، يعظمونها ويحبونها ويتذللون لها ويخضعون ويخشعون ويقدمون القربات والقرابين ثم لا تغني عنهم شيئاً في الدنيا لا ترزقهم ولا تنصرهم بل هم الذين يحمونها ويحرسونها... ثم في الآخرة لا تشفع لهم ولا تنفعهم بل تكون عليهم ضداً: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾[٣٤].

﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾[٣٥].

تسألني ماذا أقصد بالعبودية وهل هي صلوات وأذكار وأدعية، أقول لك بل هذا جزء منها وإلا فهي تتسع لتشمل كل أمور الدنيا وكل أحوال الخلق... العبودية التي يريدها الله جل وعلا من عباده هي أن يقولوا بلسان الحال والمقال كما قال ابراهيم: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾[٣٦]، أن يقولوا بفعلهم وقولهم كما أمر محمد ﷺ أن يقول: «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت». العبودية التي خلقنا الله عز وجل لتحقيقها هي أن نصبر ونصبر حياتنا صباحنا ومساءنا. فكرنا وذكرنا.. جهادنا وحركتنا.. حياتنا ومماتنا لله رب العالمين. قال ابن تيمية في تعريف العبادة: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والجهاد للكفار والمنافقين، والاحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة الظاهرة، كذلك حب الله ورسوله

وخشيته والإنابة إليه واخلاص الدين له. والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وجماع العبادة كما الحب مع كمال الذل». وهذا هو هدفنا الذي ذكرناه «تعبيد الناس لربهم» في السراء والضراء في العسر واليسر المنشط والمكره في الشباب والمشيب، في الأخذ والعطاء، في الحب والبغض في المنح والمنع.. يجب أن يكونوا عبيداً لله في كل هذا.. والعبد ليس له من أمر نفسه شيء بل هو مملوك يأمره مولاه فلا يملك إلا أن يطيع فإن لم يفعل كان آبقاً شارداً عاصياً، وليس للعبد أن يطيع مولاه في بعض أوامره ويعصيه في البعض الآخر وإلاّ كان: ﴿رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾[٣٧] بل يطيعه في كل أمر.. في الصغير والكبير ليكون كما ذكر القرآن في المثل: ﴿رجلاً سلماً لرجل﴾[٣٨].

(العبودية لله) هي التي تنقص الكثيرين من البشر وتغيب عن كافة المجتمعات، وإن غيابها لهو سبب الشقاء والتعاسة التي تحياها الشعوب والجماعات والحكومات والأفراد..

قف وسل نفسك ما هو سبب كل ما تعانيه البشرية اليوم؟ إنه غياب العبودية الحقة لله، إنه صرف العبودية لغير الله. إن السموات والأرض ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾[٣٩] وكذلك الدنيا فسدت واضطرب أمرها لأن الناس اتخذوا مع الله آلهة أخرى، ومنهم من أعرض عن ربه بالكلية واتخذ إلهاً آخر.

يقول ابن القيم: «وكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا كذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فساداً لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج هذا المعبود منه ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه».

وصدق رحمه الله فيما قال.. إن أي فساد وأي شر وأي خبث تجده في حياة البشر فاعلم أن مرده إلى أمر واحد، هو أن الناس قد خلعوا عن قلوبهم رداء عبودية الله وألبسوها وأشربوها عبودية من سواه... وأعلم أنه لا صلاح للخلق إلا أن يخرجوا من قلوبهم ما سوى الله ليكون الله وحده هو ربهم ومولاهم ومعبودهم... عندما تستقيم الحياة وتعتدل الموازين وعبثاً يحاول الناس اصلاح حياتهم، وسدى ستذهب محاولات الاصلاح ما لم تكن تهدف أول ما تهدف إلى اعادة البشرية الشاردة إلى عبودية الله الواحد القهار.

واننا كمسلمين أعمق فهماً وأنفذ بصيرة من أن تستهوينا محاولات الاصلاح الجوفاء التي تملأ العالم اليوم.. إن مشكلة الناس الأساسية ليست نقص الموارد وليست الظلم المنتشر فوق الربوع، وليست هي الحروب الفتاكة وليس مرجعها إلى اختلاف صور توزيع الثروة ولا إلى غياب الديمقراطية، انهم يرفضون أن يكونوا عبيداً لله أو يجهلون هذه القضية.

وإن نقطة البدء الصحيحة هي العمل الدائب الجاد الواعي لإعادة الناس لربهم ولتعبيدهم لخالقهم، وما عدا ذلك فسعي ضال وعمل ضائع وجهد مفقود.

وإن مشكلة المسلمين ليست إلا أنهم تخففوا من قيود العبودية الحقة لله، وانطلقوا خلف البشرية الضالة يقلدونها كتقليد ومحاكاة القردة في كل شيء، حتى في عبوديتهم الموجهة لغير الله.

وإن مهمتنا هي أن نمد يد العون أو يد التقويم إلى أبناء هذه الأمة، وإلى من عداهم من البشر لنقيلهم من عثرتهم ونردهم إلى خالقهم وفاطرهم، ونعلمهم كيف يكونون عبيداً لله وحده.

وهذا يتطلب منا أن نقف على طريق الدعوة حداة وهداة إلى الحق، فمن آمن واستقام فيها ونعمت، ومن أبى واستكبر وقفنا له محتسبين أو مجاهدين على طريق التقويم والردع...

فإما أن يقبل البشر أن يعودوا طائعين لفطرتهم ويعبدوا ربهم وإلههم الحق، وإما أن يتنحوا بعقائدهم الضالة ومناهجهم الكافرة ويدعوا الأرض وحكم الأرض لمن يقوم بأمره من أهل هذا الدين الذين يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً.. ولكننا لا ندعهم يشركون بالله ثم يفرضون هذا الشرك تشريعاً ومنهجاً وحكماً وديناً على الأرض والخلق. غير أن ضعفهم وتشتتهم قد حال بينهم وبين الدفاع عن

خلافاتهم فصرخوا وهم يرونها تنهار، صرخوا وهم يلمحون ويستشعرون المستقبل البائس الذي ينتظرهم بعد ضياع دولتهم وزوال عزهم، وتحركت دموعهم وأقلامهم في وداع الخلافة تبكيها وترثيها:

يا أخت أندلس عليك السلام هوت الخلافة عنك والاسلام
طوي الهلال عن السماء فليتها طويت وعمَّ العالمين ظلام

وانفتح الباب على مصراعيه أمام الأعداء الذين تكالبوا علينا من كل حدب وصوب، يغلي في صدورهم حقد ألف وثلاثمائة وأربعين عاماً، تداعوا علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وراحوا يقطعون أواصر الأمة الاسلامية ويقسمون بلدانها وأهلها بينهم غنيمة باردة وتحتل كل ديارنا إلا النزر اليسير.. ويصاحب هذا الغزو العسكري، غزو آخر لا يقل عنه ضراوة ولا خسة، غزو فكري منظم وشرس، وراحت ذئاب البشر من كل دين وملة كافرة، تضرب مخالبها وتغرسها في صدور أمتنا لتنتزع قلبها وتمزقه بأنيابها... وسقطت أجيال متتابعة من أمتنا فريسة لهذا الغزو الفكري، وانطلقت الدعاوى الهدامة والماجنة تحاصرنا في كل مكان، في نفس الوقت الذي يكمم فيه دعاة الاسلام وتحاصر دعوته... وتمزقت عقلية أجيال متتابعة من شباب أمتنا ومسخت أفكارها واهتزت عقائدهم... وانسلخ عن دينه منهم من انسلخ وبقي من بقي مستمسكاً بأصل دينه متخلياً عن كافة قيمه وسلوكياته ومبادئه.

وتجلى الغزو الفكري في صورة حرب عقائدية وفكرية شنت بلا هوادة، تروج للعلمانية بين أبناء المسلمين، في أي صورة وتحت أي دعوة قومية كانت أو وطنية... اشتراكية كانت أو رأسمالية... وراحت دعاوى المجون والسفور والتحرر والفجور تخلع عن الشباب طهر الاسلام وعفته وعصمته، لتلطخه بوحل الجاهلية وتلقيه في حمأة الشهوة. وتسخر أجهزة الاعلام والتثقيف والتعليم والتوجيه في سبيل شن هذه الحرب يساندها في ذلك منظمات وهيئات يديرها اليهود والنصارى وتحميها الدول والجيوش.

كان الغزو العسكري مستهدفاً الخلافة كنظام سياسي يجمع المسلمين.. ولقد نجح في إسقاطها.

وكان الغزو الفكري مستهدفاً الإسلام في عقول أبنائه.. ولقد نجح - إلى حد كبير - في مسخه في عقولهم وتشويهه.

لقد عرف الأعداء أن ازاحة الخلافة عن مسرح الحياة السياسية لأمتنا لا يكفي للقضاء على هذه الأمة، ولا يضمن بأنها لن تقوم وتعود من جديد لتسترد مجدها، طالما بقي الاسلام بمفهومه الشامل مستقراً في قلوب وعقول أبناء هذه الأمة. لأن هذا المفهوم سرعان ما يدفع المؤمنين به ليعيدوا بسواعدهم خلافتهم. لقد جرّب الأعداء هذا أكثر من مرة، كلما اجتاحت جيوشهم دولة الخلافة وأسقطتها، كلما قامت وانتصبت وعادت للحياة... وليس أدل على ذلك من تنقل عاصمة الخلافة بين الحجاز والشام والعراق ومصر وتركيا. ووعى الأعداء الدرس وأرادوا انتهاز الفرصة هذه المرة للقضاء على هذا المفهوم الشامل للإسلام، أرادوا محوه من عقول المسلمين حتى إذا ما سقطت الخلافة هذه المرة، لم يتحرك لإعادتها أحد، لزوال المحرك الذي كان يحرك ويدفع المسلمين لإعادتها.

ومن أجل ذلك طرحت (العلمانية) وتم الترويج لها بين أبناء هذه الأمة لتتخذ ديناً.

اقامة خلافة على نهج النبوة

(الخلافة) هذا الهدف العظيم الضائع بين جهل المسلمين وتجاهلهم... أما العامة فإنها يجهلون أن هناك هدفاً ينبغي السعي لتحقيقه اسمه (الخلافة) ويظنون أنها حقبة تاريخية من عمر هذه الأمة قد مضت، وانقضى منذ أمد أجلها ولن تبعث من موتها إلى يوم النشور!! وأما العاملون للإسلام فإنهم يتجاهلونها أو يقصرون في حقها.

وتقدمنا نحن نحوها يحدونا الشوق ويدفعنا الشرع... يحدونا الشوق لإعادة دولة المسلمين وكيانهم السياسي الذي امتد عمره ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وألقى ظلال عدله على معظم اليابسة من الصين شرقاً إلى الأطلنطي غرباً ومن وسط أوربا شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً.. ويدفعنا الشرع لإعادة خلافتنا ونصب خليفتنا... فلقد أجمعت الأمة قاطبة على وجوب نصب خليفة يقوم بأمر المسلمين واتفق مع أهل السنة في ذلك الخوارج والشيعة والمرجئة وغيرهم من الفرق.

تقدمنا نحوها ونحن نسمع مقولات المنافقين والذين في قلوبهم مرض «غر هؤلاء دينهم» فنجيبهم: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾[٤٠].

تقدمنا نحوها ونحن نعلم أنه على قدر روعة النصر الذي نطلبه، لا بد أن يكون حجم العطاء الذي نقدمه... ونحن لا نرضى إلا بخلافة على نهج النبوة ترث خلافتنا الأولى، وتحكم أرض الله بشرع الله بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الاسلام وأهله وذلاً يذل الله به الكفر وأهله. فليكن عطاؤنا وبذلنا على هذا المستوى.. فلتتدفق دماؤنا تغطي كل شبر من الأرض نطمع في أن ينضوي تحت سلطان خلافتنا. فلنبذل ولنعط ولنضحي ولنقدم كما بذلت الأجيال الأولى من أمتنا وضحت وأعطت وقدمت ولم تبخل على الخلافة التي حكمت بالعدل ردحاً طويلاً من الزمان غالبية الخلق في عصرها.. وتنقلت عاصمتها بين المدينة والكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة واستانبول.

نعم عانت الخلافة من فترات ضعف ووهن تسبب فيها تقصير أبنائها وتجاوز حكامها.. تارة.. وتسبب فيه كيد أعدائها من الخارج ودسائسهم في الداخل تارات.. غير أنها ظلت حارسة للدين مدافعة عن حرماته حامية لدياره وأهله، فكم تعرضت لهجمات شرسة غادرة تريد استئصالها بدءاً من حرب قريش لدولة الاسلام بالمدينة.. ومروراً بتكالب أهل الردة على المدينة ثم حرب الصليبيين من أهل الغرب ثم التتار من الشرق، وانتهاء بالحرب الغادرة التي أعلنها الحلف الشيطاني الذي تكون من عباد الصليب واخوان القردة والخنازير من اليهود والعلمانيين المرتدين من أمثال أتاتورك... وتحرك الشيطان ونجح في أن يجمع قواه ويوجه ضربته للخلافة.. سقطت الخلافة صاحبة الألف والثلثمائة والأربعين عاماً.. سقطت في تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٢٤ ووقف المسلمون تعتريهم الدهشة وهم يرون الكارثة، واستشعروا فداحة الخطب. لقد فرض الغرب علينا (العلمانية) كدين، ولكي تمثل بديلاً جديداً يحل محل الإسلام.. ولتكون هي البديل العقائدي الفكري الذي تقوم عليه الدويلات والسلطنات التي حلت محل الخلافة، بدلاً من الاسلام الذي كانت تقوم عليه الخلافة.

والعلمانية ـ كما هو معلوم ـ تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وإلى تنحيته عن التشريع والحكم والسياسة، فتحصره في المسجد، وتطلق ألسنة دعاته بالمواعظ والرقائق، وتسمح له بأن يمارس كشعائر وعبادات، وتستضيفه زينة في الموالد والأعياد والاحتفالات... أما التوجيه والقيادة والحكم والسياسة فإياه ثم إياه أن يفكر في الاقتراب منها.. فهذه للبشر.. هذه للحكام العلمانيين.

فالعلمانية دين جديد أريد له أن يحل محل الاسلام، ولكن لا بأس من أن يعطي هذا الدين المحراب للإسلام... المحراب وكفى.. هكذا ينص الدين الجديد.

وهكذا مضت العلمانية تصوّر لنا الدولة على أنها مقاسمة للدين في الحياة الدنيا، تأخذ هي الحكم والقيادة ويقبع هو في المحراب. وكلاهما ـ الدولة والدين ـ لا يتدخل في شئون الآخر.

وكم من المسلمين اعتنق هذا الدين الجديد!!

وكم من الحكومات اعتنقت هذه العقيدة الجديدة وقامت على أساسها!!

وعشنا وعاشت بلادنا ترزح تحت وطأة العلمانية كعقيدة وفكر... نظام وحكم. علمانية في التشريع والحكم... علمانية في القضاء... علمانية في التعليم والاعلام. علمانية تبثها أجهزة التثقيف والتوجيه... علمانية بغيضة دست علينا، وغرست قسراً في تربتنا فأنبتت هذه الأنظمة الجاهلية الكافرة التي تستبدل بشرع الله شرع الشيطان، وتدين بالولاء لشرق أو غرب بدلاً من أن ترفع صوتها بقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾[٤١]. تنادي بالاشتراكية أو الليبرالية بدلاً من الاستجابة لقول الحق: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾[٤٢]. تنعق بالقومية أو الشعوبية بدلاً من قول الحق جل وعلا: ﴿انما المؤمنون أخوة﴾[٤٣]، تبيع للأعداء الأرض والعرض بدلاً من أن ترفع عقيرتها: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[٤٤]، تزيح الاسلام وتسخر من أحكامه وتحارب دعاته وتقتل أبناءه وتضيع حدوده، تحل الحرام وتحرم الحلال. تمحق الدين وتفسد الدنيا.

إن حكم الاسلام في هذه الأنظمة والحكومات واضح وصريح: إنها كافرة وجاهلية، انها ساقطة

الشرعية، لا يجوز لها أن توجد فضلاً عن أن تستقر أو تستمر، يجب ازالتها. وقد آن لها أن تذهب وتعود من حيث أتت وتمضي غير مأسوف عليها، لترجع لنا خلافتنا التي آن لها أن تعود لتسترد مكانتها وأراضيها وأهلها وذويها الذين انتزعت منهم وانتزعوا منها... تعود لتقيم الدين وتحرسه وتسوس الدنيا به.

وهذا هدفنا الذي علينا أن نقوم لأجله.. علينا أن نقوم ونقول ها نحن قد عدنا.. ها نحن أحفاد محمد ﷺ قد عدنا وأبينا إلا أن نعيد خلافتنا... ولئن كان كيد الأعداء ومكرهم قد استمر واتصل ثلاثة عشر قرناً من الزمان بدءاً من هجرة نبينا ﷺ حتى اسقاط الخلافة العثمانية، فإن سعينا وجهادنا سيستمر ويتواصل ـ إن شاء الله تعالى ـ حتى نسترد ما ضاع ونعيد دولتنا وخلافتنا... ولسنا سواء... نألم كما يألمون غير أنا نرجو من الله ما لا يرجون. لسنا سواء... قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.

وخلافتنا التي نعمل لإقامتها لا مجال لمقارنتها بأي نظام سياسي وضعي مما عرفته البشرية... فالأسس التي تقوم عليها خلافتنا هي:

ـ إن المشرع هو الله عز وجل والرسول ﷺ مبلغ عن ربه.

ـ حق التشريع غير ممنوح لأحد لا للخليفة ولا لأهل مشورته، ولا لبرلمان ولا لحزب ولا لمجموع الأمة، بل هو خالص حق الله تعالى. أما الاجتهاد لمعرفة حكم الله في ما يعرض من وقائع وفيما يجد من نوازل وقضايا فهذا ليس تشريعاً بل هو البحث عن حكم الله في هذه الواقعة بالطريق الذي شرعه الله لذلك: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[٤٥]. وهذا موكول بأهله من العلماء وهم بذلك لا يشرعون للأمة بل يستنبطون للأمة حكم الله في هذه الوقائع، ويجتهدون في ذلك ملتزمين في اجتهادهم بالشرع وقواعده وحدوده وضوابطه وقيوده لا يحيدون عن ذلك قيد أنملة.

وخلافتنا لا تقدم بين يدي الله ورسوله لا بقول ولا بفعل ولا بأمر ولا بنهي ولا بتشريع، ولا ترفع صوتها فوق صوت النبي في شيء من ذلك أبداً.

وخلافتنا ترد الأمر كله لله ولرسوله، وترد أي نزاع لله ولرسوله: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾[٤٦]، ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[٤٧].

وخلافتنا تقيم الاسلام في رعاياها وفوق أراضيها في الصغير والكبير من الأمور، وكذلك يحدد الاسلام لها علاقاتها بمن حولها سلماً وحرباً معاهدة وصلحاً.

الخليفة ما هو الا منفذ لأمر الله ورسوله، مهمته حفظ الدين وحراسته ونشره وسياسة الدنيا بالدين.. وقال الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا».

والشورى من سمات حكمه[٤٨]: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[٤٩].

والعدل كذلك من سمات حكمه: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[٥٠]، والعدل هو ما أمر الله به ورسوله فإن وجد الحكم بالنص عليه في الكتاب أو السنة، وإلا اجتهد في معرفة حكم الله فيه. لذا اشترط الفقهاء (العلم) كشرط معتبر عند اختيار الخليفة، كي يتمكن من الاجتهاد بالنظر في الأدلة لمعرفة حكم الله فيما يطرأ ويجد من قضايا ونوازل.

وخلافتنا هي الحل الأوحد والأمثل ـ أيضاً ـ لكل ما تعانيه البشرية اليوم من صور رهيبة للظلم والفقر... ولكل ما نراه في العالم من تناقضات مذهلة.. إن خمس سكان العالم يستعبدون بقية البشر ويستذلونهم في سبيل تحقيق ثرائهم وتحصيل قوى البطش والارهاب، أن الأنظمة الحاكمة والنظريات السائدة في المجتمعات التي يسمونها بالمتقدمة المتحضرة عجزت عن إثراء دولها واغنائها، وتدعيم قوتها إلا بإفناء وإذلال واستعباد بقية بلدان وشعوب الأرض.. إن الواقع يؤكد فشل كل الأنظمة الحاكمة المهيمنة في أكثر الدول تقدماً ورخاء وقوة، عن ايجاد اطار سياسي ومنهج عقائدي وفكري يستطيع أن يظلل العالم بأسره، محققاً لكافة شعوبه الرخاء، مقيماً في كافة أنحائه العدل. بل إنهم يقيمون الظلم ويحققون الفقر لكل شعوب الأرض في مقابل رخاء وقوة دولتهم.

بينما استطاعت الخلافة يوم أن كانت قائمة حاكمة، أن تحقق العدل والرخاء فوق أراضيها التي تجاوزت نصف اليابسة المعروفة وقتها، دون ظلم لأحد.

إن السنن الحاكمة لهذا الكون لتقف حجر عثرة في وجه أي نظام يحمل منهجاً غير منهج هذا الدين.. إن هذه السنن الكونية تمنع أي نظام وضعي أن يحقق الرخاء ويقيم العدل فوق الأرض كلها.. بينما تعطي هذا للنظام السياسي الاسلامي الذي يحكم ويطبق شريعة الرحمن.

لذا كانت الخلافة هي النظام السياسي الأوحد الذي بإمكانه أن ينضوي تحت لوائه كل شعوب الأرض، باسطاً نفوذه على كل بقاعها محققاً العدل والرخاء والأمن.

هذه هي خلافتنا التي سقطت منذ ستين عاماً فقط، والتي نسعى اليوم لإعادتها كهدف لنا بجوار هدفنا الآخر (تعبيد الناس لربهم) امتثالاً لأمر المولى عز وجل: ﴿ان أقيموا الدين﴾.

سوف لا يصدقنا الكثيرون عندما نقول إن خلافتنا ستعود ولا شك في ذلك وستعود لتحكم الأرض كلها... وسوف يظن الكثيرون أن هذا حلم بعيد المنال مستحيل الوقوع، ولكننا لا نأبه بذلك فقد بلّغنا نبينا. وعد صادق لا يكذب: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»، وقال ﷺ: «تكون نبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي، ثم يكون ملكاً عضوضاً ما شاء الله له أن يكون ثم ينقضي ثم تكون جبرية ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمّ الأرض».

وطرق انعقاد الخلافة ثلاثة:

أ ـ **الاستخلاف**، إما بأن يستخلف الخليفة رجلاً بعده أو يستخلف جماعة تختار من بينها الخليفة الجديد.

ب ـ **بيعة أهل الحل والعقد** لرجل تتوافر فيه شروط الخليفة.

ج ـ **الاستيلاء**، أو ما يسمى بإمارة المتغلب.

وتفصيل ذلك مبسوط في كتب الفقه والسياسة الشرعية.

أما شروط الخليفة فسبعة ذكرها الماوردي:

١ـ العدالة على شروطها الجامعة.

٢ـ العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل.

٣ـ سلامة الحواس وهي السمع والبصر واللسان.

٤ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة.

٥ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

٦ـ الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

٧ـ النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه[٥١].

وطاعة الخليفة واجبة وهي من طاعة الله ورسوله، فتجب طاعته في كل أوامره ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية وجبت مخالفته وحرمت طاعته في هذا الأمر.

فإذا ظلم الخليفة أو فسق لم يجب الخروج عليه لخلعه، لكن إذا تتابع منه ذلك فيجوز إن كانت مفسدة خلعه أقل من المفسدة المترتبة على الإبقاء عليه مع ما هو عليه من ظلم أو فسق، وهذا محل نقاش وخلاف طويل بين علماء أمتنا.

أما إذا طرأ على الخليفة ـ والعياذ بالله ـ كفر بعد انعقاد بيعته، فيجب عزله وخلعه لنصب امام مسلم عادل... وإن أدى الأمر إلى نصب القتال لخلعه.

والخليفة ما دام قائماً بواجباته يظل في ولايته حتى الموت أو العجز أو الاستقالة.

فدولة الخلافة هي الترجمة الصحيحة للإسلام، هي الكيان السياسي الأوحد الذي يتجسد فيه الاسلام شاملاً، وتقوم من خلاله شريعة الرحمن كاملة.

والاسلام ـ كما قدمنا ـ هو الذي أوجب قيامها لحراسة الدين وسياسة الدنيا... وهو الذي حدّد لها غايتها وعقيدتها وشريعتها... وليس لبشر أياً كان أن يغير شيئاً من ذلك.. وإلا صارت ملكاً جبرياً جاهلياً يجب ازالته.

وخلافتنا هي الحل الأوحد والأمثل لما يعانيه المسلمون الآن من مشاكل ومصاعب وما يواجهونه من فتن ومعضلات... وهي الحل للتخلف الاقتصادي الذي نحياه والذي أورثنا تبعية اقتصادية أدت بدورها إلى تبعية سياسية ذليلة لشرق ملحد أو غرب كافر... هي الحل للتخلف العلمي الذي تعانيه الدولة المسماة بالإسلامية، هل الحل للضعف والوهن العسكري الذي يوقفنا عاجزين عن حفظ ديارنا وأعراضنا ومقدساتنا... هي الحل للظلم المتفشي بين الخلق.. هي الحل للزيغ العقائدي المستشري بين أبناء الأمة.. هي الحل للتردي الخلقي الذي سقطت فيه مجتمعاتنا... هي الحل للامبالاة والانهزامية التي تحيا فيها النفوس اليوم.

وصدق رسول الله ﷺ.. ونحن نردد معه: «ثم تكون خلافة راشدة على منهج النبوة تعم الأرض».

هوامش الوثيقة السادسة

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(٢) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٥٥.
(٣) تمثل هذه المبادىء التسعة المحاور الأساسية «لميثاق العمل الاسلامي» ولقد قامت الوثيقة (وثيقة ميثاق العمل الاسلامي) بتفصيل كل محور على حدة وبتوسع، والمذكور أعلاه هو مقدمة الوثيقة. (معد الوثائق).
(٤) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ١٠٢.
(٥) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ١.
(٦) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب،» الآية ٧٠.
(٧) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٥٥.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) المصدر نفسه، «سورة الحج،» الآية ٤٠.
(١٠) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ٧٩.
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(١٣) لقد آثرنا اختيار أهم ما في (ميثاق العمل الاسلامي) الذي أصدرته الجماعة الاسلامية وهو البند الرابع من الميثاق (بند الأهداف) وتركنا باقي البنود لطولها وتكرارها أيضاً ترى ما هي أهداف هذه الجماعة؟
(١٤) **القرآن الكريم**، «سورة الروم،» الآية ٤ ـ ٦.
(١٥) المصدر نفسه، «سورة الدخان،» الآية ٣٨.
(١٦) المصدر نفسه، «سورة المؤمنون،» الآية ١١٥ ـ ١١٦
(١٧) المصدر نفسه، «سورة الذاريات،» الآية ٥٦.
(١٨) **رواه مسلم**.
(١٩) **القرآن الكريم**، «سورة المؤمنون،» الآية ٢٣.
(٢٠) المصدر نفسه، «سورة العنكبوت،» الآية ١٦.
(٢١) المصدر نفسه، «سورة هود،» الآية ٥٠.
(٢٢) المصدر نفسه، «سورة هود،» الآية ٦١.
(٢٣) المصدر نفسه، «سورة هود،» الآية ٨٤.
(٢٤) المصدر نفسه، «سورة مريم،» الآية ٣٦.
(٢٥) المصدر نفسه، «سورة النحل،» الآية ٣٦.
(٢٦) المصدر نفسه، «سورة الفرقان،» الآية ٣.
(٢٧) المصدر نفسه، «سورة الجاثية،» الآية ٢٣.
(٢٨) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٣١.
(٢٩) المصدر نفسه، «سورة يوسف،» الآية ٣٩.
(٣٠) المصدر نفسه، «سورة الحج،» الآية ٧٣ ـ ٧٤.
(٣١) المصدر نفسه، «سورة الزمر»، الآية ٢٩.
(٣٢) المصدر نفسه، «سورة يس،» الآية ٧٤ ـ ٧٥.
(٣٣) المصدر نفسه، «سورة مريم،» الآية ٨١ ـ ٨٢.
(٣٤) المصدر نفسه، «سورة الاسراء،» الآية ٢٢.
(٣٥) المصدر نفسه، «سورة الاسراء،» الآية ٣٩.
(٣٦) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ١٣١.
(٣٧) المصدر نفسه، «سورة الزمر،» الآية ٢٩.
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) المصدر نفسه، «سورة الأنبياء،» الآية ٢٢.
(٤٠) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٤٩.

(٤١) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٥٥.
(٤٢) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٤٩.
(٤٣) المصدر نفسه، «سورة الحجرات،» الآية ١٠.
(٤٤) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.
(٤٥) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ٨٣.
(٤٦) المصدر نفسه، «سورة الشورى،» الآية ١٠.
(٤٧) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ٥٩.
(٤٨) والشورى ليست هي الديمقراطية كما يزعم الجاهلون بالشرع. فالديمقراطية هي حكم الشعب بالشعب كما يقولون في تعريفها. فهي تعطي الشعب الحق في أن يحكم نفسه بما يهوى. والإسلام لا يعرف هذا بل يقرر أن المؤمنين لا بد وأن ينزلوا على حكم الله ورسوله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾. (وهذا التوضيح من لدن واضعي الوثيقة) (وثيقة ميثاق العمل الاسلامي).
(٤٩) **القرآن الكريم**، «سورة الشورى،» الآية ٣٨.
(٥٠) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ٥٨.
(٥١) إن الشرط السابع لخليفة المسلمين، يثير لدى المهتمين بالفكر والحركة الاسلامية المعاصرة العديد من علامات الاستفهام والدهشة حول كيفية إثبات النسب إلى قريش اليوم (معد الوثائق).

الوثيقة السابعة

«أمريكا ومصر والحركة الاسلامية»(*)

إصدار: فرع تنظيم الجهاد بقيادة/ سالم الرحّال

(أحد أفرع تنظيم الجهاد)

أوائل الثمانينات

مقدمة

منذ أن أشرقت شمس الإسلام على البشرية بعد طول غياب، ورسول السلام ﷺ ومن تبعه من المؤمنين به الداعين إلى ما جاء به، العاملين منهجه والمتبعين سنته... منذ ذلك الحين وهم يحتملون في سبيل هذه الدعوة كل عنت وصلف بل التعذيب والتقتيل... ذلك لأنها السنة الكونية التي ارتضاها رب العباد سبحانه وتعالى... الصراع بين الحق والباطل بين الظلمات والنور، بين من ارتضوا حياة الانسانية ورفعتها ومن ارتضوا الحياة البهيمية وهبوطها، ذلك لأنه منهج الحق الذي يرفض الالتقاء مع غيره في منتصف الطريق.

ومنذ اللحظة الأولى التي باشر فيها نبينا ﷺ الدعوة عرف هذه بل من قبل أن يباشر الدعوة: «ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلا عودي»، كلمات ابتدأ بها ابن نوفل حديثه مع رسول الله ﷺ ليضع أمامه حقيقة ما هو مقبل عليه وحقيقة أعداء ما يحمل من دعوة الحق..

هذه الحقيقة لا بد أن تتضح في أذهان الجماعة المسلمة اليوم، كما اتضحت في أذهان الجماعة المسلمة الأولى.. لا بد أن تتضح حتى يأخذوا الطريق عدته وحتى لا تقعدهم الصعاب إذا ما وجدوها وهم غير متوقعين اياها.

لذا جاءت كلمات العباس بن عبادة توضح لأهل المدينة الذين آمنوا بالرسول ﷺ وقبلوا مهمة إيوائه ونصرة دينه. جاءت هذه الكلمات لتوضح المعالم بكلمة قصيرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض: «انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس».

وبنفس الوضوح يجب أن يتضح في أذهان أبناء الحركة الاسلامية اليوم حجم المواجهة وطبيعتها.. هم يواجهون اليوم الأحمر والأسود والأصفر من الناس.. يواجهون الأرض قاطبة.. يواجهون أعداء الله، أعداء الفضيلة، أنصار الشيطان... أنصار الباطل... أنصار الرذيلة... هم يواجهون أعداء تخلوا من كل خلق، ليس لهم إلا القوة تردهم وتكبح جماحهم.. هم يواجهون الصليبية العالمية والشيوعية العالمية والصهيونية العالمية وعملاءهم من العلمانيين وأعوانهم وأذنابهم في كل مكان.

والحركة الاسلامية اليوم ليس لها من ركن تأوي إليه إلّا الله تبارك وتعالى، وليس لها من قوة سوى سواعد أبنائها، وليس لها من درع سوى صدورهم. لذلك وجب على الجماعة المسلمة اليوم أن تعرف أعداءها جيداً وأن تخضعهم للدراسة الدقيقة الفاحصة لتعرف مكامن قوتهم فتواجهها، وتعرف مكامن ضعفهم فتنفذ منها..

(*) جدير بالذكر أن قيادة هذا الفرع لتنظيم الجهاد كانت حتى عام ١٩٨١ لكمال السعيد حبيب وهو يقضي حالياً عقوبة السجن لعشر سنوات على ذمة قضية تنظيم الجهاد والتخطيط لاغتيال السادات، وهو خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية دفعة ١٩٧٩، ولقد خلف محمد سالم الرحال أمير تنظيم الجهاد فرع الهرم (بعد ترحيل/ سالم الرحال إلى الأردن عام ١٩٨٠) في قيادة هذا التنظيم» والذي مثل بدوره أحد الفروع الثلاثة لتنظيم الجهاد الأم الذي قاده/ محمد عبد السلام فرج عام ١٩٨١ واغتال من خلاله السادات.

ولا يصح أن يهتم أعداء الله بالحركة الاسلامية في كل شئونها على ضعفها وقوتهم... ويهملون هم معرفة أعدائهم، معرفة تنير لهم الطريق والمواجهة، وتكون عندما يحمى الوطيس عينهم ودليلهم نحو الظفر والنصر.

ومن هنا وجبت دراسة مكامن القوة والضعف ليس بالنسبة لأعداء الداخل فحسب، بل أيضاً بالنسبة لأعداء الخارج، فهم المدد وهم المحرك، وأعداء الداخل هم الأذناب أو قطع شطرنج متحركة... دراسة غرضها تحديد أولويات المواجهة وخطتها التفصيلية على كل المحاور الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاعلامية...

ومن خلال هذا الفهم ينبغي ضرورة دراسة ومعرفة حجم الأعداء قدر الجهد والوقوف على أساليبهم وخططهم. من خلال هذا كله جاءت هذه الدراسة عن الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن لماذا تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية في أولويتنا في الدراسة؟

كان لزاماً أن تتقدم الولايات المتحدة الأمريكية في أولويتنا ونحن نرصد ظواهر عدة أولها وأهمها: التحالف الاستراتيجي المعقود بين مصر والولايات المتحدة.. هذا التحالف الذي فقدت مصر من خلاله استقلالها السياسي والاقتصادي والعسكري... فأصبحت المواقف السياسية المصرية تراعي الموقف السياسي الأمريكي.

ويكفي أن مصر كانت الدولة العربية الوحيدة التي لم تدين العدوان الأمريكي على ليبيا في خليج سرت عام ١٩٨٧.

ولقد أصبحت مصر بمقتضى اعتمادها اقتصادياً على المعونات والقروض الأمريكية مهددة بالإفلاس في ظل شهور قريبة.

أما بالنسبة للعسكرية المصرية فقد تحولت مصر في ظل سياسة التسليح والتدريب المعتمدة على أمريكا... تحولت من قوة ضاربة في منطقة الشرق الأوسط تعادل قوة اسرائيل وتفوقها أحياناً إلى قوة من الدرجة الثالثة أو الرابعة في المنطقة.

والسبب الثاني: هو التحالف الاستراتيجي المعقود بين الولايات المتحدة واسرائيل (الدولة المجاورة لمصر)، والتي أرغمت مصر ـ من خلال هذا التحالف المزدوج للولايات المتحدة الأمريكية ـ على توقيع معاهدة الاستسلام مع اسرائيل المسماة معاهدة كامب ديفيد (معسكر داؤد) والتي نزع بموجبها سلاح سيناء الفعال.

أما **السبب الثالث**: فهو عربدة الولايات المتحدة الأمريكية ورعونتها العسكرية، واستعراض عضلات قوتها في العالم كله براً وبحراً وجواً... فمنذ قنبلتي هيروشيما وناجازاكي في منتصف الأربعينات وهي تمارس دور المهيمن والمسيطر على مقدرات العالم.. بل يظن رؤساؤها أن مجرد مخالفة طريقة تفكيرهم تستوجب عزل هؤلاء الرؤساء الذين يجرؤون على ذلك، وعندها تكون الانقلابات المدبرة ودعم المتمردين، أو حتى التدخل المباشر، وليست أحداث فيتنام وجزيرة جرينادا عنا ببعيدة. لهذه الظواهر وغيرها كان لا بد من هذه الدراسة بهدف اخضاع الدور الأمريكي لدراسة دقيقة، نهدف من ورائها إلى معرفة أثر هذا الدور على الغد والحاضر الذي نطمع بعون الله تعالى أن يكون للحركة الاسلامية. وسوف نستعرض في هذه الدراسة ما يلي:

الجزء الأول

الأبعاد التي تحدد الموقف الأمريكي من الحركة الاسلامية، وسنركز على بعدين:

(١) الحقد الصليبي الكامن ضد الاسلام.

(٢) المصالح الأمريكية في العالم الاسلامي.

ونذكر في هذا البعد:

(١) المصالح الأمريكية في العالم الاسلامي بصفة عامة.

(٢) المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بخاصة.. ونستعرض من خلالها اسرائيل ودورها في المنطقة.

الجزء الثاني

معد في الاستراتيجية الأمريكية ونستعرض فيه ما يلي:

(١) ماذا تمثل مصر بالنسبة للاستراتيجية الأمريكية.

(٢) نظرة أمريكا لمصر.

(٣) التغلغل الأمريكي بمصر في المجالين الاقتصادي والعسكري.

(٤) مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية.

الجزء الثالث

الموقف الأمريكي من الحركات الاسلامية، ونستعرض فيه:

(١) موقف الولايات المتحدة من هذه الحركات كمحصلة لما عرض في الجزئين السابقين.

(٢) ما يجب على الحركة الاسلامية القيام به في مواجهة هذا الموقف. ونتركك أخي القارىء لتتابع هذه الدراسة في السطور التالية[1]:

أمريكا

– تكونت جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار دستور ١٧٨٧ من ١٣ ولاية وصلت الآن إلى ٥٠ ولاية.

– تمتد لمسافة شاسعة من المحيط الاطلنطي إلى الهادي وتحدها كندا من الشمال والمكسيك من الجنوب، بالإضافة لارتباط بعض الجزر بالبحر الكاريبي والمحيط الهادي بها مثل بورتوريكو وجوام وهاواي.

– تبلغ مساحتها ٩,٩٧٦ كم ويبلغ عدد سكانها ما يقارب ٢٣٠ مليون نسمة (حسب احصاء ١٩٨١).

– تمتلك قدرات اقتصادية ضخمة وامكانيات وموارد طبيعية هائلة، وتقدم صناعي وتكنولوجي مذهل دفع بها لتعتبر إحدى القوتين العظميين في العالم عقب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥، حيث خرجت من عزلتها الاختيارية وبدأت قيادة العالم الرأسمالي والصليبي.

– عمدت لتكوين المجتمع الأمريكي باتباع النظام الرأسمالي في توجيه اقتصادها، والنظام الرئاسي في تشكيل الحياة السياسية في ظل السماح بالحياة الحزبية التي انحصرت في وجود حزبين كبيرين هما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي.

– عمدت لتكوين مجموعة من الأحلاف العسكرية مع الدولة المرتبطة بسياستها، وذلك لتحقيق استراتيجيتها والحفاظ على مصالحها في شتى أنحاء المعمورة. فتكون حلف شمال الأطلنطي بقيادتها بالاشتراك مع ١٣ دولة أوربية سنة ١٩٤٩، وحلف جنوب شرق آسيا سنة ١٩٥٤، والحلف المركزي سنة ١٩٥٥.

– في ظل رئاسة ريجان بدأت تمارس عربدة عسكرية تغذيها العقيدة الصليبية لإخضاع الأوضاع لرؤيتها في شتى أنحاء المعمورة.

– بالرغم من هذا كله فقد باءت سياستها في مواقع كثيرة بالفشل، ككوبا وفيتنام وأخيراً في لبنان وذلك عندما واجهت شعوباً لا تهاب الموت، ويرجو أبناؤها الشهادة في سبيل دينهم.

الموقف من الحركة الاسلامية

كثيرة تلك العوامل التي تؤثر على موقف البيت الأبيض الأمريكي من الحركة الاسلامية... ومن هذه العوامل:

١ـ انتماء دولة الولايات المتحدة الأمريكية للنصرانية الصليبية، وتبعيتها لطموحات الصليبيين وما تولد عن الصراع التاريخي بين الاسلام من جهة والصليبية العالمية من جهة أخرى من حقد على الاسلام

وأهله... فالحقد الصليبي هو المحرك الحقيقي والأساسي لكل المواقف الأمريكية تجاه الحركة الاسلامية، على الرغم من كونها دولة علمانية في حياتها اليومية وقوانينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

٢ـ المصالح الأمريكية في المنطقة، وقناعة الولايات المتحدة الأمريكية من أن تنامي قوة الحركة الاسلامية يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة بالخطر.

البعد الأول ـ الحقد الصليبي الكامل والموجه ضد الإسلام:

تعددت المواقف وكثرت الأجهزة التي ينكشف من خلالها هذا الحقد بحيث صار واقعاً ملموساً يراه كل ذي بصيرة ويدركه كل ذي لب.

فأولاً ـ على مستوى الصحافة والاعلام: تبنت كثير من الصحف الأمريكية وغيرها ومؤسسات الاعلام بها ـ على الرغم من علمانيتها ـ تبنت توجيه الطعنات إلى الاسلام كمنهج وعقيدة، وتمتلىء الصحف بتصريحات وتصريحات: «إن الشيوعية أفضل من الاسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء والتفاهم معها، أما الاسلام فلا التقاء معه ولا تفاهم إلا بلغة الحديد والنار» (صحيفة شيكاغو اليومية).

فإذا انتهينا من مطالعة الجرائد الأمريكية وأمسكنا بواحدة من الجرائد البريطانية **الصنداي تلغراف**، يطالعنا فيها مقال ليعبر عن موقف بقية دول العالم الحر فيكتب «بيرغارين ردرستين»:

«إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الاسلامية في الشرق الأوسط لن يفيدنا بشيء، وإذا لم نتجه إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكري يفوق عنفها الديني، فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين يجلبه على نفسه إذا استمر تهاوننا في مواجهة المسلمين المتطرفين». وكاتب يهودي «أشعيا بومان» يكتب:

«إن على أوربا أن تظل خائفة على مستقبلها من الاسلام، ذلك الدين الذي منذ أن ظهر في مكة لم يضعف من الناحية العددية، بل هو في ازدياد واتساع، ثم إن الاسلام ليس ديناً فحسب بل إن من أهم أركانه الجهاد، وهذا ما يجب أن تنتبه له أوربا جيداً». وهكذا اجتماع صليبي/ صهيوني حاقد حاسد، صمم على اجتثاث شأفة الاسلام... ولكن هيهات هيهات: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[٢]. وهذا الحقد الذي تنم عنه هذه الظواهر قد قطع الله به سبحانه وتعالى وحدث به عباده المؤمنين منذ أمد بعيد حين قال لرسوله ﷺ: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[٣]، ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾[٤].

هذا ما تصنعه أجهزة توعية الرأي العام وتثقيفه والمعبرة في نفس الوقت عن اتجاهاته وأفكاره.

ثانياً ـ على مستوى صناع القرار (رجال الادارة الأمريكية): فإنك تلمس وترى بوضوح تام هذا الحقد في تصريحات وتصرفات وقرارات هذا الجهاز.. ولا ندري كيف يتجاهل البعض هذه الحقيقة ولا يزال يصنف الصراع بين البلدان الاسلامية من جهة، وبين الغرب الصليبي من جهة أخرى، على أنه صراع مصالح وفقط وصراع نظم سياسية لا ايديولوجيات عقائدية. ولو أنهم وقفوا أمام هذه التصريحات بقليل من التأمل والتدبر لظهر لهم جلياً كيف أن هؤلاء ما زالوا يديرون حرباً عقائدية ضد الاسلام وان حاولوا إلباسها ثوباً آخر.

فلنذكر على سبيل المثال لا الحصر تصريحات رونالد ريجان أثناء حملته الانتخابية التي جاء فيها:

«سأقود حرباً صليبية جديدة».. ولعلك تمتعض ألماً عندما تعرف أن التلفاز المصري أذاع هذا التصريح بنصه في حينه.. بل إن ريجان يرفض فصل الدين عن الدولة حتى ان أحد الكتاب العلمانيين ـ محمد حسنين هيكل ـ يذكر:

إن ريجان نجح في أن يصبغ أمريكا بصبغة عقائدية شبه صليبية، وليست هذه مواقف مزاجية طارئة، بل هي مشاعر وأحاسيس صليبية تربط بين المؤسسة الحاكمة في واشنطن منذ أمد بعيد فلم ننس بعد تصريحاً لـ «أوريجين روستو» مستشار الرئيس الأمريكي جونسون عام ١٩٦٧ جاء فيه: «لقد كان

الصراع محتدماً بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هـذه اللحظة، ومنـذ قرن ونصف خضع الاسلام لسيطرة الغرب، وخضع للتراث المسيحي».. ثم قال: «ولا تستطيع أمـريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للاسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنهـا إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها».

ليس هذا فحسب بل إن «جان فوستر دالاس» وزير خارجية أمـريكا في الخمسينـات كان مبشـراً في السياسة العالمية ـ هذا ما جاء على لسان ايدن رئيس وزراء بريطانيـا المعاصر لـه ـ فضلاً عن كـونه ابن قسيس، بالإضافة إلى رئاسته لجلسة تأسيس مجلس الكنائس العـالمي.. يقول دالاس الـذي هذا وصفـه وتعريفه.. يقول: «أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أننا نبشر بالحضارة الغربية».

بقي أن نقول إن ما ذكره من تصريحات ومواقف للادارة الأمـريكية والتي تعكس حقـدهم الصليبي ليس إلا قطرة من سيل.

ثالثاً ـ على صعيد الشعب الأمريكي نفسه: لقد تربى الشعب الأمريكي تربية حاقدة على الاسـلام وأهله منذ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، فهو ينحدر من أصول انجليزية واسبانية وفرنسية... ولقد قطعت هذه الدول الثلاث فترة كبيرة من الزمن في صراعاتها مع الدولة الاسـلامية قبـل سقوطهـا... وبعد أن تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية العالم وسقطت الدولة المسلمـة، كان طبيعيـاً أن يتبنى شعب هذه الدولة القضايا الصليبية ويدعمها.. ساعد في ذلك الأكثرية الكثيرة للوجود السكـاني الذي ينتمي إلى الديانة النصرانية... فحسب تعداد ١٩٥٠ كان التوزيع السكاني على النحو التالي:

٤٥ مليـون بروتستـانت، ٢٠ مليون كـاثوليـك، ٤,٥ مليون يهـود، $\frac{1}{2}$ مليون أرثـوذكس، ٧٠ مليون ديانات أخرى متفرقة.

ومن أهم الأمثلة التي تعكس حقد وكراهية الشعب الأمـريكي بصفة عـامة لـلإسلام.. وقـوفه خلف الادارة الأمريكية مباركاً ومؤيداً خطواتها في حربها على الاسلام وأهله، بالاضافـة إلى مناصرتهم لقضـايا الأقليات النصرانية في البلاد الاسلامية، والعمل على وضع مقاليد حكم البلاد الاسلامية في أيديهم.

ولو تركنا الموقف الأمريكي في لبنان واسرائيـل وتأييـد الشعب الأمريكي لادارتـه في هذه المـواقف.. ورصدنا ظاهرة التعـاطف الشعبي الأمريكي مـع الأقلية القبطيـة الأرثوذكسيـة في مصر، وموقف الادارة الأمريكية نفسها لزاد يقيننا بتواجد هذا الحقد وبصماته على السياسة الأمريكية.

فمع أن مصر دولة حليفة لأمريكا إلا أن أمريكا لم تراع ذلك شعباً وحكـومة عنـد معالجتهـا لقضية الأقلية القبطية في مصر.. فهذه الأقلية لها في الولايات المتحدة حزب معترف به في أمريكا محظوراً في مصر يسمى (حزب مصر القبطي للدفاع عن أقباط مصر)، ويصدر مجلة اسمها مجلة السلام لتعبر عن مفاهيمه وقيمه...

بل لقد استقبل بطريرك الارثوذكس في مصر الأنبا شنودة الثالث استقبالاً حافلاً عند زيارته للولايات المتحدة الأمريكية في ١٤ نيسان/ ابريل سنة ١٩٧٧، هذا ما نقلته مجلة الكرازة القبطيـة التي تصدر في مصر، فقد صدرت بعنوان رئيسي يقول: «استقبال حافل لقداسة البابا في نيويورك ـ الرئيس كارتر يتحدث عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر».

ولقـد طغى الموقف الصليبي الأمـريكي على مـوقفها السيـاسي مع مصر.. حتى أن الـرئيس المصري السابق اضطر أن يتناول القضية في خطاب عام لـه في أيار/ مـايو ١٩٨١ جـاء فيه: «أمـا التوصيـة اللي حملها المنشور إلى أمـريكا فهي قـولهم نحن نطلب معونتكم الأخـلاقية بـأن تكتب إلى عضو الكـونجرس لاتخاذ الاجراءات»، ثم قال: «وأحب أن أعرض عليكم بقية المخطط اللي ماشي اتصال بـالهيئات الكنسيـة والدولية والفاتيكان ومجلس الكنائس الأمريكي والقيادات الدينية والمسيحية».

وليس أدل من هذه المواقف لتؤكد السلوكيات الحاقدة للشعب الأمريكي في احتضانه نصـارى العالم الاسلامي، أو تأييد قياداته في مواقفهم تجاه مثل هذه القضايا.

كما أنه لا يفوتنا التنويه عن العلاقة الجديدة الناشئة بين الادارة الأمريكية والكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان والتي تسير بشكل مرض.

وختاماً لهذا البعد نؤكد أن الحِقد الصليبي ما زال مسيطراً على النفوس، ومهيمناً على السياسات في كل ما له صلة بالإسلام...

ولقد عبرت عن ذلك احدى علماء النفس الألمان (ذكرت هونكر) بقولها: «إن الكنيسة الغربية ليست فقط خصماً للإسلام، انما تعتبره العدو رقم واحد، وتعامله على هذا الأساس، وتغذي موقفها هذه قضايا عقائدية قديمة ليس من السهل نسيانها».

ولعل في هذا، الكفاية ليوضح الموقف الأمريكي المعادي للاسلام، وبالتبعية للحركة الاسلامية الحاملة والعاملة له.

البعد الثاني ـ المصالح الأمريكية والعالم العربي: ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى تمخضت عن بزوغ قوتين عظميين، وأفول قوتين عظميين، وتمخضت عن أفول نجم كل من فرنسا وبريطانيا، وانحسار ممالكهما ونفوذهما، وفي نفس الوقت بزوغ نجم كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كقوتين بديلتين امتد نفوذهما وهيمنتهما.. فلقد كان لإلقاء قنبلتي هيروشيما ونجازاكي فعلهما في إلقاء الرعب في قلوب الكثيرين..

واستغلت الولايات المتحدة هذا الوضع الجديد فانطلقت تحدد ما تريد بل وتفرض ما تريد... وتزعمت الولايات المتحدة العالم الحر (الدول الصليبية): ـ بريطانيا ـ فرنسا ـ اسبانيا ـ ايطاليا وغيرهن...

وكان طبيعياً والولايات المتحدة لها هذه الهيمنة المعنوية المسيطرة على النفوس، اضافة إلى قدراتها الضخمة الاقتصادية والعسكرية والصناعية والسكانية، كان طبيعياً أن تفرض نفوذها على المناطق التي ترى أن مصلحتها تستوجب السيطرة عليها.

وتضع لها استراتيجية شاملة للتعامل مع هذه المناطق لتحقيق أهدافها القومية والحفاظ على مصالحها الحيوية.

ولذا نجد الجنرال «ديفيد جونز» يعلن أمام الكونغرس الأمريكي: «نحن نعيش في فترة حرجة حيث إن أي انقلاب أو اضراب ضخم أو هجوم ارهابي، أو حرب بعيدة بين دولتين متجاورتين من الممكن كما لم يحدث من قبل، أن تفرض نتائج عالمية قادرة على أن تؤثر في رخائنا أو أمننا القومي».

خصائص العالم الاسلامي

وكان من الطبيعي أن تدخل المنطقة الاسلامية في هذه الرؤية، هذه المناطق التي ورثتها الدول الصليبية عن الدول الاسلامية بعد سقوطها وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وتقسيم ممتلكاتها وما تملكه هذه المناطق الممتدة من وسط آسيا والهند شرقاً إلى المغرب العربي غرباً ومن تركيا شمالاً إلى اليمن جنوباً، ما تملكه من خصائص بالنسبة للغرب الصليبي والشرق الإلحادي على حد سواء ونوجز ذلك فيما يلي:

(١) التحكم في كثير من طرق المواصلات بين الشرق والغرب، والمضايق البحرية الهامة مثل مضيق الدردنيل والبوسفور وجبل طارق وباب المندب.

(٢) في حالة وحدتها تصبح من أكبر القوى المهددة لروسيا، حيث تلاصقه عند حدوده الجنوبية من جانب، وكذا لأوربا من جانب آخر حيث تحاذيها من الجنوب وتطل عليها من الشرق.

(٣) انها تملك كل مقومات القوة حيث يساعدها امتدادها الشاسع على تنوع المحصولات الزراعية والمواد المعدنية (البترول ـ الفحم ـ الحديد ـ المنجنيز ـ الذهب) علماً بأن الغرب يستورد ٥٥ بالمائة من احتياجاتها البترولية من هذه المنطقة، في حين تستورد اليابان ٩٠ بالمائة من بترولها منها.

(٤) لديها قوة بشرية تناهز الألف مليون نسمة يمتلكون تجانساً عقائدياً وتاريخياً مع وحدة الأماني

والآمال كعامل هام في بناء أي دولة قوية، اضافة إلى أن هذا التعداد يجعل منها سوقاً هاماً للمنتجات الأجنبية.

(٥) تمتلك قوة مالية ضخمة تودع كمدخرات في البنوك الغربية مما يدعم اقتصاديات هذه الدول.

(٦) التصاقها بالقوى السوداء في أفريقيا والصفراء في آسيا، يساعدها على نشر الاسلام في هذه المناطق مما يعني ضياع مصالح الغرب فيها.

وبعض هذه الخصائص يجعل منها منطقة حيوية هامة في الاستراتيجية الأمريكية.

المصالح الأمريكية في المنطقة العربية

ولو اقتطعنا المنطقة العربية من هذا الاتساع الاسلامي الشاسع، واعتبرناها شريحة للعالم الاسلامي مرشحة لقيادته لوجدنا أن المصالح الأمريكية فيها تشمل الآتي:

- المصالح الاقتصادية:

١ـ تأمين ضخ البترول العربي للغرب الذي يستورد ما يعادل ٥٥ بالمائة من احتياجاته البترولية.

٢ـ التواجد الكثيف لشركات البترول الأمريكية التي ربحت عقوداً تقدر بستة مليارات دولار من السعودية وحدها عام ١٩٧٩ وهذا بدوره يعد دعماً للاقتصاد الأمريكي.

٣ـ تمثل المنطقة سوقاً جيدة للاستثمار والتجارة لكونها متخلفة صناعياً وتكنولوجياً، ويكفي أن تعرف أن أمريكا تسيطر على ١٠٠ بالمائة من استثمارات بترول السعودية والبحرين، و٥٠ بالمائة من بترول الكويت ودبي، و٣١ بالمائة من بترول قطر، و٢٣,٧٥ بالمائة من بترول العراق وأبو ظبي. هذا على مستوى الاستثمار، أما على مستوى التجارة فنجد أن عائدات دول الأوبك العربية أنفق منها ٦,٧ مليار في عام ١٩٧٤ لاستيراد السلع، والخدمات الأمريكية ارتفعت إلى ١٢,٣ مليار سنة ١٩٧٧، وأدى ذلك إلى تصحيح ميزان المدفوعات الأمريكي عن عجز في التعامل التجاري مع هذه الدول من ٢١٠٨ ملايين دولار إلى فائض قدره ٢٥٦ مليون دولار عام ١٩٧٥.

فلو عرفت أن السوق العربية سوق استهلاكية حيث إن المواد الاستهلاكية تعادل ٧٠ بالمائة من جملة وارداتها، لعرفت كم هو الخطب عظيم بالنسبة لهذه المنطقة وكم هي بقرة حلوب بالنسبة للولايات المتحدة.

أما عن تجارة الأسلحة لهذه المنطقة وهي أسلحة غير فعّالة ليست هجومية، ولا تسمح بتحقيق نصر من نوع ما، بل هي أسلحة دفاعية طبقاً للاستراتيجية الأمريكية لحماية اسرائيل. فيكفي أن تعرف أن استيرادات السعودية من الولايات المتحدة الأمريكية بلغت في هذا المجال ٦٤٢٠ مليون دولار أي ٦٠ بالمائة من الصادرات الأمريكية، وهذا يحقق دعماً لاقتصاديات ٢٠ بالمائة من الطبقة العاملة الأمريكية التي تعمل في صناعة السلاح، وتعطي التجارة بوجه عام عائداً قدره من ٢: ٣ بلايين دولار سنوياً وفقاً لاحصائيات نهاية فترة الستينات التي أمكننا الحصول عليها فكم تبلغ الآن؟!

٤ـ ضمان استثمار عائدات النفط العربية في أمريكا والغرب، فإذا علمنا أن هذه العائدات بلغت ٣٤١,٨ مليار دولار في الفترة من ٧٤: ٧٨ اعتبر منها ١٤٤,٧٤٢ مليار دولار فائضاً مالياً معداً للاستثمار، لعرفنا ما هو مقدار الدعم الذي تقدمه هذه العوائد للدول الغربية بوجه عام.

هذا على مستوى المصالح الاقتصادية فحسب.

ثم... تستطرد الوثيقة الهامة التي وضعها تنظيم سالم الرحال في تناول معالم الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية، ثم الدور الاستراتيجي بها تاريخياً حتى ينتقل إلى الجزء الثاني يبدأ قائلاً:

الجزء الثاني: مصر في الاستراتيجية الأمريكية

لعبت مصر منذ فجرة البشرية الأول دوراً بارزاً في مقدرات العالم.. وكان دائماً لها دورها في حالة قوتها بسيطرتها وهيمنتها على كل من حولها، وفي حالة ضعفها بالسيطرة عليها والهيمنة من خلالها على من حولها... ذلك لأنها تملك من خصائص الموقع والتكوين البشري والكثافة السكانية إلى حد ما يساعد على أن لها هذه الأهمية.. وقديماً قالوا:

«قل لي من يسيطر على مصر أقل لك من يسيطر على العالم» وإن كان من وجهة نظرنا هذه المقولة مبالغ فيها وإن كان فيها شيء من الصحة.

ما توفره وضعية مصر لأمريكا: وفي هذه الحقبة من الزمان التي تعيش فيها مصر أضعف فترات حياتها، كان لزاماً على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعطي لها أهمية خاصة لما تتمتع به. ونستطيع أن نوجزه فيما يلي:

(أ) اطلال مصر على البحر المتوسط يوفر لأمريكا:

١ـ موانىء ومراسي وتسهيلات للأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط سلماً وحرباً.

٢ـ تأمين دول حلف الأطلنطي في جنوب أوربا وذلك يمنع استخدام مصر كنقطة انطلاق لتهديد أمن هذه الدول العسكرية.

٣ـ معادلة ليبيا المتمكنة في منتصف البحر المتوسط والناصبة لأمريكا العداء.

(ب) ملكية مصر لقناة السويس واطلالها على البحر الأحمر يوفر للولايات المتحدة الأمريكية ما يلي:

١ـ سهولة اتصال وانتقال بين القطع البحرية الأمريكية الموجودة في كل من البحر المتوسط والمحيط الهندي، ما يزيد ويدعم القوة الضاربة الأمريكية في المنطقة عندما يستوجب ذلك.

٢ـ نقطة مراقبة مثالية لتحركات السفن البحرية السوفيتية في القناة والبحر الأحمر، واحكام حصار المضايق التي يعاني منها السوفيات.

٣ـ أقصر طريق في المنطقة لضخ البترول العربي إلى أمريكا والغرب.

(ج) موقع مصر الأفريقي يساعد في توفير ما يلي للولايات المتحدة الأمريكية:

١ـ معادلة الوجود السوفييتي القوي بمنطقة القرن الأفريقي المتمركزة في أثيوبيا والمتكامل مع تواجده باليمن الجنوبية بآسيا.

٢ـ القيام بدور الوسيط في تنفيذ السياسة الأمريكية في القارة، والتي تحتاج إلى وجود طرف محلي مرتبط بالاستراتيجية الأمريكية ومعادل للدول التي تناوىء الاستراتيجية الأمريكية.

(د) ما يمثله موقع مصر في الوطن العربي وقربها من الخليج:

١ـ دولة مركزية تملك مقومات القوى الاقليمية.. وفصلها عن دول المنطقة واستمرار عزلتها يساهم في استمرار تفتيت وتمزيق وتشرذم هذه المنطقة.

٢ـ تمثل خطراً على اسرائيل الحليف الاستراتيجي لأمريكا، ومن هنا يجب أن تعمل الولايات المتحدة على تحييده وذلك بربطها بالاستراتيجية الأمريكية.

٣ـ يمكن أن تكون قوة حماية للأنظمة العربية المعتدلة الحليفة لأمريكا، بدلاً من أن تكون عامل تثوير ضد التوجهات الأمريكية.

٤ـ تمثل قوة اقليمية مقبولة إلى حد ما للتدخل في منطقة الخليج العربي في حالة وقوع ما يهدد المصالح الأمريكية.

٥ـ موقع مصر يساعدها أن تكون موقعاً جيداً لوجود قواعد عسكرية لاستقبال قوات الانتشار السريع، ومكاناً صالحاً لتدريب هذه القوات على منطقة شبيهة بمسرح العمليات.

(هـ) ملكية مصر لشبه جزيرة سيناء يجعل منها موقعاً يقدم لأمريكا ما يلي:

١ـ موقعاً مناسباً لانطلاق القادفات الاستراتيجية مثل (ب ٥٢) لتهدد وتنال جنوب روسيا.

٢ـ منطقة مراقبة انذار مبكر لحراسة المنطقة البترولية لشبه الجزيرة العربية والخليج.

٣ـ موانىء صالحة لاستقبال قطع البحرية الأمريكية العاملة في البحر المتوسط.

(و) ولأن مصر مرتبطة بالعالم الاسلامي بل قوة مؤثرة فيه، فيمكنها أن تقدم للولايات المتحدة ما يلي:

١ـ مواجهة الصحوة الاسلامية المنتشرة في المنطقة بأسرها وتقويضها.

٢ـ معادلة المد الايراني الاسلامي المحتمل أو المفاجىء بإثارة السنة والشيعة.

٣ـ قدوة وأسوة للدول المحيطة لقبول الوجود الأمريكي بها، وهذا فضلاً عن أن التواجد الأمريكي في حد ذاته يعتبر حرماناً للاتحاد السوفييتي من كل مزايا مصر التي تحصل عليها أمريكا.

لكل هذه الأسباب كان لا بد للولايات المتحدة الأمريكية أن تحكم هيمنتها على مصر، وتستغل الظرف التاريخي الذي أتيح لها.. بعد حرب ١٩٧٣ على وجه الخصوص.. ثم تحدد دوراً محدداً تقوم به مصر في المنطقة مع محاولة تلميع هذا الدور بقدر الإمكان، ثم الدفع ببعض دول المنطقة المعتدلة والتي لها تحالفات مع أمريكا بشكل أو بآخر، دفعها إن قسراً أو اختياراً لمساندة الدور المصري وتدعيمه بطريق مباشر أو غير مباشر.. ثم ربط مصر بعجلة الاقتصاد الأمريكي والمعونات الأمريكية الاستهلاكية العينية، وهي سياسة ثابتة تلجأ إليها الولايات المتحدة الأمريكية للتعامل مع كل الدول التي تربطها بها علاقة على تخوف من انفلاتها، ومن هنا جاء الدور المصري في تصور الادارة الأمريكية، وهو ما تبرزه السطور القادمة.

دور مصر في الرؤية الأمريكية: لا شك أن الولايات المتحدة ـ بصفتها دولة عظمى لها بصمتها على الكثير من دول العالم ـ لا شك أنها تحدد دوراً لكل المتعاملين معها، يقوم فيه كل بدوره.. ومنها الدور المعلن ومنها غير المعلن. وهذه بدهية سياسية يعرفها كل الذين خبروا دهاليز السياسة ومتاعبها، وكل المتتبعين للوثائق الدولية التي تصدر بين الحين والحين والتي كانت سرية في يوم ما..

لذا فنحن نؤكد أن المشاهد من الدور المصري الآن لخدمة السياسة الأمريكية ليس هو كل المطلوب منها، ولكن يبقى دائماً دور سنعرفه حتماً في حينه (ويمكننا بالقرائن معرفته وتخمينه).

وذلك إن تتبع التصريحات التالية لكبار زعماء الولايات المتحدة لتعرف من خلالها دور مصر في التصور الأمريكي:

– قال كارتر عندما سئل عن الدور العسكري الذي عرضه على السادات ليقوم به.. قال: إن مصر سوف تلعب دوراً في حماية البلاد العربية المحدودة القوى..

– أما ريجان وادارته... فقد نقل هيكل في أخبار اليوم مؤخراً ـ وهو معروف بسعة اطلاعه اضافة إلى أنه لم يكذبه أحد من المسئولين المصريين ـ نقل عن مساعد مستشار الأمن القومي لمنطقة الشرق الأوسط في ادارة ريجان نقل قوله: إنه ليس لمصر دوراً غير حماية نظام النميري بالسودان والوقوف في وجه التهديد الليبي.

– وقد ذكر كتاب **التوازن الاستراتيجي** أن ليبيا أحد العوامل التي أخذتها واشنطن في الحسبان، وهي تهيىء الأوضاع لكي تلعب مصر دوراً رئيسياً في ردع أو مواجهة أي تحولات متطرفة في الأنظمة الصديقة، وفي حالة ما يستوجب تدخل أمريكي فيكون على مصر تهيئة منطقة انزال وتجميع لقوات الانتشار السريع، وجدير بالذكر أن ابراهيم نافع قد صرّح في **الأهرام** مؤخراً، أن الولايات المتحدة الأمريكية قد طلبت من مصر رسمياً ثلاث مرات المساعدة لتوجيه ضربة لليبيا، وذلك قبل الاعتداء الأمريكي الأخير على طرابلس وبني غازي.

– وفي تقرير مقدم للكونجرس عن قوة الانتشار السريع ذكر التقرير: «ان أهم الأخطار التي تتعرض لها المصالح الأمريكية هو التطرف الديني» ـ وبالطبع يناط ـ بمصر مسئولية مواجهة هذا الخطر.

– وفي دراسة هامة عن العلاقات الأمريكية ـ المصرية قام بها باحث مصري قابل خلالها العديد من الشخصيات الأمريكية المؤثرة في صناعة القرار الأميركي.. خلص الباحث إلى أن الأمريكيين يتوقعون لمصر ما يلي:

١ـ أن تظل ملتزمة بالسلام مع اسرائيل.
٢ـ أن تقوم بجذب أطراف أخرى لعملية السلام مع اسرائيل.
٣ـ أن تلعب دوراً في استقرار المنطقة بما يخدم الأهداف الأمريكية.
٤ـ أن تظل مستقرة داخلياً.

٥ـ أن تحافظ مصر على التوازن العسكري في المنطقة ـ وبالطبع من وجهة نظرنا كما هو قاصد ـ أن يكون التوازن لصالح اسرائيل والمصالح الأمريكية.

– كما أن «جين كيركباتريك» مندوبة أميركا السابقة في الأمم المتحدة في رياسة ريجان الأولى.. ألقت محاضرة على أعضاء مؤتمر المحافظين للعمل السياسي ـ الذي يضم أقطاب اليمين المتطرف والمتحمس لإدارة ريجان جاء في هذه المحاضرة ما يلي: «إن محور سياستنا في العالم الثالث يجب أن يقوم على الحيلولة دون قيام جبهة عريضة من الدول النامية متناسقة ومعادية للمصالح الأمريكية، ويتم هذا بالعمل الدؤوب على إذكاء الصراعات والخلافات والعداءات بين هذه الأطراف... ونستطيع أن نعتمد في ذلك على موكب من الدول الصديقة التي تتمتع بمكانة وتلعب دوراً محلياً جوهرياً، مثل مصر وجنوب أفريقيا وزائير والمغرب وكينيا والسعودية وباكستان ورابطة دول جنوب شرق آسيا.

ولا بد أن ننسق بينها ثم أن نحول دون أي محولات للإخلال بجهودنا ولو كانت من حلفائنا... وتفرض علينا هذه السياسات التزاماً جوهرياً هو أن نحمي التطور الاجتماعي لهذه المجموعة من دول العالم الثالث، من مفاسد الايديولوجية الماركسية أو سوءات النظريات والمعتقدات السياسية والدينية المتعصبة والمتعارضة مع مبادىء ومثل العالم الحر.

«إن محور سياستنا في العالم الثالث يجب أن يقوم على الحيلولة، دون قيام جهة عريضة من الدول النامية متناسقة ومعادية لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، ويتم هذا بالعمل الدءوب على إذكاء الصراعات والخلافات والعداء بين أطرافه».

«جزء من وثيقة كيركباتريك كنموذج للتصور الأمريكي للدور الذي يجب أن تلعبه مصر».

هذا هو الدور المعلن المناط بمصر القيام به، وعلى ضوء هذه الحقيقة المعلنة يمكننا استعراض طبيعة العلاقات المصرية الأمريكية في المجالين الاقتصادي والعسكري... ومدى خدمة هذه العلاقة للمصالح الأمريكية.

العلاقة المصرية الأمريكية: ما إن أُسكت صوت البنادق والمدافع على ضفتي قناة السويس أواخر عام ١٩٧٣، بعد أن أجبرت القوات المصرية بواسطة قيادتها السياسية على وقف اطلاق النار. حتى أزاح السادات الرئيس المصري السابق اللثام عن وجهه الأمريكي وسارع مهرولاً شطر البيت الأبيض مقدماً فروض الطاعة والولاء، منهياً عهداً من القطيعة بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر، استمر منذ هزيمة حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، وإلى انتهاء حرب تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٣.

فبعد لقائه مع هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، اليهودي الديانة، وفي السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٣ ـ أي بعد شهر واحد من بداية حرب السادس من تشرين الأول/ اكتوبر ـ بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين مصر وأمريكا ومضى عليها اليوم قرابة الثلاثة عشر عاماً أصبحت أمريكا ـ أو هكذا قيل ـ تملك كل أوراق اللعبة في الصراع العربي الاسرائيلي، وازداد توغلها في جميع أوجه النشاط المصري، السياسي والاقتصادي والعسكري. وسنتناول في هذه الورقات مظاهر التغلغل في النشاط الاقتصادي والعسكري.

(١) **المستوى الاقتصادي**: ما ان عاد الرئيس المصري السابق عام ١٩٧٥ من زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حتى بدأت مصر تتنكر للقوانين الاشتراكية التي عرفتها منذ عام ١٩٦١.

وبدأ السادات عهداً أسماه عهد الانفتاح الاقتصادي، ولم يكن هذا الانفتاح إلا سياسة اقتصادية جديدة اختطها السادات ومعاونوه للارتماء على أعتاب «الدكاكين» الأمريكية تلتقط مصر من نفاياتها.. وهكذا قدر لمصر بعد سنوات عجاب غلّها فيها الدب الروسي قدر لها أن تنتقل إلى الغرب الصليبي حتى يمتطيها دون أن ينظر إلى عظم ظهرها الناحل، وتكاثرت القوانين الانفتاحية لتتيح لرجال الأعمال الأمريكيين مزيداً من امتصاص الدماء المصرية تحت مظلة المشاريع الاستثمارية.

أخذ السادات يلهث ليقنع أمريكا أنه يستطيع أن يقدم لها ما تقدمه اسرائيل بل أكثر، وهكذا تدفقت السلع الاستهلاكية الأمريكية لتغمر السوق المصرية.

وليبلغ حجم التبادل التجاري مع أمريكا في عام ١٩٨٤ حوالى (٢٧٦٩,١) مليون دولار بزيادة خمسة أضعاف ما كان عليه من عشر سنوات كما صرح بذلك علي لطفي... كما أن الواردات الأمريكية تبلغ حوالى ٣٣ بالمائة من واردات مصر. وكان بالطبع الميزان التجاري في صالح أمريكا في حين كان العجز في الميزان التجاري (٣٨٥,٥) مليون دولار زاد في عام ١٩٨٤ ليصبح (٢٥٣٠,٣) مليون دولار.

وبلغ حجم الاستثمار الأمريكي في مصر (١,٥ مليون دولار) عام ١٩٨٤، وهو ما يعادل ٣٠ بالمائة من الاستثمارات الأمريكية في الوطن العربي.

أما عن المساعدات الاقتصادية فقد بلغ اجمالها ما يقرب من (١٠,٦) مليار دولار من عام ١٩٧٥ إلى ١٩٨٥.

وقد قدم البنك الدولي لمصر خلال الخمسة عشر عاماً الماضية قروضاً لمصر موضحة بالجدول رقم (١).

وقد بلغت المساعدات في الفترة من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٨٤ حوالى (١٥١) مليون دولار ارتفعت إلى ما قيمته (١٢٨٠) مليون دولار في الفترة من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٩.

وبلغ عدد المشروعات الأمريكية حوالى ٥٠٠ مشروع في مجالات عديدة... ويقوم على أمر المساعدات ودراسات الجدوى لهذه المشروعات ١١١٦ خبيراً تبلغ مرتباتهم (٢٦٧) مليون دولار - أي ما يفوق ميزانية التربية والتعليم.

«جدول رقم (١)»

جدول قروض البنك الدولي لمصر والمهيمن عليه من قبل أمريكا

السنة	١٩٧٠ - ١٩٨٤	١٩٧٥ - ١٩٨٠	١٩٨١ - ١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
عدد المشروعات	٩	٢٩ ٨	٧ ٥	٥	٥
قيمة القروض	—	٢٠٦ ٨٦٢,٥	٨٩ ٤٥٦	٣٥٠	٤٥٨
قيمة المساعدات	١٥١,١	٢١٥ ٤١٧,٥	١٩٧,٦ —	—	—
اجمالي القروض والمساعدات	١٥١,١	٤٢١٠ ١٢٨٠	٤٥٦ ٢٨٦,٦	٣٥٠	٤٠٨

ولعله يتضح أمامك الآن حجم التغلغل الأمريكي في الاقتصاد المصري، وحتى تتضح لديك حقيقة هذه المساعدات وهذه القروض، إليك السطور التالية للكشف لك عن هذه الحقيقة.

حقيقة المساعدات الاقتصادية

لقد وضعت لهذه المساعدات العديد من الشروط التي حولتها من مساعدات اقتصادية إلى أعباء ترهق الميزانية المصرية، بل وتجعل منها أداة ضغط وتحكم على الدول المدينة.

ومن هذه الشروط ما يلي (على سبيل المثال):

١- يشترط صندوق النقد الدولي أن فترة سداد القروض تبلغ عشرين عاماً، وبسعر فائدة يبلغ من ٩ إلى ١١ بالمائة وبفترة سماح من أربعة إلى خمس سنوات.

٢- تضع أمريكا شروطاً أخرى منها:

(أ) الالتزام بعرض المشروعات على خبرة أمريكية.

(ب) الحصول على احتياجات المشروع من مصدر أمريكي.

(ج) نقل البضائع على سفن أمريكية بغض النظر عن ارتفاع تكلفة هذه السفن عن غيرها.

كما أن هذه المعونات معظمها ينصب على المشروعات الاستهلاكية الصغيرة.. وقد سُئِل أحد المسئولين عن مدى الاستفادة بالمساعدات الأمريكية فأجاب ١٠ بالمائة فقط، فقيل له والباقي فأجاب: تذهب في قنوات غير شرعية وهي عديدة...

ولك أن تتفحص الجدول رقم (٢) لتعرف أين يقف الاقتصاد المصري بعد أحد عشر عاماً من المساعدات الأمريكية.

«جدول رقم (٢)»

السنة	١٩٧١ ـ ١٩٧٢	١٩٨١ ـ ١٩٨٢
الديون	١,٦	٢٤,٦
العجز التجاري	١٣٩,٧	٣٨٩٩,٧

وبعد هذا الاستعراض لحقيقة المساعدات والقروض والاستثمارات الأمريكية في مصر، يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

أولاً: استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية ربط الاقتصاد المصري بعجلة النظام الرأسمالي من خلال:

(١) الاعتماد على القروض الخارجية.

(٢) الاستجابة لتوجيهات صندوق النقد الدولي الخاصة بالمحافظة على استمرار نمط الاقتصاد الرأسمالي السائد كشرط لاستمرار الاقراض.

(٣) ايجاد طبقات مستفيدة من الأوضاع الاقتصادية السائدة في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي والمرتبطة بالضرورة بأمريكا.

(٤) التبعية الغذائية عن طريق التحكم في توريد القمح لمصر.

(٥) عدم القيام بتنمية حقيقية في مصر حيث تتركز المساعدات والقروض في السلع والمشروعات الاستهلاكية.. وهذه السياسة تنتهجها الولايات المتحدة لتحقيق ما يلي:

أ ـ جعل مصر في حاجة دائمة إلى المساعدات الأمريكية.

ب ـ ربطها بالغرب.

ج ـ في حالة ضعف يمنعها من التفكير في مواجهة اسرائيل.

(٦) التغلغل في القطاعات المختلفة عن طريق الخبراء والشروط التي تمنع إعطاء القروض في صورة سائلة، حتى يسمح بالاختراق في المجالات التي يريدونها.

ثانياً: استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال هذا النمط من التعامل اخضاع القرار السياسي المصري لرغبات الادارة الأمريكية... وقد ثبت هذا جلياً في الموقف المصري المتخاذل في قضية خطف الطائرة المصرية بواسطة الطيران الأمريكي.

هذا عن نتائج التغلغل الأمريكي في الاقتصاد المصري.. أما عن تغلغله في العسكرية المصرية أو الجيش أو التسليح المصري فلا شك أنه لا يقل خطورة عن تغلغله في الاقتصاد المصري إن لم يكن يفوقه. وهذا ما توضحه السطور التالية.

ثم يتابع تنظيم سالم الرحال بحثه متناولاً التغلغل في المؤسسة العسكرية المصرية ونتائج التغلغل الأمريكي في المؤسسة العسكرية ليصل إلى الجزء الثالث من وثيقته التي تتحدث عن الموقف الأمريكي من الحركة الاسلامية في مصر والذي يصل فيه إلى القول بتضاد الاتجاهين، مؤكداً على ذلك بقوله في النص التالي:

«وترفض الحركة الاسلامية الوجود الأمريكي في مصر وتعمل على طرده... وترفض الوجود السوفييتي في سوريا وأفغانستان وتعمل على هزيمته..

إذن هي حرب على هذه القوى العظمى وعملائها.. وهي تعمل بروح أصحاب رسول الله ﷺ.. وهم يستمعون إلى نبيهم ﷺ في موقعة الخندق وهم لا يأمنون على الذهاب لقضاء حاجتهم، وإذا به يقول الله

أكبر فتحت خيبر.. الله أكبر فتحت قيصر.. بنفس الروح التي قال بها نبي الاسلام ﷺ لسراقة وهو في هجرته إلى المدينة «سألبسك سواري كسرى».

فالمصالح الأمريكية في المنطقة تعني باختصار بعد طول ما سردنا:

١ـ تعني نزيفاً للمواد الاسلامية واستمراراً لتبعية الأراضي الاسلامية لها.

٢ـ تعني تغييباً للإسلام ودائماً عن الأرض المسلمة لأنه يتنافى مع المصالح الأمريكية، ومن قبل البعض المتمثل في الحقد الصليبي.

٣ـ تعني اضعاف الادارة الاسلامية ومسح الشعوب الاسلامية وتفريغها من قيمها ومفاهمها الاسلامية. والحركة غير مستعدة لقبول ذلك بل هي لا تستطيع قبوله لأن إسلامها يحرم عليها ذلك ويفرض عليها رفضه..

وأمريكا لهذا، لن تقبل من الحركة إلا أن تقوم بهذا الدور، وهي تريد من الحركة الاسلامية أن تبيع اسلامها، وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً.

الحركة الاسلامية تواجه الولايات المتحدة

والحركة وهي تعي ما يريد الأعداء، فعليها:

أولاً: استيعاب الحقائق السابقة ووعيها وتوعية الشعوب الاسلامية بها.

ثانياً: معرفة أن منطق التعامل الصحيح مع أمريكا والرادع لها، والذي يحقق الدفاع عن آمالها الاسلامية في مواجهة بطشها وعربدتها في المنطقة الاسلامية هو تقديم مزيد من الدماء ومزيد من الشهداء، ورفع شعار الخلافة أو الشهادة.

ثالثاً: العمل على افشال كل ما هو أمريكي وتوعية الشعوب المسلمة بضرورة المقاطعة للعدو الصليبي ومحاربته ومحاصرته ومنع التعامل معه.

رابعاً: توعية الجماهير المسلمة بحقيقة الدور الذي يلعبه الحكام العلمانيون العملاء للولايات المتحدة، ومدى خدمتهم للمصالح الصليبية الأمريكية في المنطقة وهم بهذا التوثيق مرتدون يجب محاربتهم وخلعهم عن كراسيهم.

ومن قبل ومن بعد الثقة في نصر الله تعالى، وفي تحقيق وعده لعباده: ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾[٥].

وعندما ننجح في أن نكون من المؤمنين المتبعين لرسل الله الملتزمين بمنهجهم العاملين بسنتهم، الراغبين في الشهادة على طريقهم، المؤمنين بعهد ربهم.. عندها يتحقق وعد الله: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾.[٦]

«تمت الوثيقة»

هوامش الوثيقة السابعة

(١) نظراً لطول هذه الدراسة وتكرار أفكارها فلقد ارتأينا اختيار بعض من أهم أجزائها مع عدم الإخلال بالمضمون العام للوثيقة، وهو المضمون المعادي للولايات المتحدة الأمريكية. (معد الوثائق).

(٢) **القرآن الكريم**، «سورة الصف،» الآية ٨.

(٣) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٢١٧.

(٥) المصدر نفسه، «سورة غافر،» الآية ٥١.

(٦) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٥٥.

الوثيقة الثامنة

من معالم دعوتنا

اعداد: عبد الله السماوي
(أحد قادة الجماعات الاسلامية في مصر)
[وهو من القيادات الاسلامية المعروفة منذ منتصف السبعينات]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلّا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه)، وجميع أتباعه وأحبابه، الغر المحجلين، الكرام الميامين، المجاهدين الصابرين المحتسبين (رضي الله عنهم) وعمن تبع هداهم وسلك نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه الرسائل الثلاث الأولى من المعالم (من معالم دعوتنا) نقدمها لإخواننا رجاء أن يتفهموا دينهم ويكونوا على بينة منه ورجاء أن يبلغ كل منهم دعوة الله سبحانه وتعالى على نور، متمثلاً قول ربه تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وقل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾. ولا عجب أن نركز فيها على جانب التوحيد فهو حق الله على العبيد فإن توحيد الله عز وجل أساس دعوة الرسل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله».

فالذي لا يقف تحت راية التوحيد متبرئاً من الشرك تحبط أعماله ولا يتقبل الله منه، وعمله هباء منثوراً يوم القيامة، ولا يغفر الله له كما قال سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾[2].

﴿... ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[3].

﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾، ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[4].

إلهي إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، ونسألك اللهم أن تحيينا على الاسلام وتتوفانا على الإيمان، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب في الآخرة، ولا تفضحنا يوم العرض عليك، وعاملنا بفضلك لا بعدلك واجعلنا ممن تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين آمين... آمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو يوسف/ عبد الله السماوي

«من معالم دعوتنا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله صاحب الآلاء وواهب النعماء، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الأتقياء وأشهد أن محمداً رسول الله خاتم الأنبياء، (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه) الأنقياء الأصفياء، وجميع من تبع هداهم وسلك نهجهم إلى يوم الجزاء.

أما بعد: فهذه رسالة للتذكرة نرجو أن تكون نصف شهرية إن شاء الله تعالى، أي أن تصدر بعون

الله وتوفيقه في أول كل شهر عربي وفي وسط كل شهر عربي، نـرجو بهـا أن تملأ شيئـاً من الفراغ الـذي يعانيه كثير من اخواننا في هذه الظروف القاسية، والفتن الحالكة التي يعيشون بينها، وقد سمينا رسالتنـا هذه: «من معالم دعوتنا».

وربما سأل سائل فقال: لماذا لم نسمها من معالم دعوة الاسلام لا سيما ونحن لا ندعي أن لنا دعوة خاصة، بل نقول إننا لا نعرف غير الاسلام، ونبرأ إلى الله تعالى من مخالفته، أو أن نـزيد عليـه أو ننقص منه.

والجواب هو: إننا حقاً لا ندعو إلى غير الاسلام، ونعوذ بالله تعالى أن نتجاوز الاسلام في كثير أو قليل، ولكننا بشر نصيب ونخطىء ولسنا بمعصومين، ولذلك اخترنا هـذا العنوان «من معـالم دعوتنـا» حتى إذا هفونا هفوة أو زلّت بنا القدم، أو شذ عن الصـواب القلم ننسب ذلك إلينـا نحن لا إلى الاسلام. غـير أننا ننشد الحق ما استطعنا مستعينين بالله فإن أصبنا فمن الله وله الحمد والمنة، وإن أخطـأنا فمن أنفسنـا ونستغفر الله، ونسأله أن يهدينا إلى التي هي أقوم وأن يجنبنا الزلل.

كما نناشد أخاً وجـد في رسائلنـا خطأ أن ينبهنـا إليه، فـالدين النصيحـة والمؤمن مرآة أخيـه، والله الموفق للصواب، وعلى الله قصد السبيل.

«الرسالة الأولى»

١ـ نعتمد عقيدة السلف الصالح والفرقة النـاجية أهـل السنة والجمـاعة، ونعتمـد في ذلك العقيـدة الطحاوية التي تلقتها الأمة بالقبول غير شاذين عنها ولا حائدين، وغير مقصرين عنها ولا غالـين فيها، ولا ناقصين عنها ولا زائدين عليها، وإن كنا لا نعتقد العصمة في كلام أحد من البشر بعد النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولذلك فإنه يجوز لنا إذا رأينا مأخذاً في أسلوبها أو ألفاظها أن نشير إليه.

٢ـ نتبع ولا نبتدع ونبرأ إلى الله تعالى من كل فكر أو منهج محدث في دين الله لم يكن عليه النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم فما لم يكن في عهده ﷺ ديناً لم يكن اليوم ديناً، ونبرأ إلى الله تعالى من أن يكـون لنا في الدين قول ليس لنا فيه سلف.

٣ـ لا نفـرط تفريط المـرجئة ولا نتسيب تسيبهم، إذ يـدعون أنـه لا يضر مـع الإيمـان معصيـة وان الايمان لا يتفاضل وأن الايمان أعصى العاصين وأفسق الفـاسقين من المسلمـين كإيمـان أبي بكر وعمـر (رضي الله عنهما) بل كإيمان الملائكة والنبيين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعـين) وأن الايمان إنمـا هو قول باللسان فحسب.

بل نقول إن الايمان تصديق بـالجنان، وإقـرار باللسـان، وعمل بـالأركان، ونقـول إن الايمان يـزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فبقدر طاعة الـرحمن يتفاعـل أهل الايمـان. والمعاصي كلهـا من أعمال الجاهلية، ولا يخرج بها مرتكبها من الملة إلا بالشرك والمعاصي لا تذهب بأصـل الإيمان وإن كـانت تنقصه.

والكفر كفران: أكبر وأصغر، وكذلك الشرك شركان، والنفاق نفاقان، والظلم ظلمـان، والفسق فسقان، فالأكبر من ذلك هو الذي ينقض الايمان ويخرج من ملة الاسلام.

والأصغر معصية، وإن وصفت بأنها كفر أو شرك ذلك للتغليظ والتنفير.

ومهما اقترف المسلم من المعاصي فلا يكفر بها وإن مات مصراً عليها غير تائب منها.

ومـن يمـت ولـم يتـب مـن ذنبـه فـأمـره مفـوض لـربـه

إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه... ولا يخلد في النار مسلم، بل يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من ايمان. ويدخل جنة الرضوان برحمة الرحمن.

٤ـ نقول إن الاسلام والايمان كلمتان إذا افترقتا اجتمعتا، وإذا اجتمعتا افترقتا.. فـإذا جاءت كـل كلمة منهما منفردة عن الأخرى فإنها تعني الدين كله. وإذا ذكرتا معاً فإن الاسلام هو الامتثال الظاهري لكل ما أتى به الشرع الشريف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والايمـان هو الامتثـال الباطني أو القلبي لكل ما أتى به الشرع الشريف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

«الرسالة الثانية»

٥ـ **مقدمة الرسالة الثانية**: الحمد لله رب الأرباب، منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب، أعد للمتقين الجنة وللكافرين العذاب، وأشهد أن محمداً رسول الله صفوة الصفوة ولباب اللباب (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأحباب)، خيرة الاخوان والأصحاب، وخلاصة أولي الألباب (رضي الله عنهم) وعن من تبع هداهم وسلك نهجهم إلى يوم الحساب... أما بعد:

فهذه هي الرسالة الثانية «من معالم دعوتنا» تلك الرسائل التي نتوخى فيها أن تكون وجيزة قصيرة حتى يسهل استيعابها بل واستظهارها أيضاً، رجاء أن يبلغ اخواننا دعوة ربهم على نور ويدعوا إلى الله على بصيرة، هذا وترقيم هذه المعالم لا يشترط أن يكون على أساس ما يطلب منا تبينه وايضاحه، أو على أساس ما نرى نحن أهمية تبيينه وايضاحه، أو على أساس ما يفتح الله عز وجل به علينا وهو سبحانه الفتاح العليم والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق، نسأله التوفيق إلى أقوم طريق.

الرسالة الثانية

٦ـ أقول بعون الله تعالى وتوفيقه (وما توفيقي إلا بالله) ربنا الله سبحانه وتعالى إله واحد لا إله غيره، منزّه سبحانه عن الصاحبة والولد: ﴿سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض﴾[٥] هو سبحانه الغني عمن سواه، المفتقر إليه ما عداه ولا شريك لربنا سبحانه وتعالى في خلق أو في رزق أو تدبير أمر، ولا شريك له سبحانه في حكم أو تشريع، وهو رب الناس ملك الناس إله الناس، كما له الخلق وحده فله الأمر: ﴿وحده ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[٦]. فلا يستحق أحد غيره سبحانه أن يتوجه إليه بشيء من العبادات فلا معبود بحق إلا الملك الحق.

٧ـ وربنا سبحانه وتعالى هو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له سبحانه وتعالى، في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكل ما يمر بالك فالله بخلاف ذلك والله أعلى وأجل من ذلك، لا ينعته اللسان ولا يحيط به البيان، سبحانك اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء فهو على كل شيء قدير.

وقدرة الله ربي لا انتهاء لها (وقدرة الله فوق الشك والتهم).

٨ ـ وربنا سبحانه وتعالى أول بلا بداية، آخر بلا نهاية، أول ليس قبله شيء، آخر ليس بعده شيء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن ليس دونه شيء، فهو سبحانه علي في دنوه قريب في علوه.

٩ـ وربنا سبحانه وتعالى لا يصفه الواصفون، ولا تحده الظنون، ولا تحيط به الفهوم، ولا تدركه العقول، كما لا تدركه الأبصار، ولا يشبه المخلوق.

١٠ـ وربنا سبحانه وتعالى له الدوام والبقاء، فلا يناله الفناء، هو الحي الذي لا يموت، وكيف يلحقه الموت وهو خالق الموت كما قال سبحانه: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾[٧].

١١ـ وربنا سبحانه وتعالى هو القيم القائم على أمر السموات والأرض، ولا تأخذه سنة ولا نوم وكيف تأخذه سنة أو نوم وهو المتولي أمر خلقه، يتحرك هذا الكون بمشيئته وعلمه وقدرته، وكل شيء في الوجود وتحت بصره ورقابته فهو سبحانه وتعالى يسمع ويرى دبيب النملة السوداء فوق الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل
أمنن علي بتوبة تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الأول

١٢ـ وربنا سبحانه وتعالى هو الخالق، خلق الخلق وليس به إليهم حاجة، وليس هو سبحانه مفتقراً إليهم بل هم الفقراء إلى الله والله الغني الحميد.

١٤ـ وربنا سبحانه وتعالى هو الرازق، يرزق خلقه من غير أن يثقله ذلك أو يشق عليه، فخزائنه

سبحانه وتعالى لا تنفذ، ولو أعطى سبحانه كل أحد من الخلق مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

١٥ـ وربنا سبحانه وتعالى هو المميت يميت من يشاء من خلقه ويهلكهم بلا خوف من ثأر أو انتقام، فإن الخلق لن يبلغوا ضره فيضروه كما أنهم لن يبلغوا نفعه فينفعوه.

١٦ـ وربنا سبحانه وتعالى هو الباعث، يبعث الموتى بلا مشقة تعتريه، وبلا نصب يمسه أو لغوب، فأمره سبحانه إذا أراد شيئاً بين الكاف والنون، يقول له كن فيكون.

وحسبنا هذا القدر ونسأل الله العزيز الوهاب أن يهدينا منهج أولي الألباب ويفتح لنا من الخير كل باب.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«الرسالة الثالثة»

مقدمة الرسالة الثالثة: الحمد لله له التحيات، والصلوات والطيبات، هو خالق جميع المخلوقات، والمتكفل بجميع الأرزاق والأقوات، أدرك بصره كل ذرة من الذرات، وما دونها من الدقيقات، كما سمع سمعه سبحانه الأصوات، لا تخفى عليه الخفيات، ولا يغرب عن علمه شيء من الكائنات، دحا الأرض بقدرته وبنى السموات، وأشهد أن لا إله إلا الله مفرج الكربات، وكاشف الظلمات، مفيض الخيرات، ومانح البركات، وأشهد أن محمداً رسول الله أعظم الرحمات وأجمل الهديات، دحر الضلالات، بآيات ربه البينات، ودعا إلى الصالحات،وجاهد الكفار في صبر وثبات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الاثبات، أهل المكرمات، كانوا في الهدى للخلق آيات، كانوا أمة الأمم ومنارة المنارات رضي الله عنهم وعن من تبع هداهم وسلك نهجهم إلى يوم المسرات والحسرات.

أما بعد، فهذه هي الرسالة الثالثة من معالم دعوتنا تلك الرسائل التي نعطي الاهتمام الأكبر فيها بجانب الايمان أو «الاعتقاد» ولا عجب فإنه أصل الاسلام رسالة السماء، ودعوة الرسل والأنبياء، وأنه بغير الأصول لا يقوم بناء «إن الأصول عليها تنبت الشجر».

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الايمان الخالص والتوحيد الصادق ونسأله سبحانه التوفيق إلى أقوم طريق.

الرسالة الثالثة

١٧ـ وربنا سبحانه وتعالى موصوف بصفاته الحسنى العلى موصوف بها من الأزل من قبل أن يخلق بخلقه، ولا يزال سبحانه وتعالى موصوفاً بها أبداً، لا تناله سبحانه الأغيار، ولا بغيره الليل والنهار وهو الله الواحد القهار، فهو سبحانه وتعالى الخالق قبل أن يخلق خلقه، ليس بخلقه الخلق قد استفاد اسم «الخالق» وهو سبحانه وتعالى الباري قبل احداث البرية، ليس باحداثه البرية قد استفاد اسم «الباري» له سبحانه معنى الربوبية من قبل أن يوجد مربوب، وله معنى الخالق من قبل أن يوجد مخلوق. وهو سبحانه وتعالى محيي الموتى من قبل احياء من أحيى، ومن بعد احيائهم، كذلك استحق سبحانه اسم «الخالق» من قبل خلقهم وانشائهم ذلك بأن الله على كل شيء قدير وكل أمر على الله بيسير «غني عن كل شيء، وكل شيء إليه فقير» ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

١٨ـ وربنا سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو عالم بهم وكيف لا؟ ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين. وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾[٨].

فربنا سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً، أحاط علمه سبحانه وتعالى بما كان وربما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وما بعد يوم القيامة، أبداً، ليس لعلمه سبحانه في الزمان ولا في المكان حد ولا منتهى.

١٩ـ وربنا سبحانه وتعالى قدر للخلق أقداراً فهي لا ريب كائنة وواقعة، قدر لكل شيء سبحانه ما يكون فيه وما يكون منه وما يكون له وما يكون عليه وأين يكون ومتى يكون، وما يفعل من خير أو شر، وما يصيبه من خير أو شر، أو نفع أو ضر، أو حلو أو مر، فهو سبحانه كما خلق فسوى، قدر فهدى، وجعل كلاً ميسراً لما خلق له، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾[٩]. وكما قال سبحانه: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾[١٠] وكما قال سبحانه: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[١١]. وكما قال سبحانه: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[١٢].

٢٠ـ وربنا سبحانه وتعالى قد ضرب للخلق آجالاً وأعماراً، قدرها لهم، فما يستطيعون أن يزيدوا عليها أو ينقصوا منها، وما يقدرون أن يؤخرا أجلاً من الآجال أو عمراً من الأعمار طرفة عين، وما يقدرون أن يقدموه طرفة عين كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[١٣]، وقال سبحانه: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[١٤].

٢١ـ وربنا سبحانه وتعالى قد أحاط بخلقه علماً من قبل أن يخلقهم، وقد أحاط سبحانه علماً بما هم عاملون من قبل أن يخلقهم، لم يخف عليه شيء من ذلك، فهو سبحانه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون؟ كما قال سبحانه: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نُهُوا عنه وانهم لكاذبون﴾[١٥].

وكما قال سبحانه: ﴿لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾[١٦].

٢٢ـ وربنا سبحانه وتعالى قد أمر خلقه بطاعته ونهاهم عن معصيته، فهو سبحانه وتعالى ما خلقهم لهواً ولا لعباً وما خلقهم عبثاً، كما قال سبحانه: ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾[١٧].

وكما قال سبحانه: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منيٍّ يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[١٨].

وإنما خلقهم ربهم سبحانه وتعالى لعبادته كما قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[١٩].

وكما قال سبحانه: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور﴾[٢٠].

وكما قال سبحانه: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾[٢١].

وكما قال سبحانه: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[٢٢]. أي في تنفيذ أوامر ربه سبحانه وتعالى واجراء أحكامه، وإحلال حلاله وتحريم حرامه، واقامة شرعه ونظامه، ولينشىء دولته، ويعلي كلمته، ويرفع رايته، ليذكر اسم ربه كثيراً، ويسبح بحمده بكرة وأصيلاً، رجاء فضله ورحمته، ونيل مثوبته، والفوز بجنته، والنجاة من غضبه ونقمته، وناره وعقوبته: ﴿كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[٢٣]. فهم مخلوقون لرسالة عظيمة ووظيفة جليلة، وحكمة بالغة، ثم إنهم ميتون كما ينامون، ثم إنهم مبعوثون كما يستيقظون، ثم إنهم مسؤولون ومحاسبون، ثم إنهم مجزيون: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٢٤].

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها... إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنه... ومن بناها بشرٍ خاب بانيها

نسأل الله مفرج الكربات، وكاشف الظلمات، وقاضي الحاجات أن يكفّر عنا السيئات ويغفر الخطيئات، ويتجاوز عن الزلات ويوفقنا إلى الصالحات، والمسارعة في الخيرات، ونيل الحسنات قبل الممات، ويدخلنا فسيح الجنات، ودار الرحمات، إنه مجيب الدعوات.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن شاء الله تعالى

أبو يوسف/ عبد الله السماوي

هوامش الوثيقة الثامنة

(١) **القرآن الكريم**، «سورة الأنبياء،» الآية ٢٥.
(٢) المصدر نفسه، «سورة النساء،» الآية ١١٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه، «سورة لقمان،» الآية ١٣.
(٥) المصدر نفسه، «سورة يونس،» الآية ٦٨.
(٦) المصدر نفسه، «سورة الأعراف،» الآية ٥٤.
(٧) المصدر نفسه، «سورة الملك،» الآية ٢.
(٨) المصدر نفسه، «سورة الأنعام،» الآية ٥٩.
(٩) المصدر نفسه، «سورة الأعلى،» الآية ٣.
(١٠) المصدر نفسه، «سورة الفرقان،» الآية ٢.
(١١) المصدر نفسه، «سورة القمر،» الآية ٤٩.
(١٢) المصدر نفسه، «سورة الأحزاب،» الآية ٣٨.
(١٣) المصدر نفسه، «سورة آل عمران،» الآية ١٤٥.
(١٤) المصدر نفسه، «سورة الأعراف،» الآية ٣٤.
(١٥) المصدر نفسه، «سورة الأنعام،» الآية ٢٨.
(١٦) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٢٣.
(١٧) المصدر نفسه، «سورة المؤمنون،» الآية ١١٥.
(١٨) المصدر نفسه، «سورة القيامة،» الآية ٣٦.
(١٩) المصدر نفسه، «سورة الذاريات،» الآية ٥٦.
(٢٠) المصدر نفسه، «سورة الملك،» الآية ٢.
(٢١) المصدر نفسه، «سورة الكهف،» الآية ٧.
(٢٢) المصدر نفسه، «سورة البقرة،» الآية ٣٠.
(٢٣) المصدر نفسه، «سورة آل عمران،» الآية ١٨٥.
(٢٤) المصدر نفسه، «سورة الزلزلة،» الآية ٧ ـ ٨.

الوثيقة التاسعة

النص الكامل للحوار الأخير مع الشيخ عمر التلمساني:
المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين طيلة الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٦ م
حوار أجرته
شركة A.B.C. الأمريكية للإذاعة

ملاحظة: الحوار لم ينشر حتى الآن ويبين بوضوح معالم فكر الإخوان ومكوناته الرئيسية من قضايا الشريعة ـ الأقباط ـ علاقات مصر بإسرائيل.

س ١: ما مدى إلحاح وأهمية تطبيق الشريعة في مصر، كما تعتقد؟

ج ـ عندما تعرف أن المسلم يعتبر دينه دستور حياته وأن القرآن يحدد له فلسفة وجوده ويرسم له اطار علاقاته بربه وبنفسه وبعائلته وبوطنه، وبالمجتمع العالمي، عندئذ تستطيع أن تدرك مدى أهمية الأمر الشاذ الطارىء الذي يجب أن ينتهي في أسرع وقت، وعندما نطالب بتطبيق الشريعة فإننا نعني بها المفهوم العام والكامل للإسلام، وليس كما قد يتبادر في أذهان من لا يعرفون الاسلام، أنه مجرد المطالبة بتطبيق قوانين العقوبات الاسلامية، فهذه مع أهميتها ما هي إلّا جزء من الاسلام، إننا نطالب بسيادة على مسار الحياة كلها والالتزام به في الفكر والشارع والمدرسة والمنزل، وليس فقط في المحكمة، فالإسلام كما قلت منهاج حياة يجب أن يلتزم به المسلم إذا أراد أن يصحح مسار حياته.

س ٢: هل توافقون على نداء «الشيخ حافظ سلامة»[1] بالمسيرة الخضراء؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فلماذا؟

ج: إن الشيخ «حافظ سلامة» حسب نص سؤالك يدعو إلى مسيرة سلمية للتعبير عن رغبات وآمال المجتمع، أفلا ترى أنت أن هذا حق طبيعي تتيحه وتسمح به، بل وتحميه كافة البلاد الحرة الديمقراطية وان كان القانون في مصر لا يسمح بذلك، بسبب قيام الحكومة بفرض قانون الأحكام العرفية الذي لا يوافق عليه؟ لذلك فإن مطلبنا الأساسي أن يكون حق التظاهر السلمي مباح، وهو أمر في صالح الحكومة إذا كانت فعلاً تعمل على التعرف على آمال الجماهير وتسعى لتحقيقها.

أما إذا آثرت الحكومة عدم السماح لهذه المسيرة، أو آثرت مواجهتها بالقمع فلا يمكن والحالة هذه أن يوصف شعب أو جماعة تستعمل حقها أنها تقصد التحرّش بالحكومة، ولذا يجب على الحكومة ألا تزايلها الحكمة في مواجهة هذه المسيرة، في نفس الوقت الذي يجب على قادة المسيرة ألا يجرفهم الحماس بعيداً عن هدفهم بإيصال صوتهم إلى رئيس الجمهورية حاسبين لكل شيء قدره في غير مغالاة أو عدم مغالاة.

س ٣: إذا كنتم غير موافقين على أسلوب الجماعات الاسلامية الأخرى، فما هو أسلوبكم أنتم وما وجهة نظركم في اصلاح المجتمع المصري؟

ج: إن كل الأفراد والجماعات الاسلامية تتفق على الهدف الأساسي وهو تحقيق سيادة المفاهيم والقيم والنظم والقوانين الاسلامية، ونحن من جانبنا ندعو الله أن يوفقنا وإياهم في التعاون من أجل تحقيق هذا الهدف، ولا يعيبنا أو يعيبهم أن نختلف في الأسلوب أو التخطيط فليس هذا مجال مناقشة ذلك، فكما تعلم لا توجد جماعات اسلامية قائمة بالمفهوم القانوني، وليس لها كيان رسمي تعترف به الدولة وتحميه، وكل ما يبدو على السطح من خلاف أو اختلافات سببه ـ في رأينا ـ هو عدم اتاحة الفرصة والحرية الكاملة في إنشاء الجماعات والأحزاب لتعمل بصورة رسمية ومنظمة وعلنية، وإذا تم ذلك فإن مطلبنا الأساسي هو تعديل القوانين بما يسمح بإنشاء الجماعات، ونحن كإخوان مسلمين نطالب بذلك،

وقد رفعنا دعوى أمام المحكمة الإدارية العليا من أجل عودة الجماعة، والتي عانت الاضطهاد والمحاربة ما يزيد على ثلاثين عاماً.

س ٤: هناك مشاكل كثيرة تواجهها مصر، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فهل ترون والحالة هذه أن مصر تستطيع تطبيق الشريعة الاسلامية الآن؟

ج: أخشى أن يكون سؤالك هذا نابعاً من تصورك أن الشريعة الاسلامية هي مجرد قوانين العقوبات، ولكن إذا فهمت الاسلام بمعناه الشامل، وعرفت قواعده التي تحكم حركة المجتمع، فستتأكد أن تطبيق الاسلام وسيادته بقدر ما هو مطلب لذاته بصفته ديناً فإنه مطلوب لأنه علاج لهذه المشاكل. ان تطبيق القواعد الاسلامية وسيادتها ومن أجل حرية المواطن وكرامته وعزته ستطلق الطاقات الخلاقة في نفوس وقلوب وعقول الشعب، لإصلاح مجتمعهم ومعالجة مشاكله في ظل التعاون في رضاء ربهم، فإذا امتزجت الرغبة في تطبيق القانون بجوهر العقيدة الاسلامية تكون المجتمع الصالح حقاً، الذي يذهب فيه الجاني بنفسه إلى رسول الله ﷺ يسأله إقامة حد الزنا عليه ـ ومعلوم أن حد الزنا للمتزوج القتل ـ ذلك ما ترويه لنا قصة (ماعز) الصحابي الجليل الذي قال عنه رسول الله ﷺ بعد قتله: «لو وزع نوره على أهل المدينة جميعها لوسعهم».

فانظر إلى أي مدى ترتبط القوانين الاسلامية بالعقيدة، لتصنع مجتمعاً لا يرهب الجاني فيه من تطبيق حكم الشرع، وإنما يذهب بنفسه إلى الحاكم ينفذ حد الله فيه إيثاراً لطهارة نفسه من رجس الخطيئة... وفي نفس الوقت يجد الحاكم نفسه ملتزماً بتطبيق شرع الله الذي يحكم سلطاته أولاً، فلا يتجسس على أفراد رعيته ليعرف سوءاتهم ولا يهدر كرامة أحدهم ولو كان مذنباً، ولا يعتدي على حرمات بيته، حتى ليروى عن «عمر بن الخطاب» أنه تسلق سطح منزل أحد رعاياه حين بلغه أنه يشرب خمراً مع ندمائه في صحن منزله، فلما هبط عليهم من سقف المنزل، قالوا له نحن ارتكبنا منكراً واحداً، وأنت ارتكبت ثلاثاً، فأولها أنك تجسست علينا، والله يقول في سورة الحجرات: ﴿ولا تجسسوا...﴾، وأنت تسلقت علينا السقف حين دخلت علينا، والله يقول في سورة البقرة: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[٢]. ودخلت علينا بغير استئذان بينما أمرك الله أن تستأذن في الدخول فقال في سورة النور: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها...﴾[٣]، فتركهم عمر، ووعدوه ألا يعودوا لمثلها أبداً.

فانظر كيف حوّل الاسلام وعي الرعية ليصبح احترام القانون عبادة، وكيف حول وعي الداعي في تطبيق القانون فجعله يحني هامته، بل وكل سلطاته لتحقيق العدل والحرية والكرامة والحق، لتصبح أيضاً كل هذه المعاني عنده عبادة نابعة من العقيدة الاسلامية ذاتها...

وهذا هو ما اعتقده الاخوان المسلمين أن دورهم في ايجاد مثل هذا الوعي في المجتمع.

س ٥: إذا كنتم تعتقدون أن مصر ليست مستعدة للتطبيق الكامل للشريعة الاسلامية كما تنادي به الجماعات الاسلامية الأخرى، فما هي خطتكم أنتم للعمل وكيف ستتابعون تحقيق أهدافكم كمنظمة اسلامية؟

ج: إن تطبيق الشريعة الاسلامية بمفهومها العام أمر لا يمكن أن يختلف عليه اثنان من المسلمين، وإن مصر وكل بلد اسلامي يمكن أن تُطبق فيه الشريعة فوراً، بل وإن الشعوب المسلمة في كل مكان تطالب حكوماتها بذلك، فإذا كنت تظن أنه ليس في الإمكان مثلاً قطع يد السارق في الظروف الاقتصادية الحالية نظراً لحالة الفقر التي يعانيها الكثيرون، وبالتالي نكون قد أوقفنا تطبيق الشريعة، فاعلم أن هذه نظرة خاطئة لأن عدم قطع يد السارق الفقير هو جزء من الشريعة الاسلامية له قواعده وشروطه. أما عن منهاج جماعة الإخوان المسلمين إذا عادت من جديد فهو هو لم يتغير، فمنذ ظهور الجماعة منذ أكثر من خمسة وخمسين عاماً كان هدفها تربية الفرد المسلم المحب لدينه، الملتزم بقيمه الداعي إليه، الذي ينشر الخير والرحمة حيث يوجد، وسيظل هذا هو هدف الجماعة ومنهاجها.

س ٦: لقد رأيتم محاولة الرئيس السابق «النميري» يفرض الشريعة في السودان، وهي تجربة تبدو وكأنها فشلت، ما الذي تستفيده مصر من هذه التجربة؟

ج: أولاً: يجب أن يكون مفهوماً أن الشعب السوداني قد أسقط «نميري» ورفضه ولم يكن ذلك بسبب تطبيق الشريعة، ولكن لفساد نظام حكمه وأسلوب ادارته، وما زال الشعب السوداني متمسكاً بتطبيق الشريعة الاسلامية.

ثانياً: إن سيادة الاسلام وقواعده وقيمه لا يمكن أن تتم بمجرد وضع قوانين العقوبات الاسلامية، فالإسلام أكبر من ذلك وأعمق كما سبق أن ذكرت.

ثالثاً: إن خير من يطبق الشريعة هو الحاكم الملتزم في نفسه وبيته بالإسلام.

رابعاً: لا يمكن أن تستخدم الشريعة للضغط على المسلمين أو استغفالهم وإلا فستكون النهاية كنهاية «نميري» وأمثاله.

أما من جهة إخواننا في الوطن «الأقباط» فإنني موقن وأعتقد أن كثيراً منهم موقنون أن تطبيق الشريعة الاسلامية لن يضيرهم في شيء، إن لم يزد من أواصر المودة بينهم وبيننا، فضلاً عن أن ديننا يقرر مودة «الأقباط» فيقول كتاب الله: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾[٤].

س ٧: ماذا يعني لمصر فرض الشريعة في تقديركم؟ وكيف سيؤثر هذا التطبيق على مصر من كل الأوجه؟

ج: إن تحقيق سيادة الاسلام بقيمه وقوانينه في مصر هو بمثابة اعادة الروح للمجتمع المصري، انه بمثابة اعادة الهداية الحقيقية للمجتمع، إنه بداية الانطلاق نحو حل كافة مشاكل مصر على أساس سليم، وإن كان لا يغيب عن بالنا أن هناك بعض القوى الداخلية والخارجية، وبعض الأفراد من المسلمين وغير المسلمين، وهم قلة ضئيلة يعادون الدعوة إلى تطبيق شرع الله، سواء خوفاً من عدالة الاسلام أن تنال منهم، أو لعدم فهمهم لطبيعة الرسالة الاسلامية، أو لكراهة تاريخية، وكل ما نرجوه ألّا تحاك المؤامرات بغرض التشويه أو الاحتواء أو الانحراف بالتطبيق عن الصواب، لإثارة القلاقل أو تحريض الناس ضد الشريعة، وأقول سلفاً إنه لن يمكن تشويه الشريعة، فهي أثبت في عقول وقلوب المسلمين من أن ينالها تشويه، وسيبوء كل من يحاول ذلك بالخسارة الشخصية وأن تسقطه الأمة من اعتبارها.

س ٨: كيف سيؤثر تطبيق الشريعة على علاقات مصر مع اسرائيل، وهل سيدخل في اعتباركم فسخ معاهدة السلام؟

ج: إن العلاقة القائمة بين مصر واسرائيل بعد توقيع اتفاقية السلام، وعقب عهود من الحروب والكراهية والعدوان من جانب اسرائيل إثر اعتداءاتها على الشعب الفلسطيني والأرض السورية واللبنانية، بل والمصرية أيضاً، اضافة إلى صلفها ورفضها الانصياع لصوت العقل والحق، لا تسمح حتى من الناحية الوطنية وحدها بإيجاد رباط من التقارب.

أما إذا نظرنا للموضوع كله من وجهة النظر الاسلامية، فإننا نجد الاسلام قد وضع القوانين العامة للعلاقات الدولية وجعل لليهود نافذة إلى عقول وقلوب المسلمين تتسم بالبر والقسط، حيث يقول الله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[٥] وإذن... فالله لا ينهانا عن الشعور بالبر والقسط مع اليهود إذا لم يقاتلونا في ديننا ولم يخرجونا من ديارنا، وهذا غاية التسامح والمرحمة في دين لم تقم أصوله على العصبية الجاهلية. أما من يقاتلك في دينك ويسعى لإخراجك من دارك وإلى تقسيم وطنك وخرابه بل ويخرجك فعلاً منه، فكيف تبره وتقسط إليه؟ فإذا لم تبره وتطبع علاقاتك الاقتصادية والثقافية معه كنت عدواً للسلام. هؤلاء الذين ظاهروا اليهود على إخراجنا من أرضنا

وظاهروهم أيضاً على انتهاك حرمات بيتنا المقدس، وأصابوا حرمات ديننا في الصميم كما هو حال السياسة الأمريكية معنا، فماذا تنتظر منا حيالهم؟

هل نبرهم أيضاً ونقسط إليهم؟ وإذا لم نبرهم ونخضع لمشيئتهم نكون أعداء السلام، هل نوليهم ونشد بهم أزرنا؟

إن أغلب حكام العرب يرون أن أمريكا حلمهم الوردي لتحقيق السلام على هذا النحو المقلوب...

ألا يجب على هؤلاء الحكام أن يراجعوا أنفسهم على مقتضى هذه الآيات، التي يجب أن تحكم تحركهم نحو أمريكا ونحو اسرائيل؟

بل إنني أرجو أن تعلم أمريكا والغرب والشرق على السواء كيف يفكر المسلمون... وعندئذ ربما تتفتق أذهانهم على حلول أخرى تغلق بها شرور الحروب ومآسيها...[٦].

هوامش الوثيقة التاسعة

(١) الشيخ حافظ سلامة أحد قادة الجماعات الاسلامية في مصر. قاد مع غيره عمليات المقاومة الشعبية بمدينة السويس عام ١٩٧٣ عندما حوصرت المدينة بالقوات الاسرائيلية، ولقد قام عام ١٩٨٦ بمسيرة تشمل عدة آلاف من شباب الجماعات الاسلامية تحمل المصاحف الخضراء باتجاه القصر الجمهوري لمطالبة رئيس الجمهورية بتطبيق الشريعة الاسلامية (معد الوثائق).

(٢) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٢٧.

(٤) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٨٢.

(٥) المصدر نفسه، «سورة الممتحنة،» الآية ٨ ـ ٩.

(٦) الملاحظ أن هذه الآراء للشيخ عمر التلمساني تختلف ولو نسبياً مع ما أورده من قبل في الإطار النظري التحليلي للوثائق، من جواز التفاوض مع اليهود من أجل استعادة الحق العربي المسلم. إن هذا الاختلاف ـ واحياناً التناقض ـ يفسره من وجهة نظرنا طبيعة المنهج الاخواني في تناول قضايا الأمة بإجمال، وهو منهج يقوم على التوازن، والاصلاح، والجمع بين المتناقضات في قالب واحد فريد. على النقيض تماماً من «جماعة الجهاد الاسلامي» ذات المنهج الثوري.

مُلحق

صُور ضَوئيّة
لأصُول الوَثائِق

ملحق رقم (١)

إحدى صفحات المذكرات الشخصية للشيخ/ عمر التلمساني/ المرشد العام السابق للإخوان المسلمين، يعترف فيها أنه تعلم الرقص بشارع عماد الدين المعروف في قلب القاهرة منذ سنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكراتي

ولما قضيت في سجون عبد الناصر سبعة عشر عاماً، من اكتوبر سنة ١٩٥٤ إلى يوليو سنة ١٩٧١، كانت نعمة الزوجة الصابرة المحتسبة. ومرت عشر سنوات في السجن لم أرها فيها غيرة عليها أن يراها السجانون ومن معها من الاخوان، حتى إذا ألح على الاخوان ولاموني على هذه القطيعة أذنت لها بزيارتي في السجن واستقبلتها في اتزان وكأني لم أفارقها إلا يوماً أو بعض يوم. لم تسبب لي متاعب مع أهلي، حتى ولو أسيء إليها في غيبتي من أم أو أخ أو أخت. إنني أنصح ـ وعن تجربة ـ كل فتاة وفتى يريدان الزواج ألا يجعلا ما يسميانه بالحب أساساً للعلاقة الزوجية. إن الزواج إذا بدأ بهذه العاطفة الملتهبة التي يسمونها الحب، لا تلبث أن تنطفىء جذوتها بعد سنتين أو ثلاثة، وخاصة إذا بادرتهما الذرية بالمجيء. الزواج يجب أن يقوم أولاً على رضاء الوالدين ورضاء الزوج، أما تخطي ارادة الوالدين فما الزواج الا نزوة اتصال، حتى إذا تم الاتصال وتكرر، وأصبحت المحبوبة طوع اليمين، تبخر كل ذلك الغليان العاطفي، ولم تبق إلا صلة صداقة بين الزوجين من أرقى صور الصداقة، هذا إذا أخلص كل منهما للآخر، وأعطى كل منهما للآخر حق الوفاء بهذه العلاقة الطاهرة، التي على أساسها يقوم عمار البيوت، وبالوفاء تدوم الزوجية سعيدة هانئة. والويل للزوجة أو الزوج، إذا بدا من أحدهما، اعجاب أو استلطاف لآخر أو لأخرى. أذكر أنني لما اشتريت راديو فيلبس ماركة النحاس باشا في سنة ١٩٣٦، سمعت المرحومة زوجتي غناء للمرحوم رياض السنباطي، فأعجبها الصوت والتلحين وصارحتني بهذا، فكان ردي أن عليك أن تغلقي الراديو بمجرد سماعك لاسم السنباطي مغنياً أو ملحناً. فاستجابت دون تردد لما تعرفه من غيرتي عليها. أيها الفتيان والفتيات، احرصوا على رضاء الوالدين فيمن تختارون، فغضب الوالدين له معقبات غاية في السوء، ورضاهما له من الآثار الطيبة ما يوفر كل سعادة واستقرار.

وبدأت مرحلة الشباب بدخول الجامعة في سنة ١٩٢٤ بكلية الحقوق. التحقت بها عن رغبة جامحة لأني كنت مغرماً بمواقف المحامين في الجلسات ومرافعاتهم، ونبرات أصواتهم، في الوقت الذي يجلس فيه

القضاة مستمعين صامتين. وكنت مغرماً بما أقرأه عنهم وانهم حماة الحرية ونصراء الضعفاء والمطالبون بالحق، الأحرار البعيدون عن كل قيود الوظيفة. قلت فيما سبق إنني لم أرسب في ابتدائي ولا ثانوي ولا مرة. ولكنني رسبت في كلية الحقوق أكثر من مرة لعدة عوامل. ١ ـ تزوجت وانجبت وأنا طالب بالكلية، وللزوجية وللابوة ما يقتطع من أوقات المذاكرة أو المواظبة على حضور الدروس، ٢ ـ اشتعال الحركة الوطنية في تلك السنين وكثرة ترددي على بيت الأمة، والجلوس إلى سعد زغلول والاستماع إليه فقد كان جذاباً برغم الضم على تتبع حركات شفتيه. ٣ ـ وفاة الوالد وشراء سيارة رينو كابروليه ٢٧٥١، وانصرافي إلى الاستمتاع بحرية ما كانت متوفرة لدي، **فقد عرفت كل ما يعرفه الشبان الوارثون، عدا الزنا والخمر، حتى تعلمت الرقص الافرنجي في صالات عماد الدين، وكان تعليم الرقصة الواحدة في مقابل ثلاثة جنيهات، فتعلمت الدن ستب والفوكس تروت والشارلستون والتانجو، وتعلمت العزف على العود، وترددت على المسارح أو السينما، كل ذلك كان من أسباب الرسوب أكثر من سنة في كلية الحقوق.**

مذكراتي

صفحة من مذكرات الأستاذ عمر التلمساني، بخط يده، تحمل اعترافات أثارت جدلاً عنيفاً في أوساط الإخوان المسلمين.

صفحة من مذكرات الأستاذ: عمر التلمساني بخط يده، تحمل اعترافات اثارت جدلاً عنيفاً في اوساط الاخوان المسلمين.

ملحق رقم (٢)

صور زنكوغرافية لصفحات من الوثائق الأصلية السابقة

صفحات من وثيقة ميثاق العمل الاسلامي

الجماعة الإسلامية

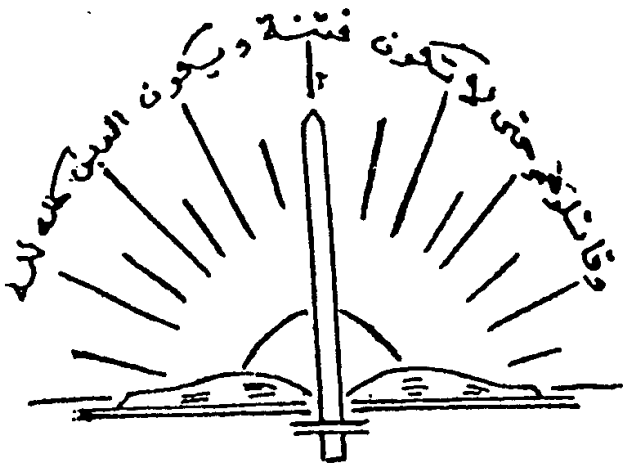

ميثاق العمل الإسلامي

إعداد:

عاصم عبد الماجد

عصام الدين دربالة

ناجح ابراهيم عبد الله

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

الجماعة الإسلامية

ميثاق العمل الإسلامي

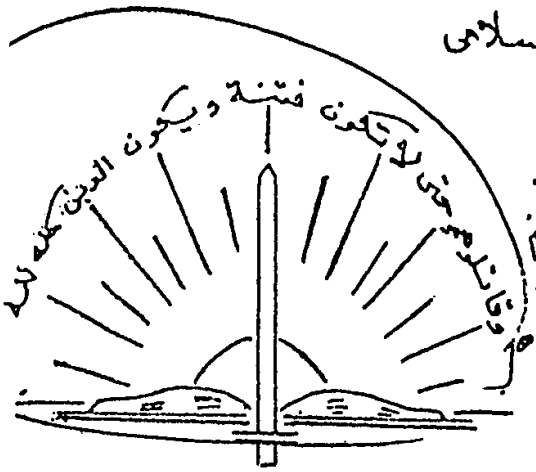

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات.
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا

غايتنا: رضا الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم.

عقيدتنا: عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلا.

فهمنا: نفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.

هدفنا: • تعبيد الناس لربهم
• إقامة خلافة على منهج النبوة.

طريقنا: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

زادنا: تقوى وعلم .. يقين وتوكل .. شكر وصبر .. زهد في الدنيا وإيثار للآخرة.

ولاؤنا: لله ولرسوله وللمؤمنين.

عداؤنا: للظالمين.

اجتماعنا: لغاية واحدة .. بعقيدة واحدة .. تحت راية وحدة فكرية واحدة.

"الجماعة الإسلامية"

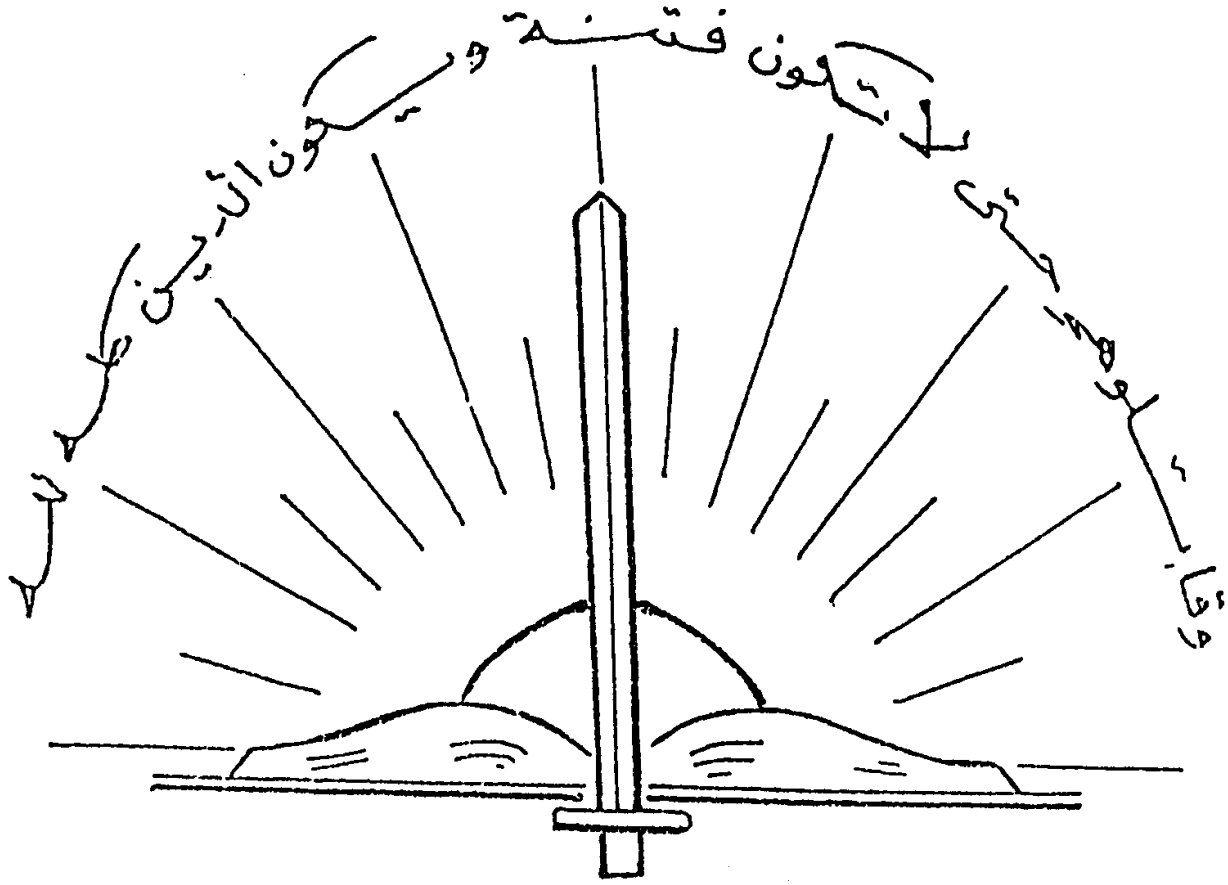
لا تكون فتنة ويكون الدين لله
حتى لا يوحد إلا الله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

أما بعد

قال تعالى

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا

هذا وعد من الله تعالى بالنصر والعز والتمكين ، يتراءى لنا كشعاع أمل يلمع ببريقه يضيء لنا الطريق في هذا الظلام الدامس الذي يكتنف أمتنا .. هذه الأمة التي سادت بالإسلام ردحاً طويلاً من الزمان ، امتدت خلاله خلافتها لتظلل معظم البلدان تقودها بكتاب الله ، هاهي اليوم تتجرع كأس المذلة والهوان ، وقد أضحى مجدها وعزها أنشودة قديمة يتغنى بها ويتسامر الأبناء .. هاهي تتسقط وتتمزق خلافتها إلى دويلات ، منها ما اقتطعه النصارى ، ومنها ما اغتصبه اليهود ، ومنها ما استولى عليه الملاحدة وعبدة الأوثان ، وأما ما بقي منها يحمل اسم الإسلام فقد علاه حكام علمانيون .

تكالب علينا الأعداء .. مدارس ومذاهب .. نظريات وفلسفات .. هيئات ومؤسسات .. أمم وممالك .. تجتمع كلها على حرب الإسلام وأهله ، منها ما يوزه حقد دفين ، ومنها ما يدفعه عداء قديم .

ويشهد مطلع القرن العشرين واحدة من أعتى الضربات التي وجهها الأعداء لأمتنا : إسقاط الخلافة.

ولبيت الكيد وقف عند هذا الحد ، بل راحوا ينهشون بمخالبهم في عقول أبناء هذه الأمة مشوهين الإسلام في أفهامهم .. وأدخلوا علينا وعلى الإسلام أفهاماً غريبة عجيبة ليلبسوا علينا ديننا ، حتى إذا ما أفقنا يوماً وأردنا أن نعود عدنا وكأن إلى غير مأوى نأوي إليه .. عدنا إلى ضياع فكري ، يختلط فيه الخبيث بالطيب ، فيلتبس الحق علينا وتضل الطريق .

وضاع الفهم الصحيح للإسلام من العقول ..

كما تلاشت من فوق المائدة الخلافة ..

هذا حالنا .. وإن سئلت تلك هذه محنتنا التي أوقعنا فيها جهلنا وتغريطنا قبل أن يوقعنا فيها كيد أعدائنا.

ويبقى وعد الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات :

(ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً)[1]

ولقد مكن الله تعالى للجيل الأول من هذه الأمة - جيل الصحابة - حينما نجحوا في التزام الإسلام وامتثاله ، وصياغة النفس وفق منهجه ، وجعله - وحده - أساساً لوحدتهم ومحوراً لتجمعهم . ثم تقدموا يعملون به ولله من خلال حركة جماعية منظمة .

هذا هو طريق سيادتهم وتمكينهم .

وإنه لهو طريق عودتنا .. إن نحن أفقنا يوماً وأردنا أن نعود لإسلامنا .. إن نحن قبلنا يوماً أن نتحدى أعداءنا ونعيد للعالم إسلامنا.

وعلينا أن نسارع ونعود ونرتق الفتق الذي اتسع بيننا وبين إسلامنا

من أبناء هذه الأمة ..

علينا أن نرجع فنلتزم ما كانوا عليه من فهم للإسلام .. وما كانوا عليه من عمل وبذل وجهاد للإسلام .

نحن في حاجة ماسة إلى عودة نقتفي فيها آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان . وصدق الأوزاعي إذ قال :

"اصبر نفسك على السُنّة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم"

وعلى أول درب العودة نقف ونتعلم :

نتعلم أن لا نقدم بين يدي الله ورسوله ..

نتعلم أن لا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي ..

نتعلم كيف نتجرد من ذواتنا وولاءاتنا .

نتعلم كيف نتجرد لله ولدين الله .

وعندها يسهل علينا أن نبدأ الطريق .. يسهل علينا أن نصوغ أنفسنا صياغة إسلامية خالصة وصادقة . تمهيداً للانطلاق بهذا الدين .

(ولينصرن الله من ينصره)"

لذا نقدم [ميثاق العمل الإسلامي] .. نقدمه تبييناً وتوضيحاً وتذكيراً بأسس وأصول شرعية ما كان لها أن تغيب عن أي حركة إسلامية يهمها أن تلتزم وتنضبط في كل أمورها بالشرع الحنيف .

وهذه الأسس ليست مستحدثة ولا مبتدعة ، بل هي مُسَلّمات ثابتة لا يسع مسلم أن يتجاهلها فضلاً عن أن ينكرها . ولكنها للأسف غاب بعضها أو أكثرها عن الكثيرين من العاملين لهذا الدين . فهذا يعلم منها شيئاً ويجهل الآخر .. وذاك يعمل بشيء منها ويهمل الآخر .

فلما طال غيابها وتعمد من تعمد تغييبها ما كان لنا أن نسكت ، فرأينا أن من الواجب علينا تقديمها - أو قل تبيينها - نصيحة لنا لأبناء أمتنا . توضيحاً لمعالم الطريق .. وتحديداً لغايته .. وبياناً لكيفية سيره على دربه . حرصاً على العمل الإسلامي أن يخوضه الرجال بغير وضوح في الرؤية . حتى لا تتذبذب الحركة في منتصف سيرها . أو تحيد عن الطريق المستقيم إلى السبل ، وما أكثر السبل ، وما أوعر السبل .. وحتى لا ننسى غايتنا .. أو يلتبس علينا أمرنا أو نهمل واجبنا . ومحاولة لضبط الحركة الإسلامية بأصولها الشرعية التي إن تركتها ضاع أملها في النصر

هذا ما أردناه بتقديم هذه الأسس والأصول .

حتى إذا ما اتضحت ورسخت في النفوس أمكننا - عندئذ - أن نجتمع حولها لنعمل - في جماعة واحدة - للإسلام .

فتكون هذه الأصول بمثابة تقدمة لا بد منها لإيجاد وحدة فكرية

ضرورية ، قبل البدء في المسير .

إن من يعمل أمر هذه الوحدة الفكرية التي ننشدها ويتخطاها ليقدم عليها تجمع الصفوف، من يفعل ذلك يخطئ خطأً بيّناً ، إذ أنه يحمل في طيات حركته - وهو لا يدري - عوامل فنائها ، فإن تجمعاً لا انسجام بين أعضائه إنما يعني حشداً غير منظم لأفهام غير متجانسة ، وعند أول اختبار حقيقي ينفرط العقد وتتناثر - وقد تتناحر - حباته .

لذا فإننا نحذر أشد التحذير من محاولة الالتقاء في تجمع واحد يعمل للإسلام قبل الاتفاق والانسجام التام بين أفراده حول الأسس الشرعية التي تحكم هذا التجمع . لا بد أن يجيب أفراد هذا التجمع - قادة وجنوداً - على عدة تساؤلات :

ما هي غايتنا التي نسعى لها ؟

ما هي عقيدتنا التي ندين بها ؟

ما هو فهمنا الذي نتحرك به ؟

ما هي أهدافنا ؟ ١١٨ ب

ما هو طريقنا لتحقيق هذه الأهداف ؟

ما هو زادنا ؟

من يكون ولاؤنا ؟ ومن نعادي ؟

من الذي نقبله داخل صفوفنا ؟ ومن الذي نرده ونرفضه ؟ ولِمَ ؟

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإجابة على هذه التساؤلات يجب أن تكون نابعة من الإسلام وحده .. الإسلام كما أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وكما فهمه أصحاب نبينا . وكما علمونا من سلفنا الصالح .

كان هذا الميثاق محاولة منا متواضعة - قدر جهدنا المتواضع - لتبيين وتوضيح المعالم والملامح الشرعية والفكرية التي على الجماعة المسلمة أن تلتزم بها .

فإن كنا قد أصبنا في ذلك فبمنّ الله تعالى وحده (وما أصابك من حسنة فمن الله) وله سبحانه الحمد والمنّة

وإن كنا قد جانبنا الصواب قيد أنملة ، ولو في كلمة واحدة ، فمن أنفسنا (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)" ودين الله بريء من ذلك منزه عنه ، ونحن أول من يبرأ إلى الله من ذلك ، ونرجع عنه لنلتزم ما يمليه علينا إسلامنا .

ونحن اليوم إذ نقدم [ميثاق العمل الإسلامي] إنما نقدمه خلاصة للتجربة التي عاشتها [الجماعة الإسلامية] وفي ضوء المواجهة التي خاضت غمارها ضد أعداء ديننا في ذي الحجة سنة ١٤٠١ = أكتوبر سنة ١٩٨١ والتي قدمت فيها الكثير من أبنائها شهداء (حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله)[٥]

نقدم [ميثاق العمل الإسلامي]
في الوقت الذي يُحاكم فيه المئات من أبناء الجماعة الإسلامية . ويُطالب بمثلهم .
فما يزيدهم ذلك إلا إيماناً وإصراراً ..
إيماناً بأن الأمة الإسلامية ستقوم يوماً ولا بد - من رقدتها وتتقدم لتقود من جديد..
وإصراراً على مواصلة السعي ، لمد يد العون لهذه الأمة حتى تتقال من عثرتها ..
(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده)[٦]

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الجماعة الإسلامية
القاهرة..

٢٥ من جمادى الأولى ١٤٠٤
٢٧ من فبراير ١٩٨٤

صفحات من وثيقة (الحركة الاسلامية والعمل الحزبي)

هذا الكتاب

لاشك أن قضية خوض انتخابات مجلس الشعب هي قضية الساعة.. تلك القضية التي خفي حكم الشرع فيها بين رغبات المنتفعين، وتملق عمائم السلطان وجهل الجاهلين. وهذا الكتاب يناقش حكم الشارع في سلوك هذا الطريق مؤسساً هذا الحكم على استقراء جيد لمتاريخ هذه اللعبة في بلادنا وعلى تجارب الإسلاميين في البلدان الاخرى. بالاضافة للفهم الواعي لمقاصد الشريعة ودلالات النصوص الشرعية ولحسم الشبهات التي يطرحها دعاة المشاركة فيها. والله نسأل أن ينفع به المسلمين ويهديهم سواء السبيل . . . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الجماعة الإسلامية

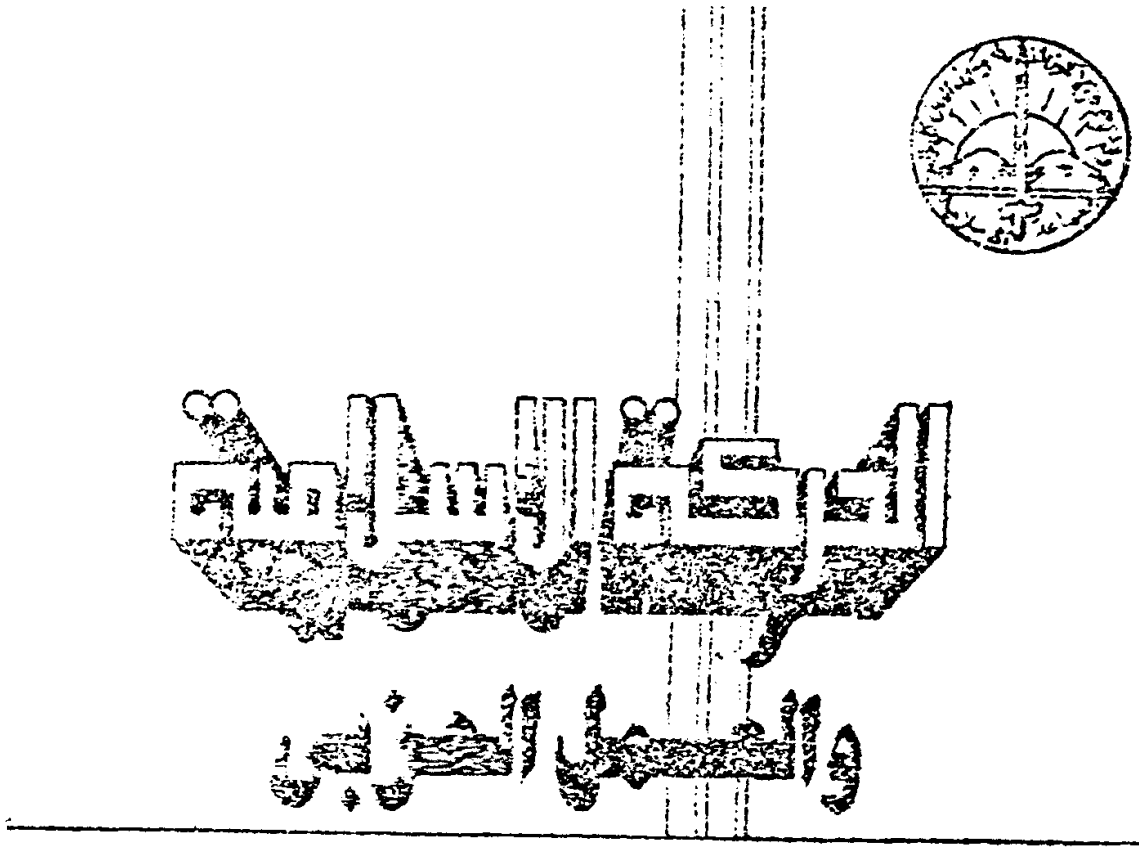

كلمة

إلى كل عالم صدره أشعل لنا قنديلاً ينير لنا الطريق عساها
تزلف وقته وتواتيه فرصته

إلى كل شاب نقي لم يكدر صفو نفائه شائبة والسنة أو ركون
عساها تشد عزمه أزره وتثبت خطه فوطاه

ثم إلى كل عالم سوء أضل الناس جهلاً أو نفاقاً عساها تزيل
غشاوته وتقيله من عثرته

وإلى كل شاب مخدوع وضلل عساها ترشد فوطاه الى الطريق

إليكم جميعاً كلمتي هي رايه يلتف حولها أنصارنا وناراً يحرقه بها أعداؤنا

الجماعة الإسلامية

نظرة على الساحة السياسية

يقودنا الحديث إلى أبواب اللعبة الحزبية في مصر وواقعها لنتعرف عليه ونشرحه ونذلك تضاريسه وجزئياته وطبيعة القوى السياسية فيه ومدى قوتها ليساعدنا ذلك في إضافة حيثيات جديدة إلى موقفنا من الأحزاب والانتخابات . والناظر إلى الساحة السياسية المصرية يستطيع أن يميز نوعين من القوى

الأولى :- القوى السياسية المسموح بها قانوناً وهي الأحزاب والتي تنقسم إلى قسمين :-

أ- القوى اليمينية [والتي تتبنى أطروحات الرأسمالية والليبرالية مع فروق طفيفة بينهم] .. وتتمثل في أحزاب الوطني والوفد والأحرار والأمة .

ب- القوى اليسارية [وهي التي تتبنى الاشتراكية مع فروق بينهم] وهي أحزاب العمل والتجمع

الثانية :- القوى غير المسموح لها قانوناً أن تشكل أحزاباً أو هيئات ، وهي :-

أ- الاتجاه الشيوعي :- ويمثله حزب العمال الشيوعي والحزب الشيوعي المصري .

ب- الاتجاه الناصري :- ويمثله حزبان تحت التأسيس وهما :-

الحزب الاشتراكي الناصري بقيادة (فريد عبد الكريم)

حزب اتحاد الشعب العامل الناصري بقيادة (كمال أحمد) .

جـ- الاتجاه الإسلامي :- ويتميز إلى تيارين رئيسيين :-

١- تيار يعترف بمشروعية النظام ومؤسساته ويقبل الدخول في اللعبة الانتخابية كأسلوب يصل من خلاله إلى إقامة الإسلام ، ويقف على رأس هذه الفئة الإخوان المسلمون .

٢- تيار رافض للنظام جملة وتفصيلاً ويتبنى في ذلك أسلوب مواجهته غير معترف بشرعيته وتبرز في هذه الفئة الجماعة الإسلامية .

ويجب - بالطبع - ألا نهمل ما يمكن تسميته بجماعات الضغط وهي تنظيمات وتجمعات تسعى لتحصيل بعض المكاسب الخاصة بهم عن طريق الضغط بصورة أو بأخرى على صانعي القرار لتحقيق أغراضها بعيداً عن الوصول للسلطة مثل النقابات واتحادات العمال والجمعيات الاقتصادية .. وهذه الجماعات لا يكون لها تأثير جوهري لو انحصرت في مطالبها الخاصة ولكن حدث تتحرك بقوة لتغيير صورة المجتمع فيكون لها فاعلية في

ذلك كما فعلت النقابات في السودان لإسقاط نظام النميري سنة ١٩٨٥ .
والآن ، سنتناول بشيء من التفصيل القوى المذكورة آنفاً .

أ ـ الأحزاب الرسمية

١ ـ الحزب الوطني

النشأة :- تكون الحزب الوطني في أغسطس سنة ١٩٧٨ عندما قرر السادات أن يكون حزباً يكون على رأسه وعندئذ تدافع أفراد حزب مصر ـ والذي كان يشكل الحكومة في ذلك الوقت ـ لفد انضمام لحزب السادات تاركين حزب مصر خالياً من الأفراد مضطراً لحل نفسه وهكذا يتضح من النشأة لهذا الحزب أنه حزب ليس له جذور تاريخية ولا قاعدة جماعية ، وإنما نشأ بقرار فوقي .. أما عن أعضائه فهم ثلة المنتفعين التي لم تتحمل البقاء في حزب مصر لما أعلن رئيس الجمهورية إنشاء حزب جديد فسارعوا للانضمام له .. وأمين الحزب هو يوسف والي ، والذي تولى بعد وفاة فؤاد محي الدين الأمين العام السابق .

والحزب الوطني لا يتمتع بأي جماهيرية تذكر ولكن تأثيره مرتهن بأمرين : أولهما هو سيطرة الحزب على الأجهزة الإدارية بالدولة وتسخيرها لمصلحته وخاصة أيام الانتخابات ، وثانيهما هو استمرار حسني مبارك ـ رئيس الجمهورية ـ رئيساً للحزب ولعل هذا هو ما يجعل المعارضة تلح في دعوة مبارك لترك رئاسة الحزب ليكون له مكان ذو قيمة في المجلس النيابي .

الفكر :- يطرح الحزب فكراً أليبرالياً على الصعيدين ، الاقتصادي والسياسي ، ولكن بمنظور خاص به ليلائم المجتمع وحاجات الحزب .

فهو يطرح ـ على الصعيد الاقتصادي ـ إطلاق الحرية للقطاع الخاص ولكنه يضطر للمحافظة على القطاع العام خوفاً من اتهامه بتضييع مصالح الطبقات الكادحة أو الخروج على ما يسمونها بمبادئ ثورة يوليو .

أما على الصعيد السياسي فهو يطرح الديمقراطية ونكتفي ـ أيضاً ـ ديمقراطية خاصة لا تسمح بتضخم القوى السياسية المعارضة عن طريق استصدار التراخيص

المكبلة لحركة المعارضة من آن لآخر، وذلك في ظل قانون الطوارئ وإن كان هذا لا يمنع من المشاغبة بالحديث عن الديمقراطية في كل مناسبة.

ثم هو يحاول أن ينسب نفسه لثورة يولية و١٥ مايو والقضية العربية والوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي بل والإسلام - أيضاً - إن احتاج الأمر.

المواقف: ويهمنا - في هذا الأمر - ذكر بعض المواقف معروضين عما لا يفيدنا كثيراً

الموقف من الشريعة والإسلام: لا يشق على المراقب أن يدرك موقف الحزب الرافض للشريعة والإسلام؛ فمجالس الشعب والحكومات تتغير وتتعاقب دون أن يتحرك الحزب نحو تطبيق شيء منها ولا حتى إعداد المجتمع لتطبيقها وإن كان هذا لم يمنع أبواقه من التكلم عن التدرج تارة، وعن التقية تارة أخرى وعن تهيئة المجتمع وغيرها من المسميات الطريفة التي اخترعوها.

وموقفه من الحركة الإسلامية باعتبارها حاملة للفكر الإسلامي يزيد من إبراز الوجه العلماني للحزب، فالمطاردة والتضييق والملاحقات الأمنية هي سمة تعامله مع الشباب المسلم، وأحكام الإعدام تصدر على أطهر شباب الحركة؛ خالد الإسلامبولي ورفاقه وكذا أحكام السجن على أكثر من ١١٠ منهم، والمعتقلات لا تكاد تخلو من عشرات الشباب فإذا أضفنا مواقفه وسياساته الداخلية والخارجية المناقضة للإسلام لبرز لنا هذا الوجه العلماني بل والمستفز فضلاً عن قائمة أسماء قياداته والمساهمة في تسيير حركته لتدرك دون شك موقفه من الإسلام والمسلمين

الموقف من إسرائيل: موقف الحزب من إسرائيل امتداد لسياسة رئيسه السابق؛ فهو يعتز بزيارة السادات للقدس ويعلن أن كامب ديفيد هي الخيار الوحيد لعلاقة مصر بإسرائيل وإنه بالتالي متمسك بها.

الموقف من القوى العظمى: يتمسك الحزب بالعلاقة الخاصة مع أمريكا وإن كان يحاول مد جسور العلاقة مع الاتحاد السوفيتي.

والتدخل الأمريكي في مصر صار سافراً وبصورة لم يسبق لها مثيل؛ وذلك نتيجة المعونات الاقتصادية والديون الهائلة التي يلزم مصر تسديدها.

إنجازات الحزب :- إنجازاته العظيمة تظهر بوضوح على رجل الشارع المسكين الذى تطحنه الأزمة الإقتصادية الراهنة ، والإنهيار الكامل للمجتمع أخلاقياً واجتماعياً.

قيادات الحزب :- يحتل مقاعد الحزب الرئيسية مجموعة من رموز الحقبة السادساتية ، ومن الإنتهازيين المستفيدين من هذه المكانة ، وإن كان هناك محاولات محدودة تتم من آن لآخر لتجييم النوع الأول وهؤلاء هم :

مصطفى خليل - عثمان أحمد عثمان - فكرى مكرم عبيد - يوسف والى (أمين الحزب) - كمال الشاذلى (أمين التنظيم) - رفعت المحجوب - حلمى الحديدى وغيرهم.

وكل هؤلاء يرزحون تحت الطابع العلمانى على فكرهم وسلوكهم دون مواربة.

مستقبل الحزب الإنتخابى :- حصل الحزب الوطنى فى انتخابات سنة ١٩٨٤ على ما يعادل ٧٢,٨٪ من الأصوات بوذلك باستخدام كل الوسائل المشروع منها وغير المشروع حيث ارتفعت إلى ٨٧,٣٪ نتيجة استعمال قانون الانتخابات الذى يقضى بضم الأصوات التى حازتها الأحزاب الأخرى والتى لم تحصل على ٨٪ إلى الحزب الأكثر أصواتاً ، أما الانتخابات المقبلة والتى يتوقع أن يتضاعف فيها مستوى الغش والتزوير نتيجة وجود زكى بدر مشرفاً عليها فإنه يتوقع أن يحصل على ٦٥٪

والخلاصة أن الحزب الوطنى هو حزب الحكومة المعبر عن علمانيتها فكراً وسلوكاً وأن أعضاءه يغلب عليهم بل يسود الطابع النفعى الإنتهازى ، وهو ذو توجه فكرى تلفيقى معاد للإسلام مؤيد للعلاقات المتميزة مع اليهود وتابع لأمريكا.

٢ - حزب الوفد الجديد

النشأة :- وهو احياء لحزب الوفد الشهير الذى حل عام ١٩٥٣ وحركت قيادته وعلى رأسهم رئيس الحزب الحالى فؤاد سراج الدين بتهمة إفساد الحياة السياسية قبل الثورة . وحزب الوفد القديم أنشأه سعد زغلول واشتق اسمه

من الوفد المصري الذي كان يرأسه لمفاوضة الانجليز سنة ١٩١٨ للجلاء.

وهو أكثر الأحزاب علمانية، وفي عيده (الوفد القديم) وبتوجيه من النحاس - زعيمه آنذاك - تم تغيير القوانين المدنية واحلال القانون الذي سمي مكانها !!!

هذا، وقد جمد الوفد الجديد نشاطه سنة ١٩٧٨ نتيجة هجوم السادات الشديد عليه ثم عاود نشاطه قبل انتخابات مايو الأخيرة سنة ١٩٨٤، وقد تحالف الوفد مع الإخوان المسلمين - هداهم الله - قبل الانتخابات وحصل على ٨٥ مقعداً ولكنه أنهى هذا التحالف قبل الانتخابات الأخيرة.

الفكر :- لم يكن للوفد منذ نشأته وطوال تاريخه الطويل حتى علمنة الشورة فكر ذاتي يلتف الناس عليه إلا شعاره : الاستقلال التام أو الموت الزؤام فلما عاد إلى الظهور كان لزاماً عليه أن يقدم برنامجاً يضمنه آراءه ومواقفه وتستطيع أن تبلور - من خلال هذا البرنامج ومن خلال مواقفه على مر التاريخ والتي يتمسك بها كجذور له - المعالم الفكرية الآتية :-

١- يطرح الوفد العلمانية كأساس فكري له وتاريخه يحمل على الدوام شعارات علمانيه بارزة مثل "الدين لله والوطن للجميع" ومثل "تعانق الهلال والصليب" ومثل "الوحدة الوطنية" تلك التي تقوم على أساس من تقوية الرابطة الوطنية على الإسلامية وانعكست هذه الشعارات على كل مواقف الوفد التي تترجم هذه الشعارات وحتى على تشكيلاته الداخلية التي ترتفع فيها نسبة النصارى بصورة ملحوظة.

٢- يتبنى الوفد سياسة اقتصادية شديدة الليبرالية، فينادي بتقليص دور القطاع العام أو إلغائه، وإلغاء الدعم، وفتح الطريق للاقتصاد الحر.

٣- يتبنى على الصعيد السياسي ديمقراطية الغرب والتي تظهر كصورة جديدة من مظاهر العلمانية والتي تدعو للسماح لجميع القوى بما فيها من الشيوعيين والنصارى وغيرهم بالمشاركة في صنع القرار السياسي في البلاد، وحثهم على تكوين أحزابهم الخاصة بهم.

المواقف ١- من الشريعة والإسلام :- نفس الموقف المعادي الذي رأيناه للحزب الوطني، فرغم أن الوفد تسد أريكة الحكم في مصر عبر تاريخه

قرابة ثمان سنوات ، إلا أنه لم يفكر أن يخطو نحو تطبيق الشريعة بل على العكس أصدر جملة من القوانين المناقضة لها وهو يتبنى نفس متطلبات الحزب الوطني في التدرج والتنشئة وتهيئة المجتمع وقد أزر الحكومة في إقفال باب المناقشة في قضية الشريعة وعدم إثارتها مرة أخرى ، وتشهد جريدته هجومها من نائب رئيس الحزب وحيد رأفت وبعض الكتاب الآخرين مثل : خالد محمد خالد على التيار الإسلامي بل وتحفل جريدته بالتحريض الخفي على الإسلاميين وإن نشرت بعض التحقيقات عن الإسلاميين نكاية في الحكومة .

الموقف من الأوضاع الداخلية :- يناصب الوفد ثورة يوليو العداء بفكرها ورموزها - بل - ويعتبرها كانت سببا في التأميم والحراسات وغيرها وهو يدعو إلى إلغاء القطاع العام ويساهم في كشف مخازي الحكومة مما يجعله في حالة اشتباك دائم معها رغم اتفاقهما في الفكر والمواقف إلى حد بعيد .

الموقف من إسرائيل :- لا يختلف عن الحزب الوطني في مواقفه تجاه اسرائيل إلا أنه يطالب الحكومة بتجميد الإتفاقية لأن إسرائيل لم تف ببنود المعاهدة وهو كما نرى موقف تلفيقي يجمع بين التأييد والرفض .

الموقف من القوى العظمى :- يؤيد الوفد العلاقات المتميزة مع أمريكا بل ويرى المراقبون أنه يحاول أن يطرح نفسه أمام الإدارة الأمريكية كبديل مناسب للحزب الوطني من خلال مواقفه مثل : موقفه من خطف الطائرة ، وسليمان خاطر وغيرها ، وإن كان لا يمانع من إقامة علاقة مع الإتحاد السوفيتي .

قيادات الحزب :- يعتبر الحزب نفسه إمتدادا لقيادة سعد زغلول ومصطفى النحاس أصحاب الثورة العلماني البارز . أما القيادات الحاضرة فهي تكرار لفكر القيادات السابقة ، وأبرزها : فؤاد سراج الدين رئيس الحزب ، ونائبه وحيد رأفت ، ومنهم سنوي حافظ وعثمان جمعة ، وياسين سراج الدين ، ومحمد عشر ، وأحمد أبو الفتح ، وابراهيم فرج الصليبي (سكرتير الحزب) وغيرهم .

مستقبل الحزب وموقعه الإنتخابي :- حصل حزب الوفد في الانتخابات السابقة سنة ١٩٨٤ على ١٥,١٪ من عدد الأصوات كان نصيب الإخوان منها عديد قول الوفديين ٤٪ - وإن كان الإخوان يرفعون هذه النسبة إلى ٧٪ من الأصوات هذا وقد انخفضت هذه النسبة نتيجة قانون الإنتخاب الجديد إلى ١٢,٨٪ حصل الحزب بها على ٥٨ مقعداً في البرلمان منها ٨ مقاعد للإخوان .

والوفد يحاول أن يخطى العجز الحادث بخروج الإخوان عن طريق اجتذاب الأقباط ليعودوا لسالف عهدهم فيه .

والخلاصة :- أن حزب الوفد لا يختلف عن الحزب الوطني خلافاً ذا قيمة سواء في فكره أو مواقفه أو غير ذلك .

٣ - حزب الأحرار

النشأة :- كانت بدايته منبر اليمين في تجربة المنابر سنة ١٩٧٦ ثم تحول إلى حزب الأحرار . وكان أكبر الأحزاب المعارضة بحصوله على ١٢ مقعداً ، ولكن في انتخابات سنة ١٩٧٩ لم يتمكن من الفوز إلا بمقعد واحد سرعان ما انضم صاحبه إلى الوفد بمجرد ظهوره ... ويرجع المراقبون هذا التردي في شعبيته إلى السياسة المهادنة التي اتبعها في سنة ١٩٧٦ إلى سنة ١٩٧٩ حيث وافق على معظم سياسات الحكومة في ذلك الوقت - بل - وأيد كل الخطوات الخطيرة التي خطاها السادات حتى زيارة القدس واقتصرت معارضته على بعض القضايا الشكلية ، فإذا أضفنا إلى ذلك ظهور الوفد والذي يحمل نفس الفكر الليبرالي لحزب الأحرار . ولكنه يتميز عليه برصيد تاريخي طويل إلى جانب مواقف معارضة قوية استطعنا أن ندرك لماذا تحول مؤيدوه لتأييد حزب الوفد ، وقد كان لبنائه على هامش الحياة الحزبية - رغم أن صحيفته ظلت تصدر بانتظام ولم تتعرض إلى أي مصادرة أو تعويق - وبالرغم من أن قياداته لم يتعرض أحد منهم للقبض والمصادرة حتى في تحفظ سنة ١٩٨١ - كان له عظيم الأثر في محاولات إخراء بعض التغييرات في ملامحه ؛ فأصدر جريدة النور الإسلامية لتكون عامل جذب للتيار الإسلامي ولكن ذلك لم يؤثر على جماهيريته إذ حصل في انتخابات

سنة ١٩٨٤ على ٥٠٪ فاستأذن مصطفى كامل مراد رئيس الحزب - حسني عبارك في إجراء حوارات مع الجماعات الإسلامية في محاولة لاحتوائها ووافقه عبارك على ذلك. حيث بدأ الحزب في استغلال حالة الشقاق بين الشيخ صلاح أبو إسماعيل فضمه إلى الحزب وبدأ في تنفيذ هذه الذوات ولكن دون جدوى وبقي الشباب المسلم رافضاً لهذه اللعبة. وهنا طرح الحزب فكرة القائمة الموحدة أو التحالف والتي أسفرت - بعد أخذ ورد على تحقيق حلف بين الإخوان والأحرار والعمل بها استعداداً للانتخابات.

الفكر: تستطيع أن تصف فكر ذلك الحزب الذي يطرحه بأنه: «سمك لبن تمر هندي»؛ فإنهم يطرحون إلغاء اقتصاد الحرمن الناحية الاقتصادية ويرفضون دور القطاع العام إلا في الصناعات الاستراتيجية في الوقت الذي يؤيدون ثورة يوليو والتطبيق الناصري. وهم يطرحون برنامجاً ديمقراطياً يطالبون فيه بحرية إنشاء الأحزاب دون قيد، والانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية وتأييد ثورة التصحيح ويطرحون - أيضاً - أن الشريعة الإسلامية المصدر الوحيد للتشريع ويطالبون بتطبيقها وكأن ثورة يوليو والاقتصاد الحر وغيرها لا يتناقض مع الشريعة.

المواقف: من الشريعة: كما فعل غيره من الأحزاب تبنى حزب الأحرار المطالبة بتطبيق الشريعة وإن ناقض ذلك بأطروحاته في السياسة والاقتصاد وغيرها. بل والمتتبع لصحيفته النور والأحرار يلحظ ذلك التناقض فقد دأبت جريدة النور على بث مفاهيم ظاهرها الإسلام وباطنها هادم لأصول هامة في هذا الدين وأبرز هذه الأطروحات موقفها من التصدي للحكام المستبدين للشرائع، فهي قد دأبت على الدعوة إلى الاستسلام للحاكم ولو كان كافراً لأنه - كما يقولون - ظل الله في أرضه ومن هذا المنطلق أخذت تجرم كل من اعترض الحكام. حتى قتل السادات بجريمة.

وبالطبع كان هذا في ظل المحاولات المستميتة لجذب الإسلاميين بالذوات وإلغاء لفظ الاشتراكي من إسم الحزب وإطلاق اللحى وسحب الموافقة على كاسب ديفيد وغيرها من تلك الحركات البهلوانية.

الموقف من إسرائيل :- كان رئيس الحزب يفخر دائماً أنه أول من بادر لإجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل ولهذا كان رئيس الحزب الوحيد الذي شارك السادات رحلته للقدس مما جعله هدفاً لحملة شرسة في الصحف العربية ، ولكنه سحب هذه الموافقة مؤخراً في إطار محاولاته لجذب التيار الإسلامي.

الموقف من القوى العظمى :- من الطبيعي أن تكون توجهات الحزب غربية باعتباره يمينيا ليبراليا ولكنه لا يرى بأساً من وجود علاقات طبيعية مع الإتحاد السوفيتي .

القيادات :- يعتبر حزب الأحرار إلى حد قريب حزب الرجل الواحد ، إذ عانى الحزب من كثرة الإنشقاقات والضعف الجماهيري حتى وصل الأمر أن كان رئيس الحزب يقوم بأكثر مهامه : من رئاسة ، وسكرتارية ، وأمانة صندوق وغيرها. ويعتبر مصطفى كامل مراد من الضباط الأحرار الصف الثاني وقد تولى مجموعة من المناصب الإدارية كان فيها محل إتهامات مالية .

هذا ، وقد دخل الحزب بعض الشخصيات الدينية مؤخراً مثل : الشيخ صلاح أبو إسماعيل ، والشيخ يوسف البدري ، وبعض القيادات القديمة مثل : الحمزة (عنبس) ، ومراد البسطاسي ، وعبد الفتاح الشوربجي .

مستقبل الحزب وموقعه الانتخابي :- تتشابه أطروحات حزب الأحرار مع حزبي الوفد والوطني ، إلى جانب قصوره - عنهم - في مجالات أخرى يقلص فرصته في الحصول على تأييد جماهيري مناسب ولذلك تعد فرصته الوحيدة في ذلك التحالف الذي قد يتيح له فرصة الحصول على بعض المقاعد .

وتتمثل فرصته في الوجود كقوة مؤثرة على الشارع السياسي مرهونة بتجاوب التيار الإسلامي معه - والذي لم يتضح - حتى الآن في تحقيق نجاح يذكر في استقطابه .

٤ ـ حزب الأمة

النشأة : أثار حكم القضاء لصالح إنشاء حزب الأمة الذى طرح فى برنامجه تطبيق الشريعة الإسلامية مخالفاً بذلك القانون العديد من التساؤلات حول دور هذا الحزب ، فرئيسه ـ أحمد الصباحى ـ لم يكن معروفاً من قبل ، ولم يكن له أى ماض سياسى أو غير سياسى اللهم إلا اجتهاداته فى قراءة الكف وفى معرفة الحظ من خلال الأبراج كذلك شهرته فى اختراع ما أطلق عليه الكرة الصاروخية . هذه هى كل مؤهلات أحمد الصباحى والتى أنشأ على أساسها حزبه .

وتعود للتساؤل عن هذا الحزب وعن الهدف من السماح بإنشائه ؟!

تتوفر فى ذلك أقوال كثيرة فمن قائل بأنه تجمع عائلى لأسرة الصباحى أراد أن يخوض بهم غمار السلطة والسياسة ، ومن قائل بأنه قناة صنعتها الحكومة للتيار الإسلامى ليخوض غمار السياسة من خلالها دون أن يسمح له بالتسلط على مراكز الحزب الرئيسية (ويلاحظ أنه عرض على شخصيات إسلامية كالشيخ الشعراوى والشيخ التلمسانى تولى مكانة داخل الحزب وكذلك عرضه على الإخوان دخول الانتخابات خلاله) ومن قائل بأنه سمح له بالقيام ليقطع الطريق على أى حزب إسلامى يحاول أن يبرز على الساحة بدعوى تشابه البرامج ، ومن قائل بأنه قام لكل هذه الأسباب

المهم ، أنه قد أصبح حقيقة واقعة وبدأ الصباحى كرئيس حزب يشارك فى اللعبة السياسية يطرح وجهات نظر فى القضايا السياسية المطروحة تلك الآراء التى جعلته يظهر فى صورة هزلية لا تدرك شيئاً من مبادئ السياسة أو الاقتصاد أو غيره من شئون المجتمع ولعل تركيز الإعلام الحكومى على هذه الصورة إنما يريد أن يوحى للجميع أن من يتبنون الإسلام بصورة من الصور مما حوله شيئاً لا هو أراد أن يظهر أمام الرأى العام . وقد أصدر الحزب جريدة ولكنها تعثرت لضعف مادتها المقنعة وقلة إمكانياتها .

الفكر :- يحاول حزب الأمة أن يجعل الإسلام محور برنامجه لكنه عندما ينتقل من الإجمال إلى التفصيل تختلط المفاهيم لديه فهو يؤمن بالاشتراكية وكذلك بالطرق الحرة للقطاع الخاص مع تدعيم القطاع العام . وهو يدعو للديمقراطية والوطنية وتحالف قوى الشعب العامل وتدعيم الوحدة الوطنية، وغير ذلك من الشعارات المكررة

المواقف :- الشريعة والإسلام :- يعتبر حزب الأمة أوضح الأحزاب في طرح قضية الشريعة رغم قدراته المتواضعة . وإن كان مفهوم الإسلام لديه فيه كثير من الخلل ؛ فإسلامه لا يمنع من تبني الاشتراكية والديمقراطية وغيرها ، ولا يمنع من وجود حزب شيوعي وآخر علماني و.... ، ولا يمنع الإسلام - لديه - من تأييد كامب ديفيد، ولا الدعوة لمزيد من التطبيع . والحق أنه لا يمكن أن نتفهم بأي شرح بسيط اتجاه حزب الأمة هو ضرب للدين بالدين .

القضايا الداخلية :- ليس للحزب موقف واضح من القضايا الاقتصادية أو السياسية ، اللهم إلا حاتم الاتفاق عليه بين الأحزاب جميعاً حول المطالبة بالديمقراطية : من إطلاق الحق في إنشاء الأحزاب وإلغاء القوانين المقيدة للحريات والانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية وغيرها .

الموقف من إسرائيل :- الحزب مؤيد لكامب ديفيد ، ويدعو لمزيد من التطبيع مع اليهود ؛ وهو بذلك أشد تطرفاً في تبنيه حتى من الحزب الوطني ، وإن كان الحزب لا يمانع من إنشاء دولة فلسطينية ٩٧٪

الموقف من القوى العظمى :- برنامج الحزب المطبوع يدعو للالتزام الحياد وتحقيق التوازن في العلاقات بين القوتين العظميين .

قيادات الحزب :- يعتبر الحزب شديد التفرق في الكوادر القيادية ولا يعرف عن أسماء قيادات إلا هذا الصباحي رئيس الحزب ، وتتردد أسماء بعض أقاربه عن آن لآخر .

مستقبل الحزب وموقفه الإنتخابي :- آثر الحزب ألا يخوض انتخابات عام ١٩٨٤ لأنه لا يوجد لديه مرشحون وكذا فقد شارك باقي الأحزاب في عدم المشاركة في انتخابات مجلس الشورى - ورغم اقتناعه أنه لا فرصة له في الحصول على شيء في انتخابات سنة ١٩٨٧ إلا أنه يستعد لها ويسعى في تدبير أفراد يملأ بهم قوائمه - - وذلك بعد استبعاده من تحالف الإخوان والعمل والأحرار ؛ وبالتالي فالحزب بهذه الصورة لا حاضر ولا مستقبل له إلا أن يشاء الله أمراً .

والخلاصة

فهو حزب عائلي لا فكر له ، ومقاعده خاوية ونشأته تثير حوله الظنون .

٥ - حزب العمل

النشأة :- هو امتداد لحزب مصر الفتاة الذي سبق الحديث عنه ، وقد استثناه قانون السادات من الحظر الذي ضرب على عودة أي حزب من الأحزاب التي كانت قبل الثورة هو والحزب الوطني وقدم السادات بنفسه تسهيلات لقيامه ؛ ففي سنة ١٩٧٨ وفي لقاء بين إبراهيم شكري - وزير الزراعة وا. مصلاح الأراضي ساعتئذ - والسادات عرض عليه الأول فكرة إنشاء حزب جديد لإثراء التجربة الديمقراطية ؛ فوافق وأوعز إلى بعض أعضاء مجلس الشعب بالانضمام للحزب لتجاوز شرط العشرين عضواً الموضوع في القانون ، ووافقت لجنة الأحزاب عليه حيث خاض بعد ذلك انتخابات سنة ١٩٧٩ وحصل على ٢١ مقعداً هي عدد الدوائر التي تركها له الحزب الوطني ، وهذا يبين مدى العلاقة التي كانت بينه وبين النظام القائم .

وبالتدريج بدأ حزب العمل في التحول نحو المعارضة الصريحة حتى صدمت قراراته التنفيذ الأخيرة . ولكنه عاد بعدها يمارس نشاطه بعد مقتل السادات وتولي مبارك الحكم . وخاض مع باقي الأحزاب الإنتخابات سنة ١٩٨٤ ولكنه فشل في الحصول على مقاعد بالمجلس لأنه لم يحصل على ٨٪ من الأصوات (حصل على ٦,٦٪) فاختار رئيس الجمهورية بعض أعضائه ضمن العشرة المسموح باختيارهم بنص الدستور حيث دخلوا المجلس بعد خلاف داخلي حول ذلك .

ويتميز الحزب بوجود جناحي الناصريين والإسلاميين، وعن عبارات إبراهيم شكري المأثورة: "نحن إسلاميون قبل الإسلاميين وناصريون قبل الناصريين".

الفكر: يطرح الحزب نفسه كحزب وسط في ثوبه الإسلامية التي لا تتناقض مع القومية العربية ولا الوطنية المصرية إلا كذا. وحول الديمقراطية مثل باقي الأحزاب ويدعو لتحقيق التوازن بين دوري كل من القطاع العام والقطاع الخاص، ويؤيد الانفتاح الإنتاجي.

بعض أكثر وضوحاً هو يحاول أن يضع أطروحات ترضي كلاً من الإسلاميين والناصريين، وأعضاء مصر الفتاة القدامى.

المواقف: من الشريعة: ينص برنامجه على الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي للتشريع ويدعو لتطبيق الشريعة، وركز في برنامجه على أهمية القيم الدينية، ولكن: يظل جمعه الغريب بين الناصرية والإسلام وتبنيه للمواقف المختلفة دون أساس شرعي واضح يثير علامات استفهام كثيرة؟ ويظل ترشيحه لبهجة حبيب الراهب تلميذة الأنبا شنودة، وتعيينه لجمال أسعد مساعداً لأمين اللجنة التنفيذية للحزب وهو شخص على الدوام على رأس قوائمه يضاعف من علامات الاستفهام.

هل يستغل حزب العمل الدين لتملق مشاعر الجماهير وتحقيق تقدم في اللعبة الانتخابية؟ أم أنه لا زالت لديه التشوهات الفكرية التي كانت في حزب مصر الفتاة، والتي تجعله بعيداً عن الإسلام المنقى؟.

الموقف من إسرائيل: بدأ الحزب بالموافقة على كامب ديفيد ولكنه سرعان ما سحب هذه الموافقة وأعلن أن استخدام القوة العسكرية قد يكون هو الحل الوحيد لو لم تفلح الحلول السلمية. كما أنه حذر من أخطار التطبيع ودعا إلى تكوين دولة الولايات العربية المتحدة.

الموقف من القوى التطلعي: ينتهز الحزب لسياسة عدم الانحياز.

أبرز القيادات: يعتبر ابراهيم شكرى أبرز وأقدم القيادات في الحزب، ويليه الدكتور رفعت المحجوب - نائب رئيس الحزب - ثم عبد السميع بركات أمين التنظيم ومعدوح قناوى، وعادل حسين - رئيس تحرير جريدة الشعب - وشوقى خالد وحسين كروم من الناصريين. وإن كان الحزب - كغيره من الأحزاب المصرية - لا زال فقيراً في القيادات والكوادر الفعالة وخاصة مع حدوث مجموعة من الانشقاقات من آن لآخر.

مستقبل الحزب وموقفه الانتخابي: يوجد في الحزب بعض الشخصيات ذات التأثير الجماهيري في بعض المناطق. سواء نتيجة خدماتها، أو نتيجة عائلاتها وعصبياتها. فإذا أضفنا إلى ذلك تحالفه مع الإخوان فإننا نتوقع له تجاوز النسبة المطلوبة لدخول المجلس.

ولكن إلى ماذا لو تركه هؤلاء الأفراد لسبب أو لآخر - وماذا لو انفض هذا الحلف، وتركه الناصريون بعد أن ينشأ لهم حزب؟. لا شك أنه سيلحق بسابقيه حزبي الأحرار والتجمع ليقبع في زوايا النسيان.

٦ - حزب التجمع

النشأة: كان منبر التجمع الوطني التقدمي الوحدوي أحد المنابر الثلاثة التي أبقاها السادات فلم يلغها، فلما أصدر قراره بتحويل المنابر إلى أحزاب، كان حزب التجمع هو المعبر عن التيارات اليسارية. ويرأسه خالد محيي الدين وذلك بعد أن رفض السادات السماح بأحزاب ناصرية أو ماركسية أو غيرها.

الفكر: يشير برنامج الحزب إلى أنه صيغة تجمع ما سمته بالقوى الوطنية والتي تضم المدارس الفكرية الآتية:

١- الماركسيون :- وهم امتداد لمجموعة الأحزاب الشيوعية التي تكونت في الأربعينات ، وكان يرأسها هلال شوارتز وهنري كوريل اليهوديان ، وهؤلاء ممثلهم : خالد محيي الدين ، ورفعت السعيد ، وفؤاد مرسي ، وإسماعيل صبري ، وطارق عيسى وغيرهم .

٢- الناصريون :- وهم الذين يعبرون عن التجربة الناصرية وممثلهم : محمد صبري عبدي ، ومحمد عودة ، وغيرهم . وقد عالوا إلى تقليص عشارتهم بعد فشلهم في السيطرة على الحزب بمراكزه الرئيسية التي سيطر عليها الماركسيون .

٣- التيار الديني المستنير : على حسن نيتهم : وهم الذين ينظرون نظرة سطحية لدور الدين الروحي في بناء المجتمع ، ولا علاقة له بتوجيه الدولة . وهؤلاء يمثلهم : د. محمد عمارة ، وخليل عبد الكريم .

٤- التيار الوحدوي القومي :- وهم الذين يعتنقون القومية العربية كأيديولوجية ، وهؤلاء يمثلهم لطفي واكد ، ومحمد أحمد خلف الله (والبعض ينسب الأخير للتيار الديني المستنير) .

ونتيجة لهذا الخليط الفكري المتناقض ، لا نستطيع أن نقول : أن لحزب التجمع فكراً واحداً محدداً . ولكن هناك بعض النقاط التي يتفق عليها التجمع نوجزها فيما يلي :-

١- التقييم الإيجابي لثورة يوليو وقائدها جمال عبد الناصر وضرورة حمايتها منجزاتها الوطنية والتقدمية والوحدوية وتطويرها .

٢- العداء الأصيل للاستعمار والإمبريالية والصهيونية .

٣- النضال المشترك من أجل الدفاع عن الاستقلال الوطني واحترام الحقوق والحريات الديمقراطية واحترام الأديان السماوية وبناء المجتمع الاشتراكي الخالي من الاستغلال .

٤- الإيمان بعروبة مصر والنضال من أجل الوحدة العربية ومن أجل مساندة

الثورة الفلسطينية .

ومن هذه النقاط نستطيع أن نتبين بوضوح أن هذه الإتجاهات يجمع بينها الأطروحات الاشتراكية والقومية .

المواقف: - الإسلام والشريعة: - لاشك أن حزب التجمع يعتبر أكثر الأحزاب وقاحة في معارضته لتطبيق الشريعة وإن حاول أن يتبنى موقفاً إعلامياً يخفف به عن وقاحة رفضه عن طريق الحديث عن دعم المساجد والكنائس أو المطالبة - مثلاً - باستلهام الشريعة في تطوير دبعض التشريعات باعتبارها مصدراً للتشريع .

وهو يطرح شعار الدين لله والوطن للجميع . ولكن الحقيقة أنه حتى هذه الأشياء التي يتفاخر بها الشارع الإسلامي ليس لها وجود حقيقي ؛ فقد نقلت مجلة الشراع (عدد ١٧٦) عما جاء في مؤتمر الحزب المنعقد في ٢٧، ٢٨ يونية سنة ١٩٨٥: أن الكثير من أعضاء الحزب طالبوه بضرورة اعلان فصل الدين عن الدولة وذلك الموقف التلفيقي المعلن . فوزعت عليهم ورقة عن الأمانة العامة تبين أن هذا الطرح الصريح سوف يستغل من قبل اتجاهات يمينية لوصف الحزب بالكفر والإلحاد وأضافت الورقة أن الحزب ضد إقامة دولة دينية وهكذا: "يستغفون من الناس ولا يستغفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول."
وهم بالإضافة لما سبق ، يؤيدون غزو السوفيت لأفغانستان ويعتبرون المجاهدين مستوردين . ولا يكاد يخلو عدد من جريدتهم من طعنة في الدين أو تشويش على التيار الإسلامي ؛ على أمل أن يحدث الصدام بين التيار الإسلامي وبين النظام ؛ فيضعف كل من النظام والتيار الإسلامي كلاهما الآخر فتشوا هم على الحكم في الوقت المناسب .

الأوضاع الداخلية: - هم لا يطرحون بدائل اشتراكية بزعم أن البلاد غير مهيئة لاستقبالها ولكن يطرحون برنامجاً اقتصادياً يقوم على دعم الاقتصاد

المركزي والقطاع العام، والإبقاء على الدعم مع إلغاء الامتيازات المعطاة للطفيليين من دعاة الانفتاح وتشجيع رأس المال الوطني.

أما بالنسبة للأوضاع السياسية، فالحزب يطالب - كغيره من الأحزاب - بدعم الديمقراطية، وإطلاق الحريات لتكوين الأحزاب، وإعطاء حق الإضراب والمظاهرات السلمية. وانتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً مباشراً، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات.

إسرائيل: يدعو الحزب إلى استئناف كامب ديفيد بالتدريج المناسب وتقبل بعض أجنحة الحزب الوجود الإسرائيلي وترى التعايش معه، بينما يرفض الباقون ذلك. وعلى كل فالظرف الداخلي والخارجي لم يسمح بطرح الخلاف حول هذه القضية بوضوح.

القوى العظمى: بالطبع يدعو الحزب إلى الانحياز للاتحاد السوفيتي باعتباره الصديق الوحيد ضد الإمبريالية وإن كان هذا لم يمنع الحزب من الدعوة إلى عدم الانحياز.

أهم القيادات: خالد محيي الدين رئيس الحزب، ود. رفعت السعيد واسماعيل صبري، وفؤاد مرسي، وحسين عبد الرازق رئيس تحرير جريدة الأهالي، ومحمد سيد أحمد. وكل هؤلاء ممثلون للتيار الماركسي ويضاف إليهم بعض الأسماء الأخرى مثل: محمد أحمد خلف الله، وخليل عبد الكريم، وأبو العز الحريري، ولطفي واكد، ولطفي الخولي.

مستقبل الحزب وموقفه الانتخابي: ليس للحزب رصيد جماهيري يذكر [illegible] ولا أمل له في تحقيق أدنى تواجد في المجلس القادم. ولعل تجربة انتخابات سنة ١٩٨٤ إشارة واضحة لاختبار جماهيريته حيث لم يحصل إلا على ٤٪ من الأصوات وإن كانت فرصة حصوله

صفحات من وثيقة (أمريكا ومصر والحركة الاسلامية)

مقدمة

منذ أن أشرقت شمس الإسلام على البشرية بعد طول غياب ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المؤمنين به الداعين إلى ما جاء به العاملين منهجه والمتمسين سنته .. منذ ذلك الحين وهم يحتملون في سبيل هذه الدعوة كل عنت ومشقة بل التعذيب والتقتيل .. ذلك لأنها السنة الكونية التي ارتضاها رب العباد سبحانه وتعالى .. الصراع بين الحق والباطل بين الظلمات والنور، بين من ارتضوا حياة الإنسانية ورفعتها ومن ارتضوا الحياة البهيمية وهبوطها، ذلك لأنه منهج الحق الذي يرفض الالتقاء مع غيره في منتصف الطريق.

ومنذ اللحظة الأولى التي باشر فيها نبينا صلى الله عليه وسلم الدعوة عرف هذه الحقيقة بل من قبل أن يباشر الدعوة "ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلا عودي" كلمات ابتدأها ورقة بن نوفل حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع أمامه حقيقة ما هو مقبل عليه وحقيقة أعداء ما يحمل من دعوة الحق ..

هذه الحقيقة لابد أن تتضح في أذهان الجماعة المسلمة اليوم كما اتضحت في أذهان الجماعة المسلمة الأولى .. لابد أن تتضح حتى يأخذ الطريق عدته وحتى لا تقعد هم الصعاب إذا ما وجدوها وهم غير متوقعين إياها ..

لذا جاءت كلمات العباس بن عبادة توضح لأهل المدينة الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وقبلوا مهمة إيوائه ونصرة دينه، جاءت هذه الكلمات لتوضح المعالم بكلمات قصيرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض "إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس" ..

وبنفس الوضوح يجب أن يتضح في أذهان أبناء الحركة الإسلامية اليوم حجم المواجهة وطبيعتها .. هم يواجهون اليوم الأحمر والأسود والأصفر من الناس .. يواجهون الأرض قاطبة .. يواجهون أعداء الله أعداء الحق أعداء الفضيلة .. أنصار الشيطان .. أنصار الباطل أنصار الرذيلة .. هم يواجهون أعداء تخلوا من كل خلق، ليس لهم إلا القوة ترد عجمهم وتكبح جماحهم .. هم يواجهون الصليبية العالمية والشيوعية العالمية والصهيونية العالمية وعملائهم من العلمانيين وأعوانهم وأذنابهم في كل مكان.

والحركة الإسلامية اليوم ليس لها من ركن تأوي إليه إلا الله تبارك وتعالى، وليس لها من قوة سوى سواعد أبنائها، وليس لها من درع سوى صدورهم لذلك وجب على الجماعة المسلمة اليوم أن تعرف أعداءها جيداً وأن تخضعهم للدراسة الدقيقة الفاحصة لتعرف مكامن قوتهم فتواجهها، وتعرف مكامن ضعفهم فتنفذ منها.

ولا يصح أن يهتم أعداء الله بالحركة الإسلامية في كل شئونها على ضعفها وقوتها .. ويهملون هم معرفة أعدائهم معرفة تنير لهم طريق المواجهة وتكون عندما يحين الوقت عيونهم ودليلهم نحو الظفر والنصر

ومن هنا وجب دراسة مكامن القوة والضعف ليس بالنسبة لأعداء الداخل فحسب، بل أيضا بالنسبة لأعداء الخارج، فهم المدد وهم المحرك، وأعداء الداخل ما هم إلا أذناب أو قطع شطرنج متحركة .. دراسة نرضها تحديد أولويات المواجهة وخطتها

التفضيلية على كل المحاور الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية . .

ومن خلال هذا الفهم ، ضرورة دراسة ومعرفة حجم الأعداء قدر الجهد والوقوف على أساليبهم وخططهم ، من خلال هذا كله جاءت هذه الدراسة عن الولايات المتحدة الأمريكية لتكون ملف هذا العدد

. . لكن لماذا تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية في أولوياتنا في الدراسة ؟!

كان لزاماً أن تتقدم الولايات المتحدة الأمريكية في أولوياتنا ونحن نرصد ظواهر عدة

أولها وأهمها : التحالف الاستراتيجي المعقود بين مصر والولايات المتحدة . . هذا التحالف الذي فقدت مصر من خلاله استقلالها السياسي والاقتصادي والعسكري . . فأصبحت المواقف السياسية المصرية يراعى فيها الموقف السياسي الأمريكي .

ويكفي أن مصر كانت الدولة العربية الوحيدة التي لم تدن العدوان الأمريكي على ليبيا في خليج سرت .

ولقد أصبحت مصر بمقتضى اعتمادها اقتصاديا على المعونات والقروض الأمريكية مهددة بالإفلاس في خلال شهور قريبة .

أما بالنسبة للعسكرية المصرية فقد تحولت مصر في ظل سياسة التسليح والتدريب المعتمدة على أمريكا . . تحولت من قوة ضاربة في منطقة الشرق الأوسط تعادل قوة إسرائيل وتفوقها أحياناً إلى قوة من الدرجة الثالثة أو الرابعة في المنطقة .

والسبب الثاني : هو التحالف الاستراتيجي المعقود بين الولايات المتحدة وإسرائيل الدولة المجاورة لمصر ، والتي أرغمت مصر - من خلال هذا التحالف المزدوج للولايات المتحدة الأمريكية - على توقيع معاهدة الإستسلام مع إسرائيل المسماة معاهدة كامب ديفيد [معسكر داود] والتي تنزع بوجهها سلاح سيناء الفعال .

أما السبب الثالث ، فهو عوبدة الولايات المتحدة الأمريكية ورعونتها العسكرية ، واستعراض عضلات قوتها في العالم كله براً وبحراً وجواً . . فمنذ قنبلتي هيروشيما وناجازاكي في منتصف الأربعينات وهي تمارس دور المهيمن والمسيطر على مقدرات العالم . . بل يظن رؤساؤها أن مجرد مخالفة لمريقة تفكيرهم تستوجب عزل هؤلاء الرؤساء الذين يجرؤن على ذلك ، وعندها تكون الانقلابات المدبرة ودعم المتمردين ، أو حتى التدخل المباشر وليست أحداث فيتنام وجزيرة جرينادا عنا ببعيد

لهذه الظواهر وغيرها كان لابد من هذه الدراسة في ملف هذا العدد لإخضاع الدور الأمريكي لدراسة دقيقة تهدف من ورائها إلى معرفة أثر هذا الدور على الغد والحاضر الذي نطمح بعون الله تعالى أن يكون للحركة الإسلامية .

وسوف نستوعب من هذه الدراسة مايلي :

والحركة الإسلامية

الجزء الأول

الأبعاد التي تحدد الموقف الأمريكي من الحركة الإسلامية :- وسنركز على بعدين :.

(أ) الحقد الصليبي الكامن ضد الإسلام .

(ب) المصالح الأمريكية في العالم الإسلامي .

ونذكر في هذا البعد :-

(١) المصالح الأمريكية في العالم الإسلامي بصفة عامة

(٢) المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط خاصة .. ونستعرض من خلالها إسرائيل ودورها في المنطقة.

الجزء الثاني

معد في الإستراتيجية الأمريكية

ونستعرض فيه مايلي :-

(١) ماذا تمثل مصر بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية.

(٢) نظرة أمريكا لمصر .

(٣) التغلغل الأمريكي بمصر في المجالين الاقتصادي والعسكري .

(٤) مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية

الجزء الثالث

الموقف الأمريكي من الحركات الإسلامية..

ونستعرض فيه :-

(١) موقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الحركات كمحصلة لما عُرض في الجزئين السابقين .. الخ

(٢) مايجب على الحركة الإسلامية القيام به في مواجهة هذا الموقف

ونترك أخي القارئ لتتابع هذه الدراسة في السطور التالية :-

أمريكا

● تكونت جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار دستور ١٧٨٧ من ١٣ ولاية وصلت الآن إلى ٥٠ ولاية .

● تمتد لمسافة شاسعة من المحيط الأطلنطي إلى الهادي وتحدها كندا من الشمال والمكسيك من الجنوب بالإضافة لارتباطها ببعض الجزر بالبحر الكاريبي والمحيط الهادي بمثل بورتوريكو وجوام وهاواي .

● تبلغ مساحتها ٩٩٧٦ كم ويبلغ عدد سكانها حاليا (٢٠٠ مليون نسمة (حسب احصاء ١٩٨١)

● تمتلك قدرات اقتصادية ضخمة وإمكانيات ومواد طبيعية هائلة ، وتقدم حضاري وتكنولوجي مذهل دفع بها للتصدر أحد القوتين العظميين في العالم عقب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م ، حيث خرجت من عزلتها الاختيارية وبدأت قيادة العالم الرأسمالي والصليبي .

● تحددت تكوين المجتمع الأمريكي باتباع النظام الرأسمالي في توجيه اقتصادها والنظام الرئاسي في تشكيل الحياة السياسية في ظل السماح بالحياة الحزبية التي انحصرت في وجود حزبين كبيرين هما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي .

● تحددت لتكوين مجموعة من الأحلاف العسكرية مع الدول المرتبطة بسياستها وذلك لتحقيق استراتيجيتها والحفاظ على مصالحها في شتى أنحاء المعمورة .. فتكون حلف شمال الأطلنطي بقيادتها بالاشتراك مع ١٣ دولة أوربية ١٩٤٩م ، وحلف جنوب شرق آسيا ١٩٥٤م ، والحلف المركزي ١٩٥٥ سنة

● في ظل رئاسة ريجان بدأت تمارس عربدة عسكرية تغذيها العقيدة الصليبية لاخضاع الأوضاع لرؤيتها في شتى أنحاء المعمورة الخ

● بالرغم من هذا كله فقد باءت سياستها بمواقع كثيرة بالفشل ككوبا وفيتنام وأخيراً في لبنان وذلك عندما واجهت شعوبا لا تهاب الموت ، ويرجو أبناءها الشهادة في سبيل دينهم .

كثيرة تلك العوامل التي تؤثر على موقف البيت الأبيض الأمريكي من الحركة الإسلامية . . .

ومن هذه العوامل :-

١- إنتماء دولة الولايات المتحدة الأمريكية للنصرانية الصليبية ، وتبعيتها للموجات الصليبين وما تولد عن الصراع التاريخي بين الإسلام من جهة والصليبية العالمية من جهة أخرى من حقد على الإسلام وأهله . . فالحقد الصليبي هو المحرك الحقيقي والأساسي لكل المواقف الأمريكية تجاه الحركة الإسلامية ، على الرغم من كونها دولة علمانية في حياتها اليومية وقوانينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها . .

فالحقد الصليبي هو المحرك الحقيقي والأساسي لكل المواقف الأمريكية تجاه الحركة الاسلامية

٢- المصالح الأمريكية في المنطقة ، وقناعة الولايات المتحدة الأمريكية من أن تنامي قوة الحركة الإسلامية يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة بالخطر .

البعد الأول : الحقد الصليبي الكامل الموجه ضد الإسلام :-

تعددت المواقف وكثرت الأجهزة التي ينكشف من خلالها هذا الحقد بحيث بات واقعاً ملموساً يراه كل ذي بصير ، ويدركه كل ذي لب .

فأولاً على مستوى الصحافة والإعلام :-

تبنت كثير من الصحف الأمريكية وغيرها ومؤسسات الإعلام بها - على الرغم من علمانيتها - تبنت توجيه الطعنات إلى الإسلام كمنهج وعقيدة ، وتمتلئ الصحف بتصريحات وتصريحات .

"إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الإلتقاء والتفاهم معها ، أما الإسلام فلا إلتقاء معه ولا تفاهم إلا بلغة الحديد والنار" .

صحيفة شيكاغو اليومية .

فإذا انتهينا من مطالعة الجرائد الأمريكية وأمسكنا بواحدة من الجرائد البريطانية الصنداي تلغراف ، يطالعنا فيها مقال يُعبر عن موقف بقية دول العالم الحر فكتب (بيرغارين رد رستن) .

"إن مجود الأكفاء بمراقبة الانتفاضة الإسلامية في الشرق الأوسط لن يفيدنا بشيء وإذا لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكري يفوق عنفها الديني فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين يجلبه على نفسه إذا استمرتها ونا في مواجهة المسلمين المتطرفين" .

وكاتب يهودي (أشعيا بومان) يكتب :-

"إن على أوربا أن تظل خائفة على مستقبلها من الإسلام ذلك الدين الذي منذ أن ظهر في مكة لم يضعف من الناحية العددية ، بل هو في ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب بل إن من أهم أركانه الجهاد ، وهذا ما يجب أن

تتبدله أوربا جيداً ".

وهكذا اجتماع صليبي صهيوني حاقد حاسد صمم على اجتثاث شأفة الإسلام .. ولكن هيهات هيهات . (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

وهذا الحقد الذي نتج عنه هذه الظواهر قد قطع الله به سبحانه وتعالى وحدّث به عباده المؤمنين منذ أمد بعيد حين قال لرسوله صلى الله عليه وسلم " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "، " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ".

هذا ما تصنعه أجهزة توعية الرأي العام وتثقيفه والمعبرة في نفس الوقت عن اتجاهاته وأفكاره .

ثانياً على مستوى صناع القرار - رجال الإدارة الأمريكية :-

فإنك تلمس وترى بوضوح تام هذا الحقد في تصريحات وتصرفات وقرارات هذا الجهاز . . ولا ندري كيف يتجاهل البعض هذه الحقيقة وما يزال يسمي الصراع بين البلدان الإسلامية من جهة وبين الغرب الصليبي من جهة أخرى على أنه صراع مصالح وفقط وصراع نظم سياسية لا أيديولوجيات عقائدية ، ولو أنهم وقفوا أمام هذه التصريحات بقليل من التأمل والتدبر لظهر لهم جلياً كيف أن هؤلاء ما زالوا يريدون حرباً عقائدية ضد الإسلام وإن حاولوا إلباسها ثوباً آخر . .

فلنتذكر على سبيل المثال لا الحصر تصريحات رونالد ريجان أثناء حملته الانتخابية التي جاء فيها: "سأقود حرباً صليبية جديدة " . . ولعلك تتعجب ألماً عندما تعرف أن التلفاز المصري أذاع هذا التصريح بنصه في حينه . . بل إن ريجان يرفض فصل الدين عن الدولة ، حتى أن أحد الكتاب العلمانيين - محمد حسنين هيكل - يذكر :-

أن ريجان نجح في أن يصبغ أمريكا بصبغة عقائدية شبه صليبية ، وليس هذه مواقف مزاجية طارئة ، بل هي مشاعر وأحاسيس صليبية تربط بين المؤسسة الحاكمة في واشنطن منذ أمد بعيد فلم ننس بعد تصريحاً لـ (أو يجين روستو) مستشار الرئيس الأمريكي جونسون عام ١٩٦٧ جاء فيه " لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي" . . ثم قال " ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ".

ليس هذا فحسب بل إن (جان فوستر دالاس) وزير خارجية أمريكا في الخمسينات كان مبشراً في السياسة العالمية - هذا ما جاء على لسان إيدن رئيس وزراء بريطانيا المعاصر له - ، فضلاً عن كونه ابن قسيس ، بالإضافة إلى رئاسته لجلسة تأسيس مجلس الكنائس العالمي . . يقول دالاس الذي هذا وصفه وتعريفه . . يقول ، " أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أننا نبشر بالحضارة الغربية "

بقي أن نقول أن ما ذكرناه من تصريحات ومواقف للإدارة الأمريكية والتي تعكس حقدهم الصليبي ليس إلا قطرة من سيل..

ثالثاً، على صعيد الشعب الأمريكي نفسه :

لقد تربى الشعب الأمريكي تربية حاقدة على الإسلام وأهله منذ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فهو يتحدر من أصول إنجليزية وأسبانية وفرنسية.. ولقد قطعت هذه الدول الثلاث فترة كبيرة من الزمن في صراعاتها مع الدولة الإسلامية قبل سقوطها . . وبعد أن تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية العالم وسقطت الدولة المسلمة كان طبيعياً أن يتبنى شعب هذه الدولة القضايا الصليبية ويدعمها.. ساعد في ذلك الأكثرية الكثيرة للتواجد السكاني الذي ينتمي إلى الديانة النصرانية.. فحسب تعداد ١٩٥٠ كان التوزيع السكاني على النحو التالي :

٤٥ مليون بروتستانت ، ٢٠ مليون كاثوليك ، ٤ مليون يهود ، ½ مليون أرثوذكسي ، ٧ مليون ديانات أخرى متفرقة

ومن أهم الأمثلة التي تعكس حقد وكراهية الشعب الأمريكي بصفة عامة للإسلام .. وقوفه خلف الإدارة الأمريكية مباركاً ومؤيداً خطواتها في حربها على الإسلام وأهله ، بالإضافة إلى مناصرتهم لقضايا الأقليات النصرانية في البلاد الإسلامية ، والعمل على وضع مقاليد حكم البلاد الإسلامية في أيديهم .

ولو تركنا الموقف الأمريكي في لبنان وإسرائيل وتأييد الشعب الأمريكي لإدارته في هذه المواقف .. ونصدنا ظاهرة التعاطف الشعبي الأمريكي مع الأقلية القبطية الأرثوذكسية في مصر، وموقف الإدارة الأمريكية نفسها لزاد يقيننا بتواجد هذا الحقد وبصماته على السياسة الأمريكية . .

نعم أن مصر دولة حليفة لأمريكا إلا أن أمريكا لم تراع ذلك شعباً وحكومة عند معالجتها لقضية الأقلية القبطية في مصر .. فهذه الأقلية لها في الولايات المتحدة حزباً معترفاً به في أمريكا محظوراً في مصر يسمى حزب مصر القبطي للدفاع عن أقباط مصر ، ويصدر مجلة اسمها مجلة السلام لتعبر عن مفاهيمه وقيمه . . .

بل ولقد استقبل بطريرك الأرثوذكس في مصر الأنبا شنودة الثالث إستقبالاً حافلاً عند زيارته للولايات المتحدة الأمريكية في ١٤ أبريل سنة ١٩٧٧ هذا ما نقلته مجلة الكرازة القبطية التي تصدر في مصر ، فقد صدرت بعنوان رئيسي يقول " استقبال حافل لقداسة البابا في نيويورك . الرئيس كارتر يتحدث عن رحلة العائلة المقدسة إلى مصر

ولقد طغى الموقف الصليبي الأمريكي على موقفها السياسي مع مصر .. حتى أن الرئيس المصري السابق اضطر أن يتناول هذه القضية في خطاب عام له في مايو ١٩٨١ جاء فيه : " أما التوصية التي حملها المنشور إلى الأمريكان فهي قولهم نحن نطلب معونتكم الأخلاقية بأن تكتب إلى عضو الـ وعضو الكونجرس لإتخاذ الاجراءات " ثم قال " وأحب أعرض عليكم بقية الخطط التي ماشي إتصال بالهيئات الكنسية والدولية والفاتيكان ومجلس الكنائس الأمريكي والقيادات الدينية والمسيحية "

وليس أدل من هذه المواقف لتؤكد السلوكيات الحاقدة للشعب الأمريكي في احتضانه نصارى العالم الإسلامي أو تأييد قيادته في مواقفهم تجاه مثل هذه القضايا . .

كما أنه لا يفوتنا التنويه عن العلاقة الحميمة

الناشئة بين الإدارة الأمريكية والكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان والتي تسير بشكل مرضي.

وختاماً لهذا البعد نؤكد أن الحقد الصليبي مازال مسيطراً على النفوس، ومهيمناً على السياسات في كل ماله صلة بالإسلام..

ولقد عبرت عن ذلك إحدى علماء النفس الألمان (دكرت سونكر) بقولها "إن الكنيسة الغربية ليس فقط خصماً للإسلام، إنما تعتبره العدو رقم واحد، وتعامله على هذا الأساس، وتغذي موقفها هذا قضايا عقائدية قديمة ليس من السهل نسيانها".

ولعل في هذا الكفاية ليوضح الموقف الأمريكي المعادي للإسلام، وبالتبعية للحركة الإسلامية الناهضة والعاملة له.

البعد الثاني: المصالح الإمريكية والعالم العربي

ما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى تمخضت عن بزوغ قوتين عظيمتين، وأفول قوتين عظيمتين.. تمخضت عن أفول نجم كل من فرنسا وبريطانيا، وانحسار ممالكهما ونفوذهما في نفس الوقت بزوغ نجم كل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي كقوتين بديلتين إمتد نفوذهما وهيمنتهما.. فلقد كان لإلقاء قنبلتي هيروشيما ونجازاكي فعلهما في إلقاء الرعب في قلوب الكثيرين.. واستغلت الولايات المتحدة هذا الوضع الجديد فانطلقت تحدد وتزيد بل وتفرض وتزيد..

وتزعمت الولايات المتحدة العالم الحر [الدول الصليبية] - بريطانيا - فرنسا - أسبانيا - إيطاليا وغيرهن..

وكان طبيعياً والولايات المتحدة لها هذه الهيبة المعنوية المسيطرة على النفوس، إضافة إلى قدراتها الضخمة الاقتصادية والعسكرية والصناعية والسكانية - كان طبيعياً أن تفرض نفوذها على المناطق التي ترى أن مصلحتها تستوجب السيطرة عليها..

وتضع لها استراتيجية شاملة للتعامل مع هذه المناطق لتحقيق أهدافها القومية والحفاظ على مصالحها الحيوية.

ولذا نجد الجنرال (ديفيد جونز) يعلن أمام الكونجرس الأمريكي "نحن نعيش في فترة حرجة حيث أن أي انقلاب أو اضطراب ضخم أو هجوم إرهابي أو حرب بعيدة بين دولتين متجاورتين من الممكن كما لم يحدث من قبل أن تفرض نتائج عالمية قادرة على أن تؤثر في رخائنا أو أمننا القومي".

خصائص العالم الإسلامي

وكان من الطبيعي أن تدخل المنطقة الإسلامية في هذه الرؤية، هذه المناطق التي ورثتها الدول الصليبية عن الدولة الإسلامية بعد سقوطها وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى وتقسيم ممتلكاتها وما تملكه هذه المنطقة الممتدة من وسط أسيا والهندشرقاً إلى المغرب العربي غرباً ومن تركيا شمالاً إلى اليمن جنوباً، ما تملكه من خصائص بالنسبة للغرب الصليبي والشرق الإلحادي على حد سواء ونوجز ذلك فيما يلي:-

(١) التحكم في كثير من طرق المواصلات بين الشرق والغرب، والمضايق البحرية الهامة مثل مضيق الدردنيل والبوسفور وجبل طارق وباب المندب.

(٢) في حالة وحدتها تصبح من أكبر القوى المهددة لروسيا حيث تلاصقه عند حدوده الجنوبية من جانب وكذا لأوربا من جانب آخر حيث تحاذيها من الجنوب وتطل عليها من الشرق

(٣) إنها تملك كل مقومات القوة حيث يساعدها امتدادها الشاسع على تنوع المحصولات الزراعية والمواد المعدنية [البترول - الفحم - الحديد - المنجنيز - الذهب] علماً بأن الغرب يستورد ٥٥٪ من احتياجاته البترولية من هذه المنطقة، في حين

تستورد اليابان ٩٠٪ من بترولها منها ٧٢٪ ١

(٤) لديها قوة بشرية تناهز الألف مليون نسمة يمتلكون تراثاً عقائدياً وتاريخياً مع وحدة الأماني والآمال كعامل هام في بناء أي دولة قوية، اضافة إلى ان هذا التعداد يجعل منها سوقاً هاماً للمنتجات الأجنبية.

(٥) تمتلك قوة مالية ضخمة تودع كمدخرات في البنوك الغربية تايدعم اقتصاديات هذه الدول.

(٦) إلتصاقها بالقوى السوداء في أفريقيا والصفراء في آسيا يساعدها في نشر الإسلام في هذه المناطق مما يعني ضياع مصالح الغرب فيها.

وبعض هذه الخصائص يجعل منها منطقة حيوية هامة في الاستراتيجية الأمريكية.

المصالح الأمريكية في المنطقة العربية :-

ولو اقتطعنا المنطقة العربية من هذا الاتساع الإسلامي الشاسع، واعتبرناها شريحة للعالم الاسلامي مرشحة لقيادته لوجدنا أن المصالح الأمريكية فيها تشمل الآتي :-

١- المصالح الاقتصادية :-

١- تأمين منبع البترول العربي للغرب الذي يستورد مايعادل ٥٥٪ من احتياجاته البترولية.

٢- التواجد الكثيف لشركات البترول الأمريكية التي ربحت عقوداً تقدر بستة مليارات دولار من السعودية وحدها عام ١٩٧٩ وهذا بدوره يعد دعماً للاقتصاد الأمريكي

٣- تمثل المنطقة سوقاً جيدة للاستثمار والتجارة لكونها مختلفة صناعياً وتكنولوجياً، ويكفي أن تعرف أن أمريكا تسيطر على ١٠٠٪ من استثمارات بترول السعودية والبحرين ٥٠٪ من بترول الكويت وذبي ٣١٪ من بترول قطر ٢٣٫٧٥٪ من بترول العراق وأبوظبي هذا على مستوى الاستثمار أما على مستوى التجارة فنجد أن عائدات دول الأوبك العربية أنفق منها ٦٧ مليار في عام ١٩٧٤ لاستيراد السلع والخدمات الأمريكية ارتفعت إلى ١٢٫٣ مليار سنة ١٩٧٧، وأدى ذلك إلى تصحيح ميزان المدفوعات الأمريكي عن عجز في التعامل التجاري مع هذه الدول من ١٠٨ مليون دولار إلى فائض قدره ٩٥٦ مليون دولار عام ١٩٧٥.

فلو عرفت أن السوق العربية سوق إستهلاكية حيث أن المواد الإستهلاكية تعادل ٧٠٪ من جملة وارداتها، لعرفت كم هو الخطب عظيم بالنسبة لهذه المنطقة وكم هي بقرة حلوب بالنسبة للولايات المتحدة.

- أما عن تجارة الأسلحة لهذه المنطقة [وهي أسلحة غير فعالة ليست هجومية، ولاتسمح بتحقيق نصر من نوع ما، بل هي أسلحة دفاعية لهبا للاستراتيجية الأمريكية لحماية اسرائيل] - -

فيكفي أن تعرف أن استيرادات السعودية من الولايات المتحدة الأمريكية بلغت في هذا المجال ٦٤٢٠ مليون دولار أي ٦٠٪ من الصادرات الأمريكية، وهذا يخدم دعماً لاقتصاديات ٢٠٪ من القطعة العاملة الأمريكية التي تعمل في صناعة السلاح، وتعطي التجارة بوجه عام عائد قدره من ٢ : ٣ بليون دولار سنوياً. وفقاً لاحصائيات نهاية فترة الستينات التي أمكننا الحصول عليه فكم ستبلغ الآن ؟!

٤- ضمان استثمار عائدات النفط العربية في أمريكا والغرب، فإذا علمنا أن هذه العائدات بلغت ٢٤٫٨ مليار دولار في الفترة من ٧٤ : ٧٨ أعتبر منها ١٤٤٫٧٤٣ مليار دولار فائضاً مالياً معد للاستثمار لعرفنا ماهو مقدار الدعم الذي تقدمه هذه العوائد للدول الغربية بوجه عام

هذا على مستوى المصالح الاقتصادية فحسب!

* * *

صفحات من وثيقة
[منهج جماعة الجهاد الاسلامي]

إعداد: عبود الزمر

تقـــــديم

الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم والصلاة والسلام على النبوة رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ثم أما بعد

فإن الناظر في حال الأمة الإسلامية اليوم وهي تئن من ألم الجراح وتترنح في خضم الأهواء وقد أسكرها رحيق الحضارة الغربية الزائف لمستجير برب الأرض والسماء من ذلك البلاء الذي لحق بحكام المسلمين ببعدهم عن دينهم ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم فكانت العاقبة وخيمة إذ سقطت الخلافة الإسلامية وضاعت مقدسات الإسلام واحتلت فلسطين وافغانستان وانضمت القلة المسلمة في كل بقاع الأرض، هذا ولازال حكام المسلمين في غيهم والهون وعن شريعة الرحمن معرضون ولأوليائه محاربون، أما كان لهم في السادات عبرة وقد قال تعالى " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها "[1] والحق يقال بأنهم لم يعوا الدرس ولم يستوعبوا التجربة، فحكام البلاد في مصر والذين أخرجوا من تحت السنصة وقد ديست وجوههم بالنعال لم يتعظوا وصدق الله العظيم إذ يقول ..

" إنما يتذكر أولوا الالباب "[2]

فهل لكم من توبة يا حكام البلاد في مصر، يا من عطلتم شريعة الله أن تطبق في أرضه وعلى عباده. لا عذر لكم بعد أن علمتم قول الحق تبارك وتعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "[3] وقوله " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون "[4] لا عذر لكم بعد أن جربتم القوانين الوضعية واستبدلتم بشرع الله حكما آخر أجمع علماء المسلمين على كفر من استبدل شريعة الرحمن بقانون ما أنزل الله به من سلطان فما زادكم ذلك إلا جحودا وإعراضا وبغيا فدرتم في فلك الشرق والغرب من أجل فتات الخبز ونسيتم قول المولى عز

---

[1] محمد ١٠ [2] الرعد - ١٩

[3] المائدة - ٤٤ [4] المائدة - ٥٠

وجل " ولو أن أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون "(١)
أما آن لكم أن تعودوا إلى دينكم وتثوبوا إلى رشدكم " أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم "(٢)
أما آن لكم أن تفسحوا الطريق بعد إذ فشلتم لرجالات الحركة الاسلامية ليقودوا الأمة إلى ما فيه الخير والرشاد، فيقيموا دولة الإسلام على نهج النبوة ويصلحوا ما أفسدتموه ويشيدوا ماهد متموه من أمجاد الأباء والأجداد.
ولكن .. هل من مجيب، هل من ملب.
لا. إن ذلك لن يكون، وصدق الله العظيم إذ يقول " إن الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "(٣)
نعم .. إننا نوقن بأنهم لن يستجيبوا للنداءات ولا بالممارسات الحزبية ولا بالدعاوى القانونية ولا بالمسيرات السلمية .. لأننا نؤمن بحتمية الصراع بين الحق والباطل بين قوى الكفر والإيمان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وقد صدق الله العظيم إذ يقول " فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون "(٤) ويقول " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله "(٥) .. ومن هنا فنحن قد عقدنا العزم - وكلنا أمل في نصر الله - على إزاحة دولة الباطل في مصر واستئصال شأفتها جذريا وإحلال البديل الاسلامي أمل المسلمين المنشود

---

[١] الأعراف - ٩٦ [٣] البقرة [٥] الأنفال - ٣٩
[٢] المائدة - ٧٤ [٤] براءة - ١٢

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »[1] ولكن متى يتحقق ذلك والمسلمون شتى وعدوهم قد إستجمع قوته وأنصاره ويعمل ليل نهار يخطط ويدبر ويكيد ويمكر فكم من الأفواه من كلمة تقال، وسد الطريق أمام الدعاة إلى الله، وأغلق المساجد دون المصلين « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم »[2] ... بل وتجاوز الأمر مداه فزج بمن شاء في السجون وقدم من قدم إلى محاكمات جائرة بعد أن أذاقهم من صنوف العذاب ألوانا لا لشئ سوى أنهم قالوا ربنا الله .. لا لشئ سوى أنهم صدعوا بقولة حق ولم يرضوا بغير حكم الله حكما .. لا لشئ سوى أنهم أرادوا أن يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[3]

وها أنت يا شعبنا المسلم بكل فئاته نراك تقف اليوم مكتوف الأيدي لا تحرك ساكنا تجاه حكام ضيعوا البلاد وأذلوا العباد ففي سنتك الذي طال تكون الهلكة دون النجاة وفي توحدك الذي غاب تكون القدرة دون العجز وفي فاعليتك ونصرتك لدينك يكون النصر بإذن الله .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »[4] « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »[5] فكونوا حماة لدينكم ودرعا لعقيدتكم من موقعكم في لحظة المواجهة الحاسمة

ومن أجل هذا فنحن نطرح الخطوط العامة للمنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي - التي شرفها الله بقتل السادات

---

[1] الإسراء - ٨١ [3] الصف - ٨، ٩ [5] محمد - ٣٨

[2] البقرة - ١١٤ [4] محمد - ٧

على أيدى بعض رجالها حسبهم عند الله شهداء - عسى أن يكون فى هذا الموجز فاتحة خير يجتمع عليه شملنا وتتوحد به صفوفنا . نحو هدف قد حددناه .. وأسس قد ارتكزنا عليها . وواقع قد قيمناه .. وبديل قد أعددناه .. وطريق قد رسمنا معالمه بدماء " شهدائنا محمد عبد السلام وخالد وعطا وحسين وعبد الحميد " .. وفى تفصيل هذه الخطوط حين تسنح الفرصة مستقبلا بإذن الله يكون المزيد من تعميق المفاهيم ، يكون المزيد من التماسك والترابط فى جسد الحركة الإسلامية للمضى قدمًا نحو الهدف ، نحو الخلافة الإسلامية القائمة " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " [1] .. ويومئذ " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم " [2]

* * *

والله الموفق للحق والصواب

---

[1] النور - ٥٥ . [2] الروم - ٥

الباب الأول

١- تمهيد

"بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء"[١]
قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس"[٢]
واليوم وقد صدقت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد أضحى الإسلام غريبًا في مواجهة كل مناهج الأرض، أضحى غريبًا وهو يلاقي العداء تلو العداء من كل قوى الكفر.. أضحى غريبًا بين أبنائه الذين فتنتهم الحضارة المزعومة للشرق أو للغرب، ونسوا أنهم يملكون أعظم وأدق وأكمل منهج على وجه الأرض.. منهج رباني متفرد، فمنذ أن سقطت الخلافة الإسلامية فقد المسلمون سيفهم ودرعهم وأصبحوا نهبة لكل طامع وفريسة لكل غاصب. فتقطعت أوصال الدولة الإسلامية وغابت شريعة الله من موقع الريادة. فتخبطت البشرية في مستنقعات القوانين الوضعية الباطلة وتردت في غيابات الأفكار الظلامية الضالة... وفي معترك هذا الواقع الأليم وأعداء الإسلام يجهزون على البقية الباقية من الإسلام وأهله، يقيض الله عز وجل عصابة من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم تشيط غضبًا لانتهاك حرمات المسلمين وغياب شريعة الرحمن فتسعى من منطلق واجبها الشرعي لإعادة الخلافة الإسلامية حامية هذا الدين، باذلة في سبيل ذلك أرواحها وأموالها... فقامت جماعة حسن البنا في مصر والدكتور مصطفى السباعي في سوريا والمودودي في الباكستان، وفي إيران كان نواب صفوي وكانت "فدائيان إسلام" وغيرها.. وغيرها من الحركات الإسلامية التي كلما بدأت تعمل أجهضتها القوى الكافرة لتقوم غيرها لتكمل المسيرة غير عابئة بما لحق بسابقتها.. وهكذا صراع دائم من أجل إعادة الخلافة الإسلامية وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"[٣]

---

[١] مسلم [٢] المسند [٣]

فنسأل الله أن نكون قد استوفينا شروط وصفات هذه الطائفة ، وقد قال البخارى عنها بأنهم أهل العلم . وقال أحمد بن حنبل "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم" . وقال القاضى عياض "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث" . وقال النووى "ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين فى أقطار الأرض" ... والآن ونحن فى غمرة ذلك الصراع الدائر بيننا وبين أعداء الإسلام فى بقاع متعددة من أقطار الأرض لنستشعر خطورة المواجهة تجاه عدو قد أجمع أمره علينا ، فكيف لا نجتمع ونحن .. أحوج ما نكون إلى جهد كل عضو عامل منا لنكون حركة عالمية واحدة فلا نركن إلى قدرية وقوع الخلاف بالكف عن السعى للإجتماع ونحن مأمورون به قال تعالى "واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا" (١) وقال "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين" (٢) .. إذن فلماذا لا نبحث فى أوامر الخلاف وجذوره ، فإن كان الخلاف خلاف تنوع جاز لنا الاجتماع ، حيث أن الأمر يعد خلافيًا سواء ذلك كان إعتقاديًا أم فقهيًا ، ولأن المخالف له دليله وسنده المعتبر أما إذا كان الخلاف تضادًا فعلينا أن نتجرد لله جميعًا فى البحث وأينما تكون الدليل نكون معه ، فإن نحن فعلنا ذلك أصبنا الحق بإذن الله تعالى ، أما إذا ثبت بيننا هذا النوع من الخلاف فإنه يمنع من الاجتماع البتة فى كيان واحد ، إلا أننا فى هذه الحالة لا نعدم وسيله لإيجاد نوع آخر من العلاقات الجائزة شرعًا كالتعاون وتنسيق المواقف طبقًا لما تطلبه مصلحة الحركة الإسلامية

---

[١] آل عمران - ١٠٣ [٢] الأنفال — ٤٦

ونحن قبل أن نشرع في طرح الخطوط العامة للمنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي نشير إلى أن هناك تفصيلا ينبغي أن يطرح لجزئيات هذا المنهج في أبحاث تفصيلية حيث لا يتسع المقام لطرح فكرنا دفعة واحدة مدعمًا بالأدلة الشرعية من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو أقوال السلف الصالح أو فتاوى العلماء المعاصرين الإثبات.

وما نقدمه اليوم لا يعد إلا علامة إرشاد على الطريق الذي ارتضيناه لنا عسى أن يجمع الله به أوصال الحركة الإسلامية على الحق المبين

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » (١)

---

[١] يوسف ١٠٨

٢ - المدخل

أولاً .. تعريف المنهج الفكرى

هو مجموعة الأفكار والاجراءات التى تحدد الطريق الذى ننتهجه فى هذا الواقع لتحقيق الغاية العظمى التى من أجلها وضع هذا المنهج وذلك بالوسائل المشروعة وفى ضوء الامكانيات المتاحة أو بمعنى آخر

هو ذلك الاطار المنضبط بالشرع الحنيف الذى يوجه ويحكم حركة الجماعة فى طريقها نحو إحلال البديل الاسلامى محل الأنظمة الجاهلية طبقًا لمتطلبات الخطة العامة ..

ثانيًا .. مصادر المنهج

١- القرآن الكريم : كتاب الله تعالى الذى نزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يعد الأصل الأول من أصول التشريع الإسلامى و لاخلاف عليه ، نقل إلينا بالتواتر وهو حجة على الناس أجمعين قال تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "(١) وقال " وإنه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين "(٢)

ب- السنة المطهرة : وهى ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وتعتبر المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى قال تعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "(٣) وقال " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله "(٤)

جـ - الاجماع : وهو إتفاق المجتهدين فى عصر من العصور بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم على حكم شرعى ، ويعتبر الاجماع هو المصدر الثالث من التشريع الاسلامى وهو حجة يجب العمل بمقتضاها عند الجمهور ..

د- أقوال أئمة السلف الصالح كاحمد ومالك وأبى حنيفة

---

[١] الحجر - ٩ [٢] الشعراء (١٩٢-١٩٥) [٣] الحشر - ٧

[٤] النساء - ٨٠

والشافعي والذين أخبرعنهم رسولنا الكريم بقوله :
" خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "(١)

هـ - الفتاوى المباشرة للعلماء المعاصرين الثقات في القضايا الجديدة لضمان الضبط الشرعي الصحيح للفكر والحركة " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٢).

ثالثا .. خصائص المنهج

م - التجرد المطلق في طرح قضايا الإسلام فهو السبيل للوصول إلى الحق ..

ب - الشمول في غير تجزئه ولا نقصان حيث " لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه " ..

ج - الوضوح في مواجهة الجاهلية ومفاصلتها وتحديد المواقف من أهل البدع والأهواء ..

د - الفاعلية في علاقة الإنسان بربه وتأثيره على المجال البشري الذي يحيط به " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (٣) ..

هـ - الواقعية في تناول قضايا الواقع ومعالجة أمور الدين فيها كما أمر الله ورسوله أما أمور الدنيا كالاستفادة العلمية من العلوم الواقعية النافعة لإدارة الحركة والدولة فبمقتضى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" أنتم أعلم بأمور دنياكم "

و - إنه دعوة سلفية أصولية للعودة إلى فهم واعتقاد السلف الصالح في عصر ساد فيه الانحلال

ز - الاتزان الحركي في البناء والمضي قدمًا نحو الهدف بما يتطلبه ذلك من مفهوم القدرة وحد الاستطاعة المادي والتنظيمي " لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها " (٤)

---

[١] [٢] الزمر - ٩ [٣] التوبة - ١٠٥

[٤] البقرة - ٢٨٦

رابعًا .. أهمية وجود المنهج

أ- يحدد رؤية إسلامية صحيحة وصالحة للتطبيق في الواقع القائم ..

ب- يساعد على تجميع الاتجاهات الإسلامية في إطار حركي واحد ..

جـ- يعمل على توجيه حركة الجماعات المختلفة بما يحقق الفائدة المرجوه لصالح الحركة الإسلامية

د- تختفي بوجوده الخلافات الفكرية التي تنشأ داخل الكيان الواحد ..

هـ- يعد إحدى المقومات اللازمة لاستمرار الكيان واستكمال المسيرة ..

و- يقضي على ظاهرة الشخصانية فلا يكون الاجتماع حول أشخاص بل حول منهج ..

ز- يحمي الجماعة من تحمل الأخطاء الفردية لقادتها أو أعضائها حيث يكون هو مقياس الخطأ والصواب ..

خامسًا .. أهداف المنهج الفكري لجماعة الجهاد الإسلامي

أ- إحداث الوحدة المرجوه بين أوصال الحركة الإسلامية لتكون يدًا واحدة على من سواها ..

ب- رسم وتحديد معالم الطريق الذي ينبغي أن نسلكه بالسبل المشروعة لتحقيق غايتنا المنشودة بكل أبعادها

جـ- حماية حركة الجماعة من الإنحراف أو الشطط على المدى القريب أو البعيد ..

د- إعداد جيل على مستوى من الفهم والوعي بقضيته وقادر على تحقيق الأهداف المنوطة بالجماعة ..

فهرس عام

(أ)

آسيا ١٨٥
الآمدي، سيف الدين ٦٩
ابراهيم بن ادهم ١٤٦
ابراهيم، عبد الستار عوض ٧٠
ابراهيم، ناجح ١٩
ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد ٥٧
ابن أم مكتوم، أحمد ١٢٠
ابن تيمية، تقي الدين أحمد ١٢، ١٩، ٥٧، ١١٦، ١١٧ - ١٢٣، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٤١، ١٤٣، ١٦٩
ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن ١٤٦
ابن حجر العسقلاني ١٣٤، ١٧٠
ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد ٦٩، ٧٠
ابن حنبل، أحمد ١١، ١١٣، ١٢٧، ١٣٠
ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن ٥٦، ١١٤
ابن دثنة ١٤٥
ابن رجب، عبد الرحمن ١٢٧
ابن سعد الزهري ٦٧، ٦٨
ابن سينا، ابو علي ٧١
ابن عباس، عبد الله ٦٧، ١٤٠
ابن عدي ١٤٤
ابن عساكر، أبو القاسم علي ١٢٨
ابن عمر، نافع مولى ١٤٤
ابن قدامة، عبدالله موفق الدين ١٢٣
ابن القيم الجوزية، محمد ٨٩، ١٣٩، ١٧١
ابن كثير، عبد الله ٣٦، ٧٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٠
ابن ماجة، محمد ١٢٨
ابن هشام، عبد الملك ٧٠
ابو اسماعيل، صلاح ١٥٣، ١٥٤
ابو بكر الصديق، عبد الله ٤٨، ٩٠، ٩١، ٩٦
ابو حنيفة، نعمان بن ثابت ٥٨، ١١٣، ١٣٠
أبو داود، سليمان بن الأشعث ١٢٨
ابو زهرة ٦٩
ابو ظبي ١٨٥
ابو الفتح، أحمد ١٥٣
ابو قبيل ١٢٨
أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الازدي ٨٠، ٨١، ١٤٠، ١٤٥
أتاتورك، مصطفى كمال ٧٣
الاتحاد الاشتراكي العربي ٤٢
الاتحاد السوفييتي ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٨٤
اتحاد الشعب العامل الناصري ١٥٠
الاتحادات العمالية ١٦٢
الاتراك ٤٧
اتفاقيات كامب ديفيد ٢٤، ٢٥، ١٥٥، ١٨٠
أثيوبيا ١٨٦
الأحاديث الدينية ٤٠
الأحكام الشرعية ٨١
أحمد، كمال ١٥٠، ١٥٩، ١٦٠
الإخوان المسلمون ١٢، ١٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٢، ٢٠٠
الاردن ٢١، ٤٧
الأرقم بن الأرقم ٦٨
الأساليب البلاغية ٦٢
أسامة بن زيد ٨١
الاستخلاف ١٧٥
الاستراتيجية الأمريكية ١٨١، ١٨٦
الاستعمار الغربي ٤٧
اسرائيل ٣٦، ١٥١، ١٥٣ - ١٥٧، ١٨١، ١٨٣
الاسلام ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٣١ - ٣٣، ٣٥ - ٥٠، ٥٣ - ٥٦، ٦٢ - ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٤ - ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢ - ٩٢، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١١٠ - ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٨ - ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥، ١٥١، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٦ - ١٦٩، ١٧٢ - ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢ - ١٨٥، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١
الاسلامبولي، خالد ٢٠، ٢٥، ١٥١

الاشتراكية ٢٠، ٢٢، ٤٢، ٤٧، ١١٦، ١٥٥، ١٥٩
أفريقيا ١٧٢، ١٨٥، ١٨٨
أفغانستان ١١٠، ١٩٠
الاقتصاد الامريكي ١٨٥، ١٨٧
الاقتصاد المصري ١٨٨، ١٩٠
الأقطار الاسلامية ١٣٨
الألباني ٩٢
الأمة الاسلامية ٢١، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٦٨، ١٧٢
الأنباشنودة الثالث ١٨٣
انجلترا ٤٠
الأنصاري، أبوخزيمة ٥٧
الأنصاري، حبيب ١٤٥
الأنصاري، عاصم بن ثابت ١٤٥
الانفتاح الاقتصادي ١٧، ٢٢ ـ ٢٤، ١٨٨، ١٩٠
الانقلابية ١١٤
الأوبك أنظر منظمة الأقطار المصدرة للنفط
أوروبا ٤٠، ١٧٢، ١٨٢
إيدن، انطوني ١٨٣
الأيديولوجيات العلمانية ١٧
الأيديولوجية الماركسية ١٨٨

(ب)

الباز، أسامة ١٦٠
باكستان ١٨٨
البترول العربي ١٨٥
البحر الأبيض المتوسط ١٨٦
البحر الأحمر ١٨٦
البحرين ١٨٥
البدري، يوسف ١٥٤
البراء بن عازب ٨٩، ١٤٥
بركات، عبد الحميد ١٥٦
بريطانيا ١٨٤
البسطاسي، مراد ١٥٤
بشير بن الخصايصة السدوسي ٨٤
بطرس، رأفت ٦٣
بلاد الشام ١٣٢
البنا، حسن ١٢، ١٩، ١١٢
البنك الدولي ١٨٨
بومان، أشعيا ١٨٢
البيهقي، أبوبكر أحمد ١٣٦، ١٤٠

(ت)

التأويل ٦٤
التاريخ الاسلامي ٩٩
التبشير الصليبي ٤٧
التبعية ٩١، ٩٧، ١٩١
التبعية السياسية ١٧٦
التتار ١٣٠ ـ ١٣٢، ١٤١، ١٧٣
التجزئة ١١٧
التحديث ١٧
التخلف ٤٤، ١٤٧
التخلف الاقتصادي ١٧٦
التراث الاسلامي ٣٦
التراث الجاهلي ٤٤
التربية ١١٩
التربية البدنية ١٢٠
التربية الروحية ١١٩
الترف العقلي ٣٢
تركيا ١٧٢، ١٨٤
التشريع الاسلامي ٤١
التشريع الروماني ٤١
التطرف ١٣
التعليم الأزهري ٧٠
التعليم الشرعي ١١٩
التعليم الفقهي ٧١
التعليم الواقعي ١١٩
التغلغل الأمريكي ١٨٨
التلمساني، عمر ١١، ١٣، ٢٥، ١٥٥، ١٩٩، ٢٠٧
تنظيم شباب محمد ١٢
التوبة ٨١، ٨٩، ٩٢

(ث)

الثقفي، أبومحجن ١٣٩
الثورة الايرانية ٢٤
ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢ ١٢

(ج)

جابربن عبد الله ١٤٢
الجامعة الأمريكية في بيروت ٤٧
جزيرة جرينادا ١٨٠
جزيرة العرب ٩١
جلال، سعاد ٦٢

الجماعات الإسلامية ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٦١، ١٩٩

جماعات الضغط ١٦١ ـ ١٦٣

جماعة الجهاد الاسلامي ١٩، ١١٠ ـ ١١٣، ١٢٣، ١٦٥، ١٦٨، ٢١٠، ٢٤٦

جمعة، شعراوي ١٦٠

جمعة، نعمان ١٥٣

جمعية رجال الأعمال المصرية ـ الأمريكية ١٦٣

جمعية رجال الأعمال المصرية ـ الفرنسية ١٦٣

جمعية رجال الأعمال المصرية ـ الكندية ١٦٣

جنادة بن أبي أمية ١٣٥

جنكيزخان ١٢٨، ١٣١

الجهاد الاسلامي ٢١، ٤٢، ٥٠، ٦٥، ٨٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩ ـ ١٤١، ١٤٧

الجهني، عبد الله بن أنيس ١٤٣

جونسون، ليندن ١٨٢

الجيوش الإسلامية ٩٩

(ح)

حادثة المنشية (١٩٥٤) ١٢، ١٩

حادثة المنشية (١٩٦٥) ١٢

الحارث بن بشر ١٤٢

الحافظ بن كثير ١٣٧

حافظ، علوي ١٥٣

حبش، جورج ٣٦، ٤٧

حبيب، كمال السعيد ١٣، ١٩

الحديدي، حلمي ١٥٢

الحرب العالمية الأولى ١٨٤

الحرب العالمية الثانية ١٨٤

الحركة الاجتماعية الثورية ٢٣

حركة الإحياء الاسلامي ١٧، ١٨، ٢٠ ـ ٢٢، ٢٥

الحركة الاسلامية (مصر) ١١، ١٧ ـ ٢٠، ٨٥، ٩١، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١١٠ ـ ١١٦، ١٥٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٠، ٢٤٠

الحركة الطلابية ١٦٢

الحركة الطورانية ٤٧

حركة القوميين العرب ٤٢

حزب الاتحاد التركي ٤٧

حزب الأحرار ١٥٣

الحزب الاشتراكي العربي الناصري ١٥٩

حزب الأمة ١٥٤

حزب البعث العربي الاشتراكي ٤٢

حزب التجمع ١٥٦

الحزب الجمهوري (امريكا) ١٨١

الحزب الديمقراطي (امريكا) ١٨١

الحزب الشيوعي المصري ١٥٠

حزب العمل ١٥٠، ١٥٥

الحزب القومي السوري ٤٢

حزب مصر الفتاة ١٥٥

الحزب الوطني ١٥٠، ١٥١

حزب الوفد الجديد ١٥٢

الحسن البصري، ابو سعيد ١٤٤

حسين بن علي (الشريف) ٤٧

حسين، عادل ١٥٦

الحضارة الغربية ١٨٣

الحكم الاسلامي ٤١

حلف الأطلنطي ١٨٦

الحميري، الحارث بن عبد الكلال ١٣٧

(خ)

خالد، شوقي ١٥٦

خلاف، عبد الوهاب ١٣٧

الخلافة الاسلامية ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٧

خلف الله، محمد أحمد ١٥٧، ١٥٨

الخلفاء الراشدون ٣١، ١٣٠

خليج سرت ١٨٠

الخليج العربي ١٨٦

خليل، مصطفى ١٥١

الخواجة، أحمد ١٦٢

الخوارج ٣٢، ١٤١

(د)

دالاس، جان فوستر ١٨٣

داود، ضياء الدين ١٦٠

دبي ١٨٥
دريالله، عصام الدين ٢١٠
دعبس، الحمزة ١٥٤
الدهلوي (الامام) ١٢٢
الدواليبي، فؤاد ١٩
دوركهايم، اميل ٤٥
الدولة الاسلامية ٢١، ٣١، ٤١، ٤٢، ١١٨، ١٢٧ ـ ١٢٩، ١٣٤، ١٣٩
الدولة العثمانية ٣٢
الديمقراطية ٢٠، ٤٣، ٤٧، ١١٥، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٦١، ١٧١
الديمقراطية الغربية ٤٧

(ذ)

الذهبي، شمس الدين محمد (الشيخ) ٧٤، ١٠٣

(ر)

الراسمالية ٤٧
رافت، وحيد ١٥٣
الرابطة الاسلامية ٥٠
الرازي، أبوحاتم ١٤٦
الربا ٦٢، ١٣٢، ١٣٣
ربعي بن عامر ١٦٩
الرجعية ٤٤
الرحال، سالم ١١، ١٧، ١٩، ٢٥، ١٧٩، ١٩٠
رد رسيتن، بيرغارين ١٨٢
رشوان، عبد الله ١٠٢
رفعت، كمال ١٥٩
روستو، أوريجين ١٨٢
ريجان، رونالد ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٨

(ز)

زائير ١٨٨
الزركشي، بدر الدين ٥٦
زغلول، سعد ١٥٣
الزكاة ٣٩، ٨٨، ٩٤، ١٣٠
الزمخشري، أبو القاسم محمود ٣٦
الزمر، عبود ١١، ١٧، ٢٥، ٢٤٦
الزنا ٤١، ٦٣، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٢٠٠
الزنادقة ٣٢
زهدي، كرم ١٩
زيد بن ثابت ٦٠، ٩٤
الزيني، طه ٧١، ٧٢، ٩٧

(س)

السادات، أنور ١١، ٢١، ٢٢، ١١١، ١٥٠، ١٥٣ ـ ١٥٥، ١٦١، ١٦٣، ١٨٧، ١٨٨
السباعي، مصطفى ١١٢
سراج الدين، فؤاد ١٥٢
سراج الدين، ياسين ١٥٣
السرخسي ١٢٢
سرية، صالح ١١، ١٢، ١٧، ١٩، ٢٥، ٣١
سعادة، أنطون ٤٧
سعد بن أبي وقاص ٧٥
السعودية ٧١، ١٨٨
السعيد، أمينة ٦٣
السعيد، رفعت ١٥٦، ١٥٨
السعيد، مصطفى ١٦٣
سلامة، حافظ ١٩٩
السلع الاستهلاكية ١٨٨
السلفية ١١٤
السلوك الاجتماعي ٢٣
السماوي، عبد الله ١١، ١٣، ٢٥، ١٩٣، ١٩٧
السنباطي، رياض ٢٠٧
السُنة ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٣، ٧٢، ٧٩، ٩٢، ١٠٢، ١١٢، ١١٣، ١٣٢، ١٦٠، ١٧٤، ١٨٦
سنمجي، دانا ١٣٨
السودان ١١٧، ١٥٠، ١٨٧
سوريا ٢١، ٤٧، ١٩٠
السويد ٤٠
سيد احمد، رفعت ١٤
سيد أحمد، محمد ١٥٨
السيد، عثمان عبد الرحيم ٧٣
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ١٢٨، ١٣٧، ١٣٩

(ش)

الشاذلي، كمال ١٥٢
الشاطبي، أبو اسحق ابراهيم ٦٩
الشافعي، محمد بن إدريس ٨٩، ١١٣، ١٣٠، ١٤٥
الشرق الأوسط ١٨١
الشرقاوي، محمد عبدالعزيز ١٢، ١٩
الشرك ٨٠، ٨٢، ١٩٤
شركة أي.بي.سي الامريكية ١٩٩
الشريعة الاسلامية ٢٢، ٢٤، ٥٦، ٦٣، ٧٣، ٧٦،

٧٨، ٨٩ ـ ٩١، ٩٧، ١٠٠، ١١٧، ١١٩، ١٥٤، ١٥٦، ٢٠٠
الشعب المصري انظر المصريون
الشعراوي، متولي ٦٢، ١٥٥
الشعوبية ١٧٣
شكري، ابراهيم ١٥٦
شلتوت (الشيخ) ٦٢
الشمولية ١١٤
الشوربجي، عبد الفتاح ١٥٤
الشورى ٩٠، ١٧٤
الشوكاني، محمد بن علي ١٢١
الشيعة ٣٢، ١٨٦
الشيوعية ٤٠، ١٠١، ١٧٩
الشيوعيون ١٥٨

(ص)

الصباحي، أحمد ١٥٤
صبري، اسماعيل ١٥٦، ١٥٨
صبري، علي ١٦٠
صبري، محمد ١٦٢
الصحوة الاسلامية ١٢٨، ١٨٦
الصعب بن جهامة ١٤٤
صفوي، نواب ١١٢
الصليبي، ابراهيم فرج ١٥٣
الصليبيون ١٧٣
صندوق النقد الدولي ١٨٨
الصهيونية ١٧٩، ١٨٣
الصين ١٧٢

(ض)

الضحاك بن مزاحم ١٣٧

(ط)

الطبراني، أحمد ١٢٨
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ٥٦، ١٤٢
الطنطاوي، اسماعيل ١٢، ١٩

(ظ)

الظواهري، أيمن ١٢

(ع)

العالم الاسلامي ٣٢
عاطف، اسلام ٧١
عاطف، محمد ٧٢
عامر بن صلاح ٥٩
عائشة، بنت أبي بكر ١٤٤
عبادة بن الصامت ١٣٥
العباس بن عبادة ٥٧، ١٧٩
عبد الحميد الثاني (السلطان) ٤٧
عبد السلام، محمد ١١١
عبد العزيز، ماهر ٥٣
عبد الكريم، خليل ١٥٧، ١٥٨
عبد الكريم، فريد ١٥٨ ـ ١٦٠
عبد الله بن المبارك ١٤٦
عبد الله، ناجح ابراهيم ٢١٠
عبد الماجد، عاصم ٢١٠
عبد الناصر، جمال ١٧، ٢١، ٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ٢٠٧
عبد الناصر، خالد ١٦٠
العبودية ٩٣، ١٧٠، ١٧١
عبيد، فكري مكرم ١٥١
عثمان، عثمان أحمد ١٥١
عدي بن حاتم الطائي ٣٣، ٦١
العراق ٤٧، ١٧٢
العرب ٢٥، ٤٨، ٩٨، ١٤٠
العزبن عبد السلام ١٢٣
العصر الجاهلي ٦٣، ٩١، ٩٢
عصفور، محمد ١٥٣
العصور العباسية ٣٢
عفلق، ميشيل ٣٦، ٤٧
العقيدة الاسلامية ٣١، ٣٨، ٣٩، ٧١، ٢٠٠
عكرمة بن أبي جهل ١٤٣
العلاقات الاسرائيلية ـ المصرية ١٩٩، ٢٠١
العلاقات الامريكية ـ المصرية ١٨٧، ١٨٨
علم الحديث ٦٢، ١٠١
علم القانون ٩٠
علم الكلام ٤٩
العلمانية ٢٠، ٤٨، ١١٦، ١٥٢، ١٦١، ١٧٢
العلمية ١١٤

علي بن أبي طالب ٨١، ١٤١
عمار بن ياسر ١٤٥
عمارة، محمد ١٥٧
عمر بن الخطاب ٤٨، ٦٠، ٦١، ٧٢، ٨٠، ٩٠، ٩١، ٢٠٠
عمرو بن العاص ٦٦
عمرو بن عثمان ١٢٨
العمل الإسلامي ١٢٣
عنترة بن شداد ٤٤
العنف الديني ١٢، ١٣
عودة، محمد ١٥٧، ١٦٠
عياد بن بشر ١٤٢
عياض القاضي ١١٢، ١١٤، ١٣٥
عيسى، صلاح ١٥٦

(غ)

الغزالي، أبو حامد ٣٦
الغساني، الحارث بن أبي شمر ١٣٧

(ف)

الفاتيكان ١٨٤
الفارابي، ابو نصر محمد ٧١
الفارابي، سلمان ١٤٢
فائق، محمد ١٦٠
الفتح الإسلامي ٦٦
فرج، محمد عبد السلام ١١ ـ ١٣، ١٧، ١٩، ٢٥، ١٢٧
فرنسا ١٨٤
فريد، محمد فؤاد ٦٨
الفقه الإسلامي ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧٣
الفكر الاسلامي ٥٤، ١٥١
فلسطين ٢٥، ٤٠، ١١٠، ١١٦
الفلسطينيون ٢٥
الفلسفة البرجماتية ٤٢
الفلسفة المادية ٤٢
الفلسفة الوجودية ٤٢
فوزي، محمد ١٦٠
فيتنام ١٨٠

(ق)

القانون الدستوري ٩٠
القتال الاسلامي ٩٨
القذافي، معمر ٦٣
القرطبي ١١٤، ١٢٢
قسطنطين (الامبراطور) ١٨
القسطنطينية ١٢٨
قطب، سيد ١٢، ١٨ ـ ٢١، ١٠١
قطر ١٨٥
القلماوي، سهير ٦٣
القليوبي، ابراهيم ٧٤
قناة السويس ١٨٦، ١٨٨
قناوي، ممدوح ١٥٦
القومية العربية ٢٠، ٢١، ٤٧، ٤٨
القوى السياسية ١٣، ١٥٠، ١٥٨، ١٦١
القوى الناصرية ٢١
الشيوعية ١٥٠
القوى اليسارية ١٥٠
القوى اليمينية ١٧، ٢٤، ١١٤
القيم الاسلامية

(ك)

الكاشاني، ابو يعلى ١١٤
كروم، حسنين ١٥٦
كعب بن الأشرف ١٤٢، ١٤٣
كعب بن مالك ١٤٥
الكفر ٨٠
الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي ١٣٧
الكندي، ابو يوسف يعقوب ٧١
الكنيسة الكاثوليكية ١٨٤
الكويت ١٨٥
الكيان السياسي ١٧٥
كيركباتريك، جين ١٨٨
كيسنجر، هنري ٢٢، ١٨٨
كينيا ١٨٨

(ل)

لبنان ١٨٣
لطفي، علي ١٨٩
اللغة الرومية ٤٨
اللغة السريانية ٩٤
اللغة العربية ٣٢، ٥٦، ٦٠، ٦٣، ٧٦، ٨٣، ٩٥
اللغة الفارسية ٤٨
لورانس، توماس ٤٧
الليبرالية ١٥٢
ليبيا ١٨٠، ١٨٧
لينين، فلاديمير أ. ١٥٨

(م)

ماركس، كارل ٤٥، ٦٦
الماركسيون ١٥٦
الماوردي، أبو الحسن ١١٤
المبادىء العقائدية ٤٢
مبارك، حسني ١٥٣
المجتمع الاسلامي ٢١
المجتمع الامريكي ١٨١
المجتمع الجاهلي ٢٠
المجتمع المتحضر ٢٠
المجتمع المدني ١٣٨
المجتمع المصري ١٨، ٢٤، ١٦٢
المجتمع المكي ١٣٨
المجلس المصري الأمريكي ١٦٣
المحجوب، رفعت ١٥٢، ١٦٠
محمد بن حزم، ابو عبد الله ١٣٧
محمد بن عبد الوهاب ٣٢
محمد بن مسلمة ١٤٢
محمد الفاتح ١٢٨
محيي الدين، خالد ١٥٦، ١٥٨
محيي الدين، فؤاد ١٥١
المذاهب السياسية ٣٢
مراد، حلمي ١٥٦
مراد، زكي ١٥٨
مراد، مصطفى كامل ١٥٣، ١٥٤
مرسي، فؤاد ١٥٦
المركز الأكاديمي الاسرائيلي (١٩٨٢) ٢٤
المسجد الأقصى ١٠٠
المسلمون ٢٠، ٣١، ٣٣ ـ ٤٥، ٥٠، ٦٦، ٦٨، ٨٤ ـ ٨٧، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ١٠٠ ـ ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١ ـ ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٧١ ـ ١٧٣، ١٧٦، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢
المسيحية ١٨، ٤٣، ١٨٣
المشرق العربي ٤٧
مصر ١٢، ١٣، ٢١، ٢٢، ٤٤، ٦٦، ٩٧ ـ ٩٩، ١١٠، ١١١، ١١٧، ١٢٣، ١٥٠، ١٥١، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٦ ـ ١٨٩، ٢٠٠
المصريون ١٨، ٢٢
مصطفى، شكري أحمد ١١ ـ ١٣، ١٧، ٢٥، ٦٤، ٧٧، ٩٢
مصطفى، علوي ١٢، ١٩
مصعب بن عمير ٦٧
مضيق باب المندب ١٨٤
مضيق البوسفور ١٨٤
مضيق جبل طارق ١٨٤
مضيق الدردنيل ١٨٤
معاذ بن جبل ٥٧، ٦٠، ٨١، ١٦٩
المغرب ١٨٨
المغرب العربي ٤٨
مفاوضات الكيلو (١٠١) ٢٤
المقوقس ١٣٧
الملة الاسلامية ١٣١
المنذر بن ساوى ١٣٧
منظمة الأقطار المصدرة للنفط ١٨٥
المنهج الاسلامي ١١٧، ١١٨
المنهج الانقلابي ١١٩
مهدي، محمد صبري ١٥٧
المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ٢٢
المودودي، أبو الأعلى ١٢، ١٨ ـ ٢٠، ١١٨
المؤسسات العلمانية ١٦٣
ميثاق العمل الاسلامي ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٠

(ن)

ناجازاكي ١٨٠
الناصريون ١٥٧، ١٥٩
النحاس، مصطفى ١٥٣
النصارى ٣٥، ٤٠، ٤٩، ٦١، ٨٥، ١٣١، ١٧٢
النصرانية ١٣١
النصوص الشرعية ١٠٢
نظام الدواوين ٤٨
النظام الرأسمالي ٣٩، ١٨١، ١٩٠
النظام الربوي ١١٨
النعمان بن مقرّن ١٤٥
نعيم بن مسعود ١٤٣
النقابات المهنية ١٦٢
النقراشي، محمود فهمي ١٩
النميري، جعفر ١٥٠، ١٨٧، ٢٠٠
نهر دجلة ٥٦

النووي ٥٩، ٨٢، ١١٢، ١١٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥

(هـ)

هاشم، يحيى ١٩
هبة الله بن سلامة، أبو القاسم ١٣٧
الهذلي، شعبان بن خالد ١٤٣
الهلالي، نبيل ١٥٨
الهلاوي، حسن ١٢، ١٩
هونكر ١٨٤
الهوية العربية ٢٤، ٢٥
الهوية العربية الاسلامية ٢٤، ٢٥
الهوية القومية ٢٤
الهوية الوطنية ٢٤
الهيثمي، نور الدين علي ١٢٨
هيوشيما ١٨٠

(و)

واكد، لطفي ١٥٧، ١٥٨
والي، يوسف ١٥١
الوحدة الثقافية ٢٤
الوحدة العقائدية ٢٤
الوحدة الوطنية ١٥٥
الوعي الديني ١٢
وكالة اليونايتدبرس ٧٤
الولايات المتحدة الامريكية ١٥١ ـ ١٥٤، ١٦٠، ١٨٠ ـ ١٨٢، ١٨٦ ـ ١٨٩
ـ الكونغرس الامريكي ١٨٤
وهبة، سعد الدين ١٦٠

(ي)

اليمن ٥٧، ١٨٤
اليهود ١٩، ٢٥، ٣٩، ٤٠، ٤٩، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٨٥، ٩٣، ٩٨ ـ ١٠٠، ١٣١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣
اليهودية ٢٤، ١٣٠

النبي المسلّح (١)
الرافضون

تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها من حيث شمولها واكتمالها ومنهجها العلمي الدقيق في رصد حركات الاسلام الاحتجاجي في مصر، ويستعرض المؤلف في هذا الكتاب مجموعة من الوثائق المجهولة والسريّة لعدد من التنظيمات الاسلامية التي نشطت في مصر خلال السبعينات والتي استطاع الحصول عليها لمتابعته الدؤوبة، واتصالاته الموسعة، لا سيما أن اكثرها كان ولا يزال ممنوعاً من التداول ويعتبر من المحرمات لا بل يعتبر اقتناؤها جريمة كمس بامن الدولة.

وتشكل هذه الوثائق بمجموعها الحوافز الرئيسية التي أدت الى قيام احدى مجموعات هذه التنظيمات السرية بمحاولة قلب نظام الحكم من مصر سنة ١٩٧٤ والتي مهدت الى اغتيال الرئيس أنور السادات فيما بعد كما يتضح من مراجعة الجزء الثاني من هذا الكتاب.

185513022X